



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

تصدر عن جامعة غرداية - الجزائر

رصد: 1112-7163-P
رصد: 2588-1892-E

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique

Université de Ghardaïa

Revue « ELWAHAT » pour les Recherches et les Etudes

Editée par l'Université de Ghardaïa - Algérie

EISSN: 2588-1892
PISSN: 1112-7163



العلوم الإنسانية والإجتماعية



المجلد: 11 العدد: 01، جوان 2018

الجزء

D

ELWAHAT

Sciences Humaines et Sociales



الجزء D

المجلد: 11 العدد: 01، جوان 2018

Volume 11 N° 01, Juin 2018

Section D

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

مجلة أكاديمية فكرية محكمة

تصدر عن جامعة

غرداية - الجزائر

المجلد 11 العدد 1

رمضان 1439 هـ / جوان 2018 م

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

الإيداع القانوني رقم: 2006/2763

ردمد P-ISSN:1112 – 7163

ردمد E-ISSN: 2588 – 1892

كل الحقوق
محفوظة

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

ردمدم- P 7163 – 1112

ردمدم- E 1892 – 2588

هي مجلة علمية ذات لجنة قراءة متعددة الإختصاصات من جامعيين وخبراء دوليين. تنشر مجلة الواحات للبحوث والدراسات أبحاث في جميع الميادين. تنشر مقالات أصلية، وتحليلات علمية في مختلف المجالات. مجلة الواحات للبحوث والدراسات خمس (5) أجزاء:

جزء A: العلوم التطبيقية

جزء B: الحقوق والعلوم السياسية

جزء C: العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير

جزء D: العلوم الاجتماعية والإنسانية

جزء E: الآداب واللغات

الناشر

جامعة غرداية

حقوق النشر محفوظة

عند قبول مقال للنشر في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، يصرح المؤلفون بنقل حقوق النشر للناسر.

للإتصال

ترسل جميع المراسلات عن طريق البريد إلى مدير النشر:

العنوان: مجلة الواحات للبحوث والدراسات- جامعة غرداية ص ب 455
طريق المطار غرداية 47000 الجزائر.

أو عن طريق البريد الإلكتروني: elwahatk.abdellah@gmail.com

الهاتف: +213 029 25 81 14 الفاكس: +213 029 25 81 12

مدير المجلة: الأستاذ الدكتور دادة موسى بلخير

مدير النشر: الدكتور كعاسي عبد الله

اللجنة العلمية

دادة موسى بلخير (الجزائر)	سايدو توري أبو بكر (النيجر)	عجيلة محمد (الجزائر)
حليلات محمد الطاهر (الجزائر)	براندت ستيفاني (فرنسا)	قوي بوحنية (الجزائر)
قندوز بن ريمة عتيقة (الجزائر)	جيلي فيرونك (فرنسا)	بوساليم صالح (الجزائر)
ولد الحاج محمد ديدي (الجزائر)	أوداير جين ماري (فرنسا)	قرليفة حميد (الجزائر)
بيساطيوعافية سامية (الجزائر)	بن يحي يحي (الجزائر)	أولاد سعيد أحمد (الجزائر)
شحمة عبد المجيد (الجزائر)	هادية مشيخي (تونس)	كيحول بوزيد (الجزائر)
بدراوي محمد (المغرب)	توبي مصطفى (المغرب)	حاج محمد قاسم (الجزائر)
بن رحيم حفصية (تونس)	درابسا محمد (الأردن)	قدي عبد المجيد (الجزائر)
تيسي دانيال (فرنسا)	إنيجوانيجوادولفو (إسبانيا)	غزو محمد أكلي (الجزائر)
تومبسون ميشال (الولايات م أ)	روزان منير (الأردن)	خنور صالح (الجزائر)
خلفاوي فتحي (الجزائر)	باجو مصطفى (الجزائر)	فرج فرج (مصر)
بحاز إبراهيم (الجزائر)	عبادلي محمد (الجزائر)	شايب ساسي (الجزائر)
جبلي نور الدين (الجزائر)	بن سعد محمد سعد (الجزائر)	حجاج عمر (الجزائر)
مصيطفى عمار (الجزائر)	جوادات محمد (المغرب)	حمودة عائشة (الجزائر)
بن سلامة محمد (الجزائر)	الشمري عماد (الأردن)	المجاري عبد الكريم (تونس)
حسيني مسعود (الجزائر)	محفوظ عبد اللطيف (المغرب)	حمادي أحمد (الجزائر)
سنوسي عبد الحكيم (الجزائر)	ماجد عيساني عبدول (الجزائر)	وولف جونج كايزر (فرنسا)
صانون سليمان (يوكينا فاسو)	عبد الخالق عيسى (فلسطين)	بوعبدلي أحلام (الجزائر)
غانمي محمد (تونس)	درماكي عائشة (سلطنة عمان)	خواجة عبد العزيز (الجزائر)
ناتالي موندي (فرنسا)	حسن زيدان سليمان (ليبيا)	بن سانية عبد الرحمان (الجزائر)
وقيد محمد العيد (الجزائر)	موسوي أحمد (الجزائر)	بوعرعور كمال (الجزائر)
شريطي عبد الكريم (الجزائر)	سلامي مختار (الجزائر)	مرزوقي أمجد (تونس)
بلبوخاري الناصر (الجزائر)	معراج هواري (الجزائر)	شول بن شهرة (الجزائر)
يوسف محمد (الجزائر)	مصيطفى عبد اللطيف (الجزائر)	أولاد حيمودة جمعة (الجزائر)
حاج سعيد عبد القادر (الجزائر)	الصمدي مصطفى (المغرب)	بجاح ياسين (العربية السعودية)
حاج عيسى محمد (الجزائر)	غزيل مولود (الجزائر)	بلعور سليمان (الجزائر)
وينتن مصطفى (الجزائر)	هيبه سيف الدين (الجزائر)	كواتي مسعود (الجزائر)

الجزء D

العلوم الاجتماعية والإنسانية

رئيس التحرير

الأستاذ كواتي مسعود (الجزائر)

لجنة القراءة

بوساليم صالح (الجزائر)	قرليفة حميد (الجزائر)
شايب ساسي (الجزائر)	شويرف عبدالعالي (الجزائر)
حجاج عمر (الجزائر)	حمدي أحمد (الجزائر)
حمودة عائشة (الجزائر)	فرج الفرج (مصر)
الماجري عبد الكريم (تونس)	بحاز إبراهيم (الجزائر)
سعادة رشيد (الجزائر)	باجو مصطفى (الجزائر)
أولاد حيمودة جمعة (الجزائر)	خواجة عبد العزيز (الجزائر)
يوسف قدوري (الجزائر)	الصمدي مصطفى (المغرب)
هيبة سيف الدين (الجزائر)	مونة عمر (الجزائر)

مجلة « الواحات » مجلة أكاديمية محكمة، تهدف إلى نشر الدراسات والبحوث الأصيلة المبتكرة في مختلف العلوم التي تهتم بدراسة الإنسان. تقبل المجلة البحوث والدراسات المكتوبة باللغة العربية أو اللغتين الفرنسية أو الإنجليزية.

لنشر في مجلة « الواحات » يشترط احترام قواعد النشر العامة والخاصة الموالية. إن المجلة مفتوحة أمام كل الباحثين العاملين في مختلف الجامعات ومراكز البحث الجزائرية والعربية والأجنبية.

أ- قواعد النشر العامة:

1. أن يكون البحث أصيلاً ، وتتوفر فيه شروط البحث العلمي المعتمد في كتابة البحوث الأكاديمية

2. الالتزام بمراجعة البحث من حيث الأسلوب واللغة.

3. يجب أن لا تزيد صفحات البحث عن 30 صفحة وأن لا تقل عن 06 صفحات.

كما تحدد أبعاد الورقة بـ 24×16 و هوامش الورقة بـ 2×2×2×2

4. الالتزام بكتابة العناوين الرئيسية في وسط السطر والفرعية في الجانب.

5. الالتزام بإرسال السيرة الذاتية المختصرة بالنسبة للباحثين الذين يرسلون المجلة لأول مرة.

6. يجب أن لا يكون البحث قد سبق نشره في السابق و لم يقدم للنشر إلى جهة أخرى.

ب- قواعد النشر الخاصة:

7. فيما يخص كتابة النصوص:

- يكتب نص المقال ببرنامج وورد (Word)، بخط Simplified arabic،

وبحجم 14 بالعربية و 12 باللغات الأجنبية بخط Times New Roman

(العنوان الرئيسي بحجم 16 – والعنوان الفرعي بحجم 15 – والمقال 14 –

والهامش 12)

8. تخصص الصفحة الأولى من المقال لكتابة المعلومات الأساسية الموالية فقط : عنوان البحث، اسم الباحث أو الباحثين والدرجة العلمية، اسم المؤسسة أو المؤسسات التي يعملون لديها ، عنوان المراسلة، البريد الإلكتروني، وعنوان الصندوق البريدي.

9. تخصص الصفحة الثانية من المقال لتقديم ملخص للبحث في حدود 250- 150 كلمة والكلمات الدالة (من 3 إلى 7 كلمات)، باللغة الأم للمقال واللغة الإنجليزية.... يجب أن يعبر الملخص عن محتوى المقال بصورة شاملة وصادقة مع احترام الدقة في هذه الترجمات.

10. يبدأ تقديم البحث من الصفحة الثالثة بتكرار عنوان البحث وبدون تكرار اسم الباحث أو الباحثين.

11. يجب ترقيم الصفحات في الوسط وفي أسفل الصفحة.

12. فيما يخص إعداد الجداول والأشكال:

ترقم الجداول والأشكال ترتيبا تصاعديا وتوضع في مكانها المناسب في المقال. ويجب أن تقدم هذه الجداول في حدود مقاس الورقة وبالنمط العمودي (Portrait).

13. ترقم الخرائط والصور والأشكال ترقيما تصاعديا وتوضع داخل النص، ويشار إلى مصدرها كما يلي: اسم الخريطة أو الصورة أو الشكل رقم ()

فيما يخص الخرائط والصور:

مصدر الخريطة أو الصورة أو الشكل

14. ترسل الخرائط والصور في ملفات مستقلة عن النص، أي ملف لكل خريطة أو صورة وهذا من نوع جيبك (jpeg).

مثال (nom de l'image.jpeg)، شريطة أن تكون نوعية الصورة لا تقل عن (300 dpi).

15. إننا لا نقبل إلا الصور الرقمية ومن نوع جيبك (jpeg).

16. يجب أن يكون عدد الخرائط والصور محدود وتخص فقط تلك التي تقدم معلومات هامة لا يمكن الاستغناء عنها (أقصى حد من الصور هو 5).

17. فيما يخص إثبات المراجع والهوامش:

- تكتب المراجع كما يلي:

18. يشار إلى المراجع في آخر المقال على الشكل التالي :

- تسجل الكتب والمراجع في قائمة مصادر المراجع بصورة مرتبة ترتيبا أبجديا أو ألف بائيا. كما يلي: اسم الباحث أو الباحثين، عنوان الكتاب، رقم الطبعة، دار النشر، مكان النشر.

- تسجل الدوريات في قائمة المراجع كما يلي: اسم الباحث ، عنوان البحث، اسم الدورية، العدد، مكان الصدور.

19. تكتب الهوامش كما يلي:

يجب أن تكون الإحالات (الهوامش) متسلسلة بأرقام متتالية وتوضع في آخر المقال ومرتبة ترتيبا تسلسليا:

- سجل إحالات الهوامش كما يلي:

- إذا كانت الإحالة إلى كتاب: يكتب رقم الإحالة، اسم ولقب الباحث ، أو الباحثين، عنوان الكتاب، رقم الطبعة، دار النشر، مكان النشر، الجزء أو المجلد، الصفحة التي توجد بها الفكرة أو الفقرة المنقولة.

- إذا كانت الإحالة إلى مقال منشور في دورية: يكتب رقم الإحالة، اسم ولقب الباحث، اسم المجلة أو الدورية ، العدد ، دار النشر، مكان النشر، الجزء أو المجلد، الصفحة التي توجد بها الفكرة أو الفقرة المنقولة.

- عند تكرار ذكر نفس المرجع، يكتب بعد رقم الإحالة نفس المرجع السابق والصفحة،

- في حالة ما إذا كان التكرار مباشر، وإذا فصل تكرار المرجع بمرجع آخر أو عدة مراجع أو صفحة جديدة، يجب ذكر بعد رقم الإحالة اسم ولقب الباحث ، الصفحة ثم مرجع سابق.

20. إذا كان المرجع موقع إلكتروني:

21. اسم الكاتب أو المنظمة. عنوان الصفحة الرئيسية، (شبكة الانترنت). عنوان الموقع URL (تاريخ تصفح الموقع: اليوم، الشهر، السنة).

22. إذا كان المرجع صفحة من موقع إلكتروني:

- اسم الكاتب (عنوان المصدر). عنوان صفحة المصدر أو الوثيقة التي تتضمن المصدر،(عنوان الصفحة الرئيسية)، (شبكة الأنترنت). عنوان الموقع URL (تاريخ تصفح صفحة الموقع: اليوم، الشهر، السنة).

ج - فيما يخص إجراءات النشر

23. تُرسل البحوث والدراسات وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى مجلة الواحات للبحوث و الدراسات عن طريق البريد الإلكتروني المنشور في موقع المجلة حسب الرابط التالي: <http://elwahat.univ-ghardaia.dz>

24. يرفق بالبحث موجز للسيرة الذاتية للباحث، متضمناً عنوان الباحث بالتفصيل، وأرقام هواتفه الخاصة و المنزل والعمل والفاكس - إن وجد - لكي يسهل التواصل مع الباحث عند الضرورة .

25. تخضع كل البحوث والدراسات إلى التحكيم السري من قبل محكمين مختصين.

26. تعرض الدراسات والبحوث على محكمين اثنين على الأقل لتقديم الخبرة حولها. وتعتبر هذه التقارير أساس القبول أو التأجيل لأي بحث أو دراسة. مع العلم أن المجلة يمكنها أن تطلب إدخال التعديلات التي تراها مناسبة بناء على تقارير المحكمين.

27. يُخطر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمها خلال ستة أشهر - على الأكثر - من تاريخ الاستلام

28. في حالة ورود ملاحظات من المحكمين، تُرسل تلك الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة بموجبها، على أن تعاد للمجلة خلال مدة أقصاها شهر.

29. الأبحاث التي لم تتم الموافقة على نشرها لا تعاد إلى أصحابها و يعلم صاحب المقال بنتيجة التحكيم، كما أن المجلة غير ملزمة بتبرير ذلك.

يمنح الباحثون المقبولة بحوثهم نسخة من المجلة التي نشر بها بحثه.



الفهرس

الرقم	العنوان	الصفحة
01	عناية علماء توات بعلمي التجويد والقراءات من القرن 11 هـ إلى القرن 14 هـ	1067
	مصطفى مدياني	
02	القطع والظن في السنة النبوية	1087
	عبد الرحمن الشيخ	
03	قسمة الشخص ممتلكاته في حياته، ومسألة التسوية بين الأبناء في العطايا والهبات: دراسة فقهية مقارنة	1107
	يوسف نواصة	
04	مقاصد الإشهاد في الشريعة الإسلامية	1138
	محمد ورنريقي، بن زنيد الطيب	
05	العدة و بعض اختلاف أحكامها بين الوفاة و الطلاق	1156
	مسعودة حداوي، كيجول بوزيد	
06	زاويا توات و دورها في نشر الإسلام في أفريقيا الغربية	1188
	- زاوية الفقيه المصلح المغيلي التلمساني التواتي أنموذجا - ناجم مولاي	
07	جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني	1211
	من خلال إسهامات الشيخ المهدي البوعبدلي	
	محمد الزين	
08	إقليم وادي ريغ من خلال كتابات الرحالة العرب في العهد العثماني	1229
	محمد السعيد بويكر، مختار حساني	
09	تجليات الأثر الفكري والاصلاحي للمغلي في مؤلفات الاسرة	1252
	الفودية(عثمان بن فودي، عبدالله بن فودي) خلال القرن 19م	
	جعفري احمد، خالد الشريف صابر	
10	أساليب الحرب النفسية الاستعمارية الفرنسية في القضاء على الثورة	1264
	التحريرية الجزائرية	
	الأحمر قادة	
11	الشباب الجزائري والمواطنة الرقمية بين التداول الافتراضي	1277
	والممارسة في الواقع الاجتماعي	
	كانون جمال	

1298	الشعور بالعزلة الاجتماعية لدى الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي (دراسة ميدانية على عينة من مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي بمقاهي الإنترنت بمدينة متليلي) كيوص ربيحة، قدوري يوسف	12
1330	إشكالية العنف المدرسي وطرق معالجته لضمان الأمن التعليمي ختير مسعود، مهداوي عبد القادر	13
1351	الحدث المنحرف ومسألة التأهيل الاجتماعي أحمد عبد الحكيم بن بعطوش	14
1373	الاتصال الاقناعي للقائد و دوره في بناء ثقافة الاتصال التنظيمي لدى العمال- دراسة ميدانية بجامعة غرداية- مهيري دليلة	15
1393	أثر الثقافة التنظيمية للأستاذ الجامعي على فعالية الجامعة بوخاري محمد، خوجة عبد العزيز	16
1414	السياسات السكنية في الجزائر وتحديات القضاء على أزمة السكن . تمرسيت فتيحة	17
1426	التنشئة الاجتماعية و دور وسائل الإعلام في ترسيخ قيم الثقافة البيئية لدى المرأة دراسة تحليلية من منظور التنمية المستدامة حفيظة بوهالي، بلقاسم بن روان	18
1461	الواقع الافتراضي في علم النفس العصبي جماد نسيبة ، تريباش ربيعة	19
1476	Attitudes of primary school teachers towards teaching colloquialism (An exploratory study in the city of Ghardaia) Hadjadj Omar	20



مجلة الواحات للبحوث والدراسات

ردم- 7163 P – 1112

ردم- 1892 E – 2588

<http://elwahat.univ-ghardaia.dz>

عناية علماء توات بعلمي التجويد والقراءات من القرن 11 هـ إلى القرن 14 هـ

مصطفى مدياني

قسم العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية، جامعة أدرار

Mmastapha2175@gmail.com

ملخص-

تعتبر منطقة توات من أعظم المناطق الجزائرية في الجنوب عناية بتحفيظ القرآن الكريم ، الأمر الذي أدى بعلماء المنطقة إلى العناية بعلمي التجويد والقراءات خصوصا من القرن 11 هـ إلى القرن 14 هـ ، اعتناءً تمثل في تعلم هذين العلمين وتدريسهما والتنقيب عنهما ، إلا أن أكثر جهودهما في هذه الفترة حول هذين العلمين تمثلت في جانب التدريس أكثر منه في جانب التأليف .

الكلمات المفتاحية -

علماء توات ، علم القراءات ، علم التجويد .

The Attention Of Tawat's Scholars Of Quran Tajweed And Readings From The Eleventh Century To The 14th Century

The Abstract

The Area Of Touat Is One Of The Greatest Regions Of Algerian South , Wich Well Known By The Memorization Of The Holy Quran, This Led The Scientists Of The Region To Take Care Tajweed And Elkiraat, Especially From The Eleventh Century To The 14 Century , Their Care Is Represented In Learning These Two Sciences And Teaching Them , But Most Of Their Efforts In This Period On These Two Sciences Were Represented On The Side Of Teaching Rather Than Authorship.

Keywords-

Tawaat Scholars, Elkiraat , Tajweed.

مقدمة -

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .خير ما يشتغل به العبد كتاب الله عز وجل حفظا وتلاوة وإقراء وفهما وتدبرا ، إذ هو نور تضيء به الحياة وتسعد به النفس القرآنية ، ومن مجالات القرآن التي يجب الاعتناء بها إتقان تلاوته وحفظه ، ويتمثل ذلك في علمي القراءات والتجويد ، فهما من أشرف العلوم وأنبليهما ، كيف لا وموضوعهما ألفاظ القرآن الكريم ، فالقراءات والتجويد علمان تميز بهما القرآن الكريم عن سائر الكتب السماوية ، وإذ بمعرفة التجويد يتلى القرآن الكريم كما أنزل

كما ينبغي أن نعلم أن ثمة تداخلا وشيحا بين العلمين كاد أن يجعل المفهوم واحدا مع أنهما متغايران يشتركان في أشياء وينفرد كل منهما بأشياء تميزه عن الآخر إلا أن الموضوع والهدف واحد هو ألفاظ القرآن الكريم ، وإتقان تلاوته .

لقد عُرِفَت منطقة توات قديما وحديثا بعنايتها بتحفيظ القرآن الكريم ، مُتَجَلِّيا في العدد الهائل من حُفَاط أبنائها وبناتها ، إلا أن المتتبع لتلاوة الأكثر من أبناء المنطقة يقف على التلاوة المجردة من أحكام التجويد ، خصوصا وأن المنطقة مشهود لها بالعلم والأدب، الأمر الذي يستدعي الأسئلة التالية ، هل علماء المنطقة قديما كانوا على علم بعلمي التجويد والقراءات ؟، وإذا كان كذلك فأين تتجلى عنايتهم واهتمامهم بهذين العلمين الجليلين ؟

و يتجلى الهدف من هذه الدراسة في استخراج تلك الكنوز العلمي من المخطوطات ، وإبراز مكانة أولئك العلماء الذين أفنوا أعمارهم في خدمة كتاب الله حفظاً وتدريساً .. بالإضافة إلى اعتنائهم الخاص بعلمي التجويد والقراءات لعلَّ الخلف يقتفوا آثارهم .

وقد جاءت معالجتى لهذه الدراسة ضمن المنهج الاستقرائي التحليلي ، وفق خطة تتضمن أربعة مطالب حسب طبيعة الموضوع وهي كالآتي:

موضوع الدراسة : عناية علماء توات بعلمي التجويد والقراءات من القرن 11

ه إلى القرن 14 هـ .

المطلب الأول: توات وعنايتها بتحفيظ القرآن الكريم

المطلب الثاني: تعريف علم التجويد وأهميته

المطلب الثالث: تعريف علم القراءات وأهميته.

المطلب الرابع : مظاهر اهتمام التواتيين بعلمي التجويد والقراءات

المطلب الأول: توات وعنايتها بتحفيظ القرآن الكريم

إن الحديث عن تفاصيل وجزئيات هذا الموضوع يستدعي الحديث عن التعريف بالمنطقة ، بالإضافة إلى عناية التواتيين بحفظ كتاب الله عز وجل ، إذ لولا اهتمامهم بكتاب الله عز وجل لما تسنى لهم تجويد ألفاظه ، ومعرفة فرش كلماته ، وستتم دراسته في فرعين وهي كالآتي:

الفرع الأول: التعريف بمنطقة توات.

لعل القارئ والسامع للفضة توات لأول مرة يدرك أن الاسم غير عربي ، فما ذا تعني كلمة توات ، إنها اسم لمنطقة من مناطق الجنوب الجزائري غرب الصحراء اسم "توات يشكل ولاية أدرار وبعضا من ولاية تمنراست جنوب الجزائر، وهو ينقسم تاريخيا إلى أقاليم ثلاثة: حيث يقع إقليم تديكليت جنوب مقر الولاية حالياً ، وهو من قصر فقارة الزوي بعين صالح إلى رقان ، أما إقليم قورارة فهو إلى الشمال من قصر تبلكوزة شمالاً إلى قصر تسابيت جنوباً ، وأما توات فهي وسط بينهما" ¹

إذن هي منطقة كبيرة تمتد شمالا من تيميمون ، مروراً بأدرار وسطا ، وانتهاء بعين صالح جنوبا ، الأمر الذي أدى بها إلى تلکم التقسيمات الثلاث السابقة ، والتي هي بالتفصيل كالآتي:

1- إقليم قورارة، وينحصر هذا الإقليم بين تسابيت وتبلكوزة، وهي تيميمون حالياً وما جاورها من قصور

2- إقليم توات الوسطى ، ويأخذ هذا الإقليم البقعة الجغرافيا التي بين تسابيت ورقان . وهي تشمل حالياً قصور تيمي ، وبودة ، وتمنطيط مروراً بتلكم القصور إلى مدينة رقان .

3- إقليم تديكلت ، ويقع هذا الإقليم بين منطقتي رقان وفقارة الزوى شرق عين صالح ، وهي تشمل مدينة أولف بجميع قصورها ، بالإضافة إلى قصور عين صالح .

وهذا الإقليم التواتي من منذ أن دخل نور الإسلام إلى عروقه وعنايته بالقرآن الكريم جليلة ، وأبوابه لتحفيظ كتاب الله مفتوحة لكل من قصدها من الداخل أو الخارج يقول الدكتور أحمد جعفري " ويعتبر الإقليم التواتي .. من أكثر الأقاليم الجزائرية حضورا للزوايا القرآنية والمدارس الوقفية على مر التاريخ .. " ².

الفرع الثاني: عناية التواتيين بالقرآن الكريم

لقد عُرفت توات بعنايتها بكتاب الله عز وجل من مُنذ القدم تعلمًا وتعليمًا ، وقراءة وإقرأء بل هذه العناية دفعت بهم لإعداد مدارس وزوايا تُعلم الناشئة كتاب الله عز وجل ، مع تحمل أجرة معلم القرآن ،

وتتجلى هذه العناية في المظاهر الآتية:

■ حسن استثمار مرحلة الطفولة في تعلم القرآن الكريم ، فبمجرد ما تتفتق عين الطفل يُدفع به إلى المدرسة القرآنية (المحضرة) ليتعلم الحروف والكتابة حتى يتمكن من قراءة القرآن الكريم،

ولعل من أبرز وأهم النصوص التاريخية التي تكشف لنا عن محطات هذا المنهج المحضري المعتمد بعموم كتاتيب الإقليم التواتي : ما كتبه الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن البلبالي في سيرته الذاتية حيث يقول - رحمه الله تعالى - "وبعد : فلما منَّ الله علينا - بتشبه همتنا من وقت وضع التمييز فينا حين طفولتنا وقبل مناهزة الاحتلام المؤذي لعدم تكليفنا ببرهة من الزمان - بمحبة قرآنه الحكيم الكريم، فابتدأنا القراءة - ونحن إن شاء الله في سن السبع سنين أو أقل - على مقرينا وبلدينا وقريب الانتساب إلينا، البركة الظاهرة، والأسرار الربانية، السيد عبد الله بن إبراهيم بن الحاج علي بن السيد أحمد بن أبي زيد البلبالي الأنصاري.... فافتتح لنا اللوح بحروف (أ ، ب ، ج ، د) على حسب قراءة الصبيان، ثم بالتهجي، إلى أن وصلنا سورة الجمعة وهي يسبح، فابتدأنا بالحفظ

منه - أي من حزب الجمعة - إلى أن ختمنا القرآن بسورة البقرة كله بحفظه عن ظهر قلب على حسب قراءة الصبيان، ثم بدأنا من البقرة بالربع إلى أن ختمناه أيضاً، ثم صعدنا معه كذلك، ثم طرحنا اللوح"³.

وفي هذه المرحلة كانت العمدة على مجرد الحفظ دون التركيز على أحكام التجويد نظراً لصغره ومستواه البسيط، فإذا تمكن من الختمة الأولى عندئذ يُركز له على أحكام التجويد والقراءات

ومن أهم النصوص التاريخية التي تؤكد لنا حقيقة التمييز بين قراءة القرآن في الكتاب وقراءة في المدارس المتخصصة: ما ورد في سيرة الشيخ أبي حفص سيدي عمر بن عبد القادر التنلاني، فقد التحق هذا العالم في بداية نشأته بكتاب قصره "تنلان"، فتلقى القرآن به وحفظه في سن الطفولة حفظاً متقناً. قال عنه تلميذه الشيخ سيدي الرحمن بن بعمر التنلاني: "نشأ بزاوية جدّه المذكور المسمّى تنلان، وقرأ بها القرآن وشيئاً من الفقه"⁴.

ولاشك أن استغلال مرحلة الطفولة هو اقتفاءً بأسلافهم حيث كان الصحابة رضوان الله عليهم يعلمون الصغار القرآن الكريم فالبخاري خص باباً سماه باب تعليم الصبيان القرآن وقال ابن عباس: «توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم»⁵

بل ها هو ابن عباس. يتحدث بنعمة ربه قائلاً: (قال سلوني عن التفسير فإني حفظت القرآن وأنا صغير).

وفي تهذيب النووي أن سفيان بن عيينة حفظ القرآن وهو ابن أربع سنين⁶ إن بركة تعليم القرآن في الصغر جلية، حيث الأبناء المتفوقون في المدارس التربوية هم في الغالب أولئك الذين استقوا نور القرآن الكريم فأزال الله عليهم العقبات ويسر لهم سبل العلم وإدراكه.

■ إكرام أهل القرآن الكريم والرفع من شأنهم.

فلقد كان الناس في زمن ليس بالبعيد عنا في أرض توات يُقدرون منزلة حامل كتاب الله عز وجل، التقدير

المعنوي والمادي ففي المسجد يخصوصونه بالصلاة خلف الإمام ، وإن حضر في مجلس سيّدوه ، وإن التقوا به في الطريق سارعوا إلى مصافحته وإكرامه، وإن غاب عنهم سألوا عنه ..

كما كان الآباء يكرمون أبناءهم عند ما يتجاوز الجزء وبعض السور المخصوصة - بما يُسمى بالفتوح- بل أعرف البعض لهم بساتن أهديت لهم يوم أن ختموا القرآن الكريم ، والبعض لهم نخلة ، بل كان المجتمع من حين إلى حين يقيم حفلا لخاتمي كتاب الله عز وجل ، لكن وللأسف بدأت تتلاشى هذه المظاهر الطيبة مما انعكس سلبا على مردود أبنائنا وبناتنا .

إذن فمنطقة توات اعتنت بتحفيظ القرآن الكريم مما دفع بها للتعمق في علمي التجويد والقراءات .

المطلب الثاني: تعريف علم التجويد وأهميته

علم التجويد من أجل العلوم لما له من الصلة المباشرة بكتاب الله عز وجل ، والذي يزيد التلاوة حلاوة ،

والأداء زينة وجمالا ، فما هو تعريف التجويد ؟
التجويد لغة: "مَصْدَرٌ مِنْ جَوَدَ تَجْوِيدًا وَالْإِسْمُ مِنْهُ الْجَوْدَةُ ضِدُّ الرَّدَاءَةِ، يُقَالُ: جَوَدَ فُلَانٌ فِي كَذَا إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ جَيِّدًا" ⁷ إذن هو من باب التفعيل بمعنى التحسين والاتقان.

التجويد اصطلاحاً: إخراج كل حرف من مخرجه مع إعطائه حقه ومستحقه. ⁸ ويجلي ابن الجزري معناه قائلاً : " فَهُوَ عِنْدَهُمْ عِبَارَةٌ عَنِ الْإِتْيَانِ بِالْقِرَاءَةِ مُجَوَّدَةً بِالْإِلْفَاطِ بَرِيئَةً مِنَ الرَّدَاءَةِ فِي النُّطْقِ وَمَعْنَاهُ انْتِهَاءُ الْغَايَةِ فِي التَّصْحِيحِ وَبُلُوغُ النِّهَايَةِ فِي التَّحْسِينِ " ⁹

أما علم التجويد فهو علم يعرف به كيفية إعطاء كل حرف حقه ومستحقه من صفة ومخرج ووقف وابتداء

قال ابن الجزري وَهُوَ أَيْضًا حَلِيَّةُ التَّلَاوَةِ ... وَزِينَةُ الْأَدَاءِ وَالْقِرَاءَةِ وَهُوَ إِعْطَاءُ الْحُرُوفِ حَقَّهَا ... مِنْ صِفَةٍ لَهَا وَمُسْتَحَقَّهَا ¹⁰
وقفة مع التعريف

والعلماء انطلاقاً من نصوص الكتاب والسنة أجمعوا على أن تجويد القرآن من الناحية العملية فرض عين على قارئ القرآن

الكريم والنبى صلى الله عليه وسلم يقول "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ" ¹¹

وجاء في معجم الطبراني وغيره قال: كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقْرَأُ رَجُلًا فَقَرَأَ: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ} مُرْسَلَةً ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَا هَكَذَا أَقْرَأْنِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: وَكَيْفَ (أَقْرَأَكَهَا) يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: أَقْرَأْنِيهَا: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ} ، فمدها. ¹²

وقال ابن الجزري في النشر "والناس في ذلك بينٌ مُحْسِنٍ مَأْجُورٍ، ومُسِيءٍ آثِمٍ، أو معذورٍ" ¹³

أما العلم النظري فهو فرض كفائي على الأمة ¹⁴ كغيره من العلوم يدخل في الآية (فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) سورة التوبة، الآية: 122

أهمية علم التجويد

01 الإضافة الإلهية ... (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا)

02 الأمر الإلهي بالترتيل {ورتل القرآن ترتيلاً} سورة المزمل ، الآية: 04.

03 وسيلة للتدبر تحقيقاً لقوله تعالى {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ..} سورة ص 29.

" وَسُئِلَ مُجَاهِدٌ عَنْ رَجُلَيْنِ قَرَأَا أَحَدَهُمَا الْبَقْرَةَ وَالْآخَرُ الْبَقْرَةَ وَالْأَمْرَانِ فِي الصَّلَاةِ وَرُكُوعُهُمَا وَسُجُودُهُمَا وَاحِدٌ، فَقَالَ: الَّذِي قَرَأَ الْبَقْرَةَ وَحْدَهَا أَفْضَلُ". ¹⁵

04 الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ثبت عن أم سلمة رضي الله عنها أنها نعتت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم: قراءة مفسرة حرفاً حرفاً ¹⁶

وثبت عنها أيضاً عن أم سلمة قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقطع قراءته، يقرأ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ، ثم يقف (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) ، ثم يقف. ¹⁷

أما فائدة علم التجويد

01 فهو طريق لصون اللسان من الخطأ واللحن في كتاب الله عز وجل ...

02 طريق لتقويم اعوجاج اللسان وتدريبه على النطق بالعربية .

المطلب الثالث: تعريف علم القراءات وأهميته

لغة: القراءات جمع قراءة وهي في اللغة مصدر سماعي لفعل قرأ. ولها

معنيان:

الجمع والضم ومنه قوله تعالى (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) سورة القيامة، الآية: 16/17/18.

والمعنى الثاني: التلاوة ، وهو النطق بالكلمات المكتوبة¹⁸

القراءات اصطلاحاً: عرفها عبد العظيم الزرقاني بقوله " مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه " ¹⁹

أما علم القراءات فثمة تعاريف عديدة اقتصر على تعريف ابن الجزري الشامل والراجح جاء في كتابه " منجد المقرئين ومرشد الطالبين " علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها معزواً لناقله. ²⁰

مثلاً: قوله تعالى : (ولا تُسْأَلُ عَنْ اصْحَابِ الْجَحِيمِ) فيه ثلاث قراءات قرأ نافع ويعقوب بفتح التاء وجزم اللام على النهي (ولا تُسْأَلُ) وقرأ الباقون بضم التاء واللام (ولا تُسْأَلُ) على أنه رفع للخبر بمعنى ولست تُسْأَلُ²¹.

ووقف حمزة بنقل حركة الهمزة بعد حذفها (ولا تُسَلُّ) ²².

أهمية علم القراءات

01 تعلقه بأشرف كتاب أنزل ، وفضل القرآن الكريم جلي ومبثوث في نصوص الكتاب والسنة .

02 حاجة المفسر والفقيه والمحدث واللغوي إلى علم القراءات ، إذ لا يمكن لهم الاستغناء عن علم القراءات ، فالعلاقة بين التفسير والقراءات وطيدة جداً ، حيث أن القراءات تعد مصدراً من مصادر التفسير ، والتفسير هو من أشرف العلوم بل أفضل العلوم الشرعية كما يقول الأصفهاني

مثال : قوله تعالى {وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ} سورة التكوين، الآية: 24.
قرأ بن كثير ، وأبو عمر ، والكسائي بظنّين بالطاء ومعناها متهم أي ليس محمد بمتهم في أن يأتي من عند نفسه بزيادة أو نقصان فيما أوحى إليه .
وقرأ الباقر بن بطنين بالضاد ومعناها ببخيل أي ليس محمد ببخيل في بيان ما أوحى إليه .²³

وهكذا اهتم الفقهاء بالقراءات خصوصا في مواطن الخلاف ،
أما اللغويون والنحويون فقد اهتموا حتى بالقراءات الشاذة فضلا عن المتواترة والمشهورة والآحاد ، فألف ابن خالويه (ت 370هـ) كتابا في شواذ القراءات ، وألف ابن جني (ت 392هـ) كتابه المحتسب في توجيه القراءات الشاذة .
03 اعتناء الصحابة والتابعين بالقراءات تلاوة وحفظا وإسنادا بل نوه العلماء وأثنوا على من كان أعلم بأكثر من قراءة ، ودونوا ذلك في المؤلفات .

أما فائدة علم القراءات

01 الإلمام بالفاظ الوحي المنزلة فقد جاء في صحيح البخاري وغيره قوله صلى الله عليه وسلم «أقرأني جبريل على حرف، فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف»²⁴

02 به يسان كتاب الله عز وجل من التحريف والتغيير ، ولذا علماء القراءات وضعوا ضوابط وأركان لقبول القراءة الصحيحة جمعها ابن الجزري بقوله :

- فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوٍ ... وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالًا يَحْوِي
- وَصَحَّ إِسْنَادًا هُوَ الْقُرْآنُ ... فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَرْكَانُ
- وَحَيْثُمَا يَخْتَلُ رُكْنٌ أَثْبِتَ ... شُدُّودُهُ لَوْ أَنَّهُ فِي السَّبْعَةِ²⁵

فبذلك يتميز ما هو قرآن وما ليس بقرآن

03 معرفة القراء الذين أفنوا أعمارهم في خدمة كتاب ربنا ، ومعرفة ما يقرأ به كل واحد منهم .

04 بيان حكم من الأحكام كالزيادة الواردة في قراءة سعد بن أبي وقاص (وله أخ أواخت من أم)²⁶ .

06 الدلالة على حكمين من الأحكام كما في آية الوضوء (وأرجلكم) (وأرجلكم)²⁷

لذا فالأئمة القراء لما أدركوا هذه الثمرات اعتنوا بها أيما اعتناء ...

مواطن الاتفاق والاختلاف بين علمي القراءات والتجويد

وبعد التعرف على الدلالة والمفهوم يمكن التطرق لمواطن الاتفاق والاختلاف
مواطن الاتفاق

01 أن كليهما يرتبط بالفاظ القرآن الكريم ، وإن كان أحدهما يعتني بالكلمة ، والآخر بالحرف

02 أن القراءات المتواترة والمشهورة لا يمكن قرأتها منعزلة عن التجويد

03 علم التجويد هو جزء من علم القراءات ، وهذا باعتبار أن علم القراءات ينقسم إلى أصول وفرش ، وأن علم التجويد في كثير من مباحثه يعتبر من الأصول

مواطن الاختلاف أي ينفرد كل منهما بأشياء تميزه عن الآخر

01 من حيث الموضوع ، علم التجويد ينفرد بدراسة المخارج والصفات ، بينما علم القراءات ينفرد بالكلمات وعزوها لناقلها

02 من حيث المنهج فعلم القراءات منهج نقلي يعتمد على الرواية ودراسة الإسناد ، بينما علم التجويد فهو علم دراية.²⁸

المطلب الرابع : مظاهر اهتمام التواتين بعلمي التجويد والقراءات

هناك مظاهر شتى يمكن أن نقف عندها لنؤكد من خلالها مدى عناية واهتمام علماء توات بعلمي التجويد والقراءات، ونستخلصها فيما يلي:

■ عنايتهم بحفظ متون التجويد والقراءات، كالمقدمة الجزرية، وابن بري، والشاطبية، وحضور هذه المتون في حلقات مجالسهم العلمية، كما نقف على ذلك في مجلس الشيخ سيدي عبد الرحيم التامرتي، ومجلس الشيخ سيدي عبد الحاكم الوطاسي التميموني، ومجلس الشيخ سيدي عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري، ومجلس الشيخ سيدي ضيف الله بن أب المزمري، ومجلس الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن بن بعمر التتلاني.... وغيرهم.²⁹

إضافة إلى وجود أهم كتب ومراجع علمي التجويد والقراءات في مختلف الخزائن التراثية المنتشرة في عموم الإقليم التواتي، وما كان لهم أن يقتنوا هذه الكتب والمراجع لولا عنايتهم بهذين العلمين العظيمين.

■ استغلالهم الفرص للجلوس بين يدي العلماء القراء، وحرصهم على الاستفادة من علمهم وخبرتهم كلما أمكنهم ذلك، رغبة وحرصا منهم على تحسين قراءتهم، وتجويد تلاوتهم.

حيث يذكر الشيخ سيدي عبد الرحمن بن بعمر التتلافي أن التقى في بلدة - تمي - بالشيخ سيدي محمد المكي بن الشيخ سيدي صالح السجلماسي اللمطي، وذلك قبل أن يرحل للأخذ عن والده، وكان قد قدم لتوات بصحبة ابن عمه سيدي أبي القاسم في مهمة أرسله والده لقضاها، وقد تحدث سيدي عبد الرحمن عن هذا العالم ووصفه بأنه كان أستاذا يقرأ بالسبع، ومشاركا في الفقه وغيره، وله تقييد في القراءات السبع³⁰

كما أشار إلى كيفية أخذه عنه، وأثر ذلك عليه بخصوص علم التجويد فقال: "طلبت من ابن عمه المذكور أن أسمع منه بعض الأحزاب، فأجابني بفرح، فقرأ علي وأنا أسمع الفاتحة والبقرة إلا الحزب الثاني منهما، فإني قرأته عليه وهو يسمع، وآل عمران، والنساء إلى حزب (لا يحب) وذلك برواية قالون، وسمعت منهما نحو أربعة أحزاب برواية ورش، ونفعني الله بما سمعت منهما كثيرا، وزادت قراءتي تجويدا من يومئذ فجزاهما الله خيرا"³¹

■ إعمالهم الرحلة في سبيل أخذ هذين العلمين من أئمة الإقراء في مختلف الأقطار الإسلامية، وشدة تركيزهم على اختيار وانتقاء المجيدين من أهل هذا الفن، ممن عرفوا بالإحكام والإتقان، وشُهد لهم في عصرهم بالتبريز والتميز.

فمن أعلام المغرب نذكر شخصيتين

أولهما: الشيخ المقرئ سيدي محمد بن مجبر المساري تلميذ ابن غازي، وعنه أخذ القراءات الشيخ سيدي محمد بن أبي محمد التمنطيطي³².

ثانيهما: الشيخ المقرئ سيدي صالح اللمطي السجلماسي، وعنه أخذ القراءات الشيخ سيدي عبد الرحمن بن بعمر التتلافي³³.

ومن أعلام المشرق كذلك نذكر شخصيتين

أولهما: الشيخ المقرئ سلطان المزاحي المصري وعنه أخذ القراءات الشيخ سيدي عبد العزيز بن حسن الحفصي الأوقروتي³⁴

ثانيهما: الشيخ المقرئ سيدي محمد البقري المصري وعنه أخذ القراءات الشيخ سيدي عبد الرحيم التامرتي.³⁵

وبالرجوع إلى تراجم هؤلاء الأعلام المقرئين يتبين لنا عظم منزلتهم ومكانتهم في علمي التجويد والقراءات، مما يعكس بالضرورة علو مكانة من تتلمذ على أيديهم، وتخرج من حلقاتهم.

■ تنبيههم على الأخطاء التي يقع فيها كثير من العامة، بل وحتى بعض العلماء، سواء ما تعلق منها بمخارج الحروف، أو بكيفية النطق ببعض الكلمات القرآنية، وهذا ما نقف عليه عند الشيخ سيدي عبد المحسن بن الوليد في حديثه عن مخرج التاء، وهي من الحروف التي طال النزاع بشأنها في عموم بلاد المغرب حتى ألفت فيها تأليف³⁶

كما نجد ذلك أيضا في تلك التنبيهات التي كان يشير إليها الشيخ سيدي عبد الرحمن التتلافي لدى حديثه عن كيفية قراءته على شيخه سيدي صالح بن محمد اللمطي، ومن أهم هذه التنبيهات قوله: "فكثيرا ما ينبهني عن الإخفاء والغنة في النون والتنوين عند حرف التاء المثناة والذال المهملة والطاء وعلى إظهار الغنة فيهما عند الباء الموحدة حتى يسمع لها صوت وكذلك في الميم الساكنة إذا لاقت مثلاً، وكذلك ينبهني على تغليظ حروف الاستعلاء لاسيما أحرف الإطباق منها، وكذلك كان ينبهني على عدم إظهار اللام الساكنة عند النون في نحو جعلنا وأنزلنا حتى تحدث فيها القلقلة - كما كان ينطق به كثيرا من يأخذ التجويد من الكتب دون مشافهة متقني القراءة - وكذلك كان ينبهني على النطق بالجيم، وبيان صفاتهما من الجهر والشدّة، لأن كثيرا من القراء لا يحسنه، وكذلك كان ينبهني على النطق بتسهيل الهمزة بين بين، لأن قراء مغربنا أطبقوا على النطق به هاء محضة، وهو خلاف المنصوص.... وكذلك كان ينبهني على نطق الهمز المحقق وبيان حركته إن كان محركا وسكونه إن كان ساكنا"³⁷

وفي هذه التنبيهات بيان واضح على مدى حرص هذا الشيخ على الأداء الصحيح للقراءة، وعدم مجازاة الناس فيما اصطلحوا عليه مما يخالف القواعد المنصوص عليها في كتب أهل الضبط والإتقان، وهذا ما شهد له به تلميذه الشيخ سيدي عبد العزيز الهالالي في تأليفه الشهير باسم "عرف الند في حكم حذف حرف المد"، حيث بين ما تملاً عليه عامة أهل المغرب من إسقاط المد الطبيعي، حتى أنه سمع بعض المقرئين الكبار يفعل ذلك فلما أنكر عليه أجابه بالقول: هذه طرقنا الطي أخذناها في المغرب وتلك التي تأمرنا بها طريقة اللطيين، قال الهالالي: وعنى باللطيين شيخنا سيد المحققين وسند المدققين، الغني عن التعريف عند كل لبيب، أبا البركات سيدي أحمد الحبيب قدس الله سره وضاعف عليه بره، وشقيقه شيخنا العلامة إمام أهل التجويد، صاحب النقل الصحيح والنظر السديد، الاستاذ الأكبر سيدي صالح بن محمد لا لرحمت محاسنه تتلى ومحاسنه تحمد، ومن أخذ عنهما من التلاميذ، وسلك طريقهما من الأساتيد، وقد صدق هذا المجيب فيما نسب إليهما من الطريقة المثلى، والصنع العجيب، فما رأينا في هذا المغرب من وفي حروف القرآن حقها، وأعطائها من المخارج والصفات مستحقها، سوى هذه العصابة أولي التحقيق والإصابة، جزاهم الله رضوانه، وأسبغ عليه إحسانه³⁸

■ علاقاتهم الوطيدة مع العلماء المقرئين في مختلف البلاد الإسلامية، خاصة مع علماء المغرب الأقصى، ومن النماذج في ذلك تواصل الشيخ سيدي عبد الرحمن التلاني بالمراسلات مع الشيخ سيدي ابراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن داوود من لا يخاف السجلماسي³⁹.

وكذا تواصل علماء توات بالشيخ الحسن بن محمد بوزيد الخمسي، وهو من قراء المغرب، وكان مقيماً بالقنادسة، وقد جرى بينه وبين الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن بن بعمر التلاني اختلاف بشأن التمييز بين مخرج الظاء والضاد، وألف هذا العالم كتاباً بهذا الشأن سماه تحفة ذوي الالباب من القراء والكتاب كتبه بالقنادسة سنة 1203 هـ، ورغم ذلك كانت تربط هذا المقرئ بعلماء توات روابط وثيقة، ولذلك لما مات ابن المبروك رثاه بمرثية رائعة مميزة تدل على متانة العلاقة التي كانت بينه وبين الرجل الفقيه⁴⁰.

■ **حضور مسائل التجويد والقراءات في خضم ما بحث بين العلماء التواتيين من القضايا والنوازل -** وإن كان ذلك بشكل محدود- مقارنة مع علوم الفقه والشريعة، ومن أهم ذلك ما نجده في الباب الجامع من كتاب الغنية من الحديث عن المدود انطلاقاً من التعليق على قول ابن بري :

والمد واللين معا وصفان للألف الضعيف لازمان⁴¹

وكذا ما نجده أيضا في الباب الجامع من كتاب غاية الأمانى " حيث رفع سؤال للشيخ سيدي عبد الرحمن التلاني من ولده سيدي محمد يتعلق بالميم المشددة إذا تم الوقوف عليها هل يكون مع انفتاح في الشفتين عقب انطباقهما عند النطق بها أم لا ؟⁴²

خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة مع علماء منطقة توات وعلاقتهم بعلمي التجويد والقراءات في الفترة ما بين القرن الحادي عشر الهجري ، والقرن الرابع عشر الهجري توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- عُرِفَت منطقة توات . بأقاليمها الثلاثة . من أكثر البلدان الجزائرية عناية بتعليم كتاب الله عز وجل .
- علما القراءات والتجويد من أجل العلوم وأشرفها لتعلقهما بكتاب الله عز وجل .
- ثمة علاقة وطيدة بين علمي القراءات والتجويد حيث يتفقان في بعض الجزئيات ، ويختلفان في بعض الجزئيات إلا أنه لا يمكن قراءة القراءات منعزلة عن التجويد .
- عناية علماء توات بعلمي التجويد والقراءات على مستوى التعليم والتدريس كان أشد بكثير من عنايتهم بهما على مستوى التأليف.
- ترك علماء منطقة توات انجازات علمية تشهد لهم بمدى تقدمهم العلمي والعملية ، وهي انجازات تستحق الوقوف عليها والاستفادة منها .

الهوامش

- ¹ أحمد أبا الصايي جعفري، من تاريخ توات، أبحاث في التراث، (منشورات الحضارة، بئر التوتة الجزائر، ط الأولى، 2011م) ص 129.
- ² المصدر نفسه، ص 318
- ³ (بتصرف) أحمد بن محمد بن حسان عريان الراس، الشجرة المرجانية في التعريف بالأسرة البلبلالية لركانية (دار هومة الجزائر، ط الأولى، 2010) ص 125.
- ⁴⁴ (بتصرف) فهرسة عبد الرحمن بن عمر التنلاني التواتي (ت 1189هـ/ 1775م) دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بعثمان . مذكرة ماجستير، تخصص تاريخ حديث، كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية بجامعة بشار، 2008/2009، ص 78.
- ⁵ البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، د ط، د ت، (بيروت، دار الفكر، سنة 1427هـ - 2007م) ج 06، باب تعلیم الصَّيَّانِ الْقُرْآنَ، رقم الحديث: 5035، ص 193.
- ⁶ أحمد بن محمد القسطلاني أبو العباس، (ت 923هـ)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط السابعة، 1323 هـ، عدد الأجزاء: 10)، ج 04، ض 474.
- ⁷ ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت : 833 هـ)، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع (المتوفى 1380 هـ)، (دار الكتب العلمية، بيروت لبنان عدد الأجزاء 2، د ط، د ت) ج 1، ص 210.
- ⁸ (بتصرف) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، الإتيان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم (الهيئة المصرية العامة للكتاب، د، ظ، ت، 1394هـ/ 1974 م، عدد الأجزاء: 4) ج 1، ص 346.
- ⁹ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 210.
- ¹⁰ ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت : 833 هـ)، منظومة المقدمة فيما يجب على القارئ أن يعلمه (الجزرية)، (دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م) ص 11.
- ¹¹ ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني أبو عبد الله، سنن ابن ماجه، تحقيق بشار عوار معروف، (ط 01 بيروت، دار الجيل، 1418هـ - 1998م.) ج 01، باب فَضْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم الحديث: 138، ص 98. وأيضا: ابن حنبل: أحمد بن محمد أبو عبد الله (ت: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: أحمد محمد شاكر، (دار الحديث - القاهرة، ط الأولى، 1416 هـ - 1995 م،) ج 04، مسند عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم الحديث: 4255، ص 193. وأيضا: الحاكم: محمد بن عبد الله

- الحاكم النيسابوري ، **المستدرك على الصحيحين** ، مع تصحيحات الإمام الذهبي في التلخيص والميزان ، والعراقي في أماليه ، والمناعي في فيض القدير ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولى، 1411 – 1990) عدد الأجزاء: 4. ج 02، كتاب التفسير ، رقم الحديث: 2894 ، ص 247. **قال الذهبي : صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه،**
- ¹² الطبراني : سليمان بن أحمد ، أبو القاسم (ت 360هـ) ، **المعجم الكبير**، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، (القاهرة مكتبة ابن تيمية ، ط الثانية ، عدد الأجزاء: 25) ج 09 ، حديث موسى بن يزيد الكندي، رقم الحديث: 11527 ص 137.
- ¹³ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 1 ، ص 210.
- ¹⁴ (بتصرف) د. محمد بن سيدي محمد محمد الأمين ، **الوجيز في حكم تجويد الكتاب العزيز** (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ، ط الأولى، 1422 هـ – 2002 م ، عدد الأجزاء: 1) ص 53.
- ¹⁵ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 1 ، ص 209.
- ¹⁶ الترمذي : محمد بن عيسى الترمذي أبو عيسى ، **سنن الترمذي**، تحقيق بشار عوار معروف، (دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ، ط 01 ، سنة 1996م.) ج 05 ، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 2923 ، ص 32. وأيضا: النسائي : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن ، **السنن الكبرى للنسائي** ، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط ، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي (مؤسسة الرسالة بيروت ، ط الأولى، 1421 هـ – 2001 م) ج 02 ، باب فضل السر على الجهر ، رقم الحديث: 1379 ، ص 584. وأيضا: الحاكم النيسابوري **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم ، ج 04 من كتاب صلاة التطوع ، رقم الحديث : 1165 ، ص 453. **قال الذهبي: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه .**
- ¹⁷ الحاكم ، **المستدرك على الصحيحين**، ج 02 من كتاب قراءات النبي صلى الله عليه وسلم مما لم يخرجاه وقد صح سنده ، رقم الحديث : 2910 ، ص 252. **قال الذهبي: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه**
- ¹⁸ (بتصرف) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، (دار العلم للملايين ، بيروت ، ط الرابعة، 1407 هـ – 1987 م) ج 1 ، مادة قرأ ص 65.
- ¹⁹ محمد عبد العظيم الزرقاني (ت 1367هـ)، **مناهل العرفان في علوم القرآن** (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط الثالثة عدد الأجزاء: 2) ج 01 ، ص 412.

- ²⁰ ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833 هـ)، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، (دار الكتب العلمية، ط الأولى، 1420هـ - 1999م) ج 01، ص 09.
- ²¹ (بتصرف) ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج 2، ص 291.
- ²² محمد فهد خاروف، **الميسر في القراءات الأربع عشرة**، مراجعة: محمد كريم راجح (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، ط الأولى، 1420 هـ - 2000 م) ص 18
- ²³ (بتصرف) ابن مجاهد: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، (ت 324هـ) **كتاب السبعة في القراءات**، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف (دار المعارف، مصر، ط الثانية، 1400هـ) ج 1، ص 376.
- ²⁴ البخاري: محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، ج 04، باب ذكر الملائكة، رقم الحديث: 3219، ص 113.
- ²⁵ ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833 هـ)، **طَبِيبَةُ النُّشْرِ فِي الْقُرْآنِ الْعَشْرِ**، تحقيق: محمد تميم الزغبى (دار الهدى، جدة، ط الأولى، 1414 هـ - 1994 م) ص 32.
- ²⁶ السبوطي:، **الإتقان في علوم القرآن**، ج 1، ص 265.
- ²⁷ الرُّزْقَانِي، **مناهل العرفان في علوم القرآن** ج 01، ص 148
- ²⁸ غانم قدوري الحمد، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** (عملن دار عمار، ط 2، سنة النشر: 1428هـ / 2007 م) ص 21.
- ²⁹ (بتصرف) **فهرسة عبد الرحمن بن عمر التتلائي التواتي** (ت 1189هـ/1775م) دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بعثمان . مذكرة ماجستير ، تخصص تاريخ حديث ، كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية بجامعة بشار، 2008/2009، ص 152.
- ³⁰ (بتصرف) **فهرسة التتلائي التواتي** ، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بعثمان . مذكرة ماجستير ، ص 152/153.
- ³¹ المصدر نفسه ، ص 186.
- ³² عبد الكريم بن أحمد ، **الرحلة في طلب العلم** ، مخطوط بخزانة سيدي أحمد ديدى ، تمنطيط ، أدار ، ص 2 .
- ³³ (بتصرف) **فهرسة التتلائي التواتي** ، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بعثمان . مذكرة ماجستير ، ص 187.
- ³⁴ العياشي: أبو سالم عبد الله بن محمد (ت 1090 هـ) ، **الرحلة العياشية للبقاء الحجازية المسمى ماء الموائد**، تحقيق د/سعيد الفاضلي ، ود/ سليمان القرشي، (دار السويدي أبو ظبي، ط الأولى 2006) ، ج 01 ، ص 229
- ³⁵ (بتصرف) **فهرسة التتلائي التواتي** ، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بعثمان . مذكرة ماجستير ، ص 51/50.

- ³⁶ وثيقة في خزانة الوليد بن الوليد ، باعبد الله ، تيمي
- ³⁷ فهرسة التتلائي التواتي ، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بعثمان . مذكرة ماجستير، ص 187.
- ³⁸ (بتصرف) أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي المغربي (ت 1175 هـ) عَرَفُ النَّدَّ في حكم حذف حرف المدّ . . تحقيق : إبراهيم آيت وغوري . الناشر : دارالكتب العلمية (بيروت) . ط 1 (2009م) . ص 102
- ³⁹ وثيقة في خزانة ، مبدوبي الحاج أمحمد ، بني تامر
- ⁴⁰ الحسن أبو علي بن محمد بوزيد الخزاني الخمسي ، تحفة ذوي الالباب من القراء والكتاب ، مخطوط بخزانة البلباليين بقصر برينكان بتسابيت ، أدرار
- ⁴¹ محمد عبد العزيز البلبالي، غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل ، مخطوط بخزانة كوسام، أدرار ، باب الجامع 10، ص 21
- ⁴² محمد عبد الكريم بن عبد الملك البلبالي ، غاية الأمان في أجوبة إلى زيد التتلائي ، مخطوط بخزانة فضيلة الشيخ الحاج محمد باي بلعالم ، الركينة ، أولف ص 45
- قائمة المصادر والمراجع**
- ♦ القرآن الكريم
- (1) أحمد أبا الصافي جعفري، من تاريخ توات ، أبحاث في التراث ، (منشورات الحضارة ، بئر التوتة الجزائر، ط الأولى ، 2011م)
- (2) أحمد بن محمد بن حسان عريان الراس، الشجرة المرجانية في التعريف بالأسرة البلبالية لركانية (دارهومة الجزائر ، ط الأولى ، 2010
- (3) النسائي :أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن ، السنن الكبرى للنسائي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي (مؤسسة الرسالة بيروت ، ط الأولى، 1421 هـ/ 2001 م)
- (4) أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي المغربي (ت 1175 هـ) عَرَفُ النَّدَّ في حكم حذف حرف المدّ ، تحقيق : إبراهيم آيت وغوري . (دارالكتب العلمية ، بيروت ، . ط 1 2009م).
- (5) ابن حنبل: أحمد بن محمد أبو عبد الله (ت: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: أحمد محمد شاكر، (دار الحديث - القاهرة، ط الأولى، 1416 هـ - 1995 م)
- (6) أحمد بن محمد القسطلاني أبو العباس، (ت 923هـ) ، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، (المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ، ط السابعة، 1323 هـ ، عدد الأجزاء: 10) ،
- (7) ابن مجاهد : أحمد بن موسى بن العباس التميمي، (ت 324هـ) كتاب السبعة في القراءات ، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف (دار المعارف ، مصر، ط الثانية، 1400هـ)

- (8) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (دار العلم للملايين، بيروت، ط الرابعة، 1407 هـ - 1987 م)
- (9) الحسن أبو علي بن محمد بوزيد الخزاني الخمسي، تحفة ذوي الالباب من القراء والكتاب، مخطوط بخزانة البلباليين بقصر برينكان بتسابيت، أدرار
- (10) الطبراني: سليمان بن أحمد، أبو القاسم (ت 360هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (القاهرة مكتبة ابن تيمية، ط الثانية، عدد الأجزاء: 25)
- (11) عبد الرحمن بن عمر فهرسة التتلافي التواتي (ت 1189هـ/1775م) دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بعثمان. مذكرة ماجستير، تخصص تاريخ حديث، كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية بجامعة بشار، 2008/2009،
- (12) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، الإتيقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم (الهيئة المصرية العامة للكتاب، د، ط، ت 1394هـ/ 1974 م، عدد الأجزاء: 4)
- (13) غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (عملن دار عمار، ط 2، سنة النشر: 1428هـ / 2007 م)
- (14) العياشي: عبد الله بن محمد أبو سالم (ت 1090 هـ)، الرحلة العياشية للبقاع الحجازية المسمى ماء الموائد، تحقيق د/سعيد الفاضلي، ود/ سليمان القرشي، (دار السويدي أبو ظبي، ط الأولى 2006)،
- (15) البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، د ط، د ت، (بيروت، دار الفكر، سنة 1427هـ - 2007م)،
- (16) محمد بن سيدي محمد، محمد الأمين، الوجيز في حكم تجويد الكتاب العزيز (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط الأولى، 1422 هـ - 2002 م، عدد الأجزاء: 1)
- (17) الحاكم: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، مع تصحيحات الإمام الذهبي في التلخيص والميزان، والعراقي في أماليه، والمنأوي في فيض التقدير، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (دار الكتب العلمية - بيروت ط الأولى، 1411 - 1990)
- (18) الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي أبو عيسى، سنن الترمذي، تحقيق بشار عوار معروف، (دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ط 01، سنة 1996م).

- 19) ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت : 833 هـ) ، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع (ت1380 هـ)، (دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان عدد الأجزاء 2 ، د ط ، د ت)
- 20) ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت : 833 هـ) ، طَيِّبَةُ النَّشْرِ فِي الْقُرْآنِ الْعَشْرِ ، تحقيق: محمد تميم الزغبى (دار الهدى، جدة ، ط الأولى، 1414 هـ – 1994 م)
- 21) ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت : 833 هـ) ، منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، (دار الكتب العلمية ، ط الأولى ، 1420 هـ – 1999 م)
- 22) ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت : 833 هـ) ، منظومة المقدمة فيما يجب على القارئ أن يعلمه (الجزرية) ، (دار المغني للنشر والتوزيع ، ط الأولى، 1422 هـ – 2001 م)
- 23) ابن ماجه :محمد بن يزيد القزويني أبو عبد الله ، سنن ابن ماجه، تحقيق بشار عوار معروف، (ط1 01 بيروت، دار الجيل، 1418 هـ – 1998 م.)
- 24) محمد عبد العزيز البلبالي، غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل ، مخطوط بخزانة كوسام، أدرار .
- 25) محمد عبد العظيم الزرقاني (ت1367 هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط الثالثة عدد الأجزاء: 2)
- 26) محمد عبد الكريم بن عبد الملك البلبالي ، غاية الأمانى في أجوبة إلى زيد التلاني ، مخطوط بخزانة فضيلة الشيخ الحاج محمد باي بلعالم ، الركينة ، أولف
- 27) محمد عبد الكريم ، الرحلة في طلب العلم ، مخطوط بخزانة سيدي أحمد ديدي ، تمنطيط ، أدرار.
- 28) محمد فهد خاروف ، الميسر في القراءات الأربع عشرة ، مراجعة: محمد كريم راجح (دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت ، ط الأولى، 1420 هـ – 2000 م)
- 29) وثيقة في خزانة الوليد بن الوليد ، باعبد الله ، تيمي
- 30) وثيقة في خزانة ، مبدوي الحاج أمحمد ، بني تامر



القطع والظن في السنة النبوية

عبد الرحمن الشيخ

معهد تكوين الأئمة عين صالح - تنمغاست

cheikyoussef@gmail.com

ملخص -

تُعد مسألة القطع والظن، من المسائل المهمة في علم الأصول والفقه، حيث تنبني عليهما أحكام كثيرة خاصة عند تعارض النصوص الشرعية؛ فالقطعي مقدم على الظني لأنه أقوى منه، سواء كان ذلك من حيث الثبوت أو الدلالة، ومما هو معلوم أن نصوص السنة النبوية الشريفة نقلت إلينا عبر مجموعة من الأسانيد، منها ما هو متواتر ومنها ما هو مشهور ومنها ما هو آحاد، فالمتواتر قطعي الثبوت، وهذا باتفاق المحدثين، والأصوليين، والفقهاء، وأما المشهور فإنه يفيد علم طمأنينة عند جمهور علماء الحنفية وخالف أبو بكر الجصاص جمهور مذهب من الحنفية. وقال بإفادته علم اليقين.

أما الجمهور غير الحنفية؛ فإن المشهور عندهم قسم من أقاسم الآحاد، وإن احتفت به القرائن؛ أفاد العلم القطعي اليقيني عندهم، وأما الآحاد المجرد عن الشهرة والقرائن فإنه يفيد الظن عند أكثر العلماء، وخالف فيه ابن حزم الظاهري فقال بإفادته العلم القطعي، إذا ثبت بشروطه المذكورة في علوم الحديث، وعزاه إلى بعض المتقدمين يصعب إثبات ذلك إليهم، ولعلمهم عنوانه الآحاد المحتف بالقرائن. أما السنة، من حيث الاستدلال على الأحكام فمنها ما هو عام ومنها ما هو خاص. فدلالة العام ظنية عند الجمهور من الأصوليين والمحدثين والفقهاء، وعند علماء الحنفية دلالة العام قطعية، أما الخاص فدلالته قطعية عند جميع العلماء.

الكلمات الدالة -

القطع - الظن - السنة النبوية -

The Certain And Uncertain In The Prophetic Sunnah

Abstract -

The Issue Of Certain And Uncertain Knowledge Is One Of The Most Important Issues In The Field Of The Fiqh Fundamentals And Jurisprudence. Many Provisions Are Based On It, Especially When We Have Contradicting Religious Texts. In Such A Case, The Provision That Is Certain Is Preferable To The Uncertain One Because It Is Stronger Either In Terms Of Its Source Or Meaning.

The Prophetic Sayings Reached Us Through Series Of Narrators. Some Of Them Are Mutawatir, Some Are Mashoor And Some Others Are Ahad. Al-Mutawatir Is Definitively Certain Knowledge And There Is Agreement Upon This Among The Hadith Scholars, The Fiqh Fundamentalists, And The Jurists. Al-Mashoor, However, Indicates The Knowledge Of Reassurance Among The Majority Of The Hanafi Scholars. Abu Bakr Al-Jassas Disagreed With His Peers From The Hanafis And Said That It Indicates Certainty. For The Non-Hanafi Scholars That Are Left Al-Mashoor Is A Type Of Ahads. And If It Is Supported By Other Texts, It Can Become Definitively Certain. However, Al-Ahad That Is Not Supported By Popularity And Clues Indicates Uncertain Knowledge. Ibn Hazm Saw Differently And Said That It Is Certain Knowledge If Proven According To The Conditions Mentioned In The Science Of Hadith. He Also Attributed This View To Some Earlier Scholars But There Is No Way To Verify That. But They Could Have Meant Al-Ahad That Is Strengthened By Other Evidence. The Use Of Sunnah In Terms Of Reasoning On The Provisions Involves Different Types, One Type Is The General And The Other Is The Special.

The Significance Of The General Represents Uncertain Knowledge According To The Majority Of Fiqh Fundamentalists, Jurists And Hadith Scholars. The Hanafis, However, Regarded The Significance Of The General As Certain On Its Individuals. But When It Comes To The Special, All Scholars Agree That It Indicates Certainty

مقدمة

مما هو معلوم لدى المهتمين بشأن السنة النبوية الشريفة؛ أنها نقلت إلينا عبر مجموعة من الأسانيد، يختلف بعضها عن بعض، من حيث طرق نقلها إلينا، فمنها ما نقل إلينا بطريق التواتر، ومنها ما نقل إلينا بطريق الأحاد، ولقد اعتنى علماء الحديث بهذه الأسانيد وحرروها تحريراً دقيقاً من حيث عدالة روايتها وضبطهم، وذلك منهم خدمة لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، لأنها أحد المصدرين الرئيسيين للتشريع الإسلامي بخاصة، والسلوك الحياتي بعامة، وبناء على هذا فقد قسم جمهور المحدثين السنة إلى قسمين، متواتر، وأحاد، ومنهم من أضاف إلى هذين القسمين قسماً ثالثاً وهو المشهور، وهذا يعني أنه درجة بين المتواتر والأحاد، ولعل صنيع المحدثين هذا فيه شبه بصنيع الأصوليين كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى.

أما الأصوليون؛ فكما هو معلوم لدى الباحثين في علم أصول الفقه، أنهما ينقسمان إلى مدرستين أساسيتين، الأولى مدرسة الأحناف، وتعرف بمدرسة الفقهاء⁽¹⁾، والثانية مدرسة الجمهور وتعرف بمدرسة المتكلمين⁽²⁾، ولكل مدرسة من هاتين المدرستين رؤية خاصة لتقسيمات السنة النبوية من حيث ورودها، فالأحناف يقسمونها إلى ثلاثة أقسام، متواتر، ومشهور، وأحاد، أما الجمهور فإن الأقسام عندهم اثنان، متواتر، وأحاد، وهذه الأسانيد كلها توصل إلى المطلوب الذي هو المتن، ونعني به متن الحديث النبوي الشريف الذي وصل إلينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا المتن من حيث الدلالة على الأحكام منه ما هو عام، ومنه ما هو خاص، أما من حيث الإفادة ونعني بها إفادة القطع أو الظن، فإن كلا من السند والمتن، قد يفيدان العلم معاً، وقد يفيدان الظن معاً، وقد يكون

¹ سميت بذلك، لأن علماء هذه المدرسة استخرجوا قواعدها الأصولية من خلال فروع أنمتهم.

² سميت بذلك، لأن جل من كتب فيها من علماء الكلام إما معتزلة، أو أشعرية، وقد أدرجوا مباحث من علم الكلام في أصولهم مثل تكليف المعدم، وعصمة الأنبياء، ومخاطبة الكفار بفروع الشريعة.

السند قطعياً والمتن ظنياً، والعكس صحيح؛ أي يكون السند ظنياً والمتن قطعياً، وبناء على هذا تناولنا هذا البحث في مبحثين كانت كالاتي:

المبحث الأول: قطعي السند والمتن.

فالسند القطعي هو المتواتر بإجماع، ويضاف إليه المشهور عند الأحناف، والأحاد المحتف بالقرائن عند الجمهور، وأما المتن القطعي فهو الخاص عند الجميع، والعام عند الأحناف وهذه هي تفاصيل الأقوال:

المطلب الأول: قطعي السند والمتن

الفرع الأول: قطعي السند:

أولاً: المتواتر: والمتواتر في اللغة التتابع مع فترات⁽³⁾، أي فترة بعد فترة، وأما تعريفه اصطلاحاً فهو خبر أقوام عن أمر محسوس يستحيل تواطؤهم على الكذب عادة⁽⁴⁾. أو هو ما رواه عدد كثير تحيل العادة تواطئهم على الكذب وأسندوه إلى شيء محسوس⁽⁵⁾.

مفاده: المتواتر أو خبر التواتر يفيد العلم القطعي، وهذا بلا خلاف بين علماء المسلمين، وإنما اختلفوا في نوع العلم الذي يفيد هذا الخبر، هل هو علم ضروري، أي يحصل لصاحبه ضرورة بمجرد السماع ولا يحتاج إلى إعمال فكر ونظر، أم هو علم نظري مكتسب بإعمال العقل والفكر والنظر، فالذي ذهب إليه جمهور العلماء من الفقهاء والمتكلمين، أن المتواتر يفيد العلم الضروري، قال إمام الحرمين الجويني⁽⁶⁾ في معرض الرد على من ينكر الأخبار مطلقاً: "نحن نعلم ضرورة أن من تواترت لديه الأخبار عن مكة وبغداد وسائر الأمصار التي يطرقها

³ الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ص 490، ج 1، ط السادسة 1998م، مؤسسة الرسالة.

⁴ القرافي، أحمد بن إدريس أبو العباس، شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول، ص 224، ط 2005م بدون رقم المكتبة الأزهرية للتراث وتحقيق: محمد عبد الرحمن شغول.

⁵ الطحان محمود، تيسير مصطلح الحديث، ص 23، ط العاشرة مكتبة المعارف.

⁶ الجويني، عبد الملك بن عبد الله إمام الحرمين أبو المعالي، ولد سنة 419هـ المجمع على إمامته، الفقيه الأصولي، عالم المتأخرين من أصحاب الشافعي، من مصنفاته: البرهان، في أصول الفقه، تلخيص التقريب، غياث الأمم، الإرشاد. توفي سنة 478هـ. وفيات الأعيان، ص 141، ج 3. ط دار الثقافة بدون رقم وبدون تاريخ / تحقيق إحسان عباس.

العابرون، ويخبرون عما شاهدوا، فلا يسترب العاقل فيما هذا سبيله كما لا يسترب في المحسوسات"، ثم قال رحمه الله: "إنما يتميز العلم الضروري عن غيره، بأنه يقع اضطراراً، ولا يجد الإنسان عنه انفكاً، وقد يتحقق ذلك فيما تواترت فيه الأخبار، ولو جاز جرده لجاز جحد المحسوسات"⁽⁷⁾.

وذهب الكعبي⁽⁸⁾، وأبو الحسين البصري⁽⁹⁾، وأبو الخطاب⁽¹⁰⁾، والدقاق⁽¹¹⁾، إلى أنه نظري مكتسب.

أدلة الفريقين:

أدلة القائلين بأن العلم الذي يفيد خبر المتواتر ضروري

الدليل الأول: لو لم يكن معلوماً ضرورة لأدى إلى الشك في النبوات، وهذا لا يجوز.

⁷ الجويني، عبد الملك أبو المعالي، التلخيص في أصول الفقه، ص 282، ج 2، ط الأولى 1417هـ/1996م، تحقيق: د/عبد الله النيبالي وشعيب أحمد العمري.

⁸ عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي، رأس طائفة من المعتزلة يقال لهم الكعبية، صاحب المقالات من كبار المتكلمين، له اختيارات في علم الكلام، توفي بداية شعبان 310 والکعبي نسبة إلى بني كعب والبلخي نسبة إلى بلخ أحد مدن خراسان. وفيات الأعيان لابن خليكان، ص 45، ج 3، ط دار الثقافة بدون رقم وبدون تاريخ، تحقيق: د/إحسان عباس.

⁹ محمد بن علي بن الطيب أبو الحسين البصري، من متكلمي المعتزلة، شافعي المذهب، ومن مصنفاة: المعتمد، وهو مختصر شرح به كتاب العهد أو العهد للعمد للقاضي عبد الجبار، توفي سنة 436. وفيات الأعيان، ص 99، ج 4، ط الأولى 1419هـ/1989م، تحقيق: د/يوسف علي طويل، ومريم قاسم طويل.

¹⁰ محفوظ بن أحمد بن حسن الكلوزاني، أبو الخطاب، الفقيه أحد أئمة المذهب الحنبلي وأعيانه، كان حسن الأخلاق، ظريف، مليح المناظرة، سريع الجواب، كامل الدين، جميل السيرة، محمود الطريقة، من مؤلفاته: الهداية في الفقه، الانتصار في المسائل الكبار، التمهيد في أصول الفقه، ص 116 ج 3. الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ط دار المعرفة بيروت بدون رقم وبدون تاريخ.

¹¹ محمد بن جعفر أبو بكر، المعروف بالدقاق، ويلقب بخباز، أصولي شافعي، عالم فاضل، ولد 10 جمادي الأخيرة 306هـ وتوفي يوم الأربعاء 28 رمضان 392هـ. طبقات الشافعية للأسنوي، ط 1401هـ/1981م بدون رقم دار العلوم تحقيق: عبد الله الجبوري.

الدليل الثاني: إن هذا النوع من العلم علم بمحدث، لا يمكن دفعه عن النفس ولا الشك فيه ولا الارتياح، فثبت أنه معلوم ضرورة كالمشاهدات، فلو كان مكتسباً لدخل فيه الشك، إذا شك فيه⁽¹²⁾.

الدليل الثالث: لو لم يكن ضرورياً لافتقر إلى توسيط المقدمتين، واللازم منتف، لأننا نعلم بذلك قطعاً مع انتفاء المقدمتين لحصوله بالعادة لا بالمقدمتين، فاستغنى عن الترتيب⁽¹³⁾.

الدليل الرابع: إن هذا النوع من العلم يحصل لمن لا نظر له، كالعوام، والصبيان، ولو كان نظرياً لما حصل لهم لأنهم ليسوا من أهل النظر⁽¹⁴⁾. أدلة القائلين إنه يفيد العلم المكتسب

الدليل الأول: إن الاستدلال: هو ترتيب علوم يتوصل به إلى علم آخر، فكل ما وقف وجوده على ترتيب علوم فهو مستدل عليه، والعلم الواقع بالتواتر هذا سبيله.

الدليل الثاني: لو وقع العلم به ضرورة لاشتراك الناس كلهم في إدراكه، ولما رأينا العقلاء ينكرون العلم به، دلّ على أن العلم به من جهته عن استدلال. **الدليل الثالث:** إن خبر الله سبحانه وخبر رسوله أقوى من أخبارنا، ثم العلم الواقع عن ذلك مكتسب من جهة الاستدلال، لا من جهة الضرورة، فأولى أن تكون أخبار غيرهما كذلك⁽¹⁵⁾.

والقول الصحيح في هذه المسألة، إن الخلاف بين الفريقين لفظي، لأن العلم اليقيني حاصل على كلا القولين. يقول نجم الدين الطوفي⁽¹⁶⁾ رحمه الله تعالى:

¹² الفراء، محمد بن الحسين أبو يعلى، العدة في أصول الفقه، ص 848، ج 3، ط الثالثة

1414هـ/1993م «دون ذكر الطبعة، تحقيق وتعليق: د/محمد بن علي سير المباركي.

¹³ الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ص 129، ج

1، ط الثالثة 1421هـ/2001م، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، تحقيق: أحمد عز عناية.

¹⁴ النسفي، عبد الله بن أحمد أبو البركات، كشف الأسرار شرح المصنف على المنار، ص 11، ج

2، ط الأولى 1406هـ/1986م، دار الكتب العلمية.

¹⁵ البصري، عبد الله بن علي أبو الحسين، المعتمد، ص 81، ج 2، ط الأولى 1403هـ/1983م دار

الكتب العلمية، ضبط: خليل المس.

¹⁶ الطوفي، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصوري، الفقيه الأصولي، المتفنن، ولد

"والخلاف لفظي، إذ مراد الأول بالضرورة ما اضطر العقل إلى تصديقه، والثاني البديهي الكافي في حصول الجزم به تصور طرفيه، والضرورة ينقسم إليهما، فدعوى كل غير دعوى الآخر، والجزم حاصل على القولين"⁽¹⁷⁾.

- شروط التواتر:

الشرط الأول: استواء الطرفين والواسطة، ومعناه أن التواتر يكون في جميع الطبقات التي نقلت الخبر، فإن كان في أحد الطبقات عدد لم يبلغ عدد التواتر لا يكون الخبر موصوفاً حينئذ بالتواتر.

الشرط الثاني: أن يسند المخبرون علمهم بالخبر وما نقلوه إلى الحس والضرورة⁽¹⁸⁾، فلو كان بطريق العقل المجرد لم يفد العلم حينئذ.

الشرط الثالث: العدد ومعناه أن يرويه جماعة عن جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب عادة⁽¹⁹⁾، ثم اختلف علماء الأصول والمحدثين اختلافاً كثيراً في عدد التواتر الذي يحصل به العلم، والصحيح أنه ليس له حد معين، وإنما ضابطه ما حصل العلم عنده من أقوال المخبرين، وعلى هذا فما من عدد يفرض كان أربعة فما زاد إلا ويمكن أن يحصل به العلم ويمكن أن لا يحصل، عنده ويختلف ذلك باختلاف القرائن، أما تعيين عدد معين فتحكم لا دليل عليه⁽²⁰⁾.

سنة بضع وسبعين وسبعمائة بطوف من أعمال الصرصور، من مصنفاته: شرح مختصر الروضة في أصول الفقه، بغية السائل في أمهات المسائل في أصول الدين، توفي سنة 716هـ ببلد الخليل، الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب، ص 361، ج 4، ط دار المعرفة بيروت، بدون رقم ويدون تاريخ.

¹⁷ الطوفي، نجم الدين، شرح مختصر الروضة، ص 81، ج 2، ط الرابعة 1424هـ/2003م، مؤسسة الرسالة، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي.

¹⁸ الغزالي، محمد أبو حامد، المنحول من تعليقات الأصول، ص 332، ط الثالثة 1419هـ/1998م، دار الفكر المعاصر، تحقيق وتعليق: محمد حسن هيتو.

¹⁹ الجويني، عبد الملك أبو المعالي، البرهان، ص 370 ج 1 ط الأولى 1408هـ/1997م، دار الكتب العلمية، تعليق صلاح عويضة

²⁰ الأمدى، علي سيف الدين، الإحكام، ص 42، ج 2، ط الأولى 1424هـ/2003م، مدار الصميعة، مدار ابن حزم، تعليق عبدالرزاق عفيفي.

والبحث في هذه المسألة ليس وراءه كبير فائدة، لأن المقصود من التواتر حصول العلم والعلم لا يتفاوت في القوة، كما قرر ذلك علماء الأصول لأن التفاوت لا يكون إلا في الظن، والظن لا يعارض العلم، لأن العلم أقوى منه، لكن علماء الأصول خاصة مدرسة المتكلمين منهم، مولعون بتنظير القواعد، ولو لم ينبني عليها عمل، ولذا نجد مجموعة من القواعد التي تحدثوا عنها وبحثوها لا ينبني عليها عمل، مثل قاعدة تكليف المعلوم، ومخاطبة الكفار بفرع الشريعة، والتكليف بما لا يطاق، وقد قال علامة الأندلس والمقاصد أبو إسحاق الشاطبي: "كل علم لا ينبني عليه عمل في هذا الفن فهو عارية"⁽²¹⁾.

ثانياً: المشهور: وهو في اللغة مأخوذ من الشهرة، قال في لسان العرب: "ورجل شهير ومشهور معروف المكان المذكور"⁽²²⁾، ويسميه الفقهاء المستفيض⁽²³⁾، وهو من فاض الحديث والخبر إذا ذاع وانتشر، وحديث مستفيض ذائع⁽²⁴⁾، وأما في الاصطلاح: فهو ما كان من الأحاد في الأصل، ثم انتشر فصار ينقله قوم لا يتوهم تواطؤهم على الكذب، وهم القرن الثاني بعد الصحابة رضي الله تعالى عنهم ومن بعدهم⁽²⁵⁾. وقد عرفه المحدثون بأنه ما له طرق محصورة بأكثر من اثنين⁽²⁶⁾.

مفاده : لقد اختلف العلماء في هذا النوع من الأخبار، هل يفيد الظن أم يفيد العلم، فمذهب جمهور العلماء أن الخبر المشهور أو المستفيض يفيد الظن ولا

²¹ الشاطبي، إبراهيم بن موسى أبو إسحاق، الموافقات، ص 37 ج 1 ط الأولى 1417هـ / 1997م، دار ابن عفاة السعودية، تحقيق: مشهور بن حسن.

²² ابن منظور، محمد أبو الفضل، لسان العرب، ص 218 ج 5، ط الأولى 1416هـ 1995م، دار إحياء التراث العربي، تحقيق سعيد عبد الوهاب ومحمد لعبيدي.

²³ ينظر هامش كشف الأسرار عن أصول البزدوي لعبد العزيز البخاري، ص 673 ج 2، ط الأولى 1411هـ 1991م، دار الكتاب العربي، تعليق محمد المعتصم بالله البغدادي.

²⁴ ابن منظور، محمد أبو الفضل، لسان العرب، ص 212 ج 7، مصدر سابق.

²⁵ البخاري، عبد العزيز، كشف الأسرار عن أصول البزدوي، ص 773 ج 2، مرجع سابق.

²⁶ العسقلاني، علي بن حجر، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، مع نكت الحلبي ص 62 ط مكتبة دار الثقافة بدون رقم وبدون تاريخ.

يفيد العلم، وأنه قسم من أقسام الآحاد التي تفيد الظن عند الجميع، إلا ما احتف منها بالقرائن⁽²⁷⁾، على ما سنفضله بعد إن شاء الله تعالى.

وذهب الأحناف إلى أن المشهور من الأخبار يفيد العلم، وإن اختلفوا في نوع هذا العلم، فالذي عليه جمهورهم أنه يفيد علم طمأنينة، أي علم تطمئن إليه النفس وتستريح له لا علم يقين⁽²⁸⁾، وذهب الجصاص⁽²⁹⁾ من الأحناف إلى أنه يفيد علم يقين، وهو أحد قسمي المتواتر عنده⁽³⁰⁾، والصحيح الذي نميل إليه ونرجحه أن المشهور أو المستفيض قسم من أقسام الآحاد المحتف بالقرائن، وهو يفيد العلم لكن علمه لا يبلغ علم المتواتر المتيقن منه، ولذا نجد بعض علماء الأحناف يعرفه بأنه ما تلقاه العلماء بالقبول، وهذا فيه دليل على أنه من الآحاد المحتف بالقرائن، لأن تلقي العلماء له بالقبول، قرينة من القرائن الدالة على إفادته العلم، وشروط المشهور عند الأحناف مثل شروط المتواتر، لأن كثرة الرواة في الابتداء ليس بشرط عند علمائهم⁽³¹⁾ رحمهم الله تعالى.

ثالثاً: خبر الواحد المحتف بالقرائن :

الواحد لغة: الانفراد، ويقال له أحد وآحاد، والأصل واحد، لأن همزته منقلبة عن واو أي واحد، والآحاد ليس جمع لأحد، لأنه لا جمع له، ويحتمل أن تكون

²⁷ الغزالي، محمد أبو حامد، المنحول من تعليقات الأصول، ص 333، مرجع سابق.

²⁸ البخاري، عبد العزيز، كشف الأسرار، ص 674 ج 2، مرجع سابق.

²⁹ أحمد بن علي أبو بكر الرازي المعروف بالجصاص، ولد سنة 305هـ وسكن بغداد، انتهت إليه رئاسة الحنفية في عصره وكان زاهدا ورعا، تفقه على أبي الحسن الكرخي، من مصنفاته: أحكام القرآن شرح الجامع لمحمد بن الحسن، كتاب الفصول في الأصول المعروف بأصول الجصاص. توفي يوم الأحد 7 ذي الحجة سنة 370هـ. تاج التراجم في طبقات الحنفية لابن قطلوبغا ص 96 ج 1، ط 1962 بدون رقم، مكتبة العاني.

³⁰ الجصاص، أحمد بن علي، الفصول في الأصول، ص 48 ج 3 ط الثانية 1414هـ/1994م وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة الكويت، تحقيق ودراسة: د/عجيل جاسم النشمي.

³¹ السمرقندي، محمد بن أحمد علاء الدين، ميزان الأصول في نتائج العقول، ص 428 ط الثانية 1400هـ/1980م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة قطر، تحقيق وتعليق: د/محمد زكي عبد البر.

جمعاً لواحد⁽³²⁾، وأما تعريفه في الاصطلاح فهو ما لا ينتهي من الأخبار إلى حد التواتر المفيد للعلم⁽³³⁾، وهذا التعريف هو أصح التعاريف عند الأصوليين، وأما خبر الواحد المحتف بالقرائن، فالجمهور أنه يفيد العلم، قال الأمدى⁽³⁴⁾ رحمه الله: "وأما جواز وقوع العلم بخبر الواحد إذا احتفت به القرائن، فيدل عليه أن القرينة تفيد الظن مجردة عن الخبر، كما نعلم عند ارتضاع الطفل ووصول اللبن إلى جوفه بكثرة امتصاصه وازدراجه وحركة حلقة، مع كون المرأة شابة نفساء، وبسكون الصبي بعد بكائه، إلى غير ذلك من القرائن". ثم قال رحمه الله مقررًا النتيجة الطبيعية لهذه المقدمات التي سبق ذكرها: "وإذا كانت القرائن المتظافرة بمجردها مفيدة للعلم، فلا يبعد أن تقترن بالخبر المفيد للظن قرينة مفيدة للظن قائمة مقام اقتران خبر آخر به، ثم لا يزال التزايد في الظن بزيادة اقتران القرائن، إلى أن يحصل العلم كما في خبر التواتر"⁽³⁵⁾. ومن هذا النوع الخبر الذي تلقته الأمة بالقبول⁽³⁶⁾، والقرائن لا حصر له ولا ضابط، وإنما تقع تلقائياً، وخالف القاضي الباقلاني⁽³⁷⁾، فقال لا يفيد العلم، وحجته إن تصحيح الأئمة للخبر يجرى على حكم الظاهر، فإذا استجمع خبر ما من ظاهره عدالة

³² الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، ص 650 ط 1977م بدون رقم، دار المعارف. =

الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص 712 ط الأولى 1983، دار الهلال.

³³ الغزالي، محمد أبو حامد، المستصفى، ص 145 ج 1، مرجع سابق.

³⁴ الأمدى، علي بن أبي علي سيف الدين أبو الحسن، ولد بآمد سنة 511هـ صاحب التصانيف النافعة، والعلوم الكثيرة المحققة، من مصنفاته: الإحكام في أصول الأحكام، أبحاث الأفكار،

وتوفي سنة 583هـ. وفيات الأعيان ص 256 ج 3 مرجع سابق.

³⁵ الأمدى، علي سيف الدين، الإحكام، ص 50 ج 2، مرجع سابق.

³⁶ الفتوحى، أحمد بن النجار، شرح الكوكب المنير، ص 350 ج 2 ط الثالثة 1402هـ 1982م جامعة أم القرى/تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد.

³⁷ أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد القاضي المعروف، بابن الباقلاني، شيخ السنة ولسان الأمة، عالم عصره، انتهت إليه رئاسة المالكية، في وقته، كان حسن الفقه، عظيم الجدل حصن من حصون المسلمين وما سر أهل البدع كسرورهم بموته، من مصنفاته: التقريب والإرشاد الكبير والصغير، إعجاز القرآن، تمهيد الدلائل. توفي 9 ذو القعدة 403هـ. ترتيب المدارك، وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك، ص 585 ج 3 ط 1383هـ/1967م مكتبة الحياة ومكتبة الفكر، تحقيق: د/أحمد بكير محمود.

الراوي، وثبوت الثقة به وغيرهما مما يراعيه المحدثون، فإنهم يطلقون فيه الصحة ولا وجه إذاً للقطع بالصدق والحالة هذه⁽³⁸⁾.

والراجح والصحيح أنه مفيد للعلم، لأن القرائن تزيده قوة، وإلا فلا معنى لوجودها، ودليل القاضي خال من الاعتراض عن الخبر المحتف بالقرائن، وإنما ذكر وصف الخبر الصحيح الخالي من القرائن، والقرائن زيادة على الصحة المنبثقة عن عدالة الراوي، وثقته، وضبطه، واتصال السند، ولولا أن القاضي ساق كلامه في معرض الرد على من قال إن الخبر الذي تلقته الأمة بالقبول مفيد للعلم، لقلت أن القاضي كان يرد على من قال إن خبر الواحد مفيد للعلم مطلقاً، كما سيأتي تفصيله فيما بعد بإذن الله، قال الأمازي عند ذكره لأقوال العلماء في مفاد خبر الواحد: "والمختار حصول العلم بخبره، يعني (الواحد) إذا احتفت به القرائن، ويمتنع ذلك عادة دون القرائن"⁽³⁹⁾.

الفرع الثاني: المتن القطعي

- **متن الخاص: والخاص لغة:** مأخوذ من الخصوص، يقال اختصه بكذا أي خصه به، والخاصة خلاف العامة⁽⁴⁰⁾. وأما في اصطلاح الأصوليين: فهو اللفظ الدال على مسمى واحد، أو هو ما دل على كثرة مخصوصة⁽⁴¹⁾. وهذا التعريف للخاص من حيث كونه خاص، لا أنه مقابل للعموم ومخرج منه. وقد عرفه النسفي⁽⁴²⁾ بقوله: "أما الخاص فكل لفظ وضع لمعنى معلوم على الانفراد"⁽⁴³⁾، وهذا قريب من التعريف الذي قبله، وأما تعريفه على أنه مقابل

³⁸ الجويني، عبد الملك أبو المعالي، البرهان، ص 379 ج 1، مصدر سابق.

³⁹ الأمازي، علي سيف الدين، الأحكام، ص 44 ج 2، مصدر سابق.

⁴⁰ الجوهرى، إسماعيل بن حماد، الصحاح، ص 1037، ج 3، ط دارالعلم للملايين، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار.

⁴¹ الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول، ص 507 ج 1، ط الأولى 1413هـ/1992م، دار الكتب، تحقيق: د/ شعبان محمد إسماعيل.

⁴² عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، أبو البركات، من مصنفاته: كنز الدقائق، وكتاب المنار في أصول الفقه، وشرحه كشف الأسرار على المنار، توفى سنة 710هـ. تاج التراجم ص 30، مرجع سابق.

⁴³ النسفي عبد الله بن أحمد، كشف الأسرار على المنار، ص 26 ج 1، مصدر سابق.

للعام ومخرج منه فلم يعرفه به أحد من الأصوليين وإنما عرفوا التخصيص به والتخصيص غير الخاص.

- دلالته: لقد ذهب علماء الأصول عامة، الجمهور منهم والأحناف، إلى أن دلالة لفظ الخاص على معناه قطعية، ولم يختلفوا في ذلك، قال البزدوي⁽⁴⁴⁾: "اللفظ الخاص يتناول المخصوص قطعاً ويقيناً بلا شبهة إن أريد به الحكم، ولا يخلو الخاص عن هذا في أصل الوضع وإن احتمل غيره عن أصل وضعه لكن لا يحتمل التصرف فيه بطريق البيان لكونه بينا لما وضع له"⁽⁴⁵⁾، وقال ابن النجار الحنبلي⁽⁴⁶⁾: "والخاص قاطع أو أشد تصريحاً وأقل احتمالاً"⁽⁴⁷⁾، هذه أقوال علماء الأصول في مدلول الخاص، وهي صريحة في إفادته القطع، لا تحتاج معه إلى بيان، أو شرح، أو توضيح.

متن العام عند الأحناف الذي ذهب إليه علماء الأحناف أن دلالة العام على معناه قطعية، وأنه مثل الخاص، لا فرق بينهما، يقول الإمام السرخسي رحمه الله تعالى: "والمذهب عندنا أن العام موجب للحكم فيما يتناوله قطعاً بمنزلة الخاص، يستوي في ذلك الأمر، والنهي، والخبر"⁽⁴⁸⁾، ودرج على مثل هذا القول كل من كتب في أصول الأحناف، أما الجمهور فقد اضطربت أقوالهم، فمنهم من يرى أنه في أصل الوضع يفيد القطع، لكن القرائن المخصصة جعلته يفيد

⁴⁴ علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم فخر الإسلام البزدوي، ولد سنة 400هـ، فقيه بلاد ما وراء النهر، من مصنفاته: أصول البزدوي في أصول الفقه، وشرح الجامع الكبير والصغير لمحمد بن الحسن، توفي سنة 482هـ تاج التراجم ص 41، مرجع سابق.
⁴⁵ البزدوي، علي بن محمد، أصول البزدوي، مع شرحه كشف الأسرار، ص 196 ج 1، مصدر سابق.

⁴⁶ محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوح، أبو البقاء الشهير بابن النجار، فقيه حنبلي، من مصنفاته: شرح منتهى الإرادات، وشرح الكوكب المنير، الأعلام، لخير الدين الزركلي، ص 6، ج 6، ط السادسة عشر 2005م، دار العلم للملايين.

⁴⁷ الفتوح، محمد بن النجار، شرح الكوكب المنير، ص 384 ج 3، مصدر سابق.

⁴⁸ السرخسي، أبو بكر، أصول السرخسي، ص 146، ج 1، ط الأولى 1418هـ/1997م، دار المعرفة، تحقيق وتعليق: د/رفيق العجب.

الظن لا غير⁽⁴⁹⁾، وقد اختلفت أقوال علماء الشافعية في النقل عن إمامهم الشافعي رحمه الله تعالى، فمنهم من نقل عنه أنها قطعية، ومنهم من نقل عكس ذلك، أي أنها تفيد الظن، وسبب اختلافهم في النقل عنه اختلافهم في مفهوم النص عند الشافعي رحمه الله تعالى، فمن رأى أن النص في مصطلح الشافعي مخالف للظاهر، قال إن دلالة العام قطعية عنده، لأن النص دلالة على معناه القطعية، ومن رأى أن الشافعي يستعمل الظاهر بمعنى النص، قال إن دلالة العام ظنية، لأن الظاهر يحتمل معنى آخر غير المتبادر من اللفظ، وإن كان مرجوحاً. يقول ابن السمعاني⁽⁵⁰⁾: "وقد سمي الشافعي الظواهر نصاً في مجرى كلامه"، ثم قال معلقاً عليه: "والأولى أن لا يسمى العموم نصاً، لأنه يحتمل الخصوص، ولأن العموم ظاهر فيما يدخل فيه من المسميات في رفع وجوه البيان، ولكن العموم ظاهر"⁽⁵¹⁾. وقال الزركشي: في بحره معلقاً على من قال إن الإمام الشافعي رحمه الله يسمى الظواهر نصوصاً وهذا هو الحق، ثم قال: "والمختار الذي عليه أكثر أصحابنا أن دلالة عليه بطريق الظهور، وإلا لما جاز تأكيد الصيغ العامة إذ لا فائدة فيه"⁽⁵²⁾، ومما ينبني على هذا الخلاف، أولاً وجوب اعتقاد عمومته قبل البحث عن المخصص، وهذا عند من يرى أن دلالة قطعية وقد مرّ ذكرهم.

⁴⁹ الجويني، عبد الملك أبو المعالي، البرهان، ص 112، ج 1، ط الأولى 1408هـ/1997م، دار الكتب العلمية، تعليق: صلاح بن محمد بن عويضة.

⁵⁰ عبد الرحيم بن الحافظ أبي سعد عبد الكريم أبو المظفر بن السمعاني، ولد سنة 537هـ، كان فقيها عارفا بمذهب الشافعية، وله معرفة بالحديث، رحل إلى الأقاليم وأدرك الأسانيد العالية، انتهت إليه رئاسة الشافعية ببلده. من مؤلفاته: قواطع الأدلة في أصول الفقه، وتوفي معدوما عند دخول الترتار إلى مرو سنة 671هـ. طبقات الشافعية للأسنوي، ص 341، مرجع سابق.

⁵¹ ابن السمعاني، أبو المظفر، قواطع الأدلة، ص 262، ج 1، ط الأولى 1418هـ/1997م، دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد حسن إسماعيل.

⁵² الزركشي، بدر الدين، البر المحيط، ص 37، ج 4، ط الأولى 1414هـ/1994م، دارالكتبي.

ثانياً تخصيص العموم بالقياس، وخبر الواحد بالظن ابتداءً وبالعام بالخاص، وهذا على رأي من يرى أن دلالة ظنية. ثالثاً الخاص لا يصير منسوخاً بالعام على رأي غير الأحناف، لأن الظن لا ينسخ القطع عند الجمهور، أما الأحناف فيوجبون ذلك لأنهما استويا في القطعية.

المطلب الثاني: ظني السند والمتن

للظن مجال واسع في الشريعة الإسلامية، خاصة الجانب العملي منها، ونعني به جانب العبادات والمعاملات، والظن المقصود هنا الظن الراجح، لأنه معتبر ومعمول به في الشريعة الإسلامية، يدل عليه الاستقراء، ويدخل في معظم مجالات العلوم الإسلامية، من حديث وأصول، وفقه⁽⁵³⁾، والظن يكون في السند، كما يكون في المتن، والسند الذي يفيد الظن هو الأحاد غير المحتف بالقرائن عند الجميع، والمشهور عند الجمهور، وأما المتن الذي يفيد الظن فهو العام عند الجمهور، والمقصود بالجمهور هنا ما يقابل الأحناف، لأنهم أي الأحناف يرون أن سند الحديث المشهور يفيد العلم، وإن كان علمه دون علم المتواتر، لأنه ناشئ عن استدلال، والمتواتر عن ضرورة وعلم المشهور عندهم علم طمأنينة، فقط لا علم يقين، كما مر بيانه والعام عندهم يفيد القطع، والله أعلم بالصواب.

الفرع الأول: السند الظني:

وهو سند حديث الأحاد المجرد عن القرائن، فإنه يفيد الظن عند أغلب العلماء، لأن رواته وإن كانوا عدولاً ثقات فإنه يجوز عليهم السهو والغلط والوهم، وهذا ما يجعل خبرهم ظاهراً في العمل به، وإن احتمل الوهم والغلط لأن احتمال الوهم والغلط نادر فيهم، وأكثر أحاديث السنة من هذا النوع لأن المتواتر، قليل في السنة ونادر، خاصة على اصطلاح الأصوليين، وخالف في هذا أبو محمد علي بن حزم الظاهري⁽⁵⁴⁾ فقال: "إن خبر الواحد يفيد علم اليقين إذا صح

⁵³ لقد كتب الدكتور أحمد الريسوني المغربي كتاباً قيماً في هذا الموضوع سماه نظرية التقريب والتغليب وتطبيقاتها في العلوم الإسلامية.

⁵⁴ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، أصله من فارس، ولد بقرطبة يوم الأربعاء من شهر رمضان 384هـ وكان حافظاً، عالماً بعلوم الحديث، فقيه ظاهري المذهب. من مصنفاته: المحلى بالآثار في الفقه، والإحكام في أصول الأحكام، الفصل في الأهواء والملل والنحل. وفيات

سنده، وثبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، يقول رحمه الله قال أبو محمد (كنية ابن حزم) قال أبو سليمان⁽⁵⁵⁾، والحسين بن علي الكرابيسي⁽⁵⁶⁾، والحاتر بن أسد المحاسبي⁽⁵⁷⁾ وغيرهم إن خبر الواحد العدل عن مثله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجب العلم والعمل معاً وبهذا نقول⁽⁵⁸⁾، ثم حكى عن ابن خويزمنداد⁽⁵⁹⁾ من المالكية أنه ذكر ذلك عن مالك رحمه الله، كما نسب إلى الحنفية، والشافعية، وجمهور المالكية، والمعتزلة، والخوارج، القول بعدم إفادة خبر الواحد العلم⁽⁶⁰⁾.

وقد اختلفت الروايات المنقولة عن الإمام أحمد في مفاد خبر الآحاد، فمنهم من نقل عنه أنه يفيد الظن، قال المرداوي من أصحاب أحمد رحمه الله: "خبر

الأعيان لابن خلكان ص 325 ج 3 مرجع سابق.

⁵⁵ داود بن علي بن خلف أبو سليمان الظاهري، الأصفهاني، الإمام المشهور، كان زاهدا متقللاً كثير الورع، انتهت إليه رئاسة العلم ببغداد، وصنف كتابين في فضائل الإمام الشافعي، ولد بالكوفة سنة 202هـ وقيل سنة 200هـ وقيل 201هـ وتوفي سنة 270هـ . وفيات الأعيان ص 255، ج 2، ط دار الثقافة، بيروت، بدون رقم وبدون تاريخ.

⁵⁶ الحسن بن علي بن يزيد الكرابيسي، البغدادي، صاحب الإمام الشافعي، وأشهرهم بانتساب مجلسه، وأحفظهم لمذهبه له تصانيف كثيرة في أصول الفقه، وفروعه، كان متكلماً، عارفاً بالحديث، والجرح والتعديل، توفي سنة 248هـ وقيل 245هـ. وفيات الأعيان، ص 232، ج 2، مرجع سابق.

⁵⁷ الحارث بن أسد المحاسبي، البصري، الزاهد المشهور، له كتب في الزهد، والأصول، وكان الإمام أحمد بن حنبل يكرهه لنظره في علم الكلام وتصنيفه فيه، توفي سنة 243هـ . وفيات الأعيان، ص 57، ج 2، مرجع سابق.

⁵⁸ ابن حزم، علي بن أحمد، الإحكام في أصول الأحكام، ص 112، ج 1، ط دار الحديث بدون رقم وبدون تاريخ.

⁵⁹ منداد محمد بن أحمد بن عبد الله ابن خويز أبو عبد الله، تفقه بالأبهرية، وسمع الحديث، وعنده شواذ عن مالك، له اختيارات وتاويلات في المذهب في الفقه والأصول، لم يرجع إليها حذاق المذهب؛ منها خبر الواحد يوجب العلم، له كتب في الخلاف، وأصول الفقه وأحكام القرآن، ترتيب المدارك، وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض، ص 66 ج 3 ط 1387هـ 1957م بدون رقم دار مكتبة الحياة بيروت ودار مكتبة الفكر طرابلس ليبيا، تحقيق د/ أحمد باكير محمود

⁶⁰ ابن حزم، الإحكام، ص 112 ج 1، مرجع سابق.

الواحد يفيد الظن، وهو الصحيح عند أحمد وأكثر أصحابه، والأكثر من العلماء⁽⁶¹⁾، وقال أبو الخطاب: "خبر الواحد لا يقتضى العلم قال في رواية الأثرم⁽⁶²⁾، إذا جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد صحيح فيه حكم، أو فرض، عملت به، ودنت لله تعالى به، ولا أشهد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك"، ثم قال أبو الخطاب: فقد نص أنه لا يقطع به، وبه قال جمهور العلماء⁽⁶³⁾، والمقصود بهذه الرواية إمام المذهب الإمام أحمد رحمه الله، وهناك رواية أخرى عنه رحمه الله أن خبر الواحد يفيد العلم، قال أبو الخطاب: وروى عنه حنبل⁽⁶⁴⁾ أنه قال في أحاديث الرؤيا، نعلم أنها حق ونقطع العلم بها وعزا أبو الخطاب هذا الرأي إلى جماعة من أصحابهم الحنابلة وأصحاب الحديث وأهل الظاهر⁽⁶⁵⁾. والذي يظهر لي والله أعلم أن لا تعارض بين هاتين الروایتين، فالأولى تحمل على خبر الواحد المجرد عن القرائن حتى تكون موافقة لقول الجمهور، لأن التعليل الذي علل به الحنابلة هذه الرواية وهو إمكان الغلط والوهم على الثقة، هو نفسه الذي علل به الجمهور، وأما الرواية الثانية فإنها تحمل على خبر الواحد المحتف بالقرائن والمتلقى بالقبول، والدليل على ذلك أنها جاءت في سياق الحديث عن أحاديث الرؤيا، أي رؤية الله عز وجل يوم القيامة ومسألة الرؤيا مسألة عقائدية، ومن المعلوم أن مسائل العقيدة لا يقبل فيها إلا ما يفيد العلم، وخبر الواحد المتلقى بالقبول والمحتف بالقرائن، يفيد العلم على ما ذهب إليه

⁶¹ المرداوي، علي بن سليمان، التخبير شرح التحرير، ج4، ط الأولى 1421هـ 200م مكتبة الرشد/تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين، ص 1808.

⁶² أحمد بن محمد بن هانئ الأثرم، الطائي الإسكافي، أبو بكر حافظ إمام، نقل عن الإمام أحمد مسائل كثيرة صنفها ورتبها أبوابا قال ابن أبي يعلى: لم يقع لي تاريخ وفاته. طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى، ج1، ط دار المعرفة، بيروت بدون رقم وبدون تاريخ، ص 66.

⁶³ الكلواذني، محفوظ بن أحمد أبو الخطاب، التمهيد، ج3، ط الأولى 1406هـ 1985م دار المدني، ص 78.

⁶⁴ حنبل بن إسحاق بن حنبل أبو علي الشيباني، ابن عم الإمام أحمد، وهو ممن روى عن الإمام أحمد بن حنبل بعض المسائل، قال عنه الدارقطني: كان صدوقا. توفى بواسط جمادى الأولى سنة 273هـ. طبقات الحنابلة، ج1، مرجع سابق، ص 143.

⁶⁵ الكلواذني، محفوظ بن أحمد أبو الخطاب، التمهيد، ج3، مصدر سابق، ص 78.

المحققون من العلماء، أما ما عزاه أبو الخطاب لجماعة من أصحابهم وأصحاب الحديث، فيجري فيه نفس التوجيه، وأن المقصود به خبر الواحد المحتف بالقرائن، وأما أهل الظاهر فشذوذهم معروف، وإذا حررت أقوالهم لا تعد ما قلناه والله أعلم بالصواب، وأما المتن الظني فهو العام عند الجمهور وقد مرّ بيانه.

المبحث الثاني: قطعي السند ظني المتن وظني السند قطعي المتن

أما قطعي السند وظني المتن وظني السند قطعي المتن، فهو النتيجة الطبيعية والمنطقية للمطلبين السابقين الأول والثاني، ولذا سأكتفي بالإشارة إليهما دون إعادة تكرارهما، لأن كل ما سيقال فيهما قد سبق الحديث عنه، فقطعي السند هو المتواتر عند الجميع والمشهور عند الأحناف، ويعبرون أحياناً عنه بالمستفيض خاصة في كتب الجمهور، وإن كانت دلالته عند الجمهور ظنية، وخبر الواحد المحتف بالقرائن والمتلقي بالقبول عند أغلب العلماء، خلاف لبعض المتكلمين، والأصوليين، القائلين بأنه يفيد الظن مطلقاً⁶⁶، وأما المتن الظني فهو العام عند الجمهور، لاحتمال التخصيص أما ظني السند قطعي المتن فالسند الظني هو خبر الواحد المجرد عن القرائن عند الجميع، خلافاً لشذوذ الظاهرية في إفادته العلم القطعي اليقيني، وخبر الواحد مع القرائن عند المتكلمين وبعض الأصوليين، والمشهور والمستفيض عند الجمهور، لأنه عندهم قسم من أقسام الأحاد، أما المتن القطعي فهو الخاص عند الجميع، والعام عند الأحناف، ولا ثالث لهما والله أعلم، هذا وقد يكون السند ظنياً والمتن كذلك، كما في خبر الواحد العام عند الجمهور، ونعني بالواحد عند الجمهور ما عدا المتواتر، فيشمل الأحاد أو المشهور، أو المستفيض، على تنوع في الاسم، وكذلك قد يكون السند قطعياً والمتن كذلك، كما في المتواتر الخاص عند الجميع، أو المشهور خاصاً

⁶⁶ السبكي، عبد الوهاب تاج الدين، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، ص 310، ج2، ط الأولى 1419هـ 1999م، عالم الكتب، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود = الباقلاني، محمد بن الطيب أبو بكر، تمهيد الدلائل، ص 164 ط 1366هـ 1947م، بدون رقم طبعة دار الفكر العربي القاهرة، ضبط وتعليق: محمود محمد الخضيرى = البغدادي، عبد القاهر بن طاهر أبو منصور، أصول الدين، ص 12، ط1، 1401هـ 1981م دار الأفاق الجديدة بيروت، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في الدار.

كان أو عاما عند الأحناف، وخبر الواحد المحتف بالقرائن الخاص عند الجميع،
وخبر الواحد المحتف بالقرائن العام عند الأحناف.

- خاتمة

بعد التجوال في مصادر ومراجع هذا البحث المختصر وتدوين ما أمكن
تدوينه، وتحليل ما أمكن تحليله، توصل الباحث إلى النتائج الآتية:
. القطع في السنة النبوية الشريفة قليل جدا من حيث الثبوت. وذلك راجع
إلى قلة المتواتر من السنة.

. للظن مجال واسع في السنة النبوية الشريفة، خاصة من حيث الثبوت، لأن
أكثر أسانيد السنة مدارها على الأحاد.

. تفاوت اعتبار القطع والظن في دلالة العام بين أصوليي الأحناف، وأصوليي
المتكلمين. وذلك راجع إلى النظر قبل دخول المخصص على العام كما يراه
الأحناف، أو بعد دخول المخصص كما يراه المتكلمون.

هذا ما أمكن تدوينه و الله الموفق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى اله
وصحبه وسلم. والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن السمعاني، أبو المظفر، قواطع الأدلة، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، ج 1، ط1، دار
الكتب العلمية، 1418 هـ/1997م.
- ابن حزم، علي بن أحمد، الإحكام في أصول الأحكام، ج1، ط دار الحديث، بدون رقم وبدون
تاريخ.
- ابن منظور، محمد أبو الفضل، لسان العرب، تحقيق سعيد عبد الوهاب ومحمد لعبيدي،
ج 5، دار إحياء التراث العربي، ط الأولى 1416هـ/1995م.
- الآمدي، علي سيف الدين، الإحكام، تعليق عبد الرزاق عفيفي، ج 2، ط الأولى 1424هـ، دار
الصمعي ودار ابن حزم 2003م.
- الباقلاني، محمد بن الطيب أبو بكر، تمهيد الدلائل، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي
في الدار، ضبط وتعليق: محمود محمد الخضير = البغدادي، عبد القاهر بن طاهر أبو
منصور، دار الفكر العربي القاهرة، ط 1366هـ/ 1947م بدون رقم طبعة.
- البصري، عبد الله بن علي أبو الحسين، المعتمد، ج 2، دار الكتب العلمية، ط الأولى
1403هـ/1983م.

- الجصاص، أحمد بن علي، الفصول في الأصول، تحقيق ودراسة: د/عجيل جاسم النشمي، ج 3، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة الكويت، ط الثانية 1414هـ/1994م
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، ج 3، ط دار العلم للملايين.
- الجويني، عبد الملك أبو المعالي، البرهان، تعليق صلاح عويضة، دار الكتب العلمية، ج 1 ط الأولى 1408هـ/1997م.
- الجويني، عبد الملك أبو المعالي، البرهان، تعليق: صلاح بن محمد بن عويضة، ج 1 ط الأولى، دار الكتب العلمية 1408 هـ/1997م.
- الجويني، عبد الملك أبو المعالي، التلخيص في أصول الفقه، تحقيق: د/عبد الله النيبالي / شعيب أحمد العمري، ج 2 ط الأولى 1417هـ/1996م.
- الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، دار الهلال ط الأولى 1983.
- الزركشي، بدر الدين، البر المحيط، ج 4، ط دار الكتب الأولى 1414هـ/1994م.
- السبكي، عبد الوهاب تاج الدين، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، ج 2 ط، عالم الكتب، الأولى 1419هـ/1999م.
- السرخسي، أبو بكر، أصول السرخسي، تحقيق وتعليق: د/رفيق العجب، ج 1 ط الأولى، دار المعرفة، 1418هـ/1997م.
- السمرقندي، محمد بن أحمد علاء الدين، ميزان الأصول في نتائج العقول، تحقيق وتعليق: د/محمد زكي عبد البر. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة قطر، ط الثانية 1400هـ/1980م.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى أبو إسحاق، الموافقات، تحقيق: مشهور بن حسن، ج 1 ط الأولى، دار ابن عفاة السعودية. 1417هـ/1997م.
- الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: أحمد عز عناية، ج 1 ط الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1421هـ/2001م،
- الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول، تحقيق: د/ شعبان محمد إسماعيل، ج 1، ط الأولى، دار الكتب 1413هـ/1992م.
- الطحان محمود، تيسير مصطلح الحديث، ط العاشرة، مكتبة المعارف، مصر، (د.ت)
- الطولي، نجم الدين، شرح مختصر الروضة، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج 2 مؤسسة الرسالة، ط الرابعة 1424هـ/2003م.
- العسقلاني، علي بن حجر، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، مع نكت الحلبي، ط مكتبة دار الثقافة، بدون رقم وبدون تاريخ.
- الغزالي، محمد أبو حامد، المنحول من تعليقات الأصول، تحقيق وتعليق: محمد حسن هيتو، دار الفكر المعاصر، ط الثالثة 1419هـ/1998م.

- الفتوحى، أحمد بن النجار، شرح الكوكب المنير، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد، ج 2 ط الثالثة، جامعة أم القرى 1402هـ/1982م .
- الفراء، محمد بن الحسين أبو يعلى، العدة في أصول الفقه، تحقيق وتعليق: د/محمد بن علي سير المباركى، ج 3، ط الثالثة 1414هـ/1993م.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ج 01، مؤسسة الرسالة، ط السادسة 1998م.
- الفيومى، أحمد بن محمد، المصباح المنير، ط 1977م بدون رقم، دارالمعارف.
- القرافي، أحمد بن إدريس أبو العباس، شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول، وتحقيق: محمد عبد الرحمن شغول، بدون رقم المكتبة الأزهرية للتراث ط 2005م.
- كشف الأسرار عن أصول البزدوي لعبد العزيز البخاري، تعليق محمد المعتصم بالله البغدادي، ج 2، دار الكتاب العربي ط الأولى 1411هـ/1991م.
- المرادوي، علي بن سليمان، التعبير شرح التحرير، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين، مكتبة الرشد، 1808، ج 4، ط الأولى 1421هـ.
- النسفي، عبد الله بن أحمد أبو البركات، كشف الأسرار شرح المصنف على المنار، ج 2، دار الكتب العلمية ط الأولى 1406هـ/1986م.



قسمة الشخص ممتلكاته في حياته، ومسألة التسوية بين الأبناء في العطايا والهبات: دراسة فقهية مقارنة

يوسف نواصة

المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة / قسم اللغة العربية

youcefnouassa@yahoo.fr

ملخص -

يتناول هذا البحث مسائل فقهية اجتماعية، تتعلق أساسا بالأموال والتصرف فيها، وأثر ذلك على الأسرة والعلاقة بين أفرادها، ويحاول البحث الوصول إلى الأحكام الشرعية المتوافقة مع مقاصد الشريعة العامة والخاصة بباب التبرعات في مسألة تنازل الشخص عن ممتلكاته، وقسمتها في حياته، ومسألة التسوية بين الأبناء في الهبات والعطايا، والمسائل المتفرعة عنها، فقد يتوهم المرء أنه بقسمته وفق ميله لذكر أو أنثى من أبنائه، أو سعيًا لحرمان ورثته أو غير ذلك من المقاصد والغايات والنّيّات هو يحقق العدل، وربما ينتقم لنفسه ممن أساء إليه، ولا يدري ما قد ينجر عن ذلك من ظلم، وقطيعة، وتشاحن وتباغض، ثم حساب عند العليم الخبير. وهذه النّازلة من المسائل كثيرة الحدوث والتكرّر في المجتمع الجزائري وغيره من المجتمعات. كما أنّها من المسائل الخلافية التي تباينت آراء الفقهاء ورؤاهم في أحكامها وأدلتها، مما استوجب الدراسة المقارنة لتلك الآراء والأدلة التي بنيت عليها ومناقشتها. ثمّ الترجيح بينها تحكيما للقواعد الأصولية واستهداءً بالمقاصد الشرعية.

الكلمات المفتاحية -

الهبة - العطية - التسوية - قسمة الممتلكات - التنازل عن الملكية.

The Division Of A Person In His Life ,And The Issue Of Settlement Between Sons In Gifts And Donations:Comparative Juristic Study.

Abstract–

This Research Deal With The Social Jurisprudence Issues , Mainlyrelated To Money And Disposition And The Impact On The Family And Relation Shipbetweenit S Members .Italsoattempts To Reach The Shari'ah [شريعة] Rulings that Are Compatible With The Generalpurposes Of The Shari'a Regarding The Donations Section In The Matter Of The Person'swaiver Of Hisproperty , And The Question Of Settlementbetweenchildren In Gifts , And The Issues Which Are Branching Out On These , A Man Thinkheis Right By Dividingheirsaccording To Hispreference For A Boy Or A Girl Child , In Order To Deprivehisheirs Or Otherpurposes And Goals And Intentions And Maytakerevenge For Himself To Thosewhooffendedhim, And Hedoesn-T Know Whatmighthappenfromthis Injustice, Therewillbe ; Rupture, And Tangle And Thanpunichement Of God .

This Is A Recurring Issue In Algerian Society And Other Societies. It Is Also One Of The Controversial Issues That Differed Between The Views Of Jurists And Their Views On Its Rulings And Evidence, Which Necessitated A Comparative Study Of Those Views And The Evidence On Which They Were Based And Discussed. Then The Weighting Between Them Is A Reflection Of The Fundamentalist Rules And Guided By The Purposes Of Legitimacy.

Key Words–

Grant - Gifts - Settlement - Property Division - Waiver Of Ownership

تمهيد -

مما يكثر حدوثه في المجتمع الجزائري - وغيره من المجتمعات قطعاً -
قسمة الشخص ممتلكاته في حياته على وراثيه، قصد حسم النزاع المحتمل بينهم
حوله بعد مماته، أو حماية لحق الضعفاء منهم، ويحدث أن يخص القاسم
بعضهم دون بعض بالعطية حال قسمته، أو حتى أن يؤثر واحداً من وراثيه بكل ما
يملك ويحرم الآخرين كلية. وقد يقسم تركته على غير وراثيه، وقد يشركهم
معهم محبة أو رداً لجميل أو ابتغاء للثواب أو لغير ذلك من المقاصد والغايات.
وبغض النظر عن النيات الباعثة على هذه التصرفات، فلا شك أن النتائج التي
تنتج عنها غالباً ما تكون نزاعاً وصراعاً يثير الضغائن، ويولد الأحقاد، ويقطع
الرحم، ويعصف بالأسر، ويجرّها إلى المحاكم؛ لذا كان من اللازم الوقوف عند
المسألة بالدراسة والبحث حتى تتبين معالمها وتتضح أحكامها. وقد بسطتها في
ثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: قسمة الشخص جميع ممتلكاته في حياته أو تنازله عنها
كلية.

المبحث الثاني: حكم التسوية بين الأبناء في الهبات والعطايا في الفقه
الإسلامي.

المبحث الثالث: مسائل مكملّة لمسألة التسوية بين الأبناء في الهبات والعطايا.

المبحث الأول

قسمة الشخص جميع ممتلكاته في حياته أو تنازله عنها كلية

نصّ قانون الأسرة الجزائري على حكم هذه المسألة في المادة 205 منه، وجاء فيها: "يجوز للواهب أن يهب كلّ ممتلكاته أو جزءاً منها، عيناً أو منفعة أو ديناً لدى الغير". وروح هذه المادة وأساسها: قاعدة حرية تصرف المالك في ملكه. وجاء في ((القوانين الفقهية)) للإمام ابن جُزَيّ المالكي رحمه الله: "ويجوز أن يهب الإنسان ماله كلّهُ لأجنبيّ اتّفاقاً، وأمّا هبة جميع ماله لبعض ولده دون بعض أو تفضيل بعضهم على بعض في الهبة فمكروه عند الجمهور، وإن وقع جاز. ورؤي عن مالك المنع وفاقاً للظاهرية"⁽¹⁾. ورغم هذا التقرير الحاسم لحكم المسألة، فإنّ فيها خلافاً حريّ بأن يؤخذ بعين الاعتبار، ويوازن بينه وبين ما أثبتته المشرع بميزان النّظر، ويعتبر بميزان الأدلة والمقاصد الشرعية.

أولاً: المذاهب في هذه المسألة:

كما أُمّحت قريباً ففي هذه المسألة خلاف بين أئمة الفقه، استوعبها وأجملها الإمام ابن مفلح الحنبليّ في قوله: "ومن أراد الصدقة بماله كلّهُ فإنّ كان وحده وعلم من نفسه حسن التّوكل والصّبر على المسألة جاز، ودليلهم يقتضي الاستحباب، وجزم به في منتهى الغاية وغيرها، وفاقاً للشافعية، وذكر القاضي عياض المالكي أنّه جوّزه جمهور العلماء وأئمة الأمصار، وعن عمر ردّ جميع صدقته، ومذهب أهل الشام ينفذ في الثلث، وعن مكحول في النصف. وقال الطبري: المستحب الثلث. قال أصحابنا: وإن لم يعلم لم يجز، ذكره أبو الخطاب وغيره، ويمنع من ذلك ويحجر عليه، وذكر الشيخ وغيره: يكره، وفاقاً للشافعية، وإن كان له عائلة ولهم كفاية أو يكفيهم بمكسبه جاز، لقصة الصّديق ﷺ، وإلّا فلا، ويكره لمن لا صبر له على الضيق ولا عادة له به أن ينقص نفسه عن الكفاية التامة، نصّ عليه"⁽²⁾.

1- ابن جُزَيّ: القوانين الفقهية، تح: ماجد الحموي، ط1 / 1434هـ، 2013م، دار ابن حزم.

بيروت، لبنان: ص 604

2- ابن مفلح: الفروع ومعه تصحيح الفروع للمرداوي، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي

ط1/ 1424 هـ - 2003 م، مؤسسة الرسالة، بيروت: 381/4

والمشهور من هذه الأقوال قولان:

1 - القول الأول: جواز أن يتصدق المرء بماله كله أو يهبه في حال صحته، وهو قول الجمهور: الحنيفة والمالكية والشافعية والحنبلية. فأما مذهب مالك رحمه الله فقيده محققو مذهب بشرط: أن يكون رجاؤه في الله مانعاً من ندمه، وقوة يقينه مانعاً من تشويشه. وأن يرجع إلى سبب لا شبهة فيه، ولا ارتكاب محظور. ولا يخشى الحاجة والتكفف؛ لغنى يصرف أو سبب يكتسب به، كحال أبي بكر رضي الله عنه حين خرج عن ماله كله لله ورسوله. وما لم يمنعه ولده من ذلك وما لم يمرض ⁽³⁾.

وأما الحنفية، فقال خاتمة المحققين ابن عابدين رحمه الله: "اعلم أن الصدقة تستحب بفاضل عن كفايته وكفاية من يمونه، وإن تصدق بما ينقص مؤنة من يمونه أثم، ومن أراد التصدق بماله كله وهو يعلم من نفسه حسن التوكل والصبر عن المسألة فله ذلك وإلا فلا يجوز، ويكره لمن لا صبر له على الضيق أن ينقص نفقة نفسه عن الكفاية التامة" ⁽⁴⁾.

وأما الشافعية، فقال الإمام الشيرازي رحمه الله: "إن كان ممن يصبر على الإضافة استحَبَّ له التصدق بجميع ماله.. وإن كان ممن لا يصبر على الإضافة كره له ذلك" ⁽⁵⁾.

وأما الحنابلة، فقولهم كقول الشافعية سواء بسواء ⁽⁶⁾.

2- القول الثاني: عدم جواز تصدق المرء بماله كله دون أن يترك لنفسه ولمن يعول ما يكفيهم. وهو مذهب الظاهرية والبغداديين من المالكية. وعدم الجواز هو

3- ينظر: زروق: شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، تح: أحمد فريد المزيدي، ط 1/ 1427 هـ.

2006 م، دار الكتب العلمية، بيروت: 818/2 - الأبي صالح بن عبد السميع الأزهرى:

الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، المكتبة الثقافية - بيروت: ص 555

4- ابن عابدين: رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين)، تح: عادل عبد الموجود

وصاحبه، ط 1، هـ. م، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية: 308/3

5- الشيرازي: المذهب في فقه الإمام الشافعي. تح: زكريا عميرات، ط 1/ 1416 هـ، 1996 م. دار

الكتب العلمية. بيروت لبنان: 322/1

6- التنوخي ابن المنجي: الممتع في شرح المقنع. تح: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

ط 3/ 1424 هـ، 2003 م. مكتبة الأسدي. مكة المكرمة: 792/1

على التحريم عند الظاهرية⁽⁷⁾، وعلى الكراهة عند من قال به من المالكية، قال الإمام ابن يونس الصقلي المالكي رحمه الله: "وقال سحنون في العتبية: إذا تصدق بجل ماله ولم يكن فيما أبقي منه ما يكفيه ردت صدقته، وإن كان فيما أبقي منه ما يكفيه لم تُرد. قال غيره من البغداديين: نحن نكره له ذلك، وليبق على نفسه؛ لأن الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ قد دلنا أن الإبقاء على الوارث أولى، فإبقاء المرء على نفسه أكثر وأولى من الإبقاء على الوارث"⁽⁸⁾.

ثانياً - الأدلة ومناقشتها:

1- أدلة القول الأول ومناقشتها: استدلال الجمهور بالكتاب والسنة والنظر:

أ - الكتاب:

استدلوا بظاهر الآيات الأمرة بالإنفاق مطلقاً من غير تقييد. قال الإمام ابن ناجي المالكي في شرحه لقول صاحب الرسالة: "ولا بأس أن يتصدق على الفقراء بماله كله لله": "قال الفاكهاني: لأنه فعل خير وقرية، وقد أثنى الله تعالى على فاعل ذلك، فقال: {وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر:9] ويقوله: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} [سبا: 39] وقوله: {وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر:9]"⁽⁹⁾.

ويناقش هذا الاستدلال بأنه أعم من المطلوب، فلا خلاف في استحباب وندبية الإنفاق والإيتار، ولكن هذا لا يستلزم جواز أن يخرج المرء عن ماله كله زلفة. وقد ناقش الإمام ابن حزم رحمه الله استدلالهم بالآيات، فقال عن آيات الإنفاق: "فلم يقل تعالى أموالهم كلها"⁽¹⁰⁾. وقال عن الآيات الأخرى: "وأما قول الله تعالى {وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر:9] فحق، ولا حجة لهم فيه؛ لأن من به خصاصة وأثر على نفسه فلا يكون ذلك إلّا في مجهود، وهكذا نقول، وليس فيها أنه مباح له تضييع نفسه، وأهله، والصدقة على من هو أغنى

7- ابن حزم: المحلى، بدون طبعة ودون تاريخ، دار الفكر، بيروت: 86/8 وما بعدها.

8- ابن يونس: الجامع لمسائل المدونة، تح: مجموعة باحثين، ط 1/ 1434 هـ، 2013 م، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى. السعودية: 661/19

9- ابن ناجي قاسم بن عيسى التنوخي القيرواني: شرح الرسالة، تح: أحمد فريد المزيدي، ط 1/ 1428 هـ، 2007 م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: 246/2 - 247

10- ابن حزم: المحلى: 92/8

منه⁽¹¹⁾. ومن جهة أخرى فإنّ بيان ما يجوز إنفاقه وما لا يجوز حدّدته الآيات والأحاديث الأمرة بالاعتدال والتّوازن في الإنفاق، وسيأتي ذكرها⁽¹²⁾.

ب- السّنة:

- حديث عمّار بن الخطاب رضي الله عنه أنّه قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً أن نتصدّق، فوافق ذلك ما لا عندي، فقلت: «اليوم أسبقُ أبا بكر إن سبقته يوماً فجئت بنصف مالي»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما أبقيت لأهلك؟»، قلت: «مثلته»، قال: «وأتى أبو بكر بكل ما عنده»، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما أبقيت لأهلك؟»، قال: «أبقيت لهم الله ورسوله»، فقلت: «لا أسألك إلى شيء أبداً»⁽¹³⁾.

وجه الدّلالة منه: إقرار النّبي صلى الله عليه وآله لأبي بكر رضي الله عنه على فعله هذا، ولو لم يكن فعله جائزاً لما أقرّه عليه. قال الإمام القرأفي رحمه الله: "جوز مالك الصّدقة بماله كلّهُ؛ لأنّ الصّديق رضي الله عنه فعله"⁽¹⁴⁾.

ويناقش هذا بأنّه حادثة عين لا عموم لها، والذي أوجب اعتباره حادثة عين ردّه رضي الله عنه الصّدقة على من تصدّق بماله كلّهُ غير الصّديق من الصّحابة رضي الله عنهم، ويؤكد ذلك تأوّل كثير من العلماء لهذا الحديث بتقييدهم له بحالة الصّديق رضي الله عنه لقدّمه الرّاسخ في اليقين والتّوكّل، قال الإمام العيني الحنفي رحمه الله: "وإنّما لم ينكر صلى الله عليه وآله على أبي بكر إتيانه بجميع ما عنده لما علمه من حسن نيته، وقوة نفسه، ولم يخف عليه الفتنة، ولا أن يتكفّف النّاس، كما خافها على الذي ردّ عليه الذّهب، والذي رد عليه الثياب"⁽¹⁵⁾.

ج - النّظر والمعقول:

- 11- ابن حزم: المحلّى: 92/8
- 12- نفس المرجع.
- 13- رواه أبو داود. كتاب الزكاة، باب الرخصة أن يخرج الرجل من ماله (رقم: 1678): 107/3. الترمذي. أبواب المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه (رقم: 3675): 56/6 وأشار إليه البخاري تعليقا.
- 14- القرأفي: الذخيرة، تح: مجموعة أساتذة ط 1/ 1994م، دار الغرب الإسلامي - بيروت: 288 /6
- 15- العيني: شرح سنن أبي داود، تح: خالد بن إبراهيم المصري ط 1/ 1420 هـ - 1999 م، مكتبة الرشد - الرياض: 432/6

- من النظر والمعقول فقالوا: الأصل جواز أن يتصرف الإنسان في ماله مطلقاً يصنع به ما يشاء، وهذا ما يشهد له حديث: «كلّ ذي مال أحقّ بماله»⁽¹⁶⁾، وعلى هذا فالمرء أن يهب ماله من يشاء، ويتصدق قدر ما يشاء على من يشاء.

- وجواباً عن هذا قال الإمام القرطبي رحمه الله: "الأصل الكلي والواقعة المعيّنة المخالفة لذلك الأصل لا تعارض بينهما كالعموم والخصوص، وفي الأصول أنّ الصحيح بناء العام على الخاص" أه⁽¹⁷⁾. فهذا الأصل مقيد بالأحاديث التي ردّ فيها النبي ﷺ الصدقة على من خرج عن ماله بالكليّة⁽¹⁸⁾. فهو أصل كلي لا يتعارض مع الوقائع المعيّنة والحالات الخاصة؛ فيبقى المرء حراً في تصرفه في ماله، إلّا أن يتصدق به كلّ أو يهبه كلّ، ولا يُبقي شيئاً له ولمن يعول؛ فيمنع منه للنصوص الواردة ولتعلقه بحق الغير كنفقة من تلزمه نفقته.

- وقالوا: "والدليل على ذلك إجماع الجميع على أنّ لكلّ مالك مالا إنفاق جميعه في حاجاته، وصرفه فيما لا يحرم عليه من شهواته، فمثله إنفاق جميعه فيما فيه القرية إلى الله، إذ إنفاقه في ذلك أولى من إنفاقه في شهواته ولذاته"⁽¹⁹⁾.
والجواب عنه أنّه قياس مع الفارق، فالمرء لا يكتسب المال إلّا لإنفاقه على حاجاته وحاجات من يعول، وقد فرض الشرع ذلك ورغب فيه، أمّا أن يتصدق به كلّ أو يهبه كلّ فما فعله إلّا نواذر من الناس، ولم يرغبنا الشرع فيه مراعاة لفطرة الإنسان وجبيلته على حبّ التملك، ثمّ هو معارض بردّ النبي ﷺ الصدقة على من تصدّق بماله كلّ.

16- أخرجه البيهقي عن ابن المنكدر مرسلًا، سنن البيهقي الكبرى: كتاب الهبات، باب ما يستدل به على أن أمره بالتسوية على الاختيار دون الوجوب، (رقم: 12366) 178/6: وصححه ابن حزم في المحلى: 148/9.

17- القرطبي أبو عبد الله: تفسير القرطبي: 215/6، وينظر: المفهم لما أشكل من تخليص كتاب مسلم: 587/5.

18- سيأتي ذكر نماذج منها في أدلة القول الثاني، فلا داعي لذكرها هنا.

19- ابن بطال: شرح صحيح البخاري: 429/3 - 430.

2- أدلة القول الثاني ومناقشتها: واستدل أصحاب هذا القول بالكتاب

والسنة، وأهم ما استدلوأ به ما يأتي:

أ - الكتاب:

استدلوا بالآيات الآمرة بالاعتدال في الإنفاق، كقوله تعالى: {وَأْتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأنعام: 141]. وقوله تعالى: {وَأَتِ الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا (26) إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} [الإسراء: 26-27]. و{وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا} [الإسراء: 29]. وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: 67].

فالآيات الكريمة توجّه المكلّف إلى ضرورة التّوازن والاعتدال والاقتصاد في الإنفاق، والتّصدّق أو هبة المال كلّ له ليس من سبيل الاعتدال في شيء. قال الإمام التّعالبي رحمه الله: "وكلّ هذا في إنفاق الخير، وأمّا إنفاق الفساد، فقليله وكثيره حرام"⁽²⁰⁾.

ويجاب عنه: بأنّ هذا توجيه عام وهو الأصل، ولكن لا يمنع ذلك العبد من التّقرّب إلى الله تعالى بماله كلّ اقتداء بالصّدّيق عليه السلام، واسترواحا للإقرار النبويّ له على ذلك.

ب-السّنة: وقد أوردوا العديد من الأحاديث استدلالاً لمذهبهم أذكر منها ما يلي:

- حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبي صلى الله عليه وآله قال: «خير الصّدقة ما كان عن ظهر غنى، وأبدأ بمن تَعُولُ»⁽²¹⁾، قال ابن حزم: «وأفضل الصّدقة وخيرها ما كان عن ظهر غنى، فبلا شك وبالضرورة: أنّ ما زاد في الصّدقة ونقص من الخير،

20- التّعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط1/ 1418 هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت: 470/3.

21- رواه البخاري: كتاب الزّكاة، باب لا صدقة إلّا عن ظهر غنى (رقم: 1360): 518/2-

مسلم: كتاب الزّكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى (رقم: 1034): 2717-

والأفضل فلا أجر فيه، ولا خير فيه، ولا فضل فيه، وأنه باطل، وإذا كان باطلاً، فهو أكل مال بالباطل، فهذا محرّم بنص القرآن⁽²²⁾.

ويجاب عنه بأنه معارض بحديث صدقة أبي بكر ﷺ بكلّ ماله، وهو نصّ في المسألة. ويمكن تأوّل عن ظهر غنى بأنه الغنى الحاصل، أو المتوّقع لقدرته على التّكسّب. فلا يبقى فيه دلالة على المطلوب.

- حديث كعب بن مالك ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، إنّ من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك؟»، فقلت: إنّني أمسك سهمي الذي بخير⁽²³⁾. ووجه الدّلالة منه واضح، حيث أنّ قوله: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك؟» دليل صريح على كراهة أن يتصدّق الرّجل بجميع ماله ويبقى عالة⁽²⁴⁾.

ويناقش استدلالهم هذا بأنه معارض بحديث صدقة أبي بكر ﷺ بكلّ ماله أيضاً، قال ابن بطال: "وأما إجازته لأبي بكر الصّدّيق ﷺ الصّدقة بماله كلّها، فهو إعلامٌ منه أمّته أنّ ذلك جائز غير مذموم وردّه على كعب، وأبى لبابة ما ردّ، وأمره لهما بإخراج الثلث إعلامٌ منه بموضع الاستحباب والاختيار، لا حظراً منه للصدقة بجميع المال"⁽²⁵⁾.

- جابر بن عبد الله الأنصاريّ ﷺ قال: كنا عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل بمثل بيضةٍ من ذهب، فقال: يا رسول الله، أصبتُ هذه من معدنٍ، فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثمّ أتاه من قبل رُكنه الأيمن، فقال مثل ذلك، فأعرض عنه، ثمّ أتاه من قبل رُكنه الأيسر، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثمّ أتاه من خلفه، فأخذها رسول الله ﷺ، فحذفه بها، فلو أصابته

22- ابن حزم: المحلّى: 86/8 - 87 وينظر: القرائي: الذخيرة: 4/ 90

23- رواه البخاري: كتاب الوصايا، باب إذا تصدق أو أوقف بعض ماله أو بعض رقيقه أو دوابه فهو جائز (رقم: 2606): 3/ 1013.

24- ينظر: إكمال المعلم: 8/ 238.

25- ابن بطال: شرح صحيح البخاري: 3/ 429- 430.

لأوجعته - أو لعقرته - فقال رسول الله ﷺ: «يأتي أحدكم بما يملك فيقول: هذه صدقة، ثم يقعد يستكف الناس، خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى»⁽²⁶⁾. ودلالته على المطلوب ظاهرة، فإعراضه ﷺ عن الرجل في ثلاث مرات متوالية، ثم حذفه له دلالة على كراهته فعله، ثم تصريحه ﷺ بكراهة ذلك، كل ذلك يدل على عدم جواز هذا الفعل.

والجواب عنه من وجهين: أولاً: ضعف سنده، حيث قال الحافظ ابن الملقن: "إسناده جيد لولا عنعنة ابن إسحاق"⁽²⁷⁾، إشارة إلى تدليس هذا الأخير المشهور. ثانياً: هو معارض بظاهر حديث الصديق ﷺ كما قيل في النصوص السابقة.

ثالثاً: الترجيح:

للتعارض الظاهري بين الأدلة السابقة رام بعض الأئمة الفقهاء الجمع بينها والتوفيق.

أولاً: ذهب الإمام الطبري رحمه الله إلى جواز تصدق المرء بماله كله مع الكراهة، ورأى أن الأولى الاقتصار في الصدقة على الثلث، نقل عنه الإمام ابن بطال ذلك، فقال: "والصواب في ذلك عندنا: أن صدقة المتصدق بماله كله في صحة بدنه وعقله جائزة؛ لإجازة النبي ﷺ صدقة أبي بكر بماله كله، وإن كنت لا أرى أن يتصدق بماله كله، ولا يحذف بماله ولا بعياله، وأن يستعمل في ذلك أدب الله تعالى لنبيه ﷺ بقوله: {ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً} [الإسراء: 29] وأن يجعل من ذلك الثلث كما أمر الرسول كعب بن مالك وأبا لبابة"⁽²⁸⁾.

ثانياً: ذهب الإمام ابن بشير المالكي لهو أبو الطاهر إبراهيم بن عبد الصمد بن بشير التتوخي المهدوي، صاحب كتاب: التنبيه على مبادئ التوجيه وقبله الإمام أبو إسحاق الإسفراييني رحمه الله أن كلا الأمرين جائز، وإنما يختلف الحكم باختلاف الحال، قال الإمام ابن ناجي رحمه الله: "قال [ابن بشير]: وفي

26- رواه أبو داود: كتاب الزكاة، باب الرجل يخرج من ماله (رقم: 1673): 104/3.

27- ابن ملقن سراج الدين عمر بن علي الشافعي: البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير: تح: مصطفى أبو الغيط وصاحبيه. ط 1 / 1425 هـ - 2004 م.

دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض: 416/7

28- ابن بطال: شرح صحيح البخاري: 429/3.

الشريعة ما يدلّ على الوجهين قبل رسول الله ﷺ الصدقة من أبي بكر بجميع ماله ورده على كعب بن مالك وغيره، وقد قال أبو حامد الإسفراييني: إن من يرجع إلى اليقين كما رجع إليه أبو بكر بحيث لا يسخط فتجوز صدقته بجميع ماله ومن يكون على خلاف في ذلك فلا ويرد إليه فيجعل ذلك خلافاً في حال⁽²⁹⁾.

لكن الذي يظهر لي أنّ الذي يترجّح هو القول بعدم جواز تصدّق المرء بماله كلّهُ؛ لأنّ إذن النَّبِيِّ لأبي بكر ﷺ دون غيره من الصّحابة يومئذٍ إلى أنّ هذه الحادثة واقعة عين لا يقاس عليها، فمن ذا يقارب الصّديق ﷺ في قوة إيمانه ويقينه وتوكّله؟ وإجازة هذا الفعل - حتى بالشروط التي ذكرها الفقهاء على اختلاف مذاهبهم - فيه إهدار للأحاديث الصحيحة الصريحة التي تنصّ على أنّ الصدقة إنّما تكون عن ظهر غنى، والتي تعطي الأولوية في المال والنّفقات لمن يعول صاحب المال. ومعلوم أنّ من مقاصد التبرعات تقوية المحبة والأخوة، وأولى من يحرص المرء على تقوية روابط محبتهم ومودّتهم قرابته الأقربين، والتّضييق عليهم في النفقة بالتّصدّق بكلّ المال في الحياة أوتركهم فقراء بعد الممات مما يوغر صدورهم ويدفع للبغيضاء والحنق على من فعل ذلك. وهذا باب شرّ وفساد لا بدّ من سدّه. والله أعلم.

المبحث الثاني

حكم التّسوية بين الأبناء في الهبات والعطايا في الفقه الإسلاميّ.

هذه المسألة سكت عنها المشرّع الجزائريّ، عكس المسألة السّابقة التي خصّها بمادة من مواده كما سبق ذكره، وكان الأولى بوضعي القانون عدم إهمال هذه المسألة؛ لكونها أكثر حدوثاً وتكرراً من مسألة التّنازل عن الممتلكات كلّها، وأكثر تأثيراً وخطراً منها. وربما يكون المشرّع اكتفى بعموم تلك المادة الذي يشمل فيما يشمل من الصّور صورة إعطاء بعض الأبناء دون بعض، غير أنّ ما ذكرته من كثرة وقوعها وكبير أثرها يرسّحها لأن تخصّص بمادة منطوقة رأساً. وما دام لم يذكرها المشرّع فسيقتصر تناولي لها بالدراسة من النّاحية الفقهية فقط.

ومما يجدر التأكيد عليه قبل بسط الكلام في فقه هذه المسألة، أنّ هبات وعطايا الآباء لأبنائهم بغض النظر عن التسوية بينهم فيها من عدمها، الغالب فيها أن تكون قسمة عرفية غير موثقة، فيستبدّ كلّ من أُعطي شيئاً بما تحت يده من غير وثائق تثبت ملكيته، وهذا النوع من الهبات إذا كان موضوعه العقار فهو باطل في نظر قانون الأسرة الجزائري، كما هو منصوص عليه صريحاً في المادة 206 منه: "تنعقد الهبة بالإيجاب والقبول، وتتم الحيازة. ومراعاة أحكام قانون التوثيق في العقارات والإجراءات الخاصة في المنقولات. وإذا اختلّ أحد القيود السابقة بطلت الهبة". وهذا ما يغفل عنه كثير ممن يعالج مثل هذه القضايا.

أولاً: المذاهب في هذه المسألة:

هذه المسألة من أهم مسائل الهبة التي اختلفت فيها أنظار الفقهاء، وتباينت آراؤهم. ومذاهبهم فيها توزعت على ثلاثة أقوال:

1- القول الأول: يستحب التسوية بين الأبناء في العطية ولا تجب، فإذا فاضل بينهم صحت الهبة مع الكراهة، وهو قول الجمهور: الحنفية والمالكية والشافعية، في جمع من العلماء، إلا أن مالكا قال: إن كانت الهبة التي يخص بها بعض ولده كلّ ماله حرم وتردّ بالقضاء⁽³⁰⁾، وأبا يوسف من الحنفية قال: لا بأس به إذا لم يقصد به الإضرار⁽³¹⁾.

2- القول الثاني: تجب التسوية بين الأبناء في العطية، فإن فضل بعضهم على بعض أثم، ووجب عليه التسوية بأحد أمرين، إمّا رد ما فضل به البعض، وإمّا إتمام نصيب الآخر، وهذا مذهب أحمد، وجمع من الأئمة، وقالت الظاهرية: لا يحلّ التفضيل ويجب ردّ الهبة والرجوع فيها، أي لا يصحّ حتى إتمام نصيب المفضل⁽³²⁾.

3- القول الثالث: أن التفضيل بين الأولاد في الهبة، إن كان لسبب أو معنى يقتضي التخصيص والتفضيل جاز ذلك من غير كراهة، كأن يكون المفضل

30- ينظر: - ابن رشد الجد: البيان والتحصيل: 369/13.

31- ينظر: - الشيخ نظام: فتاوي الهندية: 391/4 -

32- ينظر: - ابن حزم: المحلى: 142/9 - الحجاوي: زاد المستنقع في اختصار المقنع ص:

على غيره من إخوته صاحب حاجة، أو زمانة، أو كثرة عيال، أو اشتغال بالعلم، أو زيادة برّ وفضل، أو يكون المفضول من الأبناء صاحب عقوق، أو فسوق، أو يستعين بالهبة على المعصية أو غير ذلك، وهذا قول عند الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية⁽³³⁾.

ثانياً - الأدلة ومناقشتها:

1- أدلة القول الأول ومناقشتها: استدلل الجمهور بالسنة والأثر القياس

والنظر:

أ- السنة:

- الدليل الأول: حديث النعمان بن بشير⁽³⁴⁾ قال: إن أبي نحلي كذا وكذا، فأتى رسول الله ﷺ ليُشهد، فقال: «أكلّ ولدك أعطيت مثل ما أعطيت؟» فقال: لا. فقال رسول الله ﷺ: «أشهد على هذا غيري، هذا جور»، ثم قال: «أتحبون أن يكونوا في البر سواء؟» قال: نعم، قال: «فلا إذا»⁽³⁵⁾.

محلّ الشاهد فيه، قوله: «أشهد على هذا غيري»، فهذا إذن بالإشهاد على هذه الهبة تأكيداً لها؛ ما يقتضي إباحته إشهاد الغير، ولا يباح إشهاد الغير إلّا على أمر جائز، ولو كان حراماً لم يأمر بأن يشهد عليه أحد⁽³⁶⁾، وأمّا تركه ﷺ الشهادة فلا يدلّ بالضرورة على حرمتها؛ لأنّ له ﷺ أن يمتنع عن الشهادة على

33- ينظر: - شيعي زاده: مجمع الأنهر: 497/3- ابن رشد الجد: البيان والتّحصيل:

400/14- الهيتمي: تحفة المحتاج: 308/5- الشّمس ابن قدامة: الشّرح الكبير: 66/17

34- هذا الحديث هو عمدة هذه المسألة، وقد استدلل به كلّ الاطراف فيها تمسكاً من

بعضهم لفظ دون لفظ، وتأويلاً لغيره، لذلك سأذكر رواياته - على حسب استدلالهم

بها- على أنّها أدلة مستقلة، ولا بأس أن أنوّه إلى أنّ بعض الأئمة اعتنى بسياق ألفاظه

وبيان اختلاف الروايات، وأحسنهم جمعاً - حسب رأي - ابن الأثير في جامع

الأصول: 617/11.

35- هذا لفظ ابن حبان: كتاب الهبة، باب: ذكر خبر خامس من يصرح بترك استعمال

الايثار للمرء في النّحل بين ولده. رقم: 5106 (505/11) وأخرجه مسلم: كتاب الهبات، باب

كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، (رقم 1623): ص 877.

36- ينظر: - ابن عبد البر: التّمهيد: 227/7 - القرطبي: المفهم لما أشكل من تلخيص

مسلم: 587/5 - ابن العربي: عارضة الأحوذ: 127/6 - ابن دقيق: إحكام الأحكام:

167/2 - الشّوكاني: نيل الأوطار: 184/11.

المكروه، أو يرى الشهادة عليه خروجاً عن الاحسن، وقصوراً عن أولى الأشياء به فيتوقاه، أو لكونه ﷺ الإمام الحاكم ترك ذلك؛ لأن شأنه الحكم لا الشهادة، فيكون تركه للشهادة ترك تنزه لا تحريم⁽³⁷⁾.

ورد مخالفتهم على توجيههم هذا بأن ظاهر اللفظ والقرائن المحتفة به تدل على أن هذا ليس إذنًا في الشهادة، وإنما هو زجر عنها، فامتناعه عن الشهادة وتسميته جوراً، وتصريحه أنه لا يشهد إلّا على حق وأمره بردها - كما جاء في ألفاظ الحديث الأخرى - كلّ هذا يقوي جانب التحريم، وشهادة تركها النبي ﷺ كيف لمسلم أن يتحملها بعده، هذا ما لا يجوز بحال، ولا يردّ الحديث بمثل هذه الاحتمالات، خاصة وأن مثل هذا معهود في نصوص الوحيين، ومنه قوله ﷺ: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: 15] وقوله أيضاً: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: 40]. وفي الحديث: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»⁽³⁸⁾ فمقصود هذه النصوص التنفير والوعيد، وإن كان ظاهرها الإذن والأمر⁽³⁹⁾.

وأما قولهم: إنّه ترك الشهادة لأنّه الإمام، فتعقّب بأنه لا يلزم من كون الإمام ليس من شأنه أن يشهد أن يمتنع من تحمل الشهادة، ولا من أدائها إذا تعينت عليه، بل الإمام واحد من المسلمين يخاطب بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ [البقرة: 282] وبقوله ﷺ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ» [النساء: 135]⁽⁴⁰⁾.

- وشاهد آخر للجمهور في هذه الرواية، وهي قوله ﷺ: «أيسرك أن يكونوا لك في البرّ سواء؟» فظاهر هذا أنّه أمر بالتسوية بينهم لئلا يقع منهم تقصير،

37- ينظر: ابن عبد البر: التمهيد: 227/7 - المازري: المعلم بفوائد مسلم: 230/2 - الطحاوي: شرح معاني الآثار: 84/4 - التهانوي: إعلاء السنن: 7355/15.

38- أخرجه البخاري: كتاب الأدب باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت (رقم 5769): 2268/5.

39- ينظر: - ابن حزم: المحلى: 145/9 - ابن العربي: المسالك شرح موطأ مالك: 450/6 - القبس شرح الموطأ: 938/3 - تفسير القرطبي: 215/6 - ابن دقيق: إحكام الأحكام: 167/2.

40- ينظر: المحلى: 146/9 - فتح الباري: 164/5 - نيل الأوطار: 184/11 - المجموع: 342/16.

وهذا سياق البر واللطف لا سياق الوجوب والحثم، يوضحه أن الاستواء في البر ليس واجباً على الأولاد؛ لكونه معنى ليس بمقدورهم قياسه وتقديره، وإنما يجب عليهم أصل البر، وإلا كلفوا ما لا يطيقون، فلا تجب التسوية بينهم على الآباء⁽⁴¹⁾.

والجواب عن هذا: أن هذا القول منه ﷺ بيان لعل أمره بالتسوية بينهم، وتنبية على مدخل المفسدة الناشئة عنه، وهو: العقوق، الذي هو أكبر الكبائر، ويؤكد هذا المعنى الألفاظ الأخرى كقوله: «سو بينهم»، و«هذا جور»، «اتقوا واعدلوا بين أولادكم»⁽⁴²⁾.

- الدليل الثاني: استدلو بأثار عن الصحابة عليهم الرضوان فيها تخصيص بعضهم بعض ولده بالعطية، ومن ذلك حديث عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: "إن أبا بكر الصديق كان نحلها جادَ عشرين وسقاً من ماله بالغابة، فلما حضرته الوفاة قال: والله يا بنية ما من الناس أحد أحب إلي غنى بعدي منك، ولا أعز علي فقر بعدي منك، وإني كنت نحلتك جاد عشرين وسقاً، فلو كنت جدتيه واحتزتيه كان لك، وإنما هو اليوم مال وارث، وإنما هما أخواك وأختاك؛ فاقسموه على كتاب الله"⁽⁴³⁾، وعن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قطع ثلاثة رؤوس أو أربعة لبعض ولده دون بعض⁽⁴⁴⁾، وعن القاسم بن عبد

41- ينظر:- الماززي: المعلم بفوائد مسلم: 230/2- ابن العربي: عارضة الأحوذى: 127/6- التهانوي: إعلاء السنن: 7354/15.

42- ينظر:- القرطبي: المفهم لما أشكل من تخلص كتاب مسلم: 585/5- 586- ابن حجر: فتح الباري: 164/5- الشوكاني: نيل الأوطار: 185/11- المطيعي: تكملة المجموع: 343/16.

43- الموطأ: كتاب الاقضية، باب ما لا يجوز من النحل (رقم: 1443): 188/2- ومن غريب الحديث:- جاد: بمعنى محدود، أي نخل يجد منه ما يبلغ عشرين وسقاً، - الوسق: هو الحمل ويقدره الشرع بستين صاعاً - جدتيه: بفتح الجيم والدال الأولى واسكان الثانية: قطعتيه، - احتزتيه: بإسكان الحاء والزاي بينهما تاء مفتوحة أي حزتيه. ينظر- ابن الأثير: النهاية في غريب الأثر: 244/1

44- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب الهبات، باب ما يستدل به على أن أمره بالتسوية... على الاختيار دون الوجوب، (رقم: 12363): 178/6- وابن حزم في المحلى: 144/9

الرَّحْمَنُ الْأَنْصَارِيُّ أَنَّهُ كَانَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه إِذَا اشْتَرَى أَرْضًا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ الْأَرْضُ لِابْنِي وَاقِدٍ فَإِنَّهُ مُسْكِينٌ، نَحَلَهُ إِيَّاهَا دُونَ وَلَدِهِ ⁽⁴⁵⁾، وَرَوَى عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَيْضًا أَنَّهُ فَضَلَ بَنِي أُمِّ مَكْتُومٍ زَوْجَهُ دُونَ وَلَدِهِ مِنْ غَيْرِهَا ⁽⁴⁶⁾، فَهَذِهِ الْأَثَارُ عَنْهُمْ تَدُلُّ عَلَى جَوَازِ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ، وَلَمْ يَنْكَرْ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْأَصْحَابِ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ ⁽⁴⁷⁾.

وَرَدَّ هَذَا الْأَسْتِدْلَالُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

- الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّهَا ضَعِيفَةٌ لَا تَقُومُ بِهَا حُجَّةٌ كَمَا هُوَ شَأْنُ الرَّوَايَةِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - ⁽⁴⁸⁾
- الْوَجْهُ الثَّانِي: مَا صَحَّ مِنْهَا كَحَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَعَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَعَلَى فَرَضِ صِحَّةِ مَا ضَعَفَ مِنْهَا - فَهِيَ مُؤَوَّلَةٌ إِذْ يَحْتَمَلُ أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدْ نَحَلَ أَوْلَادَهُ الْآخَرِينَ نَحْلًا يَعَادِلُ مَا ذَكَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ خَصَّصُوا بَعْضُهُمْ بِهِ، أَوْ أَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ الْآخَرِينَ يَرْضَوْنَ بِذَلِكَ ⁽⁴⁹⁾.
- الْوَجْهُ الثَّلَاثُ: أَنَّهُ لَا حُجَّةَ فِي أَفْعَالِ الصَّحَابَةِ إِذَا عَارَضَتْ الْمَرْفُوعَ؛ لِأَنَّهُ لَا حُجَّةَ لِأَحَدٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَلْفَا مَا بَلَغَ ⁽⁵⁰⁾.
- الدَّلِيلُ الثَّلَاثُ: مِنَ الْقِيَاسِ حَيْثُ قَالُوا: انْعَقِدَ الْإِجْمَاعُ عَلَى جَوَازِ عَطِيَةِ الرَّجُلِ جَمِيعَ مَالِهِ لَغَيْرِ وَلَدِهِ، مَعَ أَنَّ هَذَا أَدْعَى لِلْعَقُوقِ، وَالْحُجَّةُ فِيهِ عَلَى الْأَبِّ

45- أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الْمَوْضِعِ نَفْسَهُ، وَابْنُ حَزْمٍ كَذَلِكَ.

46- أَخْرَجَهُ الطَّحَاوِيُّ: فِي شَرْحِ "مَعَانِي الْأَثَارِ" كِتَابَ الْهَبَةِ بَابَ الرَّجُلِ يَنْحَلُ بَعْضُ بَنِيهِ دُونَ بَعْضٍ 88/4 وَابْنُ حَزْمٍ فِي الْمَحَلِّ: 144/9.

47- يَنْظُرُ: - ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: التَّمْهِيدُ: 226/7 - الْمَوَارِدِيُّ: الْحَاوِي الْكَبِيرُ: 545/5 - الطَّحَاوِيُّ: شَرْحُ مَعَانِي الْأَثَارِ: 88/4 - ابْنُ مَلْقَنٍ: الْإِعْلَامُ بِفَوَائِدِ عَمَدَةِ الْأَحْكَامِ: 194/4.

48- ضَعَّفَ ابْنُ حَزْمٍ الرَّوَايَةَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ، لِأَنَّهَا مِنْ طَرِيقِ ابْنِ لَهْيَعَةَ، قَالَ: "وَهُوَ سَاقِطٌ"، وَضَعَفَ الرَّوَايَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ بِالْإِثْقَاعِ يَنْظُرُ: ابْنُ حَزْمٍ: الْمَحَلِّ: 149/9.

49- يَنْظُرُ: - الْمَازَرِيُّ: الْمَعْلَمُ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ: 230/2 - الْقُرْطُبِيُّ: الْمَفْهَمُ لِمَا أَشْكَلَ مِنْ تَخْلِيصِ كِتَابِ مُسْلِمٍ: 587/5 - ابْنُ حَجَرٍ: فَتْحُ الْبَارِيِّ: 164/5 - الشُّوْكَانِيُّ: نَيْلُ الْأَوْطَارِ: 185/11.

50- يَنْظُرُ: ابْنُ حَزْمٍ: الْمَحَلِّ: 148/9 - ابْنُ حَجَرٍ: فَتْحُ الْبَارِيِّ: 164/5 - الشُّوْكَانِيُّ: نَيْلُ الْأَوْطَارِ: 185/11.

أكبر، فإذا جاز له أن يخرج جميع ولده عن ماله جاز له أن يخرج بعضهم عنه دون بعض⁽⁵¹⁾.

ونوقش هذا الدليل من وجهين:

- الوجه الأول: إبطال الأصل الذي بنوه عليه - بردّ دعوى الإجماع - فالمسألة خلافية، قال النووي: "قال القاضي: [يقصد القاضي عياض المالكي] جَوَزَ جمهور العلماء وأئمة الأمصار الصدقة بجميع ماله، وقيل يرد جميعها، وهو مروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل: ينفذ في الثلث وهو مذهب أهل الشام، وقيل: إن زاد على النصف ردت الزيادة، وهو محكي عن مكحول، وقال أبو جعفر الطبري، ومع جوازه فالمستحب أن لا يفعله وأن يقتصر على الثلث"⁽⁵²⁾ أهـ.

- الوجه الثاني: ردّ القياس لكونه قياساً في مقابلة النص، ولا يصحّ القياس مع وجود النص⁽⁵³⁾.

- الدليل الرابع: من التّظر والمعقول فقالوا: الأصل جواز أن يتصرف الإنسان في ماله مطلقاً يصنع به ما يشاء، وهذا ما يشهد له حديث: «كلّ ذي مال أحقّ بماله»⁽⁵⁴⁾، وعلى هذا فلأب أن يعطيه من يشأ من بنيهِ و يمنع من يشأ⁽⁵⁵⁾.

- وقد سبق هذا الدليل عينه في المسألة السالفة، والجواب ثم هو الجواب هنا، حيث قال القرطبي: "الأصل الكلّي والواقعة المعينة المخالفة لذلك الأصل لا

51- ينظر:- ابن عبد البر: التمهيد: 230/7 - ابن العربي: عارضة الأخوذي: 127/6 - التّهانوي: إعلاء السنن: 7358/15.

52- النووي: شرح مسلم: 125/7

53- ينظر:- ابن حجر: فتح الباري: 164/5 - الشّوكاني: نيل الأوطار: 186/11 - المطيعي: تكملة المجموع: 343/16.

54- سبق تخريجه.

55- ينظر:- أبو العباس القرطبي: المفهم: 586/5 - أبو عبد الله القرطبي: تفسير القرطبي: 215/6

تعارض بينهما كالعموم والخصوص، وفي الأصول أن الصحيح بناء العام على الخاص" أهـ⁽⁵⁶⁾.

2- أدلة القول الثاني ومناقشتها :

استدل أصحاب هذا القول بالسنة والنظر كما يلي:

أ- السنة:

- الدليل الأول: حديث النعمان بن البشير رضي الله عنه السابق بألفاظه المختلفة، ومحل الشاهد من اللفظ الذي سبق ذكره، قوله ﷺ: «أشهد على هذا غيري، هذا جور»، فأمره له بالإشهاد ليس على ظاهره، بل المقصود به التهديد والتنفير الشديد، بقرينة تسميته جوراً، والجور حرام لا يجوز إمضاؤه في دين الله تعالى، وحاشاه ﷺ أن يبيح لأحد الشهادة على ما أخبر أنه جور.⁽⁵⁷⁾

وردة الجمهور هذا بأن قالوا: الأصل في كلام الشارع أن لا يحمل على التهديد بل الأمر يفيد الوجوب فإن صرفته القرائن فإلى التدب ثم إلى الإباحة والاذن، وليس كل جور حرام؛ لأن الجور هو الحيد عن القصد، والميل عن الاستواء، والخروج عن الاعتدال، فهو جور سواء كان حراماً أو مكروهاً، ونحن نقول بکراهة التفضيل دون تحريمه⁽⁵⁸⁾.

- الدليل الثاني: هو نفس حديث النعمان، ولكن بألفاظه الأخرى:

- اللفظ الأول: جاء في رواية لمسلم - فقال له رسول الله ﷺ: «أفعلت هذا بولدك كلهم؟» قال: لا، قال: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم»، فرجع أبي فرد تلك الصدقة⁽⁵⁹⁾.

56- القرطبي أبو عبد الله: تفسير القرطبي: 215/6، وينظر: المفهم لما أشكل من تخلص كتاب مسلم: 587/5.

57- ينظر: ابن حزم: المحلى: 145/9- ابن القيم: حاشية على سنن أبي داود: 334/9- ابن الملقن: التوضيح لشرح الجامع الصحيح: 321/6- الإعلام بفوائد عمدة الأحكام: 194/4.

58- ينظر: - النووي: شرح مسلم: 67/66/11- الثهانوي: إعلاء السنن: 7354/15.

59- أخرجه مسلم: كتاب الهبات، باب الكراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة: (رقم: 1242/3).

وجه الدلالة منه: أن قرن الأمر بالتسوية بالأمر بالتقوى مؤذن بأن التسوية تقوى، وأنّ خلافها ليس بتقوى⁽⁶⁰⁾، وفعل ما ليس بتقوى حرام. ولم أجد للجمهور جواباً على هذا الإيراد إلّا قول العدوي المالكي: "ولا يخفى أن الحديث ظاهر في القول بالحرمة، ويمكن الجواب عن هذا: بأنّه ورد في رواية أخرى ما يدلّ على عدم الحرمة⁽⁶¹⁾".

- اللفظ الثّاني: في رواية أخرى قال النّعمان - وهو يخطب- انطلق بي أبي إلى رسول الله ﷺ يشهده على عطية أعطانيها، فقال: «هل لك بنون سواه؟» قال: نعم، قال: «سوّ بينهم»⁽⁶²⁾، وتؤيده الرواية السابقة، إذ جاء فيها: «واعدوا في أولادكم»، ورواية الطحاويل حديث النّعمان وفيها: «سوّوا بين أولادكم في العطية، كما تحبّون أن يسوّوا بينكم في البر»⁽⁶³⁾، ويؤكد حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «سوّوا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء»⁽⁶⁴⁾.

وجه الدلالة منها بين فهذه أوامر، والأمر يقتضي الوجوب؛ فوجب التسوية بينهم في العطية⁽⁶⁵⁾.

وناقش الجمهور هذا الدليل من وجهين:

- 60- ينظر: - ابن دقيق العيد: إحكام الأحكام: 167/2 - السّفاريني: كشف اللثام شرح عمدة الأحكام: 78/5 - ابن الملّقن: الإعلام بفوائد عمدة الأحكام: 194/4.
- 61- العدوي: حاشية على كفاية الطالب الربّاني: 527/3.
- 62- أخرجه أحمد (رقم: 18429): 377/30 - وأخرجه النّسائي واللفظ له: كتاب النّحل، باب ذكر الاختلاف النّاقلين الحديث النّعمان (رقم: 3686): 262/6 وابن حبان: كتاب الهبة، باب ذكر الأمر بالتسوية بين الأولاد في النّحل (رقم: 5099): 498/11.
- 63- شرح المعاني الآثار: كتاب الهبة، باب الرّجل ينحل بعض بنيّه دون بعض، (رقم 5836): 86/4.
- 64- أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، كتاب الهبات، باب السّنة في التسوية بين الأولاد (رقم: 12357): 177/6 - الطبراني في الكبير: (رقم: 11997): 354/11 وقال الحافظ في تلخيص الحبير: "وفي إسناد سعيد بن يوسف وهو ضعيف، وذكر ابن عدي في "الكامل" أنّه لم يرو له أنكر من هذا". ه تلخيص الحبير: 168/3، ومع هذا حسن الحافظ هذا الحديث في الفتح: 163/5.
- 65- ينظر: - الموفق ابن قدامة: المغني: 257/8 - ابن حزم: المحلى: 148/9.

- الوجه الأول: أن الأمر لا يكون دائما للوجوب، بل إذا سلم من القرينة الصّارفة له عن ذلك، وهاهنا ثمّ قرائن تصرف هذه الأوامر من الوجوب إلى النّدب، كأمره ﷺ لأبي النّعمان أن يشهد غيره، وبمقارنة التّسوية بينهم في العطية، باستواء برهم به⁽⁶⁶⁾، وقد سبق بيانه.
- الوجه الثّاني: نسلم أنّ الأمر للوجوب، فليكن للوجوب أيضا في قوله: «أشهد على هذا غيري»، فالذي صرف هذا عن الوجوب هو الذي صرف قوله: «سووا بين أولادكم - سوّ بينهم» عن الوجوب⁽⁶⁷⁾.
- اللفظ الثّالث: ما رواه البخاري عن النّعمان ﷺ أن أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ، فقال: «إني نحلّت ابني هذا غلاما، فقال: «أكلّ ولدك نحلّت مثله؟»، قال: لا قال: «فأرجعه»،⁽⁶⁸⁾ وفي رواية: «فأردده» بدل فأرجعه⁽⁶⁹⁾، ووجه الدّلالة منها أيضا واضح فأمر النّبي ﷺ برد هذه العطية وارتجاعها دليل على بطلانها وعدم جوازها.⁽⁷⁰⁾
- وجواب الجمهور عن هذا كجوابهم السّابق أنّ الأمر مصروف عن الإيجاب إلى النّدب وليس على ظاهره⁽⁷¹⁾.

ب- المعقول:

- الدّليل الثّالث: وهو دليلهم من المعقول والنّظر، حيث قالوا: إن تفضيل بعضهم وتخصيصه، يؤدّي إلى التّباعد والتّشاحن، ويورث العداوة وقطيعة

66- ينظر:- التّهانوي: إعلاء السّنن: 15/7355 - 7356.

67- المرجع السّابق: 15/7349.

68- أخرجه البخاري: كتاب الهبة، باب الهبة للولد (رقم: 2446): 2/9013-مسلم: كتاب الهبات، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، (رقم 1623): 3/1241.

69- أخرجه مسلم، كتاب الهبات باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة (رقم: 1623): 3/1241 - أحمد (رقم: 18382): 30/332.

70- ينظر:- ابن رشد: بداية المجتهد: 4/2024 - 2025- الموفق ابن قدامة: العدة شرح العمدة في فقه أحمد: ص213.

71- ينظر:- التّهانوي: إعلاء السّنن: 15/7356.

الرَّحْمَ بينهم، ويدفعهم إلى العقوق، وكلّ هذا حرام، وما يؤدّي إلى الحرام فهو حرام ممنوع.⁽⁷²⁾

وأجاب الجمهور عن هذا الدليل من أوجه:

- الوجه الأول: إذا سلّمنا بهذا التحليل، فيلزمكم القول بجواز التّفضيل بينهم سرّاً، بحيث لا يطلع على الهبة ولا يعلم إلا الموهوب له فتسلم من هذا المحذور.

- الوجه الثّاني: يلزمكم على هذا التّعليل كذلك أن توجبوا التّسوية بين سائر الاقارب من الأخوة والاخوات وأولاد البنين البنات، ولم يقل بذلك أحد، مع أن التّفضيل بينهم يورث الوحشة والعداوة أيضاً⁽⁷³⁾.

3- أدلة القول الثّالث:

لم أعثر لأصحاب هذا القول على أدلة استقلّوا بها في خصوص الاستدلال لقولهم، خاصّة وأن قولهم فرع عن القول الثّاني الذي ذهب أصحابه إلى وجوب التّسوية وتحريم التّفضيل؛ لأنّ محصل هذا القول أن التّفضيل محرّم ابتداءً، ولا يجوز إلّا إذا دعا إليه داع، وعليه فقد اعتمدوا أدلة القائلين بالتحريم، وخصّصوها بالأحكام العامة والنّصوص الكلية والقواعد الإجمالية التي تجعل لأصحاب الحاجات الذين ذكروهم خصوصية ومزيداً اهتماماً، كما حملوا فعل الصّديق مع عائشة، وفعل عمر مع ولده واقد، وفعل غيرهم من الصّحابة - رضي الله عنهم أجمعين -، الذي جاء عنهم تفضيل بعض بنينهم في العطية على هذا المعنى؛ فتفضيل الصّديق لعائشة - رضي الله عنهما - لفضلها ومقامها، وتفضيل ابن عمر لولده واقد لحاجته ومسكنه كما جاء صريحاً في الحديث هكذا.

ثالثاً - التّرجيح:

بعد عرض الأقوال وأدلتها ومناقشتها يتبيّن مدى الإشكال الحاصل في هذه المسألة، والذي مرّده إلى اختلاف ألفاظ حديث⁽⁷⁴⁾ أصل هذا الباب وعمدته،

72- ينظر:- الموفق ابن قدامة: المغني: 257/8 - التّنوخي: الممتع شرح المقنع: 3/192 - القرطبي: تفسير القرطبي: 6/215.

73- ينظر:- الثّهانوي: إعلاء السّنن: 15/7348.

74- ينظر:- المازري: المعلم بفوائد مسلم: 2/230 - القرطبي: المضم لما أشكل من تخليص كتاب مسلم: 4/484.

والذي يظهر لي- والله أعلم- أن القول الثالث أقوم قبلاً وأهدى سبيلاً، ذلك أن القول به يجنب تأويل الألفاظ الظاهرة بالتحريم الواردة في روايات حديث النعمان من جهة، ويراعي الحالات الخاصة التي تشهد لها أدلة أخرى، وتوجب لها خصوص اهتمام، ومزيد عناية من جهة أخرى، أمّا القول الأول ففي بعض تأويلاته تكلف لا يخفي كتأويلهم لقوله ﷺ: «أشهد على هذا غيري» بأنه إذن في الإشهاد وقد مرّ الكلام عليه، ثم ما قد يؤدي إليه من تشاحن وبغضاء بين الأولاد يخالف مقاصد التبرعات التي من مقاصدها تحقيق المحبة والمودة وتقوية روابط الإخاء، وأمّا القول الثاني فإنه يهدر الأحكام والنصوص العامة والقواعد الكلية التي تقضي لأصحاب الحاجات الخاصة أو الفضل الزائد، ولأصحاب الفسوق والعصيان والعقوق من الأبناء بأحكام خاصة مجازاة أو معاقبة، والله أعلم.

وعليه فإنني أقترح أن تضاف مادة لقانون الأسرة تتناول هذه المسألة وتوضح حكمها توضيحاً بيّناً، حتى يصير قانوناً ملزماً للجميع، فنغلق بذلك أبواباً من الشقاق والنزاع التي تعصف بالأسر وتهز أركان المجتمع.

المبحث الثالث

مسائل مكملّة لمسألة التسوية بين الأبناء في الهبة

هذا المبحث تذييل وتكميل للمبحث السابق، فحتى يكتمل الكلام على مسألة التسوية بين الأبناء في الهبة والعطية لا بدّ من إجمال الحديث عن مسائل متعلّقة بها تطرح نفسها، أهمها ما يلي: كيف يسوّي الأب بين أبنائه في العطاء، هل بمراعاة حكم الميراث (للدّكر مثل حظ الأنثيين) أم بالقسمة على الرّؤوس دون التّفريق بين الإناث والدّكور؟ وهل هذا الحكم خاص بالأب أم هو ملزم للأبوين؟ أي هل حكم الأم كحكم الأب في هذه المسألة؟ وهل يلحق الأقارب غير الأبناء بالأبناء في هذا الحكم أم هو خاص بعلاقة الوالد بأبنائه المباشرين فقط؟ وهذا ما سأوضحه في النقاط الآتية:

أولاً- المسألة الأولى: كيفية التسوية بين الأبناء في الهبة:

اختلف الفقهاء في كيفية التسوية والعدل بين الأبناء في الهبات والعطايا، (على القول بالجوب أو الاستحباب) على قولين:

أ- القول الأول: ذهب الجمهور: مالكية وشافعية، وأبو يوسف من الحنفية- والفتوى عندهم على قوله- إلى أن التسوية بينهم تكون بإعطاء الإناث ما يعطي الذكور سواء بسواء، وذهب إلى هذا أيضا: الثوري وابن المبارك والظاهرية، وهو رواية عن أحمد⁽⁷⁵⁾.

واستدلوا بظاهر حديث الثَّعْمَانِ إذ جاء فيه الأمر بالتسوية مطلقا: "سوَّ بينهم"، من غير تفصيل. ويحدث ابن عباس الذي سبق، وفيه: "سوَّا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء"⁽⁷⁶⁾.

واستدلوا من المعقول بأن قالوا: أنَّ في التسوية تأليف القلوب، والتفضيل بين الذكور والإناث يورث الوحشة بينهم فكانت التسوية أولى⁽⁷⁷⁾.

ب- القول الثاني: ذهب أحمد وإسحاق ومحمد بن الحسن وابن شعبان⁽⁷⁸⁾ من المالكية إلى أنَّ صفة التسوية تكون على حسب قسمة الموارث، للذكر مثل حظ الأنثيين، وهذا قول عطاء وشريح أيضا⁽⁷⁹⁾.

واستدلوا بالقياس، حيث قاسوا الهبة على الموارث؛ لأنَّ الهبة هي تعجيل لما يصل إليهم بعد الموت فأشبه الميراث فأخذ حكمه، فقاسوا حال الحياة على حال الموت⁽⁸⁰⁾.

75- ينظر:- الشيخ نظام: الفتاوى الهندية: 391/4- قاضي خان: فتاوى قاضي خان: 279/3- ابن عبد البر: الاستذكار: 22/297- التمهيد: 7/234- النووي: روضة الطالبين: 4/440- الهيثمي: تحفة المحتاج: 6/309- ابن مفلح: الفروع: 7/413- ابن حزم: المحلى: 9/142

76- سبق تحريج الحديثين قريبا، وينظر: إككام الأحكام: 2/167.

77- ينظر:- الكساني: بدائع الصنائع: 6/127.

78- هو محمد بن القاسم بن شعبان أبو إسحاق القرطبي، انتهت إليه رئاسة المالكية بمصر في زمنه، وهو أحفظهم للمذهب، مع التَّفَنُّنِ في سائر العلوم من الخبر والتَّأْرِيخ والأدب، في تدين وورع، وكان كثير الرواية، مليح التَّأْلِيف، شيخ الفتوى وحافظ البلد، من كتبه: "الرَّاهِي الشَّعْبَانِي"، و"الأحكام القرآن" وغيرها، توفي رحمه الله، عام: 355 هـ الديباج المذهب: 2/194.

79- ينظر:- السرخسي: المبسوط: 12/56- القرطبي: المفهم لما أشكل تليخيص الكتاب سلم: 4/485- المازري: المعلم بفوائد مسلم: 2/230- الزركشي: شرح الزركشي على الخرقى: 2/264- العكبري: رؤوس المسائل الخلافية: 2/857.

ومن المعقول أيضا، فقالوا: القصد من العطية صلة الرحم، والتسوية بين الذكر والأنثى تؤدي إلى التباغض بينهم والتقاطع، لأنّ الذكور يقولون: كان هذا المال سينتقل إلينا بعد موته على التفضيل، وما يؤدي إلى هذه الحال يمنع منه⁽⁸¹⁾.

ولكن القياس على المواريث قياس مع الفارق؛ لأنّ قسمة المواريث متوقفة على الموت، والهبة عطية حال الحياة فافترقا، فلا يحمل أحدهما على الآخر، ولأنّهما بابان مختلفان قواعد ومقاصد فلا تقاس أحكامهما على بعضها.⁽⁸²⁾ والقول بأنّ التسوية بينهم تورث التباغض بين الذكور والإناث غريب، بل العكس هو الصحيح كما تقدم⁽⁸³⁾.

فمذهب الجمهور في هذه الجزئية أرجح على مذهب مخاليفهم، والله أعلم.

ثانيا- المسألة الثانية: إلحاق غير الأب به في حكم التسوية بين الأبناء في الهبات والعطايا:

قال الإمام النووي في هذه المسألة: "وإذا وهبت الأم لأولادها، فهي كالأب في العدل بينهم في كلّ ما ذكرناه، وكذلك الجد والجدة، وكذا الابن لوالديه"⁽⁸⁴⁾؛ لأنّ الأم والجد والجدة من الوالدين، والحديث جاء بلفظ: "اعدلوا بين أولادكم" فيشملهم حكمه؛ لأنّ ما ينتج عن تخصيص الوالد لبعض ولده من التشاحن والتباغض والحسد والعقوق يوجد مثله في تخصيص الأم وتخصيص الجد والجدة أيضا، فيثبت لهم نفس حكم الأب⁽⁸⁵⁾.

ثالثا- المسألة الثالثة: إلحاق غير الأبناء من الأقارب بالأبناء في حكم التسوية في الهبات والعطايا:

-
- 80- ينظر:- التَّنُوخِي: الممتع شرح المقنع: 192/3.
- 81- ينظر:- العكبري: رؤوس المسائل الخلافية: 857/2.
- 82- ينظر:- ابن العربي: عارضة الأحوذِي: 128/6- التَّهَانُوي: إعلاء السُّنَنِ: 7359/15-7360.
- 83- ينظر:- الكاساني: بدائع الصَّنَائِع: 127/6.
- 84- ينظر:- النووي: روضة الطالبين: 440/4.
- 85- ينظر:- الموفق ابن قدامة المغني: 260/8- 261- الشَّمْس ابن قدامة: الشَّرح الكبير: 71/17-72.
-

إذا وهب المرء لأقاربه من غير أبنائه، كإخوة وأخوات وأعمام وبنين عم وغيرهم، هل هو مطالب بالتسوية بينهم - إيجاباً أو ندباً على الخلاف الذي مرّ - كما هو الحال مع الأبناء أم لا؟ في ذلك قولان:

أ- القول الأول: ليس على المرء التسوية بين سائر أقاربه في أعطياته؛ لأنّ الحديث ورد في الأبناء خاصّة، فلا يقاس غيرهم عليهم لمفارقتهم إياهم في العلاقة، ومخالفتهم في القرب، ولأنّ الإنسان حرّ في تصرفه في ماله، وخصص الحديث تصرفه فيه في هبته لأولاده، ويبقى تصرفه مع غيرهم على أصله⁽⁸⁶⁾.

ب- القول الثاني: ذهب بعض الشافعية وبعض الحنابلة إلى إلحاق سائر الأقارب بالأبناء في الحكم، قالوا: لأنّهم في معنى الأبناء، فثبت فيهم مثل حكمهم، ذلك أن الحكم في الأبناء بالتسوية كان خوف قطيعة الرّحم والتّباعد، وهذا موجود في الأقارب أيضاً،⁽⁸⁷⁾ واستدلّوا بحديث: «حقّ كبير الإخوة على صغيرهم حقّ الوالد على ولده»⁽⁸⁸⁾، ويحدث: «الأكبر من الإخوة بمنزلة الأب»⁽⁸⁹⁾، ولكنهما حديثان ضعيفان، وقياس الأقارب على الأبناء قياس مع فارق لا يخفى، فالأولى قصر الحكم على مورد النص، والله أعلم.

86- ينظر: - التّنوخي: الممتع شرح المقنع: 193/3 - الهيتمي: تحفة المحتاج: 308/6-

الشربيني: الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع: 653/3.

87- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان "من طريق سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده: (رقم: 7929) 210/6 وضعفه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، ينظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (بهامش إحياء علوم الدين): 195/2.

88- أخرجه الطبراني: في المعجم الكبير عن كليب الجهيني (رقم: 450): 200/19 والبيهقي في شعب الإيمان، (رقم: 7930): 210/6 وقال الهيتمي: "رواه الطبراني، وفيه الواقدي وهو ضعيف" - مجمع الزوائد: 272/8.

89- ويعبر عنه فقهاء المالكية بالاعتصار، قال ابن فارس: "الرأ والجيم والعين أصل كبير مطرد منقاس يدل على رد وتكرار، تقول: رجع يرجع رجوعاً، إذا عاد "ه- مقاييس اللغة: ص 372. وقال الفيومي: "أرجع في هبته إذا أعادها إلى ملكه وارتجعها واسترجعها كذلك "ه- المصباح المنير: 220/1 وقال ابن منظور في الاعتصار: "يعتصر: يرجع، واعتصر العطية ارتجعها "ه- لسان العرب: 239/9. فهما بمعنى واحد في اللغة، أمّا اصطلاحاً، فعرف الإمام ابن عرفة الاعتصار بقوله: "ارتجاع المعطي عطية دون عوض لا بطوع المعطي" ه- الرّصاع: شرح حدود ابن عرفة: ص 559.

الخاتمة -

أوجز خلاصة هذا البحث في ذكر ما ترجّح عندي في المسائل التي تناولتها، في النقاط الآتية:

- الراجع- والله أعلم وأحكم- هو القول بعدم جواز تصدّق المرء بماله كلّهُ؛ لأنّ الصدقة إنّما تكون عن ظهر غنى، والأولوية في المال والتنفقات إنّما هي لمن يعول صاحب المال.

- الراجع- والله أعلم وأحكم- أنّ التّفصيل بين الأولاد في الهبة، إن كان لسبب أو معنى يقتضي التّخصيص والتّفصيل جاز ذلك من غير كراهة.

- الراجع- والله أعلم وأحكم- في كيفية التّسوية والعدل بين الأبناء في الهبات والعطايا، أنا لتّسوية بينهم تكون بإعطاء الإناث ما يعطي الذّكور سواء بسواء.

- الراجع- والله أعلم وأحكم- إلحاق الأم والجد والجدة بالأب في حكم التّسوية بين الأبناء في الهبات والعطايا.

- الراجع- والله أعلم وأحكم- عدم إلحاق غير الأبناء من الأقارب بالأبناء في حكم التّسوية في الهبات والعطايا.

ولا بأس أن أذكر بتوصيتي الواردة في ثانيا البحث، القاضية باقتراح أن تضاف مادة لقانون الأسرة تتناول مسألة التسوية بين الأبناء في الهبات والعطايا، وتوضّح حكمها توضيحا بيّنا، حتى يصير قانوناً ملزماً للجميع، فنغلق بذلك أبواباً من الشّقاق والنّزاع التي تعصف بالأسر وتهزّ أركان المجتمع.

والحمد لله على فضله وتوفيقه أولاً وأخيراً، بدءاً وختماً، وصلى الله على سيدنا إمام الفقهاء وأستاذ العلماء وخاتم المرسلين والأنبياء وسلّم تسليمًا كثيرًا.

قائمة المراجع

- الأبّي صالح بن عبد السمیع الأزهری: **ثمر الدانی شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، المكتبة الثقافية، بيروت
- أحمد بن حنبل: **المسند**، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط/ 2، 1420هـ، 1999م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ابن الأثير: **جامع الأصول**، تح: عبد القادر الأرئؤوط وبشير عيون، ط/ 1، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان.
- **النهاية في غريب الأثر**، تح: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، 1399هـ / 1979م، المكتبة العلمية، بيروت.
- البخاري: **الجامع الصحيح**، تح: مصطفى ديب البغا، ط / 3 ، 1407هـ، 1987م، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت.
- ابن بطل: **شرح صحيح البخاري**، تح: ياسر بن إبراهيم، ط/ 2/ 1423هـ / 2003م، مكتبة الرشد، الرياض.
- البيهقي: **السنن الكبرى**، ط / 1344 هـ، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد، الهند
- **شعب الإيمان**، تح: عبد العلي حامد، ط/ 1، 1423هـ، 2003م، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية
- الترمذي: **جامع الترمذي**، تح: مشهور إسماعيل، ط/ 1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
- التنوخي عثمان بن أسعد ابن المنجي: **الممتع في شرح المقنع**، تح: عبد الملك دهيش ط/ 3/ 1424 هـ، 2003 م، مكتبة الأسد، مكة المكرمة.
- **التهانوي: إعلاء السنن**، ط / 1، 1423 هـ، 2001م، دار الفكر، دمشق، سوريا.
- **التعالي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تح: علي معوض وعادل عبد الموجود، ط/ 1/ 1418 هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن جزي: **القوانين الفقهية**، تح: ماجد الحموي، ط/ 1، 1434هـ، 2013م، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
- ابن حبان: **صحيح ابن حبان (بترتيب ابن بلبان)**، تح: شعيب الأرنؤوط، ط / 1، 1408 هـ، 1988 م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- **الحجاوي: زاد المستنقع في اختصار المقنع**، تح: عبد الرحمن العسكر، ط / 1424هـ، مدار الوطن، السعودية
- ابن حجر: **فتح الباري**، ط/ 2/ 1402هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **تلخيص الحبير**، ط/ 1419هـ، 1989م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن حزم: **المحلى**، بدون طبعة وبدون تاريخ، دار الفكر، بيروت.
- ابن دقيق: **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، تح: الفقي، 1372هـ، 1953م، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة.

- أبو داود: سنن أبي داود. تح: مشهور أسلمان، ط: 1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
- ابن رشد الجد: البيان والتحصيل. تح: محمد حجي وآخرون، ط: 2، 1408 هـ. 1988 م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- ابن رشد الحفيد: بداية المجتهد. تح: عبد الله العبادي، ط: 1، 1416 هـ. 1995 م، دار الإسلام، القاهرة
- الرصاع: شرح حدود ابن عرفة. تح: محمد أبو الأجنان وصاحبه، ط: 1، 1993 م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- الزركشي: شرح الزركشي على الخرقى. ط: 1، 1413 هـ. 1993 م، دار العبيكان، السعودية.
- زروق: شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، تح: أحمد فريد المزيدي، ط: 1 / 1427 هـ. 2006 م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السرخسي: المبسوط، صححه مجموعة من العلماء، ط: 1409 هـ. 1989 م، دار المعرفة، بيروت. لبنان.
- الشربيني: الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، تح: مكتبة البحوث والدراسات لدار الفكر، ط: 1415 هـ. بيروت، لبنان.
- الشيخ نظام: فتاوى الهندية. ط: 2، 1310 هـ، دار صادر، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، بيروت. لبنان.
- شيخي زاده: مجمع الأنهر. تح: خليل المنصور، ط: 1419 هـ / 1998 م، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان.
- الشيرازي: المذهب في فقه الإمام الشافعي. تح: زكريا عميرات، ط: 1 / 1416 هـ، 1996 م، دار الكتب العلمية. بيروت لبنان
- الشوكاني: نيل الأوطار. تح: محمد حلاق. ط: 1 / 1427 هـ. دار ابن الجوزي. الدمام. السعودية.
- الطبراني: المعجم الكبير. تح: حمدي عبد المجيد السلفي، ط: 2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.
- الطحاوي: شرح معاني الآثار. تح: محمد النجار ومحمد جاد الحق، ط: 1 / 1414 هـ. 1994 م، عالم الكتب، بيروت.
- ابن عابدين: رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين)، تح: عادل عبد الموجود وصاحبه، ط: 1، 1423 هـ. 2003 م، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية.
- ابن عبد البر: التمهيد: ت: العلوي والبكري. ط: 2 / 1402 هـ. 1982 م، مؤسسة قرطبة.
- الاستذكار: تح: سالم عطا وصاحبه، ط: 1 / 1421 هـ. 2000 م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- العدوي: حاشية على كفاية الطالب الرباني، تح: محمد تامر، الثقافة الدينية بالقاهرة، مصر.
- العراقي: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (بها مش إحياء علوم الدين).
- ابن العربي: عارضة الأحوذى. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- القبس شرح الموطأ. تح: ولد كريم. ط: 1 / 1992 م. دار الغرب الإسلامي. بيروت.
- المسالك شرح موطأ مالك. تح: السليمانيان. دار الغرب، ط: 1 / 1428 هـ. 2007 م. بيروت.
- العكبري: رؤوس المسائل الخلافية. تح: عبد الملك دهيش، ط: 1 / 1428 هـ، مكتبة الأسد، مكة المكرمة.

- العيني: شرح سنن أبي داود، تح: خالد المصري ط1/ 1420 هـ - 1999 م، مكتبة الرشد، الرياض.
- ابن فارس: مقاييس اللغة. تح: أنس الشامي، ط/ 1429 هـ. 2008 م دار الحديث، القاهرة، مصر.
- ابن فرحون: الديباج المذهب. تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، مصر.
- الفيومي: المصباح المنير. دار الحديث، ط/ 1424 هـ. 2003 م، القاهرة، مصر.
- القاضي عياض: إكمال المعلم. تح: يحيى إسماعيل، ط 1/، 1419 هـ. 1998 م، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.
- ابن قدامة شمس الدين: الشرح الكبير. تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/ 1، 1416 هـ. 1995 م هجر للطباعة والنشر، الجيزة. مصر.
- ابن قدامة موفق الدين: المغني. تح: التركي والحلو، ط 3/، 1417 هـ. 1997 م دار عالم الكتب، الرياض.
- القرطبي: الذخيرة، تح: مجموعة أساتذة ط 1/ 1994 م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- القرطبي أبو العباس: المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم. تح: مجموعة أساتذة. ط1/ 1417 هـ. 1996 م. دار ابن كثير. دمشق
- القرطبي أبو عبد الله: تفسير القرطبي. تح: أحمد عبد العليم البردوني، ط 1985 م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- الكساني: بدائع الصنائع. ط/ 2، 1406 هـ. 1986 م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مالك: الموطأ، تح: هاني الحاج. المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر.
- المازري: المعلم بفوائد مسلم. تح: الشاذلي النيفر، ط2/ 1992 م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- الماوردي: الحاوي الكبير، تح: عليم عوض عادل عبد الموجود، ط 1/، 1419 هـ. 1999 م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- مسلم: الصحيح. تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ابن مفلح: الفروع ومعه صحيح الفروع للمرداوي، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي ط1/ 1424 هـ - 2003 م، مؤسسة الرسالة، بيروت
- ابن ملقن سراج الدين عمر بن علي الشافعي: البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير: تح: مصطفى أبو الغيط وصاحبيه. ط1/ 1425 هـ - 2004 م. دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض.
- ابن منظور: لسان العرب. تح: عlishيري. ط 1 / 1408 هـ.
- 1988 م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ابن ناجي قاسم بن عيسى التنوخي القيرواني: شرح الرسالة، تح: أحمد فريد المزيدي، ط 1/ 1428 هـ، 2007 م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان
- النسائي: السنن. تح: مشهوراً لسلمان، ط 1/، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

- النووي: **روضة الطالبيين**: تح: علي معوض وصاحبه، دار عالم الكتب، ط خاصة/1424هـ. 2003م، بيروت.
- **شرح صحيح مسلم**: ط / 1، 1347هـ. 1929م. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **المجموع شرح المهدب**. ط / دارالفكر، بيروت، لبنان.
- الهيتمي أحمد بن محمد بن حجر: **تحفة المحتاج**. طبعة المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
- الهيثم يعلى بن أبي بكر: **مجمع الزوائد**. دارالفكر، ط / 1412هـ بيروت.
- ابن يونس: **الجامع لمسائل المدونة**، تح: مجموعة باحثين، ط 1 / 1434 هـ، 2013 م، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى. السعودية.



مقاصد الإِشهاد في الشريعة الإسلامية

محمد ورنريقي^{2,1} بن زنيد الطيب³

1- قسم العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة، جامعة الأغواط .

2- مخبر الدراسات الإسلامية واللغوية

3- قسم العلوم الإسلامية ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة، جامعة الأغواط .

Ouarniki2007@yahoo.fr

ملخص -

أغراض التشريع الإسلامي تعمل على جلب المنافع ودرء المفساد، والنظر في الشاهد كعنصر للمساعدة في ذلك. ولها غرض للحفاظ على الحقوق، وإقامة العدل، وتطبيق الأحكام، والحفاظ على الأنفس، والأموال ومنع الظلم والإيذاء، من أجل إقامة الأمن في مجتمع يسوده الهدوء والأمن. لذلك سنناقش في هذه المقالة أهم الأهداف التي حققها الشاهد

الكلمات المفتاحية -

مقاصد - الإِشهاد - الشريعة الإسلامية - الحقوق العدل - الأنفس -

الأمن - الظلم - الإيذاء

The Purposes Of Attestation In Islamic Law

Abstract-

The Islamic Law Purposes Working On Bringing Benefits And Warding Off Evil, Theconsideration Of The Witness As An Element To Help Of That?It Has Purposefor The Preservation Of Rights , Administration Of Justice, Apply The Rulings, And Maintenance Selves, And Fundsand To Prevent Injustice And Abuse, For The Establishment Of Security In Society Tranquility Prevails And The Goodness. So In This Article, We Will Discuss The Most Important Objectives Achieved By The Witness

Key Words -

Purposes – Attestation – Islamic Law,
Rights Justice , Self - Security ,Injustice,Abuse

❖ مقدمة -

إن من نعم الله على العباد أن أرشدهم إلى شريعة صالحة لكل زمان ومكان، قاعدتها جلب الإصلاح بشتى أنواعه ومختلف صورته، ودرء الفساد بجميع أنواعه وكافة أشكاله، وهذا ما يتجسد في مقاصد الشريعة الإسلامية. وإن من جوانب هذه الشريعة المباركة الجانب القضائي في الإسلام الذي تعتبر أحكام القرآن الكريم والسنة المطهرة مورداً معيناً ومصدراً غنياً لمقومات بنائه وركائز أسسه تمدُّ البشرية بكل الحلول الناجعة والطرق الحكيمة لمواجهة كل مستحکم واجتياز كل عقبة لعلاج المشاكل مهما كانت وحل الصعاب مهما عظمت وفق قواعد ثابتة وكمليات متينة تواكب كل عصر وتوسع كل جديد، ولهذا فalcضاء في الشريعة الإسلامية يركز على أصول جامعة وقواعد كلية ذات عمق في تحصيل مصالح العباد ودرء الشرور والفساد لتحفظ لهم الحقوق وتجلب لهم الأمن وتنشر العدل في شتى صور حياتهم ومناشطها المختلفة، ومن هنا فإن الاشهاد وسيلة من وسائل الإثبات التي تساهم في عرض ما تتضمنه أحكام الشريعة الغراء في الجانب القضائي، والتي تحقق مقاصد الشريعة من حفظ

لحقوق الناس ورفع مظالمهم وإنصاف مظلومهم وقضاء حاجتهم بشكل منظم مستقيم في أوجز وقت، وبيسر وسهولة.

للشريعة الإسلامية مقاصد تعمل على جلب المصالح ودرء المفسدات وباعتبار الإشهاد عنصر من العناصر المساعدة على ذلك فإن له مقاصد لحفظ الحقوق، وإقامة العدل، وتطبيق الأحكام، وصيانة الأنفس، والأعراض، والأموال، ومنع الظلم والاعتداء، وليستتب الأمن في المجتمع وتسود الطمأنينة ويعم الخير، لذا فسأتناول في هذا البحث أهم المقاصد التي يحققها الإشهاد.

❖ تعريف المقاصد لغة:

المقاصد جمع مقصد مشتق من الفعل قصد يقصد قصداً ، وللقصد في اللغة معاني عدة منها:

- استقامة الطريق: وعليه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾¹ ، أي تبين الطريق المستقيم قال ابن جرير الطبري: « القصد من الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه»²

- القصد: العدل³ ، وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: «القصد القصد تبليغوا»⁴ أي عليكم بالقصد في الأمور كلها قولية كانت أو فعلية. فالعنى اللغوي للمقاصد هو إتيان الشيء والتوجه إليه دون زيغ أو انحراف.

❖ تعريفها اصطلاحاً:

لم يكن مصطلح المقاصد متداولاً في العصور القديمة بهذا اللفظ ، وأما بالنسبة للمعنى فكان موجوداً ، وهذا من خلال ما تقتضيه مصالح الأمة في الأحكام المستنبطة من النصوص واجتهاد أهل العلم ، فعدم وجود تصريح لنازلة أو واقعة من الوقائع ، من هذا وتتبعاً للمصلحة الشرعية يتم من خلاله تقرير هذا الحكم.

ولقد حوت نصوص قدماء الأصوليين هذا المصطلح كما جاء في قول للأمدى - رحمه الله -:

«إن المقصود من شرع الحكم إما جلب مصلحة أو دفع مضرّة أو مجموع الأمرين بالنسبة إلى العبد لتعالى الرب عن الضرر والانتفاع»⁵.

- أما في العصر الحديث ، والفترات الماضية القريبة ، فأصبح علماً يُقال له علمُ المقاصد مستقلاً يدرس ويبحث فيه عدّة جوانب التبعية والقضائية وفقه الأسرة، فاحتوته الكتب والرسائل في التأليف، حيث وضعت له اللبنة الأولى من قبل العلماء الذين كان من بينهم الإمام الشاطبي - رحمه الله - .

وأما العلماء المعاصرين فنذكر منهم: محمد الطاهر بن عاشور، نور الدين الخادمي، علال بن عبد الواحد الفاسي... وغيرهم.

وفي التعريف الاصطلاحي للمقاصد فسندكر جملة من التعاريف التي عرفها به مجموعة من العلماء، مع العلم أننا سندكر كل تعاريف العلماء وسنورد التعاريف التي اختارها بعض الدكاترة في مذكراتهم والمستعملة في الدراسة الأكاديمية على هذا التقدير.

1 - **الشيخ محمد الطاهر بن عاشور:** عرفها بأنها «أما علم مقاصد الشريعة فهو عبارة عن الوقوف على المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها. وتدخل في ذلك أوصاف الشريعة وغاياتها العامة، والمعاني التي لا يخلو التشريع من ملاحظتها. وكذلك ما يكون من معانٍ من الحكم لم تكن ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها»⁶.

2 - **عرفها علال الفاسي:** فكان ضمن تعريفه بأنها: «الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها»⁷.

وهو تعريف جامع لمقاصد الشريعة العامة والخاصة والظاهر أن هذا التعريف أعتمد في سياقه على تعريف ابن عاشور.

- **عرفها عبد الوهاب خلاف** بقوله: «والمقصد العام للشارع من تشريعه الأحكام هو تحقيق مصالح الناس بكفالة ضرورياتهم، وتوفير حاجياتهم وتحسينياتهم»⁸.

4 - **أما الإمام الشاطبي** فنذكر أقسام المقاصد لا تعريفها وذلك في قوله: «تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: أحدها: أن تكون ضرورية، والثاني: أن تكون حاجية، والثالث أن تكون تحسينية»⁹.

- تعريف أحمد الريسوني فكان قوله: «هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد»¹⁰

رغم اختلاف هذه التعاريف في ألفاظها وصيغها فهي تشير إلى المجهودات التي قام بها العلماء في تحديد ماهية المقاصد الشرعية التي جاء في مضمون تعريفاتها أنها الأوضاع المترتبة في جماعة المسلمين على الالتزام بأحكام التشريع الإسلامي التزاما صحيحا.

❖ أهمية علم المقاصد:

علم المقاصد هو الخطوة الأساسية التي ينطلق منها أهل العلم في طريق الاجتهاد ، للوصول إلى الأحكام التي توافق مراد الشارع ، ولا يكون تقرير أي حكم إلا بعد تحديد مقصود الشارع منه ويرتبط علم المقاصد بالمصالح التي يراعيها الشارع الحكيم ارتباطا وثيقا إذ انه يمكن القول ان المقاصد هي المصالح . كما للشريعة مقاصد تبعية تتمثل في أحكام وجزئيات منوطة بمصلحة الإنسان ، فهي ضابط من ضوابط الأحكام الاجتهادية التي لم يرد فيها نص ، فمتى يعلم المجتهد أن من مقاصد الشرع التيسير والتخفيف ورفع الحرج على سبيل المثال فنجد المجتهد يأخذ ذلك ضمن المعطيات التي تجعله يستنبط الأحكام من النصوص والوقائع المستجدة ، وخاصة مع تجدد الوقائع مع مرور الأزمان ، فكل يوم تستجد فيه حادثة.

تمتاز الشريعة بأنها صالحة لكل زمان ومكان ، ونجد هذا المعنى ما يدل عليه في قول المولى عز وجل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾¹¹.

لا بد للمجتهد من أن يكون على اطلاع واسع ، ونظر ثاقب ، بمقاصد الشريعة حتى يتسنى له الوقوف ، والتمعن ، والتدقيق في مراد الشارع الحكيم . يقول الإمام الجويني: «ومن لم يتفطن لوقوع المقاصد في الأوامر والنواهي فليس على بصيرة في وضع الشريعة»¹².

❖ أنواع المقاصد:

لوجوب توضيح الصورة حول المقاصد ، لابد من بيان أنواعها ، وهذا لأن أهل العلم ذكروا تقسيمات متنوعة للمقاصد كل حسب تصوره لها.

فقد بادر الإمام الشاطبي والطاهر ابن عاشور بتقسيم المقاصد إلى قسمين (مقاصد للشارع) و(مقاصد للمكلف) وقسمها الشاطبي أيضا تقسيما آخر وهو قسمان: مقاصد أصلية ومقاصد تبعية كل ضمن مرجعية اتبعها.

❖ تعريف الشهادة:

أولا: لغة: الشهادة من فعل "شهد" ¹³.

ومن معانيها في اللغة: الخبر القاطع والشهادة بمعنى الموت ، والتشهد في الصلاة، وكلمة التوحيد ، والحضور والمعينة ، والإقرار ، واليمين والقسم...
التشهد في الصلاة كما جاء في الحديث ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «إن رسول الله كان يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن» ¹⁴.
الشهادة: كلمة التوحيد «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» وتسمى الشهادتين.

الشهادة: بمعنى المعينة ، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِذَا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ ¹⁵
الشهادة: بمعنى القسم واليمين. كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ¹⁶

الشهادة: بمعنى الإقرار كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ ¹⁷

ثانياً- التعريف الاصطلاحي: سوف نذكر في هذا التعريف الذي عرفه فقهاء الأئمة الأربعة وابن حزم الظاهري.

تعريف الحنفية: « إنها إخبار صدق لإثبات حق بلفظ الشهادة في مجلس القضاء» ¹⁸.

تعريف المالكية: « بأنها إخبار حاكم عن علم ليقضي بمقتضاه» ¹⁹.

تعريف الشافعية: « الإخبار بحق للغير بلفظ أشهد ، وقال بعضهم: هي إخبار عن شيء بلفظ خاص» ²⁰.

تعريف الحنابلة: « الإخبار بما علمه بلفظ أشهد أو شهدت» ²¹.

تعريف الظاهرية: « كل من سمع إنساناً يخبر بحق لزيد عليه إخباراً صحيحاً »²²

يقول الشوكاني: « أن الشهادة لفظ مطلق تشمل الجانب العقدي والجانب الفقهي القضائي »²³

❖ أدلة مشروعيتها:

أولاً - من القرآن الكريم: جاء ذكر نصاب الشهادة في مواضع خمس في القرآن الكريم فنجد:

1 - في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾²⁴.

وجه الدلالة في هذه الآية على مشروعية الشهادة: أنها أمانة أن الشخص ملزم بأدائها كسائر الأمانات وإنما خص القلب بالإثم ، لأنه موضوع العلم بها.²⁵

2 - قال الله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾²⁶.
قال الجصاص في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾. أن هذا أمراً بإقامة الشهادات عند الحكام على الحقوق كلها²⁷.

ثانياً: السنة النبوية

1- ثم إنَّ الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ خَرَجَ إِلَيْنَا، فَقَالَ مَا يُحَدِّثُكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: فَحَدَّثَنَا، قَالَ: فَقَالَ: صَدَقَ، لَفِيَّ وَاللَّهِ أَنْزِلْتُ، كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ خُصُومَةٌ فِي بَيْتٍ، فَاخْتَصَمْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «شَاهِدَاكَ أَوْ يَمِينُهُ»، قُلْتُ: إِنَّهُ إِذَا يَحْلِفُ وَلَا يَبْأَلِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَسْتَحِقُّ بِهَا مَالًا، وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ»²⁸.

وجه الدلالة من طلب رسول الله ﷺ من المدعي اثبات حقه بشهادة الشهود، وهذا يدل على أنها إحدى وسائل الإثبات في القضاء²⁹.

2 - ما روي عن زيد بن خالد الجهمي أنه سمع النبي: «خير الشهداء من أدى شهادته قبل أن يسألها».

وجه الدلالة أن رسول الله يخبر عن خير الشهداء وأكملهم ثوابا عند الله وهو الذي يأتي لأداء الشهادة قبل أن يطلب ويسأل منه ، لأن بها تحمى الحقوق من الضياع وبتركها تعطل بعض الأحكام³⁰ .

3 - عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي قال: «البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه»³¹ .

وجه الدلالة: «البينة تشمل الشهادة كنوع من أنواع البينة فتكون إحدى الطرق التي يتم بها الإثبات»³² .

ثالثاً- الإجماع :

انعقد الإجماع من لدن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى هذا اليوم على اعتبار الشهادة وسيلة من وسائل الإثبات مستنداً على ما جاء من نصوص القرآن والسنة النبوية³³

رابعا: المعقول: العقل يحكم بأن الإنسان بحاجة إلى الشهادة وذلك بوجود الحاجة الداعية إلى ذلك ، ولوجود التخاصم والنزاعات بين الناس فلا بد من حجة تلزم الطرفين بالحق ، فمن خلالها يتم فض النزاعات ، وإيصال الحقوق إلى أصحابها³⁴ .

• تكمن أهمية الشهادة في إثبات الحقوق الشرعية للناس وحفظها لهم ،
فلهذا حثت الشريعة على أداء الشهادة واعتبار ذلك واجباً تمليه نصوص الشرع
ففي قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾،
وقال تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾³⁵، وقال عز وجل:

﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾³⁶ .

• وفي مقابل هذا حذر الشارع من كتمان الشهادة وقال سبحانه وتعالى
:﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾³⁷ .

• بل ورهب الشارع الكريم من شهادة الزور وجعلها في مرتبة الإشراف بالله واعتبرها من أكبر الكبائر، وهدد مرتكبها بالويل والثبور، فقال رسول الله: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراف بالله، وعقوق

الوالدين وكان متكئاً فجلس، وقال ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت»⁴.

♦ شروطها :

الشهادة ركيزة من ركائز الحكم ، فيها تقضى الحقوق وتقرر الأحكام ، ويتركها تعم الفوضى والظلم وتتعلل الأحكام وتضيع الحقوق وكما أنها ركن من أركان الحكم فهي تقوم هي الأخرى على أركان وهي:
أولاً: أركان الشهادة: عند جمهور الفقهاء خمسة³⁷:

1 - الشاهد .

2 - المشهود له .

3 - المشهود عليه .

4 - المشهود به .

5 - الصيغة .

ثانياً- شروط الشهادة: تنقسم شروط الشهادة إلى شروط تحمل وشروط

أداء.

أ) شروط تحمل:

1 - أن يكون الشاهد عاقلاً فلا تصح من مجنون وصبي لا يعقل ، لأن المقصود في التحمل: الضبط والتمييز والفهم ، وهذا لا يتم إلا من عاقل وهو قول الجمهور³⁸.

2- البصر فلا تصح شهادة الأعمى عند الحنفية وقال المالكية والشافعية والحنابلة ونفر من الحنفية بصحة شهادة الأعمى فيما يجري فيه التسامع إذا تيقن بأنه صوت فلان³⁹.

3- العلم فيجب أن يكون الشاهد على علم فيما يتحمل معاينته أو تسامعا فيما يصح في التسامع⁴⁰.

ب) شروط الأداء: وتنقسم هذه الأخيرة إلى:

1 - شروط الشهادة نفسها⁴¹.

- أن تكون بلفظ أشهد .

- أن تكون موافقة للدعوى .

- أن تكون في مجلس القضاء.

2- شروط تختص بالمشهود عليه.

- أن يكون المشهود عليه معلوما فلا تقبل في المجهول.

- كون المشهود عليه منفعة أو مالا متقوما شرعا.

3 - شروط تتعلق بالشاهد: ⁴²

يشترط في الشاهد شرائط عامة في كل الشهادات، وشرائط خاصة ببعض أنواع الشهادات.

أما الشرائط العامة فهي ما يأتي:

ج) الشرائط العامة:

1 - أهلية العقل والبلوغ: يشترط أن يكون الشاهد عاقلاً بالغاً باتفاق

الفقهاء، فلا تقبل شهادة من ليس بعاقل إجماعاً، مثل المجنون والسكران والطفل؛ لأنه لا تحصل الثقة بقوله، ولا تقبل شهادة صبي غير بالغ؛ لأنه لا يتمكن من أداء الشهادة على الوجه المطلوب، لقوله تعالى:

﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ﴾ ⁴³

وقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوْيَ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ ⁴⁴.

وأما شهادة الصبيان بعضهم على بعض، فتجوز عند الإمام مالك في الجراح وفي القتل، خلافاً لجمهور الفقهاء، بشرط أن يتفقوا في الشهادة، وأن يشهدوا قبل تفرقهم، وألا يدخل بينهم كبير.

2 - الحرية: اتفق الحنفية والمالكية والشافعية على أن الشاهد يشترط فيه أن يكون حراً، فلا تقبل شهادة رقيق، لقوله تعالى: ﴿ضَرْبَ اللَّهِ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ ⁴⁵، ولأن الشهادة فيها معنى الولاية، وهو لا ولاية له.

وقال الحنابلة والظاهرية: تقبل شهادة العبد، لعموم آيات الشهادة، ولأن العبودية ليس لها تأثير في الرد، وقيدتها الحنابلة فيما عدا الحدود والقصاص.

3 - الإسلام: اتفق الفقهاء على اشتراط كون الشاهد مسلماً، فلا تقبل

شهادة الكافر على المسلم؛ لأنه متهم في حقه، وأجاز الحنفية والحنبلية شهادة الكافر في الوصية في السفر، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ

غَيْرِكُمْ⁴⁶»، وأجاز الحنفية خلافاً للجمهور شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض إذا كانوا عدولاً في دينهم، وإن اختلفت مللهم كاليهود والنصارى، لما روى ابن ماجه عن جابر بن عبد الله: «أن النبي صلى الله عليه وسلم أجاز شهادة أهل الكتاب بعضهم على بعض» وفي بعض رجاله مقال.

ولا تقبل شهادة الحربي المستأمن على الذمي؛ لأنه لا ولاية له عليه؛ لأن الذمي من أهل ديارنا، وهو أعلى حالاً منه. وتقبل شهادة الذمي على الحربي المستأمن، كما تقبل شهادة المسلم عليه وعلى الذمي. وتقبل شهادة المستأمنين بعضهم على بعض إذا كانوا أهل دار واحدة.

4 - البصر: يشترط عند أبي حنيفة ومحمد والشافعية: أن يكون الشاهد مبصراً، فلا تقبل شهادة الأعمى؛ لأنه لا بد من معرفة المشهود له والإشارة إليه عند الشهادة، ولا يميز الأعمى بين الناس إلا بنغمة الصوت، وفيه شبهة؛ لأن الأصوات تتشابه. وتشدد الحنفية فمنعوا قبول شهادة الأعمى وإن كان بصيراً عند تحمل الشهادة.

وأجاز المالكية والحنابلة وأبو يوسف شهادة الأعمى إذا تيقن الصوت؛ لعموم الآيات الواردة في الشهادة، ولأنه رجل عدل مقبول الرواية، فقبلت شهادته كالبصير، ولأن السمع أحد الحواس التي يحصل بها اليقين، ولهذا أجاز الشافعية شهادة الأعمى فيما يثبت بالاستفاضة. كما أجازوا أن يكون شاهداً في الترجمة؛ لأنه يفسر ما سمعه بحضرة الحاكم، وسماعه كسماع البصير.

5 - النطق: اشترط الحنفية والشافعية والحنابلة أن يكون الشاهد ناطقاً، فلا تقبل شهادة الأخرس، وإن فهمت إشارته؛ لأن الإشارة لا تعتبر في الشهادات؛ لأنها تتطلب اليقين، وإنما المطلوب التلفظ بالشهادة.

وأجاز المالكية قبول شهادة الأخرس إذا فهمت إشارته؛ لأنها تقوم مقام نطقه في طلاقه ونكاحه وظهاره، فكذا في شهادته.

6 - العدالة: اتفق العلماء على اشتراط العدالة في الشهود، لقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذُوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾⁴⁷، فلا تقبل شهادة الفاسق كالزاني والشارب والسارق ونحوهم، وكذا مجهول الحال، وروي عن أبي يوسف:

أن الفاسق إذا كان وجيهاً في الناس، ذا مروءة، تقبل شهادته؛ لأنه لا يستأجر لشهادة الزور لوجهته، ويمتنع عن الكذب لمروءته.

وقال جمهور الحنفية: لا تقبل شهادة الفاسق مطلقاً، إلا أن القاضي لو قضى بشهادة الفاسق نفذ قضاؤه، ويكون القاضي عاصياً.

7- **عدم التهمة:** أجمع الفقهاء على أن التهمة ترد بها الشهادة. والتهمة: أن يجلب الشاهد إلى المشهود له نفعاً أو يدفع عنه ضرراً، فلا تجوز شهادة الوالد لولده وولد ولده ولا شهادة الولد لأبويه وأجداده، ولا شهادة الخصم لخصمه. والخصم: كل من خاصم في حق، فلا تقبل شهادة الوكيل لموكله، ولا الموصى له للميت أو الموصى عليه: وهو اليتيم في حجره ورعايته، ولا الشريك لشريكه في أمور الشركة؛ لأنها شهادة لنفسه من وجه لاشتراكهما في الشركة. فلو شهد الشريك بما ليس من شركتهما تقبل شهادته لانتفاء التهمة، وأجاز المالكية شهادة الشريك.

(د) الشروط الخاصة:

وأما الشرائط الخاصة ببعض الشهادات دون بعض، فأهمها ما يأتي:

1 - **العدد في الشهادة** بما يطلع عليه الرجال، لقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾⁴⁸، وذلك في الحقوق المدنية، مالا كان الحق، أو غير مال، مثل النكاح والطلاق والعدة والحوالة، والوقف، والصلح، والوكالة، والوصية، والهبة، والإقرار، والإبراء، والولادة، والنسب، فهذه الحقوق تثبت عند الحنفية بشهادة رجلين أو رجل وامرأتين. وقبول شهادة المرأة هنا لتوافر أهلية الشهادة عندها: وهي الشهادة والضبط والأداء. والسبب في جعل المرأتين في مقام رجل في الشهادة: هو نقصان الضبط بسبب زيادة النسيان، كما في قوله تعالى: ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾. وقال الشافعية والمالكية والحنابلة: لا تقبل شهادة النساء مع الرجال إلا في الأموال وتوابعها كالبيع والإجارة والهبة والوصية والرهن والكفالة؛ لأن الأصل عدم قبول شهادة النساء لغلبة العاطفة عليهن، واختلال ضبط الأمور، وقصور الولاية على الأشياء. أما ما ليس بمال ولا يقصد منه المال ويطلع عليه الرجال

كالنكاح والرجعة والطلاق والوكالة وقتل العمد والحدود سوى حد الزنا، فلا يثبت إلا بشاهدين ذكرين، ولما روى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل» وعن الزهري أنه قال: «جرت السنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفين من بعده ألا تقبل شهادة النساء في الحدود والدماء» قال الشافعية: فدل النص على الرجعة والنكاح والحدود، وقسنا عليها كل ما لا يقصد به المال ويطلع عليه الرجال.

وفي حد الزنا: أجمع العلماء على أنه لا يثبت بأقل من أربعة شهود رجال عدول أحرار مسلمين، لقوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نُسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا⁴⁹﴾.

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أربعة شهود، وإلا حد في ظهرك».

وفي سائر الحدود الأخرى والقصاص اتفق الجمهور على أنها تثبت بشهادة رجلين لقوله تعالى: ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾، ولا تقبل فيها شهادة النساء لا مع رجل، ولا مفردات.

وقال الظاهرية: تقبل شهادة النساء مع رجل في الحدود إذا كان النساء أكثر من واحدة، عملاً بظاهر الآية: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾

وأما ما لا يطلع عليه إلا النساء، فتقبل فيه شهادة النساء، لما روي: «أن النبي صلى الله عليه وسلم أجاز شهادة القابلة» ولما رواه عبد الرزاق في مصنفه عن الزهري، قال: «مضت السنة أن تجوز شهادة النساء فيما لا يطلع عليه غيرهن، من ولادات النساء وعيوبهن».

واختلف في تحديد تلك الحالات، فقال الحنفية: تقبل شهادة النساء في الولادة والبكارة وعيوب النساء في موضع لا يطلع عليه الرجال، ولا تقبل شهادتهن منفردات على الرضاع؛ لأنه يجوز أن يطلع عليه محارم المرأة من الرجال، ولا تقبل شهادتهن عند أبي حنيفة على استهلال الصبي بالنسبة للإرث؛ لأن الاستهلال صوت الصبي عند الولادة، وهو مما يطلع عليه الرجال، فلا تكون

شهادتهن فيه حجة، لكن تقبل شهادتهن في صلاة الجنازة على المولود؛ لأن الصلاة من أمور الدين، وشهادتهن فيها حجة كشهادتهن على هلال رمضان.

وقال الصحابان: تقبل شهادتهن على الاستهلال بالنسبة للإرث أيضاً؛ لأن الاستهلال صوت عند الولادة، ولا يحضرها الرجال عادة، فصار كشهادتهن على نفس الولادة. وهو الرأي الأرجح عند الكمال بن الهمام صاحب فتح القدير.

وقال المالكية والشافعية والحنابلة: تقبل شهادة النساء منفردات فيما لا يراه الرجال غالباً كبكرة وثيوبه وولادة وحيض ورضاع واستهلال ولد، وعيوب نساء تحت الثياب، كجراحة ورتق وقرن وبرص وانقضاء عدة، ودليلهم خبر الزهري السابق ذكره، ويقاس ما لم يذكر في الخبر على ما ذكر فيه مما شاركه في الضابط المذكور من ولادة وعيوب النساء.

واختلفوا في العدد المشترط في شهادة النساء منفردات:

فقال الحنفية والحنبلية: تقبل شهادة امرأة واحدة عدل.

وقال المالكية: يكفي امرأتان. وقال الشافعية: ليس يكفي أقل من أربع نسوة؛ لأن الله عز وجل قد جعل عدل الشاهد الواحد امرأتين، واشترط الاثنتين.

2 - الاتفاق في الشهادتين عند التعدد: يشترط اتفاق الشهادتين فيما يطلب فيه العدد، فإن اختلفت الشهادة لم تقبل؛ لأن اختلاف الشهادتين مثلاً يوجب اختلاف الدعوى. والاختلاف يكون في جنس المشهود به، وفي قدره، وفي الزمان والمكان ونحوها.

أما الاختلاف في الجنس: فقد يكون في العقد كأن يشهد أحدهما بالبيع والآخر بالميراث أو بالهبة، وقد يكون في المال كأن يشهد أحدهما بمكيل والآخر بموزون فلا تقبل الشهادة، لاختلاف العقدين، أو لاختلاف الجنسين.

وأما الاختلاف في القدر: فهو أن يدعي رجل على آخر ألفي درهم، ويثبت ادعائه بالبينة، فيشهد له شاهد بألفين، والآخر بألف، فلا تقبل الشهادة عند أبي حنيفة؛ لأنه يشترط اتفاق الشاهدين باللفظ والمعنى، وهنا اختلف الشاهدان لفظاً؛ لأن أحدهما مفرد، والآخر مثنى، واختلاف الألفاظ أفراداً وتثنية يدل على اختلاف المعاني الدالة عليها، فكان كلام كل منهما مبيناً لكلام الآخر، فصار كما إذا اختلف جنس المال، وهذا هو الصحيح.

وتقبل هذه الشهادة عند صاحبين على ألف درهم؛ لأن الشاهدين اتفقا على الألف، وتفرد أحدهما بالزيادة، فيثبت الحق فيما اتفقا عليه دون ما تفرد به أحدهما.

وهذا الاختلاف يجري فيما إذا شهد أحد الشاهدين على طليقة، والآخر على طليقتين أو ثلاث، لا تقبل الشهادة عند أبي حنيفة، وتقبل على الأقل عند صاحبين.

واتفق أبو حنيفة مع صاحبيه على أنه إذا كان المدعي يدعي ألفاً وخمس مئة، فشهد أحد الشاهدين على الألف، والآخر على ألف وخمس مئة، تقبل الشهادة على الألف، لاتفاق الشاهدين عليها لفظاً ومعنى؛ لأن الألف والخمس مئة جملتان عطف إحداهما على الأخرى، والعطف يقرر المعطوف عليه ويؤكد، بخلاف الألف والألفين، فليس بينهما حرف العطف.

وأما الاختلاف في الزمان والمكان: فإن كان الاختلاف في الإقرار فتقبل الشهادة؛ لأن الإقرار يحتمل التكرار، فيمكن التوفيق بين الشهادتين بسماع الإقرار في زمانين أو مكانين.

وإن كان الاختلاف في الفعل كالقتل والغصب وإنشاء البيع والطلاق والنكاح ونحوها، فإنه يمنع قبول الشهادة، لاختلافها؛ لأن الأفعال لا تحتمل التكرار، فاختلاف الزمان والمكان فيها يوجب اختلاف الشهادتين، فما لم يوجد على كل حالة شاهدان لا يقبل. فلو شهد شاهدان أن زيداً قتل يوم النحر بمكة، وشهد آخران أنه قتل يوم النحر بالكوفة، لم تقبل الشهادتان للتيقن بكذب إحداهما.

ولو ادعى رجل على آخر قرض ألف درهم، فشهد شاهدان: أحدهما على القرض، والآخر على القرض والقضاء، أي أنه أدى الدين، يقضى بشهادتهما على القرض، ولا يقضى بالأداء في ظاهر الرواية؛ لأن الشهادتين اتفقتا على القرض، فيقضى به، واختلفا في الأداء، فلا يقضى به.

الهوامش

- ¹ سورة النحل الآية 9
- ² محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ت/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م، ج 1، ص 170.
- ³ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط1، ج 2، ص 303.
- ⁴ أخرجه البخاري، حديث (6463)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، 1419 هـ 1998 م 1240 ص
- ⁵ الأمدى، الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1986 م، ج 3، ص 296
- ⁶ محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ت/ محمد الحبيب ابن الخوجة، ط 1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1425 هـ - 2004 م، ج 2/ص 21.
- ⁷ علل الفاسي، مقاصد الشريعة ومكارمها، دار الغرب الإسلامي، ط 5، 1993، ص 3.
- ⁸ عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، دار القلم، ط 20، 1406 هـ - 1986 م، ص 197.
- ⁹ إبراهيم بن اسحاق الشاطبي، الموافقات، دار المعرفة بيروت، ط 3، 1416 هـ، ج 2، ص 324.
- ¹⁰ أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الدار العلمية للكتاب الإسلامي، الرياض السعودية، ط 4، 1419 هـ - 1995 م، ص 19.
- ¹¹ سورة النحل الآية 89
- ¹² عبد الملك الجويني، البرهان في أصول الفقه، دار الوفاء، ت/ صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1418 هـ - 1997 م، ص 206.
- ¹³ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، المؤسسة العربية - بيروت، ج 1 ص 316 - 317 و محمد الزبيدي، تاج العروس، مادة (شهد)، التراث العربي الكويت، 1390 هـ 1970 م ص 253 - 261، محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مادة (شهد)، دار صادر - بيروت ص 238 - 241، سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي، مادة (شهد)، ط 1، دار الفكر - دمشق، 1403 هـ - 1982 م، ص 202.
- ¹⁴ أخرجه ابن ماجه، كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في التشهد.
- ¹⁵ سورة الزخرف الآية 19.
- ¹⁶ سورة النور الآية 6.
- ¹⁷ سورة التوبة 17.
- ¹⁸ كمال بن الهمام، فتح القدير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 1، 1413 هـ/ 1993 م، ص 446.
- ¹⁹ الدسوقي، حاشية الدسوقي، دار الكتب العلمية - بيروت 1418 هـ / 1996 م ج 6، ص 238.

- ²⁰ شمس الدين الشربيني، تحفة الحبيب على شرح الخطيب، ط1 دار الكتب العلمية بيروت، 1417 هـ 1997، ص238.
- ²¹ موفق الدين بن قدامة المقدسي، الكافي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1994 م، ص286 - 287
- ²² ابن حزم الظاهري، المحلى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408 هـ، 1988 م، ج8، ص48.
- ²³ محمد بن علي الشوكاني، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، دار الكتب العلمية بيروت، ط2 1985 م، ج4، ص191.
- ²⁴ سورة البقرة، الآية 283.
- ²⁵ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية - بيروت 1413 هـ 1993 م، ج3، ص286/ ابن قدامة، المغني ج2، ص3.
- ²⁶ سورة الطلاق، الآية 2.
- ²⁷ الجصاص، أحكام القرآن، دار الفكر بيروت، ج3، 1993 م، ص682.
- ²⁸ أخرجه البخاري، كتاب الرهن، باب اذا حلف الراهن والمرتهن، (2515) (2516) ص476.
- ²⁹ ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الكتاب العربي، ط1، 1416 هـ، 1996 م، ج1، ص99.
- ³⁰ ابن قدامة، الكافي، ج4، ص846
- ³¹ أخرجه الترميذي كتاب الأحكام
- ³² شمس الدين السرخسي، المبسوط، ط2، ج8، ص112
- ³³ المرجع نفسه، ج6، ص112
- ³⁴ نفس المرجع والصفحة.
- ³⁵ سورة النساء: من الآية 135.
- ³⁶ سورة البقرة: من الآية 282.
- ³⁷ محمد خطيب الشربيني، مغني المحتاج، ج4 دار الفكر بيروت 1978 م، ص426.
- ³⁸ برهان الدين بن فرحون تبصرة الحكام، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت 1301 هـ، ص163
- ³⁹ المرجع السابق، ص178
- ⁴⁰ شيخ نظام ومجموعة من علماء الهند، الفتاوى الهندية، ط1، دار الكتب العلمية، 1421 هـ، مج2، ج3، ص421
- ⁴¹ كمال ابن، الهمام، فتح القدير، ج6، ص446.
- ⁴² وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر - سورية - دمشق، ط4، ج8، ص173 (186 -

- ⁴³ سورة البقرة من الآية 282.
- ⁴⁴ سورة الطلاق: من الآية 2.
- ⁴⁵ سورة النحل من الآية 16
- ⁴⁶ سورة المائدة من الآية 106
- ⁴⁷ سورة الطلاق: من الآية 2.
- ⁴⁸ سورة البقرة ، الآية 282.
- ⁴⁹ سورة النساء، الآية 15.



العدة وبعض اختلاف أحكامها بين الوفاة والطلاق

مسعودة حداوي¹، كيحول بوزيد²

1- كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية

2- كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة غرداية

¹hmessaouda7@gmail.com

²bouzidkaihoul@hotmail.com

الملخص -

يتناول هذا البحث دراسة لبعض أحكام العدة المتمثلة في الاختلافات الموجودة بين أحكام عدة الوفاة و عدة الطلاق، فكانت خطة البحث مشتملة على مقدمة و مطلبين على النحو التالي :

تناول البحث في القسم الأول من المطلب الأول تعريف العدة و دليل مشروعيتها و الحكمة من تشريع العدة

و القسم الثاني تطرق الباحث فيه إلى أسباب العدة و أنواعها

أما المطلب الثاني فهو دراسة لبعض الاختلافات الموجودة في الأحكام بين عدة الطلاق و عدة الوفاة حيث اختار الباحث أهم هذه الفروقات الحاصلة و المتمثلة في أحكام النفقة و السكنى و الإحداد

و تخلص الدراسة بخاتمة مشتملة على أبرز النتائج المتوصل إليها من البحث

الكلمات المفتاحية -

العدة - اختلاف - أحكام - الوفاة - الطلاق

The « Iddah » And Its Deferent Rules Between Death Or Divorce

Summary-

This Research Contains The « Iddah » Or The « Waiting Period » Rules , And Studies The Deferences Between Death And Divorce , This Work Includes An Introduction And Two Chapters .

In The Section One Of The First Chapter We Find A Definition Of The « Iddah » , Its Lawfulness And Legislation Reasons, The Second Section Analyses The « Iddah » Causes And Types .

The Second Chapter Stady The Deference Between Divorce And Death « Iddah » Rules, Where The Researcher Chose The Most Important Deferences Which Contain : Pension, Residential And Mourning « Hidaad » Rules.

The Conclusion Is A Synthesis Of The Research Results .

Key Words -

Iddah Or Iddat « Waiting Period » - Deference – Rules – Death - Divorce

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خير الأنام عدد عد الحصى و

قطر الندى، وأله وصحبه أجمعين

أما بعد :

اهتمت الشريعة الإسلامية بتوضيح وتبين أحكام الأحوال الشخصية مفصلة لقضاياها وأركانها في آيات محكم التنزيل وفي ما جاء على لسان المصطفى ﷺ ، ومن أهم هذه الأركان عقد الزواج الذي يمثل اللبنة الأساسية في المجتمع ، فأولت اهتماما كبيرا في ضبط أحكامه ودراسة الآثار المترتبة عليه فهو الميثاق الغليظ بين الزوجين ،

ولكن قد يعتري هذا العقد أو هذه الرابطة الزوجية ما يؤدي إلى انحلالها كالطلاق أو انتهائها كالموت، فلم يغفل الشارع وضع أحكام وضوابط منظمة لأثار هذه الفرقة ،و من أهم هذه الآثار المنبثقة عن قطع هذه الرابطة ما يسمى بالعدة ، فالمرأة المتوفى عنها زوجها أو المطلقة مطالبة شرعا بالاعتداد مدة زمنية حددها الشارع حسب الحالات المختلفة للمرأة تمنع فيها من الزواج فتنتظر حتى مضي هذه المدة .فجاء هذا البحث لدراسة ماهية العدة وإبراز أهم أحكامها ؛ وتكمن أهمية هذه الدراسة في كون الكثير من النساء يجهلن أو يغفلن عن العديد من أحكام العدة سواء كانت عدة طلاق أو عدة وفاة وهذا بحكم الواقع الذي نعيشه ؛حيث نجد المرأة إذا توفى عنها زوجها أو طلقها أو كان هناك فسخا للرابطة الزوجية ، لا تدري مالها و ما عليها من أحكام في فترة عدتها ،فالمرأة بحاجة ماسة لمعرفة هذه الأحكام وتبينها لها على الوجه الشرعي الصحيح.

و للوصول إلى الهدف المنشود من هذه الدراسة علينا أن نجيب على مجموعة من التساؤلات تكون محورا لبحثنا

وهي :ما حقيقة العدة؟ وما دليل شرعيتها ؟ وأسباب وجوبها ؟ وهل للعدة

أنواع ؟ إذا كان هناك عدة وفاة

و عدة طلاق هل هناك اختلاف بين أحكامهما ؟

هذا ما سنجيب عنه في بحثنا هذا معتمدين في ذلك على خطة دراسة تنطوي

على المطالب التالية :

المطلب الاول : العدة وأنواعها

الفرع الاول : ماهية العدة

أولا : تعريف العدة

ثانيا : مشروعية العدة

ثالثا: الحكمة من تشريع العدة

الفرع الثاني :سبب العدة وأنواعها

سبب العدة

أنواع العدة

عدة الأقراء

عدة الأشهر

عدة الحمل

المطلب الثاني : بعض الأحكام المختلف فيها بين عدة الوفاة والطلاق

الفرع الاول : أحكام النفقة

عدة الوفاة

عدة الطلاق

الفرع الثاني : أحكام السكنى

عدة الوفاة

عدة الطلاق

الفرع الثاني : أحكام الحداد

عدة الوفاة

عدة الطلاق

المطلب الأول: العدة وأنواعها

الفرع الأول : ماهية العدة

أولا : تعريف العدة :

لغة : مأخوذة من العد والحساب والعد في اللغة هو الإحصاء¹

والعدة مصدر كالعِد والعدة أيضا الجماعة قلت أو كثرت ،تقول رأيت عدة

رجالٍ وعدة نساءٍ

1- الجرجاني، التعريفات للجرجاني ص: 243

يقال انقضت عدة الرجل إذا انقضى أجله وجمعها العدَدُ ، وعدة المرأة : أيام قروئها ، وعدتها أيضا أيام إحدادها على بعْلِها ¹ ، وجمع عدتها عدَدٌ وأصل ذلك كله من العدَد ²

اصطلاحاً :

للعدة تعريفات متعددة لدى الفقهاء ، ولكنها تصب في معنى واحدا وهي على

النحو التالي :

تعريف الحنفية :

عرفها الكاساني : اسم لأجل ضرب لانقضاء ما بقي من آثار النكاح ³

كما عرفها ابن عابدين : تريض يلزم المرأة ، أو الرجل ⁴ عند وجود سببه ⁵.

تعريف المالكية : عرفها ابن عرفة : مدة منع ⁶ النكاح لفسخه أو موت الزوج أو طلاقه ⁷

1- ابن منظور ، لسان العرب ج 7 ، ص: 85

2- ابن منظور ، لسان العرب ج 7 ، ص: 87

3- الكاساني ، بدائع الصنائع ، 4/ 488

4- ذكر ابن عابدين حوالي عشرين موضعا يعتد فيها الرجل أي يمنع من الزواج بسبب حالة المرأة المطلقة أو التي يريد النكاح بها وقد علق على ذلك وقال : (حرمة تزوجه بأختها لا يكون من العدة بل هو حكم عدتها ، ولا شك أن معنى كونه هو أيضا في العدة ، لأن معنى العدة وجوب الانتظار بالتزوج وهو مضى المدة وهو كذلك في العدة غير أن اسم العدة اصطلاحاً خاص بتربصها لا بتربصه) ، ينظر ابن عابدين «رد المحتار على الدر المختار» ، 3/ 503

5- ابن عابدين «رد المحتار على الدر المختار» ، 3/ 502

6- وكلمة منع يراد بها المرأة لا الرجل لأن مدة منع من طلق رابعة من نكاح غيرها لا يقال له عدة لا لغة ولا شرعا ، لأنه لا يمكن من النكاح في مواطن كثيرة كزمن الاحرام أو المرض ، ولا يقال فيه أنه معتد ، ينظر أحمد النفاوي ، فواكه الدواني ، 2/ 91

7- أحمد النفاوي ، فواكه الدواني ، 2/ 91

وفي الدسوقي : هي المدة التي جعلت دليلا على براءة الرحم ،لفسخ النكاح أو موت الزوج أو طلاقه¹

تعريف الشافعية : اسم لمدة تتربص فيها المرأة لمعرفة براءة رحمها ،أو للتعبد أو للتفجع على الزوج²

تعريف الحنابلة: عرفوا العدة شرعا : (التربص المحدود شرعا) يعني هي : مدة معلومة تتربص فيها المرأة لتعرف براءة رحمها وذلك يحصل بوضع حمل أو مضي أقراء أو اشهر³

و عليه فمن التعاريف السابقة نخلص إلى أن العدة هي مدة زمنية محددة شرعا(بوضع حمل أو مضي شهور أو أقراء) تلزم المرأة تتربص فيها دون زواج بسبب طلاق أو فسخ أو وفاة زوج ، لاستبراء الرحم أو للتعبد أو لتفجعها على زوجها .

ثانيا : مشروعية العدة:

العدة واجبة شرعا وقد ثبت ذلك من الكتاب والسنة والإجماع وهي من حيث الجملة معلومة من الدين بالضرورة⁴ من الكتاب :

فقوله تعالى في عدة الطلاق :

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا

الْعِدَّةَ﴾ الطلاق: ١

1- الدسوقي، حاشية الدسوقي 411/3

2- الشرييني، مغني المحتاج، 78/5

3- الباهوتي، كشف القناع عن متن الإقناع، 411/5

4- شهاب الدين بن حجر، تحفة المحتاج بشرح المنهاج، 566/3

و قال تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعُولِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ﴾ البقرة: ٢٢٨

وفي عدة الوفاة:

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ البقرة: ٢٣٤

وفي عدة الصغيرة والأيسة والحامل :

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّتِي بَلَغَتْ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أُرْتَبِتُمْ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ البقرة: ٢٤٠

من السنة النبوية :

جاءت الأحاديث النبوية مبينة لوجوب العدة على المرأة سواء كانت بسبب الوفاة أو الطلاق منها :

ما جاء عن أم حبيبة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحدَّ على ميترٍ فوق ثلاثٍ، إلا على زوجٍ، فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشراً"¹

وعن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن امرأة من أسلمَ يقال لها : سُبَيْعَةُ ، كانت تحت زوجها

توفي عنها وهي حُبلى فخطبها أبو السنابل بن بعكر فأبت أن تنكحه ، فقال : "والله ما يصلح أن تنكحيه حتى تعتدي آخر الأجلين ، فمكثت قريباً من عشر ليالٍ ثم جاءت النبي ﷺ ، فقال : انكحي"²

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه طلق إمرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : "مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ، ثم تحيض ، ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد ، وإن شاء طلق قبل أن يمس ، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء "³ الإجماع :

أجمع علماء الأمة على وجوب العدة على المرأة و لم يخالف أحد في ذلك قال بن قدامة : (وأجمعت الأمة على وجوب العدة الجملة وإنما اختلفوا في أنواع منها)⁴

ثالثاً : الحكمة من تشريع العدة :

1- أخرجه البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب : إحداد المرأة على غير زوجها ، 355/1 ، رقم الحديث 1280

2- أخرجه البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الطلاق باب : ﴿ وَأُولَئِذَا أَتَمَلَّ أَبْهُنَّ أَنْ يَضَعَنَّ حَمْلَهُنَّ ﴾ الطلاق : 4 ، 3 / 562 رقم الحديث 5318

3- أخرجه البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، باب : قوله تعالى : ﴿ بَيِّنَاتٍ لِّلنِّسَاءِ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ﴾ الطلاق : ١ 3 / 539 رقم الحديث 5251

4- ابن قدامة ، المغني لابن قدامة ، 8 / 96

لا يخفى على كل متبحر في علوم الشريعة من توظيفه لمقاصد الشرع في أحكام الشريعة إلا ويجد بحر زاخرا بالحكم المتوخاة من هذه الأحكام ، ولو أسقطنا هذه النظرة على العدة لوجدنا من أبرز حكم مشروعية العدة هي : حكم خاصة بالمعتدة :

امثالها لأمر الله و تطبيق لشرعه لأن العدة لا تخلو من معنى التعبد .
براءة الرحم حتى لا تختلط الأنساب .

حماية المرأة من الأمراض ، لما اكتشف من العلم الحديث أن المرأة تحتاج مدة زمنية هي نفسها مدة العدة حتى

تستطيع استقبال سائل ذكري جديد بدون إصابتها بأذى .¹

حصول المرأة على فرصة من أجل التفكير جيدا في مدة عدتها ليظهر لها عدم صحة طلبها للطلاق ، فتندم على فعلها و تأسف على ما قامت به .
حكم خاصة بالزوج :

احتياط لحق الزوج بصحة نسب الولد .

فرصة للزوج كي يتراجع عن قرار الانفصال فلعله يندم يتمكن من مراجعة زوجته .²

رعاية حق الزوج بإظهار التأثير لفقده بالمنع من التزين و التجميل للمتوفى عنها زوجها .³

حكم خاصة بعقد الزواج :

تعظيم شأن الزواج فكما أنه لا ينعقد إلا بشهود ، لا ينحل إلا بالانتظار طويل الأمد⁴ ورفع قدره وإظهار شرفه .⁵

1- ينظر عبد الله العسيلي، الفروق الفقهية بين الرجل والمرأة، ص: 315

2- ابن القيم، إعلام الموقعين، 33/1

3- ينظر عبد الله العسيلي، الفروق الفقهية بين الرجل والمرأة، ص: 315

4- وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، 7/ 594

5- ابن القيم، إعلام الموقعين، 1/ 35

إظهار الأسف على نعمة الزواج .

حكم خاصة بالزواج الثاني :

دخوله على بصيرة ورحم بريء غير مشغول بولد لغيره ،وهو لا يستقي ماؤه زرع غيره.¹ لحديث الرسول ﷺ

" لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يسقي ماءه زرع غيره " ²

الفرع الثاني :سبب العدة وأنواعها

أولا : سبب العدة : السبب في وجوب العدة على المرأة هو حصول الفرقة بينها وبين زوجها إما بالوفاة أو الطلاق أو الفسخ ³ ،على النحو التالي ⁴ :

إذا كان العقد صحيحا :

وجبت العدة على المرأة إذا كانت الفرقة بسبب الوفاة باتفاق سواء دخل الزوج

بها أم لم يدخل لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَتَوَقَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ

بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۚ ﴾ البقرة: ٢٣٤ لإطلاق الآية وعدم التفريق

بين المدخول بها وغير المدخول بها. ⁵

إذا كانت الفرقة لغير الوفاة ،أي في طلاق ،فإن كان بعد الدخول فعليها العدة إجماعا ،

وإن كان قبل الدخول و لم يختل بها فلا عدة على المطلقة إجماعا ،وإن كان

قبل الدخول مع الخلوة

1- نفس المرجع ، 1 / 37

2- رواه ابو داود، سنن أبو داود ،كتاب النكاح ،باب في وطء السبايا 248/2 رقم 2158

3- كاللعان أو الرضاع

4- ينظر وهبة الزحيلي ،الفقه الإسلامي وأدلته ، 7/ 595- 596 ، ينظر، عبد الله العسيلي ،الفرق الفقهيية بين الرجل والمرأة ، ص: 308- 309

5- ينظر الكاساني ،بدائع الصنائع ،4/ 494 - أحمد النضراوي ،فواكه الدواني ،2/ 94- ينظر بن حجر ،تحفة المحتاج 3/ 578 -

ينظر الباهوتي ،الروض المربع ص: 579

وجبت العدة عليها عند جمهور الفقهاء¹ خلافاً الشافعية فلا تجب العدة عندهم بالخلو²

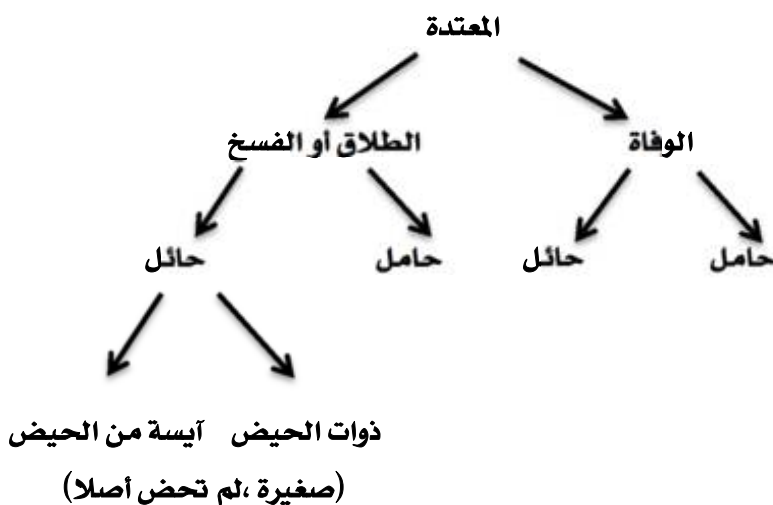
إذا كان العقد فاسداً :

إذا حصلت الفرقة بطلاق أو وفاة وتم دخول حقيقي وجبت العدة اتفاقاً³، أما إذا اختلفت بها فقط، فلا تجب العدة على المرأة عند الجمهور بالخلو⁴، لغير المالكية الذين أوجبوا العدة على المرأة بالخلو بعد عقد فاسد، كما تجب بالدخول الحقيقي، لأن الخلو مظنة الوقوع فيكون لها حكمه⁵.
وتجب العدة بالاتفاق بسبب الوطء بشبهة⁶، لأن فيه شغل الرحم ولحقوق النسب بالواطئ كالزواج الصحيح الذي تجب فيه براءة الرحم، كي لا تختلط الأنساب⁷.
وتجب العدة عند المالكية والحنابلة خلافاً لغيرهم على المزني بها كالموطوءة بشبهة⁸، لأن الوطء يقتضي شغل الرحم، ولم يوجبها غير هؤلاء لأن العدة لحفظ النسب والزنا لا يتعلق به ثبوت النسب⁹.

ثانياً : أنواع العدة

- 1- ينظر الكاساني، بدائع الصنائع، 4/491 - محمد ابن جزي، القوانين الفقهية، بن جزي، ص: 254 - الكافي في فقه الإمام أحمد 3/194
- 2- الحاوي الكبير 11/237
- 3- ينظر الكاساني، بدائع الصنائع، 4/495 - المدونة الكبرى 3/37 - ابن قدامة، المغني بن قدامة 8/98 -
- 4- الكاساني، بدائع الصنائع، 4/491 - المغني المحتاج 5/79 - المرداوي، الإنصاف 2/1559
- 5- ينظر الدسوقي، حاشية الدسوقي 3/412
- 6- مثال الوطء بشبهة أن تزف امرأة إلى غير زوجها، وتقول النساء للرجل إنها زوجتك فيدخل بها بناء على قولهم، ثم يتبين أنها ليست زوجته
- 7- الكاساني، بدائع الصنائع، 4/493 - الدسوقي، حاشية الدسوقي 3/416 - بن حجر، تحفة المحتاج 3/566 - الكافي في فقه الإمام أحمد 3/201
- 8- ينظر الدسوقي، حاشية الدسوقي 3/416 ابن قدامة، مغني بن قدامة 8/98
- 9- الكاساني، بدائع الصنائع، 4/492 - المغني المحتاج 5/78

تعتري المرأة حالات تكون سببا في تحديد نوع العدة التي تعتدها و من أجل توضيح ذلك سنتطرق إلى أنواع العدة مع ذكر الحالات المختلفة للمعتدة ، وهذه الأنواع ثلاثة إما عدة أقراء ، أو أشهر ، أو حمل ، والمعتدة إما أن تكون بسبب فراق زوجها بموته وهي إما حامل أو حائل ، فالأولى تنقضي عدتها بوضع حملها و الثانية تنقضي عدتها بأربعة أشهر وعشرة أيام ، وإما أن تكون المعتدة بسبب فراق زوجها في الحياة طلاقاً أو فسخاً وهذه على ثلاثة أنواع : الأولى يطلقها وهي حامل فتنتقضي عدتها بوضع الحمل ، و الثانية : أن يفارقها وهي غير حامل من ذوات الحيض ، وهذه تنقضي عدتها بثلاثة أقراء ، و الثالثة يفارقها وهي آيسة من الحيض أو صغيرة أو لم تحض أصلا وهذه تنقضي عدتها بثلاثة أشهر¹ وعليه فالمعتدات خمس :



1- ينظر عبد الرحمن الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة ، 4/415

النوع الأول : عدة الأقراء

تعتبر كلمة القرء من الألفاظ التي اشتهر الاختلاف في معناها بين الفقهاء

مما كان سببا لاختلافهم في مدة عدة المطلقة في قوله تعالى :

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْصَنَ بَأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ البقرة: ٢٢٨ وهذا لأن لفظ

القرء اسم مشترك يطلق على الطهر كما يطلق على الحيض ، و للفقهاء رأيان

في تفسير لفظ القرء في الآية على النحو التالي :

رأي الحنفية والحنابلة : يرون أن المراد بالقرء الحيض لأن هذه العدة وجبت

للتعريف عن براءة الرحم ويحصل ذلك بالحيض لا بالطهر فكان الاعتداد

بالحيض لا بالطهر¹،

و لقوله تعالى : ﴿وَالَّتِي يَسِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ

فَعِدَّتِهِنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْ﴾ الطلاق: ٤، فنقل النساء إلى

الاعتداد بالأشهر عند عدم الحيض دليل على أن الأصل هو الحيض ،

كما في قوله تعالى : ﴿فَلَمْ تَحْدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾

النساء: ٤٣،

و لقول النبي ﷺ : " المستحاضة تدع الصلاة أيام أقرائها " ² ، أي

أيام حيضها إذ أيام الحيض

هي التي تدع الصلاة فيها لا أيام طهرها ³

1- الكاساني ، بدائع الصنائع ، 500/4

2 - رواه ابن ماجة، سنن ابن ماجة، كتاب الطهارة ، باب : ما جاء في المستحاضة التي قد

عدت أيام أقرائها قبل أن يستمر بها الدم ص:125

رقم الحديث 614

3- الكاساني ، بدائع الصنائع ، 497/4

• رأي المالكية والشافعية: يرون أن المراد بالقرء هو الطهر لقوله تعالى

: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ الطلاق: ١

فكلمة لعدتهن أي لوقت عدتهن، ثم كان الطلاق مأمور به في الطهر

فوجب أن يكون الطهر هو العدة دون الحيض، ولأن الله تعالى في قوله

: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ أثبت التاء في العدد ثلاثة، فدل على أن المعداد

مذكر، فإن أريد مؤنثا حذفنا، والطهر مذكر والحيض مؤنث

، فوجب أن يكون جمع المذكر متناولا للطهر¹

ثمرة الخلاف:

على رأي المالكية والشافعية الذين اعتبروا القرء طهرا؛ إن طلقها في طهر

كانت بقية الطهر قرءاً كاملاً، ولو كان لحظة، فتعتد به ثم بقرئين بعد

ذلك ثلاث قرء، فإذا دخلت في الحيضة الثالثة فقد تمت عدتها وإن طلقها في

حيضة لم تحل حتى تدخل في الحيضة الرابعة من الحيضة التي طلقت فيها²

ونمثل لذلك بما يلي³:

طلقت في طهر: طهر (قرء1) + حيضة + طهر (قرء2) + حيضة + طهر (قرء3) +

حيضة (تنقضي

عدتها بالشروع فيها)

طلقت في حيضة: حيضة + طهر (قرء1) + حيضة + طهر (قرء2) + حيضة +

طهر (قرء3) + حيضة

(تنقضي عدتها بالشروع فيها)

1- الدسوقي، حاشية الدسوقي 413/3، الحاوي الكبير 167/11

2- ينظر محمد ابن جزي، القوانين الفقهية، ص: 255، الحاوي الكبير 165/11

3- ينظر حنان بيردي، أحكام العدة، ص: 245

وأما على رأي الحنفية و الحنابلة الذين اعتبروا القرء حيضا لا تحل من عدتها إلا بعد انقضاء الحيضة الثالثة

أي أن من طلق امرأته في حالة الطهر لا يحتسب بذلك الطهر من العدة حتى تنقضي عدتها ما لم تحض ثلاث حيض بعده ¹ فإن طلقت في حيض أو طهر لم يعتد بما طلقت فيه و تنقضي عدتها بدخولها بالطهر الرابع أي بعد انقضاء الحيضة الثالثة و نمثل لذلك بما يلي ² :

طلقت في طهر : طهر (لا يعتد به) +حيضة (قرء1) + طهر + حيضة (قرء2) + طهر + حيضة (قرء3)

+ طهر (تنقضي عدتها بالشروع فيه أي حتى تنقضي الحيضة الثالثة)
طلقت في حيضة : حيضة (لا يعتد بها) + طهر(لا يعتد به)+ حيضة (قرء1)
+ طهر + حيضة (قرء2)

+ طهر + حيضة (قرء3) + طهر (تنقضي عدتها بالشروع فيه)

و من أهم سبب وجوب عدة الأقراء ³ :

الفرقة من زواج صحيح ،سواء كانت بطلاق أم بغير طلاق ،و تجب هذه العدة لاستبراء الرحم ،و شرط و جوبها الدخول بالمرأة أو ما يجري مجرى الدخول و هو الخلوة الصحيحة عند غير الشافعية في الزواج الصحيح دون الفاسد عند الحنفية ⁴ و الحنابلة و في الفاسد أيضا عند المالكية ،فلا تجب هذه العدة بدون الدخول و الخلوة الصحيحة .

الفرقة في الزواج الفاسد بتفريق القاضي ،أو بالمتاركة ،و شرطها الدخول عند الجمهور ⁵ غير المالكية ،

1- الكاساني، بدائع الصنائع ، 4/ 497

2- ينظر حنان يبرودي، أحكام العدة ، ص: 246

3- ينظر وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأداته ، 7/ 599

4- الكاساني، بدائع الصنائع ، 4/ 491

5- نفس المرجع 4/ 492

فتجب العدة عند المالكية بالخلوة بعد زواج فاسد¹

الوطء بشبهة العقد كأن تزفت إلى الرجل غير امرأته فوطئها، لأن الشبهة تقوم مقام الحقيقة في حال الاحتياط وإيجاب العدة من باب الاحتياط²

النوع الثاني : عدة الأشهر

وهي نوعان : أصلية وبدلية ، أما الأصلية فهي عدة الأشهر نفسها وهي عدة

الوفاة ، فتجب هذه العدة على المتوفى عنها زوجها لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ

يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ البقرة:

٢٣٤

و شرط وجوبها الزواج الصحيح فقط ، سواء أكانت مدخولا بها أم غير مدخول

بها ، و سواء أكانت ممن تحيض أم لا تحيض لعموم لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ

يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ البقرة:

٢٣٤ فهي تجب إظهارا للحزن بفوات نعمة النكاح³

و أما البدلية : وهي التي تجب بالأشهر بدلا عن الحيض فهي عدة الصغيرة ، و

الأيسة ، و البالغة التي لم تحض أصلا تكون عدتها ثلاثة أشهر لقوله تعالى :

﴿ وَالَّتِي يَسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ

يَحِضْنَ ﴾ الطلاق: ٤ ، و سبب وجوبها هو الطلاق لمعرفة أثر النكاح و شرط

وجوبها شيئان⁴ :

أحدهما : الصغر أو الكبر أو فقد الحيض أصلا⁵

1- ينظر ، المدونة الكبرى 37/3

2- الكاساني ، بدائع الصنائع ، 4/493

3- ينظر المرجع السابق ، 4/494

4- وهبة الزحيلي ، ينظر الفقه الإسلامي و أدلته ، 7/600

5- الكاساني ، بدائع الصنائع ، 4/493

والثاني : الدخول ،أو الخلوة في النكاح الصحيح عند غير الشافعية ¹ ،و كذا في النكاح الفاسد عند المالكية ²

و عليه سبب وجوب عدة الشهور: الوفاة و الطلاق من نكاح تم فيه الدخول أو الخلوة لمعرفة أثر الدخول .

النوع الثالث : عدة الحمل

هي مدة الحمل وسبب وجوبها ،الموت أو الطلاق وتنتهي بوضع الحمل لعموم قوله تعالى : ﴿وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ ³ .
الطلاق : ٤ ، دون تفريق في الحكم بين المطلقة أو المتوفى عنها زوجها لأن الهدف من العدة طلب براءة الرحم ،و وضع الحمل من أدل الأشياء على براءته فوجب انقضاء العدة به

و حتى لا تختلط الأنساب و تشتبه المياه ،فلا يسقي رجل ماءه زوع غيره ³
و لحديث أم سلمة رضي الله عنها قالت :ولدت سبيعة الأسلمية بعد وفاة زوجها بنصف شهر فخطبها رجلان أحدهما شاب و الآخر كهل فحطت ⁴ إلى الشاب فقال الشيخ :لم تحلي بعد .. فجاءت رسول الله فقال لها :
قد حللت فانكحي من شئت ⁵

فإذا كانت المرأة حاملا ،ثم طلقت أو مات عنها زوجها انتهت عدتها بوضع الحمل ،ولو بعد الوفاة أو الطلاق بزمان قليل ، وروي عن ابن عباس و علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ،أن عدتها آخر الأجلين يعني أن تعتد بأبعد الأجلين إما الحمل

1- نفس المرجع ،ص :494- المغني المحتاج 79/5

2- ينظر ،المدونة الكبرى 37/3

3- وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي و أدلته ، 600/7

4- يعني رغبت في الشاب

5- رواه مالك في الموطأ ،كتاب الطلاق، باب عدة المتوفى عنها زوجها إذا كانت حامل

ص:330،رقم الحديث 1237

، وإما انقضاء العدة عدة الموت ، وحجتهم في ذلك هو الذي يقتضيه الجمع بين عموم آية الحوامل وآية الوفاة¹

و شرط وجوبها : أن يكون الحمل من الزواج الصحيح أو الفاسد ، لأن الوطء في النكاح الفاسد يوجب العدة²

المطلب الثاني : بعض الأحكام المختلف فيها بين عدة الوفاة والطلاق
لعدة الوفاة و عدة الطلاق أحكام عديدة ومتشعبة منها ما هو متشابه ومنها ما هو مختلف ولقد اخترنا في هذا المبحث أهم هذه الأحكام وهي ما يخص كلا من النفقة والسكنى والحداد

الفرع الأول : أحكام النفقة

أولا : عدة الوفاة :

تعتبر النفقة من واجبات الزوج على زوجته فعند انقطاع الرابطة الزوجية بالوفاة هل للمعتدة من الوفاة نفقة ؟

ميز العلماء بين من هي معتدة حائل ومن هي حامل فقالوا :

المعتدة الحائل : ذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والفقهاء إلى أنها لا نفقة لها من مال زوجها المتوفى عنها³ وذلك للأسباب التالية⁴ :

حديث فاطمة بنت قيس قالت : أتيت النبي ﷺ فقلت : أنا بنت آل خالد ، وإن زوجي فلانا أرسل إليّ بطلاقي وإني سألت أهله النفقة والسكنى فأبوا عليّ ، قالوا : يا رسول الله ، إنه قد أرسل إليها بثلاث تطليقات ، قالت : فقال رسول الله ﷺ : " إنما النفقة والسكنى للمرأة إذا كان لزوجها عليها رجعة " ⁵

1- ينظر ابن رشد ، بداية المجتهد ، 92/2 - 93

2- الكاساني ، بدائع الصنائع ، 495/4

3- محمد ابن جزي ، القوانين الفقهية ص: 258 ، الهداية 2/653 ، كشاف القناع 5/431

4- ينظر حنان يبرودي ، أحكام العدة ، ص: 115 - 116

5- رواه النسائي ، سنن النسائي ، كتاب الطلاق ، باب الرخصة في الثلاث المجموعة ، ص: 723

، رقم الحديث 3403

أن ملك الأموال انتقل إلى الورثة ، فلا يجوز أن تجب النفقة في مال الورثة¹
أن المعتدة هنا صار لها نصيب في الميراث من زوجها ، فنفتها إذا تكون من نصيبها
في الميراث

بما أن النفقة تجب بسبب التمكن ، ولما رفع التمكين بالوفاة أدى ذلك إلى رفع
النفقة لارتفاع سببها²

لأن احتباس المعتدة ليس لحق الزوج بل لحق الشرع ، حيث إن التبرص عبادة منها³

المعتدة الحامل : للمعتدة من الوفاة الحامل قولان :

القول الأول : لا نفقة لها وهو قول الجمهور⁴ ، للأدلة التالية⁵ :

استحقاق النفقة لا يخلو أن يكون لحملها أو لها ؛ فإن كان لها فهي لا تستحقها
لنفس الأسباب السابقة الذكر الخاصة بالمعتدة الحائل ، وإن كانت للحمل
، فلا يستحق النفقة لأنه من الورثة⁶

القول الثاني : لها النفقة إذا كانت حامل وهو قول ثاني للحنابلة⁷ ، وقد روي
عن علي رضي الله عنه وابن عمر رضي الله عنهما أن لها نفقة إذ كانت حاملا

وذلك لقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْ أُولَتْ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾

الطلاق: ٦ ، لأنها معتدة في نكاح صحيح أشبهت البائن المطلقة الحامل⁸ .

ثانيا : عدة الطلاق

1- الكاساني ، بدائع الصنائع ، 4/ 542

2- الحاوي الكبير 11/ 238 ، كشف القناع 5/ 467

3- الهداية 2/ 653 ، البحر الرائق 4/ 217

4- الكاساني ، بدائع الصنائع ، 4/ 541 - 542 ، محمد ابن جزي ، القوانين الفقهية
ص: 258 ، مغني المحتاج 5/ 175 ، الكافي في فقه الامام أحمد 3/ 230 .

5- ينظر حنان يبرودي ، أحكام العدة ، ص: 117

6- الحاوي الكبير ، 11/ 238

7- الكافي في فقه الامام أحمد 3/ 230

8- الحاوي الكبير 11/ 237

المعتدة من الزرقعة بسبب الطلاق إما أن تكون معتدة من طلاق بائن أو طلاق رجعي لذلك اختلف حكم النفقة بين العلماء بسبب نوع الطلاق على النحو التالي :

نفقة المعتدة من الطلاق الرجعي : اتفق العلماء على وجوب النفقة للمعتدة الرجعية ، سواء كانت حاملا أو حائلا ، وتستمر نفقتها إلى إنقضاء عدتها سواء بوضع الحمل إن كانت حامل ، أو بانقضاء مدة العدة المفروضة عليها إن كانت حائلا لأن المعتدة هنا تعد زوجة ما دمت في العدة¹

نفقة المعتدة من الطلاق البائن : تختلف نفقتها بحسب حالها إن كانت حامل أو حائل :

نفقة البائن الحامل : إتفق العلماء² على وجوب النفقة للمطلقة الحامل البائن لقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ الطلاق: ٦

نفقة البائن الحائل : اختلف الفقهاء في وجوب نفقة الحائل على قولين : القول الأول : وهو قول المالكية والشافعية والحنابلة: أنه لا نفقة لها ، لقوله

تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ الطلاق: ٦ لدلالة الآية على عدم وجوب النفقة لغير الحامل³

-
- 1- الكاساني، بدائع الصنائع 209/3 ، الهداية 651/2 ، محمد ابن جزي ، القوانين الفقهية ص:258 ، كشف القناع 464/5
 - 2- الهداية 651/2 ، محمد ابن جزي ، القوانين الفقهية ص:258 ، كشف القناع 464/5
 - 3- أحمد النضراوي ، فواكه الدواني 100/2 - 101 ، مغني المحتاج 175/5 ، كشف القناع 465/5

القول الثاني: وهو قول الحنفية: النفقة واجبة لها بسبب احتباسها في العدة

لحق الزوج اعتباروها كالمطلقة الرجعية¹

الفرع الثاني: السكنى

أولاً: عدة الوفاة

- اتفق العلماء على وجوب عدة الوفاة في منزل الزوجية الذي وقع به موت الزوج

و على وجوب قضاء المرأة هذه العدة به إذا أذنوا لها الورثة و لم يطالبوا

بخراجها منه لتقسيم الميراث²

- واختلف العلماء في مسألة وجوب السكنى للمتوفى عنها زوجها في حالتين³:

الحالة الأولى: إذا كان المنزل ملكاً للزوج و طلب الورثة نصيبهم من الميراث

فيه جاء قول العلماء على النحو التالي:

القول الأول: ذهب الحنفية والشافعية إلى عدم وجوب السكنى للمتوفى عنها

زوجها سواء كانت حائل أم حامل أي لا تستحق السكنى من التركة، ولا

على الورثة، ولا في بيت المال فإذا أخرجوها الورثة و كان نصيبها لا يكفيها

كان لها العذر في أن تسكن حيث شاءت.⁴

القول الثاني: ذهب المالكية⁵ وقول آخر للشافعية⁶ إلى أن المتوفى عنها زوجها

تستحق السكنى في بيت زوجها المتوفى، جبراً على الورثة، سواء كانت حامل

1- بدائع الصنائع 210/3،

2- كشاف القناع 430/5، أحمد النفراوي، فواكه الدواني 102/2، بدائع الصنائع 528/4

،الحاوي الكبير 193/11

3- حنان يبرودي، أحكام العدة، ص: 119- 124

4- الكاساني، بدائع الصنائع 528/4، الحاوي الكبير 258/11

5- محمد ابن جزي، القوانين الفقهية ص: 258

6- الحاوي الكبير 258/11

أو حائل ، أي على الورثة انتظار مضي عدتها ثم يتم تقسيم حصصهم من ميراث البيت . كما أجاز المالكية للورثة بيع البيت بشرط استثناء مدة العدة مع بيان ذلك للمشتري وله الخيار ¹ ، وذكر في الكافي " وإن كان المسكن لزوجها لم يجز للورثة إخراجها منه حتى تنقضي عدتها " ² ، وذكر في الحاوي الكبير: " إن كان المسكن ملكا للزوج أخذ الورثة جبراً بإقرارها فيه " ³ القول الثالث: وهو قول للحنابلة فقد فرقوا بين الحامل والحائل فقالوا :

• إذا كانت حائلاً ، فلا سكنى لها وذلك لأن السكنى تجب للمتكمين من الاستمتاع وقد رفع هذا بسبب الوفاة ⁴

• وأما إن كانت حاملاً فلهم رويتان ⁵ :

الأولى لها السكنى لأن حملها من زوجها بمثابة المفارقة في الحياة ، و لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْلَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ البقرة: ٢٤٠

الثانية ليس لها سكنى ، لأن المال صار للورثة .

الحالة الثانية: إذا كان المنزل ليس ملكا للزوج إنما هو كراء أو إعارة جاءت أقوال العلماء على النحو التالي ⁶ :

- 1- فواكه الدواني 102/2 - 103
- 2- الكافي لابن عبد البر 624/2
- 3- الحاوي الكبير 258/11
- 4- الكافي في فقه الامام أحمد 230/3
- 5- الكافي في فقه الامام أحمد 208/3
- 6- ينظر حنان يبرودي ، أحكام العدة ص: 119 - 126

القول الأول : للمالكية والشافعية : إذا كان البيت كراء وجب في تركت الميث أجرة مسكنها ،و تقدم هذه الأجرة على الوصايا والميراث ، فإن لم يكن للزوج تركة لم يلزم الورثة بدفعها ،بل يدفعها الحاكم من بيت المال لما يتعلق بها من حق الله تعالى ، وإن تعذر دفعها من بيت المال ،سكنت المعتدة حيث شاءت¹

القول الثاني : قول آخر للمالكية وهو :

- إذا كان الزوج قد أدى أجرته مسبقا كانت أحق بسكناءه من الورثة و الغرماء²

- إذا لم يكن قد دفع أجرته فلرب الدار إخراجها ويستحب لهم أن لا يفعلوا ،و لم يكن على الورثة استئجار مسكن غيره ،وعليها أن تستأجر لنفسها من مالها³

القول الثالث : ذهب الحنفية إلى أنه لا حق لها في السكنى ، وإن كان المنزل كراء ،فعلى الزوجة دفع أجرته من مالها الخاص⁴

ثانيا : عدة الطلاق :

أ- سكنى المعتدة من الطلاق الرجعي : لا خلاف في وجوب السكنى للمعتدة من طلاق رجعي⁵

1- ينظر الحاوي الكبير 258/11

2- ينظر الكافي لابن عبد البر 624/2

3- نفس المرجع 624/2

4- البحر الرائق 620/2 - 621

5- الكاساني ،بدائع الصنائع 538/4 ، محمد ابن جزي ،القوانين الفقهية ص: 258 ،مغني

المحتاج 104/5 ،الكافي في فقه الإمام أحمد 229/3

- لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ۚ وَالطَّلَاقُ: ١٠ لقوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ﴾^١
الطلاق: ٦

- في الآيتين دليل على إسكان المطلقة وعدم اخراجها من طرف طلقها
- ولما جاء في حديث فاطمة بنت قيس التي طلقها زوجها فأتت رسول الله ﷺ تسأله عن النفقة فقال :

" إنما النفقة والسكنى للمرأة إذا كان لزوجها عليها الرجعة " ¹

ب- سكنى المعتدة من الطلاق البائن :

• سكنى البائن الحامل : أجمع العلماء باتفاق على وجوب السكنى

للمطلقة البائن الحامل ²

- سكنى البائن الحائل :اتفق جمهور العلماء من الحنفية والمالكية و الشافعية وقول للحنابلة على وجوب السكنى للمطلقة البائن الحائل ³، وهو قول عمرو وعائشة وابن مسعود رضي الله عنهم ،قول الفقهاء السبعة ،وأكثر أهل العلم ⁴ لقوله تعالى : ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ﴾
الطلاق: ٦

1- رواه النسائي، سنن النسائي، كتاب الطلاق، باب الرخصة في الثلاث المجموعة، ص: 723، رقم الحديث 3403 .

2 - الكاساني، بدائع الصنائع 4/538، محمد ابن جزي، القوانين الفقهية ص: 258، مغني المحتاج 5/104، الكافي في فقه الإمام أحمد 3/229.

3- الكاساني، بدائع الصنائع 4/538- محمد ابن جزي، لقوانين الفقهية ص: 258، مغني المحتاج 5/104، الكافي في فقه الإمام أحمد 3/229

4- ينظر حنان ببرودي، أحكام العدة، ص: 285.

وفي قول آخر للحنابلة أنه لا تجب السكنى¹ لحديث فاطمة بنت قيس²
مسألة في سكنى المعتدة المطلقة : هل تعتد في نفس المسكن الزوجي أو في مسكن
آخر يختاره الزوج لها ؟

• المعتدة من الطلاق الرجعي : اختلف العلماء على قولين :

أ - القول الأول : ذهب الحنفية والمالكية والشافعية في المشهور إلى أن
السكن الواجب على المعتدة من طلاق رجعي إنما هو السكن في بيت الزوجية
الذي طلقت فيه لا يجوز لزوجها إخراجها منه ، كما لا يجوز لها أن تخرج هي
منه وذلك لقوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقْتُمُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا
الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ
بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ (الطلاق: ١)³

ب - القول الثاني : ذهب الحنابلة والشافعية في قول آخر إلى أن الرجعية
تسكن حيث شاء زوجها من المساكن التي تصلح لمثلها ، وذلك لأن العدة
تجب لحق الزوجية⁴

• المعتدة من الطلاق البائن : وجود قوليين في المسألة

أ - القول الاول : ذهب الحنفية والمالكية والشافعية إلى أن تسكن
المعتدة من الطلاق البائن كالرجعي في بيت الزوجية الذي طلقت فيه و
ذلك لقوله تعالى : ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ

1- الكافي في فقه الإمام أحمد 229/3 .

2- سبق تخريج الحديث في هذا البحث ص: 14.

3- الكاساني بدائع الصنائع 526/4 . فواكه الدواني 102/2 ، مغني المحتاج ، 106/5 .

4- مغني المحتاج ، 106/5 ، الكافي في فقه الإمام أحمد 207/3 .

بِفَحْشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ ۖ الطلاق: ١، في الآية الكريمة لا وجود للتفريق بين

المطلقة البائن أو الرجعية من حيث السكن فالأمر مطلق للوجوب¹

ب- القول الثاني: ذهب الحنابلة إلى أنه لا يشترط أن تسكن في بيت

الزوجية بل تعتد حيث شاءت²

الفرع الثالث: الحداد:

الحداد أو الإحداد وهو أن تترك وتجنب المعتدة الزينة وما يدعو لها في فترة

عدتها من الطيب والكحل والدهن المطيب وغير المطيب، وهو خاص بالبدن، فلا

مانع من تجميل فراش وبساط وستور وأثاث بيت وجلس امرأة على حرير³.

أولا: عدة الوفاة:

ذهب جمهور الصحابة والتابعين والعلماء إلى أن الحداد واجب على المتوفى

عنها زوجها خلال فترة عدتها، سواء كانت حامل أم حائل لحديث الرسول ﷺ: ":

لا يحل لامرأة مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد فوق ثلاث إلا على زوجها

أربعة أشهر وعشرا⁴ " و لم يخالف في هذا الحكم من العلماء إلا القليل منهم

الحسن البصري والشعبي وقالوا بأنه مستحب لا واجب⁵

1- الكاساني، بدائع الصنائع 527/4، أحمد النفراوي، فواكه الدواني 102/2، مغني

المحتاج 106/5.

2- الكافي في فقه الإمام أحمد 207/3.

3- ينظر وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، 624/7.

4- أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب: إحداد المرأة على غير زوجها

، 355/1 رقم الحديث 1280.

5- الكاساني، بدائع الصنائع 535/4 - محمد ابن جزي، القوانين الفقهية ص: 258-

المغني المحتاج 99/5 كشف القناع 428/5.

وقال الماوردي في الحاوي الكبير: (فأما المعتدة التي يجب الإحداد عليها فالمتوفى عنها زوجها، قال جميع الفقهاء إلا ما حكى عن الحسن البصري والشعبي أن الإحداد غير واجب عليها)¹

فمما سبق نقول أن في مسألة الإحداد المتوفى عنها زوجها قولان :
القول الأول :ذهب جمهور العلماء إلى أن الإحداد واجب على المتوفى عنها زوجها خلال فترة العدة

القول الثاني :وهو قول الحسن البصري والشعبي أن الإحداد غير واجب على المتوفى عنها زوجها إنما عليها التربص فقط وهو الامتناع عن الزواج خلال فترة العدة .

ثانياً :عدة الطلاق:

أ- المعتدة الرجعية : اتفق الفقهاء على عدم وجوب الحداد على الرجعية لأنها في حكم الزوجة، لها أن تتزين لزوجها وترغبه في نفسها ليعيدها²، و سن لها الإحداد في قول للشافعية³

ب- المعتدة البائن : اختلف العلماء في ذلك إلى قوليين :

- القول الأول : وهو عدم وجوب الإحداد على المطلقة البائن وهذا قول الجمهور من المالكية والشافعية والحنابلة⁴،

1- الحاوي الكبير 11 / 273 .

2- البحر الرائق 4/163- محمد بن جزي، القوانين الفقهية ص:258- مغني المحتاج 5/99- كشاف القناع 5/429

3- مغني المحتاج 5/99

4- محمد بن جزي، القوانين الفقهية ص:258 - مغني المحتاج 5/99- كشاف القناع 5/429

ويستحب لها ذلك عند الشافعية لثلاث تدعو الزينة إلى الفساد¹
و مباح لها الإحداد عند الحنابلة في قول آخر²، لأن فارقها باختياره وقطع
نكاحها فلا معنى لتكليفها الحزن عليه و الأسف على فراقه .
كما أنه جميع الأحاديث الواردة في باب الحداد إنما هي واجبة في حق
المتوفى عنها زوجها أي في حالة الوفاة³

- القول الثاني :و هو وجوب الحداد على المطلقة البائن وهذا ما ذهب إليه

الحنفية وقول ثاني للحنابلة

لأنه إظهاراً للتأسف على فوات نعمة النكاح الذي هو سبب لصونها و

كفاية مؤنّها فلزمها الإحداد كالمتوفى عنها زوجها⁴

الخاتمة

بعد هذه الدراسة التي قدمت و لتكملة الاستفادة منها نقدم في الخاتمة أهم
النتائج المتوصل إليها وهي :

- العدة حكم شرعي أقره الله ﷻ في محكم تنزيله و جاءت السنة النبوية
الشريفة شارحة لهذه الأحكام و مبينة لها ، و أجمع علماء على و جوبها
- للعدة تعريفات عديدة ذكرها الفقهاء تصب أغلبها في معنى واحد وهي
أن العدة : هي مدة زمنية محددة شرعاً (بوضع حمل أو مضي شهور أو أقراء) تلزم
المرأة تتربص فيها دون زواج بسبب طلاق أو فسخ أو وفاة زوج ، لاستبراء الرحم أو
للمتعبد أو لتفجعها على زوجها .
- تجب العدة على المرأة بسبب وفاة زوجها أو طلاقها أو فسخ
- للأحكام الشرعية مقاصد و حكم عديدة لتشريعها، نجدها متجلية في
تشريع العدة على المرأة سواء عند الوفاة أو الطلاق و من أهم هذه الحكم :

1- المغني المحتاج 5/100

2- كشاف القناع 5/428

3- حنان يبرودي، أحكام العدة ، ص: 297

4- ينظر المرغيناني، الهداية، 2/629 - 630 - الكافي في فقه الإمام أحمد 3/210

- العدة لها بُعد تعبدى يفضله عنه الكثير
 - تعظيم للرابطة الزوجية وإظهار الحزن والأسى عن فقد نعمة الزوج
 - إعطاء فرصة للتفكير والمراجعة للزوجين في اتخاذ قرار الفقرة
 - حفاظ على عدم اختلاط الأنساب
 - حماية المرأة من الأمراض حيث وجدوا علمياً أن المرأة تحتاج مدة زمنية
- لصفاء رحمها قبل الدخول بها مجدداً
- أنواع العدة ثلاثة : عدة أقراء - عدة أشهر - عدة حمل
 - هذا جدول يختصر أهم الأحكام الخاصة بالنفقة والسكنى والإحداد لكل من عدة الوفاة و عدة الطلاق :

نوع العدة		الحنفية		المالكية		الشافعية		الحنابلة	
النفقة	عدة الطلاق	الرجعية		وجوب النفقة لها سواء كانت حامل أو حائل					
		الحامل	البائن	اتفق العلماء على وجوب النفقة لها					
	الحائل	لها النفقة		ليس لها النفقة	ليس لها النفقة	ليس لها النفقة			
	عدة الوفاة			ليس لها السكنى	لها السكنى	قولان: لها السكنى ،وليس لها السكنى			
عدة الطلاق	الرجعية		وجوب السكنى لها						
	البائن	أجمع العلماء على وجوب السكنى لها سواء كانت حامل أو حائل	قول ثاني لا تجب للحائل						
عدة الوفاة		أجمع العلماء على أن الحداد واجب على المتوفى عنها زوجها خلال فترة عدتها ،سواء كانت حامل أم حائل، ولم يخالف في هذا إلا القليل منهم الحسن البصري و الشعبي وقالوا بأنه مستحب و ليس واجب							
الحداد	الرجعية		لا إحداد عليها	لا إحداد عليها	لا إحداد عليها	لا إحداد عليها	لا إحداد عليها		
	البائن	و جوب الإحداد	لا إحداد عليها	مستحب لها الحداد	مباح لها الحداد				

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن القيم ، شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية ، إعلام الموقعين عن رب العالمين ، اعتنى به قسم التحقيق و البحث العلمي دار الإمام مالك للكتاب ، دار الإمام مالك ، الجزائر ، ط1 ، 1435هـ / 2014م
- ابن القيم ، شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، دار الإمام مالك ، الجزائر ، ط1 ، 1425هـ / 2004م .
- ابن رشد الحفيد ، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي ، بداية المجتهد و نهاية المقتصد ، اعتنى به هيثم خليفة طعيמי ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، دط ، 1427هـ / 2006م .
- ابن عابدين ، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الحنفي ، رد المحتار على الدر المختار ، دار الفكر ، بيروت ط2 ، 1412هـ / 1992م
- ابن قدامة ، أبو محمد موفق الدين عبد الله المقدسي الحنبلي ، الكافي في فقه الإمام أحمد ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1414هـ . 1994م
- ابن قدامة ، أبو محمد موفق الدين عبد الله المقدسي الحنبلي ، المغني لابن قدامة ، مكتبة القاهرة ، دط ، 1388هـ / 1968
- ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق ياسر سليمان و مجدي فتحي السيد ، دار التوفيقية للتراث ، القاهرة ، دط ، دت
- ابن نجيم ، زين الدين بن ابراهيم بن محمد المصري ، البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، دار الكتاب الإسلامي ، ط2 د ت
- أبو داود ، سليمان بن إسحاق بن عمرو الأزدي السجستاني ، سنن أبي داود ، حق : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، دط ، دت ،
- أحمد بن سالم بن مهنا النفراوي الأزهري المالكي ، الفواكه الدواني على رسالة أبي زيد القيرواني ، ضبطه و صححه عبد الوارث محمد علي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ط1 ، 1418هـ / 1997م

- البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة الجعفي، الجامع الصحيح للإمام البخاري ، قام على نشره علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، دط، دت،
- بن جزي، أبي القاسم محمد بن جزي الكلبي، القوانين الفقهية، اعتناء و ضبط ناجي سويد، دار الأرقم، لبنان ، بيروت دط، دت
- بن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عاصم النمري القرطبي، الكافي في فقه أهل المدينة، تحقيق محمد أحمد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، م.ع. السعودية، ط2، 1400هـ/1980م
- الجرجاني ، علي بن محمد الحسيني الجرجاني الحنفي، التعريفات، حققه نصر الدين تونسي، القاهرة، ط1، 2007م
- حنان مسلم فتال يبرودي، أحكام العدة في الفقه الإسلامي وقانون الأحوال الشخصية السوري (عدة الوفاة - عدة الطلاق) دار النوادر، دمشق ، سوريا، ط1، 1429هـ/2008م
- الخطيب الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الشافعي، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ/1994م
- الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة المالكي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار العلمية، بيروت، دط، دت
- عبد الرحمن الجزيري ، الفقه على المذاهب الأربعة، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 1435هـ/2014م
- عبد الله عبد المنعم العسيلي، الفروق الفقهية بين الرجل والمرأة في الأحوال الشخصية، دار النفائس، الأردن ط1 ، 1432هـ/2011م
- الكاساني، علاء الدين أبي بكر بن مسعود الحنفي، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، تحقيق محمد محمد تامر ، دار الحديث ، القاهرة، دط، 1426هـ/2005م
- مالك ابن أنس، الموطأ، اعتنى به محمود بن جميل ، دار الإمام مالك، الجزائر، ط2، 1435هـ/2014م

- الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي ، الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي هو شرح مختصر المزني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1419هـ / 1999م
- المرغيناني ، برهان الدين علي ابن ابي بكر ، الهداية شرح بداية المبتدي ، حققه محمد محمد تامر و حافظ عاشور حافظ ، دار السلام 1427هـ / 2006م
- منصور بن صلاح الدين الحنبلي ، كشاف القناع عن متن الإقناع ، دار الكتب العلمية ، دط ، دت
- الهيثمي ، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر ، تحفة المحتاج بشرح المنهاج و هو شرح على كتاب منهاج الطالبين ، ضبطه و علق عليه محمد محمد تامر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، دط ، دت
- وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته ، دار الفكر ، دمشق ، ط6 ، 2008م



زاويا توات ودورها في نشر الإسلام في أفريقيا الغربية
- زاوية الفقيه المصلح المغيلي التلمساني التواتي أنموذجا -

ناجم مولاي

قسم الفلسفة - جامعة عمار ثلجي الأغواط - الجزائر

nadjemmoulay@yahoo.fr

ملخص-

إن الحديث عن أدوار الزوايا ووظائفها في الجزائر كمؤسسة دينية، قد ارتبط تاريخيا وسياسيا وثقافيا باسم رجالات ساهموا في التغيير الثقافي والسياسي والعلمي في البلاد والبلدان المجاورة، وما الحديث عن زاوية الشيخ "محمد بن عبد الكريم المغيلي" إلا لاعتباره دليل على ذلك.

- الكلمات المفتاحية: زاوية- إصلاح- إسلام- تغيير- مؤسسة دينية.

**Touatt Islamic Schools (Zawaya) And Their Role In Spreading
Islam In Western Africa**
**-The Islamic School Of The Renovator El-Faqih El-Maghili
From Tlemcen As A Model-**

Abstract-

Talking About The Roles Of The Islamic Schools (Zawaya) And Their Functions In Algeria Has Been Historically, Politically And Culturally Linked To Men Who Had Contributed In The Cultural, Political And Scientific Change In The Country And In The Neighboring Countries As Well. And Talking About « Zawya » Of Cheikh Mohammed Ben Abdelkarim El-Maghili Is Only A Proof Of That.

-Keywords -

Islamic School « Zawya »- Renovation- Islam- Change- Religious Institution.

مقدمة-

إن الحديث عن الزوايا في الجزائر، هو في صلبه حديث عن رجالات قدموا الكثير والكثير لهاته البلاد، فهانت في أعينهم المشقات حين قاسوها بالغيات؛ كما أن حديث الزاوية كمؤسسة دينية ارتبط اسمها بهاته الرجالات المساهمة في التغيير الثقافي والسياسي والعلمي في البلاد والبلدان المجاورة لها، وهذا متجسد في علاقة الجزائر الثقافية والتجارية بأفريقيا السوداء على وجه مخصوص.

ولما كان للتطور التاريخي والاجتماعي ببلدنا ارتباط بهاته العلاقة ثقافياً وسياسياً وعلمياً؛ فهذا البحث يسعى في محتواه إلى الإجابة عن جملة من الأسئلة نذكر منها:

- ما نقصد بقولنا: "توات"، و"زاوية"؟ و"أفريقيا الغربية".
- ما هي أهم زوايا إقليم توات الوسطى في عصر الإمام "المغيلي"، وفيما تكمن أدوارها أو وظائفها؟
- ماذا نعرف عن الشيخ سيدي "محمد بن عبد الكريم المغيلي"؟
- وفيما تكمن أدوار زاويته في نشر الإسلام في أفريقيا الغربية؟

♦ التأثيل المفاهيمي:

1- التعريف بإقليم توات:

1-1 أصل تسمية توات:

لا نكاد نجد تحديداً موحداً في شأن التسمية، فالروايات التاريخية قد اضطربت في ذلك، حيث قدم الباحث والكاتب أحمد الحاج صديق في مؤلفه "التاريخ الثقافي لإقليم توات" عشر روايات نوجزها هنا كما يلي:

- أولاً: أبو عبد الله الأنصاري في "فهرسة الرصاع" يقول في تسمية توات: «أنه إسم لأحد قبائل الصحراء بالجنوب».

- ثانياً: أما عبد الرحمان السعيد صاحب كتاب "تاريخ السودان" يحدد معنى توات في لغة سنغاي يعني: «وجع في الرجل».

- ثالثاً: و محمد بن مبارك يقول أن أصل كلمة توات أعجمي، وقد أطلقها قبائل من "متونة" عندما لجأت إلى الإقليم منتصف القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي).

كما أورد الباحث الحاج صديق أحمد في المؤلف نفسه روايات لبعض المؤرخين التواتيين الأصل نذكر منهم:

- رابعاً: محمد بن عومر بن محمد بن حبيب بن محمد المبروك البداوي صاحب كتاب "نقل الروايات عن من أبدع قصور توات" حيث ذكر أن توات سميت بهذه الاسم عندما فتح عقبة بن نافع الفهري بلاد المغرب، ولما عاد لواد نون ودرعة وسجلماسة ووصلت خيله توات عام اثنين وستين هجرية فسألهم عن هذه البلاد وهو يعني توات، هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب فأجابوه بأنها تواتي فتداول ذلك على الألسن.¹

- خامساً: أما محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكراوي التمنيطي ذكر في كتابه "درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام" أن توات سميت بهذا الاسم لأن القائد علي بن الطيب والطاهر بن عبد المؤمن كانا يقبضان الأتوات من أهل توات عام (565هـ) فعرف أهل القطر بأهل الأتوات فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فصارت تدعى توات.²

- سادساً: أما المؤرخ مولاي أحمد الإدريسي الطاهري في كتابه "نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات" علل تسمية توات بهذا الاسم لأنها تواتي للعبادة.³

- سابعاً: هي رواية لأحد المؤرخين الفرنسيين المتخصصين في دراسة إقليم توات يدعى مارتن

(Martin) الذي رأى أن كلمة توات يعود أصلها إلى كلمة "أو" المتواجدة في عدة لغات بما فيها لغة الزناتة بعض السكان المحليين وتعني عندهم بقعة مسكونة، لتحرف الكلمة على لسان زناتة فأضافوا لها حرف "تاء" في المقدمة

¹ - مخطوط: خزانة أبا سيدي جعفري - زاوية سيدي حيدة ببودة - أدرار، ص5.

² - مخطوط: خزانة أبناء عبد الكبير - بالمطارفة - أدرار، ص3.

³ - مخطوط: مخطوط خزانة توات الشاري الطيب بكوسام - أدرار، ص3.

والمؤخرة، وقد أستشهد مارتن بأصل آخر لتسمية "توات الحنة"، ويعني بقوله "بلد الحنة"¹.

- ثامناً: ماندوفيل (Mandeville) رأى هذا المؤرخ الغربي أن إسم توات أطلقه "الطوارق العرب" على مجموعة الواحات التي تنتشر بالمنخفض العميق لواد الساور ووادي مسعود.

- تاسعاً: ورأى باحث غربي أيضاً يدعى روكليس (Reclus) أن توات إسم بربري ومعناه الواحة.

- عاشرًا: وهي رواية الباحث الجزائري أحمد بوساحة صاحب كتاب "أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر" حيث قال: أن كلمة توات تطلق على الأماكن المنخفضة².

هذا مع العلم إن تسمية إقليم توات مع نهاية القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) أستبدل بأدرار^(*)، وكان ذلك تحديد مع دخول الطلائع الأولى للاستعمار الفرنسي عام (1900م).

1- 2- الموقع الجغرافي لتوات:

يقع إقليم توات في الجنوب الغربي للجزائر، يحده من الشمال العرق الغربي الكبير وواد مقيدن، ويحده من الجنوب صحراء تنزروفت وواد قاريت وجبال مويدرا، كما يحده من الشرق العرق الشرقي الكبير المحاذي لواد المادية، ويحده من الغرب واد الساور وروافده من واد مسعود المتفرع عنه³.

1- 3- الموقع الفلكي لتوات:

¹ - الصديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن الحادي عشر الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري (17م إلى 20م) مديرية الثقافة لولاية أدرار، دط، 2003، ص(10- 28)، نقلا عن: p 115، مكتبة الآباء البيض بالجزائر، دس، Martin, AGP, les Oasis sahariennes.

² - المرجع نفسه الصفحة نفسها.
^(*) أدرار: كلمة بربرية تعني الجبل...أنظر: إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1983، ص188.

³ - فرج محمود، إقليم توات خلال القرنين 18م و19م، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1977، ص12.

يقع الإقليم التواتي بين خطي طول 01° درجة شرقاً و 03° درجات غرباً، وبين دائرتي 20° درجة إلى 30° درجة شمالاً¹.

2- ضبط مفهوم الزاوية:

2- 1- في اللغة:

لعل لفظ "الزاوية" في الأصل مأخوذ من الانزواء بقصد العكوف على العبادة أو على تلقي العلم بعيداً عن دنيا الناس ومشاغلهم اليومية، وهي أيضاً رباط المجاهد في سبيل الله وحافظ الثغور.

2- 2- في الاصطلاح:

إلا أن لفظ الزوايا اليوم يعني مراكز تحفيظ القرآن وتعليم أصول الدين الإسلامي والشرعي ونشر الأخلاق والفضائل الإسلامية. وهي بذلك حصون العقيدة والإيمان، وأما التاريخ و التراث فهي تختزن في صناديقها ورفوفها ذخائر التراث الإسلامي بآدابه وسجايه الحميدة وملاحه التاريخية والوطنية.

كما أن الزاوية في الأصل ركن البناء، أطلقت على المصلى أو المسجد الصغير عند المسلمين في الشرق العربي على أن مصطلح "الزاوية" ظل في المغرب الإسلامي أكثر شمولاً من ذلك، إذ هو يطلق على بناء أو طائفة من الأبنية ذات الطابع الديني، وهي تشبه المدرسة في تخطيطها وأجزائها ووظائفها التعليمية. وقد ذكر "دوماس" Daumas عام 1847 في كتابه "منطقة القبائل" تعريفاً لمفهوم الزاوية بالمغرب حيث قال: «إن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة»².

والظاهر أن التعريف يتفق في الجوهر وما عليه "الزاوية" اليوم أو ما كانت عليه في الماضي والزاوية تحتوي عادة على مصلى، وغرفة قصرت على تلاوة القرآن

¹ - محمد بن سنوسي، دراسة لمجموعات الأثرية لمتحف أدرار، مديرية الثقافة لولاية أدرار، دط، 2002، ص7.

² - شهيبي عبد العزيز، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، دط، وهران، الجزائر، 2007، ص13؛ نقلاً عن: ليفي بروفنسال، "الزوايا"، دائرة المعارف الإسلامية، تر: أحمد الشنتاوي وآخرين، المجلد 10، القاهرة، 1933، ص332.

ومدرسة لتحفيظ القرآن، وتلقين علوم الدين وقواعد اللغة العربية، كما تضم غرف أو مرقد لإيواء الطلبة وضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين، ويلحق بها أيضا ضريح الولي الصالح، ويكون هذا الولي في الغالب هو مؤسس الزاوية، أو أحد المرابطين بها ممن سطعت شهرته بالناحية وتجاوزت شهرة المؤسس نفسه¹.

3- التعريف بأفريقيا الغربية سياسياً²؛

تشتمل إفريقيا الغربية على إمبراطوريات عديدة، نركز هنا على الامبراطوريات التي كانت لها علاقة برحلة الشيخ المغيلي منها: إمبراطورية (غانا، مالي، السنغالي، إمارات الهوسا، جنوب غرب نيجيريا، مملكة بنين، مملكة بورنو، قبائل السودان الغربي).

ولإمبراطوريات إفريقيا الغربية ميزات مشتركة كونها قامت في أزمنة متقاربة، لهذا كان التناحر بينها؛ بل تعدى ذلك إلى الحروب بين الإمارات في المملكة الواحدة؛ لهذا تميّزت سياسياً بعدم الاستقرار، إذ قدم كثير من الرعايا دماءهم في سبيل توسع إمبراطوريتهم أو دفاعاً عنها. كما كان بين الرعية خلافات حول من يتولّى السلطة، فظهر بينهم التّطاحن لأبسط الأمور السياسيّة. وابتداء من القرن الحادي عشر إلى القرن السابع عشر للميلاد، كان الإسلام قد انتشر في كلّ من إمارة السنغالي، بنين والتكرور وغيرها من الإمارات المذكورة سابقاً.

3-1 أثر البيئة السياسيّة لأفريقيا الغربية على شخصيّة الشيخ المغيلي وتأثيره فيها³؛

خلال هذه الفترة كان الشيخ المغيلي مشغولاً بطلب العلم في تلمسان تحصيلاً ودراسة ثمّ تلقينا وتعلّماً، وقد لاحظ التّعصّب السياسي الذي يسود عرش بني زيان، والتفّسّخ والانحلال اللذين يعمّان مجتمع المدينة الزّيانية، وتكالب القوى الأوروبيّة ضدّ البلاد، وخروج الأمراء عن الجادة الإسلاميّة

¹ - المرجع نفسه، ص332.

² - عبد القادر باجي، الإمام المغيلي وآثاره، مع دراسة وتحقيق، لكتاب الأسقيا واجوبة المغيلي، ط2011، ص(12-14).

³ - المرجع نفسه، (15-16).

وانغماسهم في المذات، واستسلامهم لأهواء الأجانب من اليهود والإسبان والبرتغاليين فأنف من ذلك الوضع المتعفن وأثر فيه أيما تأثير على غرار العلماء المخلصين من أهل المدينة وغيرها مما جعله يهاجر من موطنه تلمسان إلى أرض توات لعله يجد الأمن والاطمئنان.

غير أن الشيخ المغيلي عند حلوله بتوات وجد جوّا آخر لم يكن في حسبانته، وهو سطوة اليهود على المنطقة على مختلف المجالات وبصورة خاصة على المجال السياسي، فما كان منه إلاّ مناهضة هذه السيطرة، ومجابهة ذلك العدوان بالسيف، حتى أجلي هؤلاء اليهود وأزال قلاعهم بالمنطقة.

وها هو اليأس قد دبّ في نفس الشيخ المغيلي، وعجز بمفرده عن إصلاح الأوضاع في بلاده؛ فتوجّه إلى قبائل ومدن السودان الغربي في أواخر السبعينات من القرن الخامس عشر الميلادي، فسعى إلى نشر الإسلام وتوطيد الحكم الإسلامي بين أمراء تلك القبائل، منتهجا طريقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومفتيا الأمراء بما يتماشى وتصوّره في نظام الدولة الإسلامية (1). ومع ذلك فهو يرى بين الفينة والأخرى أمراء متقاتلين، فيسعى الشيخ إلى إخماد نار الفتنة بينهم، وإسداء الإرشاد والنصح لهم.

ثمّ تعود الاضطرابات من جديد فيسمع بمقتل ابنه بتوات، فيترك الأسكيا حاكم بلاد السودان الغربي، ويعود إلى أرض توات ناقما من الأوضاع التي آلت إليها بلاده، فيمكث بزاويته هناك يعلم ويرشد حتى وافاه الأجل .

وهذا الفساد المستشري في المناطق الثلاث (تلمسان، توات، السودان الغربي) جعله لا يهتم بالمناصب العالية في السلطة كالقضاء أو الإمارة، لكن مع ذلك لم ينعزل عن الحكم لجورهم بل كان لهم ناصحا أميناً ومرشداً، يأمرهم بكلّ معروف وينهاهم عن كلّ منكر؛ فكان موقفه منهم ناقداً ناقما على الحكم الجشعين المتخاذلين، وناصحا مرشداً لمن طلب النصح وكيفية تسيير الإمارة؛ ولم تكن نيّته الطمّع في المال أو البحث عن لقمة أوجه .

هذا عن تأثر المغيلي ببيئته السياسيّة، أمّا عن تأثيره فنجد في الجانب الداخلي أنّه عمل على ردّ كيد اليهود من السيطرة على أرض توات خصوصا

وتمهيدهم للسيطرة على تلمسان ثم الجزائر عموماً؛ وما زالت هذه الخصلة تُذكر له إلى اليوم .

وفي الجانب الخارجي فهو الذي عمل على إرساء قواعد الحكم الإسلامي في بلاد السودان الغربي، أثناء رحلاته إليها والتقاءه بأمرائها. فقد سعى إلى بناء الحكم في دولة الصنغاي وإمارات الهوسا على مبادئ الإسلام الصحيح استناداً إلى الكتاب والسنة. فقد تأثرت مناطق السودان الغربي بشكل كبير بأفكار الشيخ المغيلي، فكانت لتلك الأفكار السياسية وحركته الإصلاحية أثر بالغ على ممالك بلاد الهوسا وحكام كانوا، وكاتسينا، وكان حكام هذه المناطق يستشيرونه في العديد من أمور الدين والحكم والشرعية.

- فما أهم الزوايا التي لعبت دوراً هاماً في نشر ثقافة التصوف وتعاليم الدين الإسلامي في منطقة توات والمناطق المجاورة لها خلال عصر الإمام المغيلي خصوصاً أفريقيا الغربية؟

♦ زوايا أقليم توات في عصر الإمام المغيلي وأهم أدوارها أو وظائفها:

إذا كان التصوف الروح العامة التي طبعت على عصر الإمام، فإن الزوايا على اختلاف أنواعها بين خلواتي وغير خلواتي تعتبر المراكز العلمية التي عملت على نشر ثقافة التصوف وتعاليم الإسلام اللغة العربية والوعي الحضاري بحاضرة توات وما جاورها من مناطق، كما لعبت دوراً فعالاً موحداً كونها متفقة في عمومها في عدم مهادنتها للاستعمار حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي؛ هذا مع العلم إن الطرق الصوفية هدفت أيضاً إلى الإصلاح الديني والاجتماعي، وإلى تحرير الشعوب من كل أنواع الاستعباد.

ومن أهم الزوايا التي كان لها دوراً بارزاً في المنطقة ثلاثة نذكرها هنا كالآتي:

1- زاوية الشيخ مولاي سليمان بن علي:

أسسها شيخها بعد قدومه من فاس إلى توات عام (605هـ/1208م) ومن أهم مهامها (تعليم القرءان، اللغة العربية والتوحيد، ونشر الفكر الصوفي من خلال الأوراد التي لقنها لأتباع الزاوية الذين انتشروا بكامل الصحراء الكبرى وبلاد

السودان الغربي)¹، بالإضافة إلى امتلاك الزاوية مكتبة كبيرة في مختلف العلوم منها علم (الحديث، الفقه، اللغة العربية، الحساب، الجغرافيا، الفلك، الطب، المنطق... إلخ)؛ إلا أن الزاوية تخلت عن دورها التعليمي بعد وفاة شيخها لتكتفي بالدور الاجتماعي وهو المتمثل في إيواء المسافرين وتقديم الطعام للزوار.

2- زاوية الشيخ أبي يحيى المنيارى:

أستقر مؤسسها أبو يحيى المنيارى خلال القرن (التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) بتوات ومن أهم الأدوار التي قامت بها زاويته (نشر الإسلام والإصلاح بين القبائل السودانية في الجنوب، وعملت على نشر ثقافة التسامح بين مختلف شرائح المجتمع التواتي؛ وحتى الخارج عنه (أهل الذمة))، كما امتلكت الزاوية خزانة علمية كبيرة ساهم في إنشائها مختلف الشيوخ والتلاميذ، مع العلم أن الزاوية استفادت من رضى السلطان الوطاسي محمد الشيخ، كما كان لها سند حربي متمثل في قبيلة "أولاد علي بن موسى" التي دافعت عن الزاوية وأفكارها التي انتشرت خصوصا في عهد عبد الله بن أبي بكر العصنوني في أغلب جهات إقليم توات².

ومما سبق نلمس التعدد في وظائف الزوايا، والتشابه الكثير مع مثيلاتها في باقي دول الوطن العربي، وسنعرض لأهمها :

1- كونها مركز إشعاع ديني: بحيث أن الهدف الأساسي هو خدمة الدين ونشره وتخرج منها خيرة العلماء الكبار في علوم الفقه والشرع.

2- الوظيفة الاجتماعية: تعددت مساهمة الزوايا اجتماعيا ومن الخدمات المتعددة كانت:

- تساعد الفقراء والمعوزين حيث تفتح أبوابها للفقراء والمساكين الذين يجدون المأوى والمأكل بها.

- القيام بعمليات الصلح في حالة وقوع النزاعات، فكان يتم الانتقال من الزاوية بالتهليل إلى القصور لإقامة الصلح.

¹ - الحمدي أحمد، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي، ص 61 وما بعدها.

² - المرجع نفسه، ص 62، نقلا عن: محمد الطيب بن عبد الرحيم، القول البسيط، ص (36،29).

3- وقامت بوظائف أخرى متعددة (صحية، زراعية واقتصادية) نذكر

أهمها هنا:

- أدوار صحية كجمع وقتل الحشرات الضارة المتواجد في القصور.
- بعضها أختص بركب الحجيج لوقوعها على الطريق مثل (زاوية الحاج بلقاسم بقورارة، وزاوية أبي نعامة بأقبلي).
- ساهمت في تنظيم التعاون بين الأفراد في القرية مثل (التوزيع التي يتعاون فيها جميع الناس).
- مساهمة الزاوية الكبيرة في إيجاد عمل مستقر لكثير من الأشخاص سواء داخل الزاوية، أو في البساتين و الأراضي التي تملكها خارج القصر.
- وإذا أردنا أن نستدل من الواقع مباشرة نأخذ كمثال بعض الزوايا في الجنوب

الجزائري:

- زاوية كنتة: أنشأت في بداية الأمر لأغراض تعليمية ثم عنت بعد ذلك بأدوار روحية وثقافية ثم اقتصادية وتجارية وجعلت من الصحراء بحرا آمنا للعلاقات التجارية وهمزة وصل بين المغرب العربي وغرب إفريقيا.
- الزاوية الرقانية: لعبت نفس الأدوار التاريخية في الثقافة والتجارة وتلقين الأوراد الرقانية للأتباع.
- زاوية تاسفاوت الجورانية: في عهد " الإمام المغيلي" لعبت دور الجهاد ضد اليهود وحركاتهم التجارية والاقتصادية، وعملت ضد تهويد الاقتصاد المحلي فأنشأ الشيخ "سيدي موسى" و" المسعود الشيخ الروحي" لهذه الزاوية أسواقا موازية لأسواق اليهود بتميمون؛ ولأزال أثر هذه الأسواق موجودا إلى يومنا هذا فنجد أثر لسوق يسمى " سيدي موسى".
- زاوية تاسفاوت البكرية: هي من ضمن الزاوية البارزة بالمنطقة، تخرج منها جملة من العلماء وذلك سر انتشار فروعها التي تجاوزت حدود الوطن لتدخل تونس وليبيا، ولها دورا إصلاحيا لا يستهان به.
- الزاوية البلبالية: بملوكة وكوسام امتازت بوظيفة القضاء، وتعلمد في مدارسها مشايخ الزاوية الكرزاوية.

♦ دور زاوية الفقيه المصلح المغيلي في نشر الإسلام في السودان الغربي:

✓ التعريف بالفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي:

- أولاً: البيئة الاجتماعية لنشأته:

هو الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، والمغيلي بفتح الميم نسبة إلى مغيلة قبيلة من البربر استوطنت تلمسان ووهران والمغرب الأقصى، وهي فرع من قبيلة صنهاجة كبرى شعوب الأفارقة البيض، ولد في مدينة تلمسان (709هـ/1425م) من عائلة مشهورة بالعلم والدين والشجاعة في الحروب، حيث يعتبر العالم رقم عشرين في سلالة المغيليين التي تبتدئ بإلياس المغيلي وهو ذلك العالم البربري الذي اعتنق الإسلام، وحمل لواء الجهاد فكان له شرف المشاركة مع طارق بن زياد في فتح الأندلس، والده عبد الكريم أشتهر بالعلم والصالح، كما أن أمه اشتهرت بأنها سيدة فاضلة تحب الفقراء والمساكين وتنفق عليهم بسخاء¹.

وهناك رواية أخرى تقول أن المصلح والفقيه والمنطقي والمتكلم والمفسر والمحدث والداعية المصلح المغيلي تربى في فترة شبابه في توات في الصحراء وانتقل إلى فاس بهدف الدراسة، وكانت له مع علماء فاس مساجلات أخذت شكل الخلاف وأشتهر بعدائه لليهود².

بالإضافة إلى هاتين البيئتين الاجتماعيتين التي نشأ وتربى بهما الإمام المغيلي نجد أن هناك ظروف عاشها في عصره هي أيضاً صنعت عبقرية الرجل وذكاؤه وفطنته ومكانته السياسية والفكرية في مجتمعه.

- فما هي طبيعة هذه الظروف والأوضاع؟

- ثانياً: الظروف والأوضاع في عصره:

¹ - عبد الحق حميش ومحفوظ بوكراع بن ساعد، موسوعة تراجم علماء الجزائر، دار زمورة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011، ص241.

² - قدوري عبد الرحمن، الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرن (9 و10 هـ/15 و16 م) دراسة في الدوافع والنتائج، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، تحت إشراف: أ.د/ مبخوت بودواية، قسم التاريخ وعلم الآثار، شعبة تاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، (2010-2011م).

أ- من الناحية السياسية: لقد شهد عصرالإمام المغيلي عدة متغيرات إذ سقطت أغلب المناطق الإسلامية تحت وطأة الاستعمار، وشرد وطرده العديد من المسلمين من بلادهم؛ حيث كانت الظروف مشابهة بين مناطق الشمال والجنوب الجزائري.

ب- من الناحية الاجتماعية: حافظ السكان على تماسك وحدتهم بفضل تمسكهم بمبادئ الدين الإسلامي.

ت- أما من الناحية الاقتصادية أو التجارية: فقد كانت توات كمناطق جغرافية منتجة من أهم الأسواق التجارية، حيث أنتجت العديد من المنتجات الزراعية.

ث- كما أن توات من الناحية الثقافية: لعبت دوراً كان له أثر بالغ على جميع أماكن الصحراء بفضل مجهودات العديد من الشيوخ والعلماء الذين تركوا العديد من الآثار والمراكز العلمية، والتي لا تزال مركز إشعاع إلى اليوم¹.

- ثالثاً: مرجعيته الفكرية

لقد حفظ القراءان على يد والده الذي علمه أيضاً مبادئ اللغة العربية من نحو وصرف وبيان، كما قرأ عليه موطأ الإمام مالك وكتاب ابن الحاجب الأصلي، كم تلقى العلم عن علماء وشيوخ من تلمسان منهم:

- محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي: الشهير بالجلاب التلمساني (ت 875هـ)، حيث أخذ عنه بعض التفسير والقرآن ولقنه الفقه المالكي؛ وقد ذكر المغيلي أنه ختم عليه "المدونة" مرتين و"مختصر خليل" و"الفرائض من مختصر ابن الحاجب" و"الرسالة".

- كما درس أيضاً عن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن يحيى الحسني أبو يحيى التلمساني (ت 826 و قيل 825 هـ)، و محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن الإمام أبي الفضل التلمساني (ت 845هـ)؛

¹- أحمد الحمدي، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي، الإطار المعرفي والتعامل مع المكانية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، سيدي بلعباس، الجزائر، 2012، ص (17-18).

لينتقل بعدها إلى بجاية ليأخذ عن علمائها (التفسير والحديث الشريف والفقه)، وراح بعدها يبحث عن الاستزادة من رحيق المعرفة فتوجه إلى الجزائر ليأخذ التفسير عن المفسر المشهور عبد الرحمن بن خلوف بن طلحة الثعالبي صاحب التفسير المشهور "الجواهر الحسان"، هذا الأخير أعجب بفطنته وذكائه فزوجه ابنته عرفانا لعلمه وفقهه¹.

رابعاً: أهم آثاره الفكرية:

في البدء هناك اختلاف بين المؤرخين حول تعداد مؤلفات الإمام المغيلي فالبعض أوصل آثاره إلى أكثر من ثلاثين كتاباً ورسالة نذكر منها:

- تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين.
- ما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام.
- أسئلة الأسكيا الحاج محمد وأجوبة المغيلي عليها.
- البدر المنير في علوم التفسير.
- تفسير سورة الفاتحة.
- مصباح الأرواح في أصول الفلاح (ضمنه فتاويه ومنها فتواه في نازلة توات، وعرفت في بعض المصادر باسم "تأليف" فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار).
- أحكام أهل الذمة.
- تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعاوى مقامات العارفين.
- مغنى اللبيب في شرح مختصر خليل.
- شربيع الأجل.
- المنسيات.
- فتح المتين.
- مفتاح النظر في علم الحديث.
- منح في رد الفكر إلى الصواب.
- منظومة في المنطق، له شرح عليها سماه (منح الأحباب من منح الوهاب).
- مناظرة بينه وبين الشيخ السنوسي محمد بن يوسف في التوحيد.

¹ - المرجع نفسه، ص 242.

- حاشية على خليل.
- شرح على جمل الخونجي.
- قصيدة عارض بها البردة... إلخ¹.

✓ الإمام المغيلي ودوره في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية:

يعتبر الإمام المغيلي أول من أخضع المعارف الإسلامية لمحك النقاش والأخذ والرد في منطقة توات والمغرب الأقصى والسودان، ودفع الحكام إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة، ومن بين القضايا التي توسعت دائرة النقاش العلمي حولها نذكر منها (الصلاة في الأضرحة، دفن الأموات في المساجد... إلخ)².

كما كانت للإمام مراسلات في نشر علم المنطق مع جلال الدين السيوطي، بالإضافة إلى مراسلات مع محمد بن يوسف السنوسي حول عدااته لليهود بعد أن قتلوا ابنه "عبد الجبار" بمدينة توات انتقاماً من والده الذي ضيق عليهم بعلمه وفقهه رغم كبر سنه³؛ إذ تأثر بالإمام وأخذ عنه جماعة كالفقيه (أيدا) أحمد والشيخ العاقب الأنصمني ومحمد عبد الجبار الفيحجي وغيرهم)⁴، بعدها ارتحل الإمام إلى السودان حيث عمل مدرساً في بعض بلدانه نذكر منها (تكدة، غاو، كانو...)، واتصل هنا بالعالم المشهور الأسكيا الحاج محمد وتذاكر معه في جملة من المسائل الفقهية)⁵؛ وقد ذكر صاحب الديباج واحداً وعشرين مؤلفاً ألفها في السودان.

ولما كانت المالكية هي المتداولة في عصره من خلال تدريس (موطأ الإمام مالك، والمدونة الكبرى للفقيه سحنون، وجامع المعيار للونشريسي ومختصر

¹ - المرجع نفسه، ص 243، راجع أيضاً: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

² - التنبكتي أحمد بابا، الابتهاج بتطريز الديباج، تق: عبد الحميد الهرامة، ليبيا، 1988، ص 577.

³ - علي مسعود، تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي، جمعية الدعوة الإسلامية، دط، طرابلس، 2003، ص 141.

⁴ - المرجع نفسه، ص 138.

⁵ - راجع: المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي، تح: عبد القادر زيادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1974.

خليل...)، وقد لزم لفهمها واستيعابها خصوصاً في البلاد السودانية فهم قواعد اللغة العربية الشيء الذي دفع الإمام المغيلي إضافة إلى تدريس اللغة والعلوم الدينية تأليف مصنف بعنوان "مقدمة في العربية"¹، وهدف المغيلي من تعليمه اللغة العربية وعلوم الدين في بلاد توات والسودان الغربي يتمثل في نشر العقيدة الإسلامية وتوحيد المسلمين للوقوف في وجه المد الاستعماري.

هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى ساعدت على انتشار الثقافة العربية الإسلامية في أفريقيا السوداء مثل:

1- إقامة المساجد في أفريقيا: وما يتبعها من مؤسسات ثقافية ك: المدرسة القرآنية وبيوت الضيافة لعابر السبيل.

2- التجارة بين الجزائر وغرب القارة: ومن أهم الطرق التي حددها الجغرافيون والتي كان لها دوراً بارزاً في ذلك:

- أولاً: طريق وهران أرزيو إلى تمبوكتو:

يربط هذا الطريق بين فاس وتمبوكتو مروراً على الخيثر ومشربة وعين الصفراء وفقيق، ثم يتبع مجرى واد زوزفانة إلى إيغلي، ولهذا الطريق فرع آخر إلى الشرق الأول ينطلق من الخيثر إلى البيض والأبيض سيدي الشيخ، والمنقب وتوات أين يلتقي بطرق وهران ومكناس وتمبوكتو.

- ثانياً: طريق الجزائر العاصمة إلى تمبوكتو:

يمر هذا الطريق على البليدة والأغواط وغرداية والمنيعية وعين صالح وأكابلي وبئر يترشومين أين يلتقي بطريق توات إلى تمبوكتو، ولهذا الطريق فرع آخر من عين صالح إلى بئر عسيووتنتيلوست أين يتفرع إلى فرعين أيضاً الأول إلى أقادم وماو، وشرق بحيرة أتشاد؛ وإلى أقادم وكوكا جنوبها والثاني إلى الجنوب الغربي نحو أقاديش أين يتفرع الآخر إلى فرعين: فرع إلى سوكتو، وفرع إلى كاتسمنا.

- ثالثاً: طريق سكيكدة وقسنطينة إلى أمقيد والهقار وتمبوكتو :

¹ - قدوري عبد الرحمان، الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرن (9و10هـ/15و16م) دراسة في الدوافع والنتائج، ص(15- 16).

يمر هذا الطريق على باتنة وبسكرة وتقرت وورقلة والبيوض وأمقيد وتيميساو وايفروان إلى مبروك وتمبوكتو أو يربوروح (برنوح)، ولهذا الطريق ثلاث فروع أيضاً: فرع يبدأ من جنوب بسكرة ويتجه إلى وادي سوف ومنها إلى غدامس وغات وميادو، ولما وأقاديم وماو، وفرع ثانياً من اليون إلى عين صالح وفرع ثالثاً إلى غات¹.

3- زاوية الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي:

لما دخل الإمام المغيلي إلى توات نهل العلم على شيخ زاوية أبي يحيى المنباري بتمنطيط مما يدل على أن توات كانت منارة علمية أيضاً، وسافر بعدها إلى أولاسعيد بإقليم قنطرة تيميون حالياً وعاد بعدها إلى تمنطيط، وحين وقعت حادثة اليهود سافر الإمام المغيلي إلى إقليم توات الوسطى وبالضبط بقصر بوعلي وأسس زاويته التعليمية عام (885هـ / 1480م)، وسرعان ما زاوجت الزاوية بين مهمة التعليم والحرب فكانت زاويته قاعدة لضرب قواعد اليهود في مختلف قصور توات خصوصاً (تازولت، وتاخضيفت وتاسفاوت وتمنطيط و اغرماملال... إلخ).

والزاوية إضافة إلى الاتجاه العلمي والاتجاه الحربي كانت الزاوية ذات اتجاه صوفي أيضاً تمثل في نهج الطريقة القادرية والتي كانت من أوائل الطرق في الإقليم والأكثر نفوذاً في إقليم توات والمناطق المجاورة منها (التكرور، والسودان الغربي...)، ومن أهم المهام المنوطة بهاته الزاوية:

- توحيد المجتمع وتقوية بنائه في وجه العدو سياسياً اجتماعياً دينياً وثقافياً

- كما يعود للإمام المغيلي الفضل في إدخال الورد القادري إلى الصحراء السودانية علماً إن الشيخ أحمد البكاري هو أول من حمل الورد لكنه لم يعمل على نشره، ولكن ابنه عمر الشيخ الذي كان التلميذ الوفي للإمام المغيلي ورفيقه في السفر والذي أصبح الناشر للطريقة الصوفية القادرية فيما بعد.

¹ - عمار هلال، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب أفريقيا السمراء، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغبة، دط، الجزائر، 1988، ص (72 - 73).

وبعد عودة المغيلي إلى الشمال تقلد عمر الشيخ المنصب الأعلى للطريقة القادرية واسمه في السلسلة القادرية والصوفية مباشرة بعد إسم المغيلي، الذي كان هو نفسه تلميذ السيوطي¹؛ وعلى هذا الأساس ينتسب فرع البكاية للسلسلة الكبيرة والمشاركة لقادرية المشرق والمغرب، ويعود الفضل إلى الشيخ عمر الشيخ بداية القرن (العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي)، وقد خلفه على رأس الطريقة القادرية البكاية^(**) الجديدة ابنه أحمد الفيرم الذي عاش في النصف الأول من القرن السادس عشر.

وهنا من يقول إن انتشار الطريقة القادرية بالمغرب كان على يد أبي مدين شعيب الأنصاري الأندلسي (ت 940هـ / 1533م)، وللإمام المغيلي وظائف أخرى تعددت بتعدد مجالاتها ذكرها الباحث والكاتب الحمدي أحمد نقدمها هنا باختصار:

1- في المجال العلمي والثقافي:

لقد تأثر إقليم توات بالحركة العلمية في شمال الجزائر وبالأخص في تلمسان، وباقي مدن المغرب الإسلامي مما انعكس عنه ظهور علماء وإنتاج علمي وفير شمل مجالات معرفية متنوعة منها: (التصوف والفقه والتوحيد وعلم الكلام والمنطق بالإضافة إلى علم الحساب والفلك...)، وهذا تزخر به معظم مكاتب الزوايا في هذا الإقليم؛ والإمام المغيلي له دوراً بارزاً في هذا المجال بالإضافة إلى التدريس والوعظ عمل على نشر المذهب المالكي والورد القادري، وكذلك اللغة العربية والمنطق، وعلم الحديث؛ وللعلم أنه أسس زاوية للعلم في منطقة

¹ - حنان فردوسي، محمد الخليفة الكنتي - حياته وأثاره، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، تحت إشراف: أ.د/ بن نعيجة عبد المجيد، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة السانبا، وهران (2008 - 2009).

^(**) البكاية: فرع من فروع القادرية أسس الشعبة البكاية الشيخ أعمر بن الشيخ أحمد البكاي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي)، وقد سافر إلى الشمال مراراً ولقى الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي في توات وأخذ عنه وبلغت هذه الطريقة أوجها مع ظهور الشيخ المختار الكنتي (1226هـ / 1811م)، أنظر: خليل النحوي، بلاد شنقيط، المنار، دط، الرباط، دس، ص 121.

توات، كما أملى بعض كتبه بمسجد الكرامة الذي أسسه بأكدس، والذي يعد منارة علمية ظل يستقي منها أبناء تلك المنطقة؛ هذا بالإضافة إلى عدد معتبر من المريدين الذين تعلموا على يده بمدينة (كشنة وكانو وكاغو.... إلخ)، حيث أفتى ودرس وعمل على نشر الإسلام¹.

2- في المجال السياسي:

لقد تمكن الإمام المغيلي من تغيير النظام السياسي بتوات تغييراً جذرياً حيث سحب السلطة من رؤساء القبائل وجمعها في يد شخص واحد هو ابنه عبد الجبار كقائد أول للجيش مهمته حماية النظام في توات، وبهذا تحررت توات من التبعية لأي دولة من الناحية السياسية والاقتصادية.

وبعد تحرير توات وإجلاء اليهود منها وإرساء قواعد الشريعة الإسلامية سافر الإمام إلى المناطق المجاورة خصوصاً السودان الغربي لمواصلة نشر الدين الإسلامي وإرساء الإصلاح الاجتماعي².

3- في مجال التصوف:

اقتضى الإمام المغيلي طريق الأوائل في هذا المجال، حيث ركز أيضاً على تهذيب الأخلاق وهذا ما انعكس فلسفة الإصلاح عند جميع المتصوفة المنطلقة من فكرة لا صلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها؛ والتي اختار أصحابها فلسفة تربوية لتنشئة الأفراد، إلا إن الإمام المغيلي كان ينتقد التصوف القائم على عزلة الحياة ويناشد التصوف العامل الذي يجمع بين مهمة العلم والجهاد دفاعاً عن الدين والأمة معاً؛ حيث كتب الإمام المغيلي في شأن ذلك "كتاباً بعنوان "تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين"، وهو نقد لأدعياء التصوف خصوصاً الذين يدعون الولاية باسم العلم ودعاهم بعلماء السوء، لأن تصوفهم بهذا المنطلق غير ملتزم بالكتاب والسنة، لأنه لو كان ملتزم لجمع بين

¹ - الحمدي أحمد، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي، ص (19 - 37)، أنظر أيضاً: عبد الحميد حاجيات، الحركة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، عدد 26، جويلية - أوت، 1975، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ص 155.

² - يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1995، مج2، ص 155.

العلم والعمل؛ وهذا ما تتلمذ عليه الفقيه المغيلي على يد الشيخ عبد الرحمان الثعالبي والشيخ أبي العباس الوغليسي.

وما يدل على أن تصوفه عملي لا علمي هو زاويته التي أسسها بتوات الوسطى، والتي كانت مركزاً علمياً لنشر الإسلام في بلاد التكرور والسودان الغربي سواء في تلقين العلم أو الورد القادري؛ هذا بالإضافة إلى الصفات الثمانية عشر التي أوردها كخصال يجب توفرها في السالك نختصرها هنا كما يلي:

- اختيار الرفق الحسنة.
- مصاحبة أهل الذكر: وهم أهل الصلاح والفلاح وأهل العلم والتقوى ومذكراتهم تؤيد السالك معرفة وعملاً¹.
- الاتصاف بالطمع والورع: فالطمع لا يكون إلا في الله، والورع لا يكون إلا في مجانبة علماء السوء والدجالين حتى وإن كانوا من المنتسبين لأهل الله؛ وقال أحد الصوفية مقالة في ذلك:

إذا رأيت رجل يطير أو فوق ماء البحر قد يسير

ولم يقف عن حدود الشرع فإنه مستدرج وبدعي

وا أسفا على الطريقة السايه أفسدها طائفة الدجاجة

قد أحدثوا طريقة بدعية ورفضوا الطريقة الشرعية

- الاتصاف بالصدق وحب الخير: فالسالك لو أتصف بذلك لكان أفضل الناس.

- ابتغاء العلم واجتناب السحر: هذا ما سعى الإمام المغيلي إلى مكافحته في عصره نتيجة إبعاد أهل السحر الناس عن جوهر الدين.

- التوكل على الله وحده وتفويض الأمور إليه.

- العزلة والخلوة: التي تمكن المريد من تزكية قلبه، ونبذا الإمام المغيلي الخلوة التي تؤدي بالمريد إلى البطالة والتعطل.

- الالتزام بالجماعة: لأن الطريقة هي الجماعة التي تجدد للمرء دوماً دينه وتذكره بخالقه وعبادته.

¹ - المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي، ص 164.

- **الاتصاف بالإخلاص في العمل:** لأن صاحبه يقول الإمام المغيلي يستغني بالحلال عن الحرام.
- **اجتناب الغيبة:** فالإمام المغيلي يقول في شأن الغيبة الممتنعة أن تذكر من مسلم ما يكرهه تنقيصاً منك له بالهوى لا بالتقوى، فليس منها أن تذكره بما هو عند الله مذموم وصاحبه معلوم وإن كره ذلك.
- **نصرة قوى الخير عن الشر:** والتغلب عن الطبيعة الروحية للفرد.
- **ذم الدنيا:** لأنها دار الهلاك والغرور لا ينجو منها إلا تقي ورع ولا يسقط في شباكها إلا ظالم هالك.
- **الإعداد للأخرة:** لأن المريد إذا عرف الله حق المعرفة عبده عبادة الأحرار العارفين بأحوال الدنيا.
- **حال الانتقال:** فالمرید لا يحكم نفسه في فعل من الأفعال إلا في حالة تكون نفسه مختارة بين الانتقال من الدنيا إلى الأخرة، لأن هذا الحال لا يجعل النفس تنظر إلا إلى ما هو أحب إليها أن تموت عليه.
- **اجتناب الجهل:** فالإمام المغيلي ينبذ أدعياء التصوف غير المتعلمين خصوصاً لأنهم كثروا في عصره، ويؤكد على تعلم العلوم الدينية والتي لن تتأتى عبادة الله دونها.
- **التصديق بالكرامة للأولياء** لأنه تصديق بالأنبياء: إلا أن الإمام المغيلي لم يشترط في حصول الولاية الكرامة، لأنها لو حصلت لولي فهي دلالة على صدقه عبادته واتباع سنة النبي عليه الصلاة والسلام، وإن لم يكن متبعاً للرسول فالكرامة خُذلان من الشيطان؛ لأن الكرامة في جوهرها استقامة على الشريعة.
- **الجمع بين العلم والعمل والجهاد:** فالمرید ينبغي أن يكون عاملاً بكل ما علم لأن الخير يدفع بالشر، فعالم العامل هو القدوة الحسنة لغيره والمجدد للأمر الأمة ونهضتها؛ والعلم المقصود به هنا العلم بكتاب الله وسنة نبيه الكريم لا العلم الجالب للحظ العارض، فالعلم بالشرع يعني مجاهدة النفس قبل العدو عملاً بما يرضي الله سبحانه وتعالى واتباع لأثره الشريف في جميع معاملتنا¹.

¹ - الحمدي أحمد، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي، ص (191 - 220)، راجع أيضاً: المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي، ص 163 وما بعدها.

* خاتمة-

تبقى الزاوية هي صمام أمان في مجال العقيدة، وقد ملئت الفراغات الإيديولوجية؛ وبالتالي وقفت أمام الاندثار الحضاري للمجتمع، كيف لا وهي التي في أحضانها بعثت الدولة وبويع الأمير، وأمن المخلوع والمهزوم والمظلوم، وحرر العبد وفك الأسير وفيها أكرم الجائع وأجيب السائل، وفيها انطفأت نيران الفتن وسويت النزاعات، وأبرمت الأحلاف إضافة إلى تطوير العمران وازدهار الفنون اللغوية كالشعر، والحفاظ على التوازن الروحي و الذاكرة التراثية للأمة.

- وإذا كان البحث قد أورد في مضمونه نموذجا لأحد رجالات التصوف في بلادنا، والتي كان لها دوراً فاعلاً في نشر الإسلام في أفريقيا الغربية، فماذا عن باقي الرجالات نفعلنا الله ببركاتهم جميعاً؟

المراجع:

- ¹ - مخطوط: خزانة أبا سيدي جعفري - زاوية سيدي حيدة ببودة - أدرار، ص 5.
- مخطوط: خزانة أبناء عبد الكبير - بالمطارفة - أدرار، ص 2.³
- مخطوط: مخطوط خزانة توات الشاري الطيب بكوسام - أدرار، ص 3.³
- ⁴ - الصديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن الحادي عشر الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري (17م إلى 20م) مديرية الثقافة لولاية أدرار، دط، 2003، ص(10- 28)، نقلا عن: p 115، مكتبة الآباء البيض بالجزائر، دس، Martin, AGP, lesOasis sahariennes.
- المرجع نفسه الصفحة نفسها.⁵
- (❖) أدرار: كلمة بربرية تعني الجبل...أنظر: إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1983، ص188.
- ⁶ - فرج محمود، إقليم توات خلال القرنين 18م و19م، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1977، ص12.
- ⁷ - محمد بن سنوسي، دراسة لمجموعات الأثرية لمتحف أدرار، مديرية الثقافة لولاية أدرار، دط، 2002، ص7.
- ⁸ - شهيبي عبد العزيز، الزوايا والصوفية و العزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، دط، وهران، الجزائر، 2007، ص13؛ نقلا عن: ليفي بروفنسال، "الزوايا"،

- دائرة المعارف الإسلامية، تر: أحمد الشنتاوي وآخرين، المجلد 10، القاهرة، 1933، ص332.
- ⁹ - المرجع نفسه، ص332.
- ¹⁰ - عبد القادر باجي، الإمام المغيلي وآثاره، مع دراسة وتحقيق، لكتاب الأسقيا واجوبة المغيلي، ط2011، ص(12 - 14).
- المرجع نفسه، (15 - 16).¹¹
- ¹² - الحمدي أحمد، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي، ص61 وما بعدها.
- ¹³ - المرجع نفسه، ص 62، نقلا عن: محمد الطيب بن عبد الرحيم، القول البسيط، ص (36،29).
- ¹⁴ - عبد الحق حميش ومحفوظ بوكراع بن ساعد، موسوعة تراجم علماء الجزائر، دار زمورة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011، ص241.
- ¹⁵ - قدوري عبد الرحمن، الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرن (9 و10 هـ/ 15 و16م) دراسة في الدوافع والنتائج، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، تحت إشراف: أ.د/ مبخوت بودواية، قسم التاريخ وعلم الآثار، شعبة تاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، (2010 - 2011م).
- ¹⁶ - أحمد الحمدي، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي، الإطار المعرفي والتعامل مع المكافئة، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، سيدي بلعباس، الجزائر، 2012، ص (17 - 18).
- المرجع نفسه، ص 242.¹⁷
- ¹⁸ - المرجع نفسه، ص243، راجع أيضاً: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
- ¹⁹ - التنبكتي أحمد بابا، الابتهاج بتطريز الديباج، تق: عبد الحميد الهرامة، ليبيا، 1988، ص577.
- ²⁰ - علي مسعود، تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي، جمعية الدعوة الإسلامية، دط، طرابلس، 2003، ص141.
- المرجع نفسه، ص 138.²¹
- ²² - راجع: المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسقيا واجوبة المغيلي، تح: عبد القادر زيادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1974.
- ²³ - قدوري عبد الرحمان، الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرن (9 و10 هـ/ 15 و16م) دراسة في الدوافع والنتائج، ص(15 - 16).

²⁴ - عمار هلال، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب أفريقيا السمراء، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغبة، دط، الجزائر، 1988، ص(72- 73).

²⁵ - حنان فردوسي، محمد الخليفة الكنتي - حياته وآثاره، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، تحت إشراف: أ.د/ بن نعيجة عبد المجيد، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة السانبا، وهران (2008- 2009).

(❖ ❖) البكائية: فرع من فروع القادرية أسس الشعبة البكائية الشيخ أعمر بن الشيخ أحمد البكاي في (القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي)، وقد سافر إلى الشمال مراراً ولقى الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي في توات وأخذ عنه وبلغت هذه الطريقة أوجها مع ظهور الشيخ المختار الكنتي (1226هـ/ 1811م)، أنظر: خليل النحوي، بلاد شنقيط، المنار، دط، الرباط، دس، ص121.

²⁶ - الحمدي أحمد، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي، ص(19- 37)، أنظر أيضاً: عبد الحميد حاجيات، الحركة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، عدد 26، جويلية- أوت، 1975، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ص155.

²⁷ - يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1995، مج2، ص155.

- المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي، ص²⁸. 164.

²⁹ - الحمدي أحمد، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي، ص(191- 220)، راجع أيضاً: المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي، ص163 وما بعدها.



جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني من خلال إسهامات الشيخ المهديّ البوعبدليّ

محمد الزين

قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجبلاي اليابس سيدي

بلعباس

ezzine-mohammed59@hotmail.fr

الملخص -

يسعى هذا البحث إلى إبراز بعض الجوانب من الحياة الثقافية بالجزائر خلال العهد العثماني، من خلال إسهامات الشيخ المهديّ البوعبدليّ، الذي يُعتبر واحدا من الرعيل الأول الذين أسهموا بكتاباتهم في تدوين تاريخ الجزائر الحديث؛ وفق معالم المدرسة التاريخية الجزائرية.

كما يهدف هذا البحث أيضا، إلى الوقوف على بعض الجوانب، التي حاول الشيخ البوعبدليّ إعطاء صورة حقيقية عنها، خاصة المشهد الثقافي بالجزائر خلال الفترة العثمانية.

ولئن كان المجال لا يسمح لنا بتقديم دراسة تحليلية ونقدية لمجمل كتاباته، إلا أننا سنستعرض جانبا من المواضيع ذات الصلة بالتاريخ الثقافي للجزائر ومنهجه في الكتابة التاريخية.

الكلمات المفتاحية -

المهدي البوعبدليّ؛ تاريخ الجزائر الحديث؛ العهد العثماني؛ الحياة الثقافية؛ مراكز الإشعاع الثقافي.

Aspects Of Cultural Life In Algeria During The Ottomani Period Through The Contributions Of Shaykh Al-Mahdi Al- Bu'abdali

Summary-

This Research Seek To Highlight Some Aspects Of Cultural Life In Algeria During The Ottoman Period, Through Contribution Of Sheikh El Mahdi Al Bouabdeli, Which Is Considered One Of The First Poets Who Contributed Their Writing In The History Of Modern Algeria. According To The Algerian Historical School

This Research Also Aims To Identify Some Aspects That Sheikh El Mahdi Al Bouabdeli Tried To Give A Real Picture Of, Especially The Cultural Scene In Algeria During The Ottoman Period

While The Field Does Not Allows Us To Provide An Analytical And Critical Study Of The Entirety Of His Writing. But We Will Discuss Some Of The Topics Related To The Cultural History Of The Algeria And His Approach In The Historical Writing.

Key Words-

El Mahdi Al Bouabdeli, History Of Modern Algeria, Ottoman Era, Cultural Life, Cultural Radiation Centers.

- تقديم -

يعتبر الشيخ المهدي البوعبدلي من الرّعيّل الأول للمدرسة التاريخية الجزائرية عشية الاستقلال كغيره من الرموز الوطنية، من أمثال محمد مبارك الميلي وأحمد توفيق المدني، والشيخ عبد الرحمن الجيلالي، ويحي بوعزيز وغيرهم من القامات الفكرية الشامخة. وفي هذا الصدد، يأتي الشيخ المهدي البوعبدلي؛ ليفرض مكانته المرموقة ضمن أسماء كوكبة المثقفين التي تمّ ذكرها.

ويرجع الفضل في ذلك إلى عدّة اعتبارات ودلالات، أهمّها خصوصية فكره ونزاهة مواقفه ونبل خلقه وعظيم تواضعه وطهارة وطنيته. فرغم عصاميته في التكوين، إلا أنه قد تمكّن غداة الاستقلال؛ إلى جانب العديد من الأعلام الجزائريين من وضع اللبنات الأولى للمدرسة التاريخية في الجزائر المستقلة. وقد ألّف العديد من الكتب، بالإضافة إلى نشر العديد من المقالات والدراسات التي

استند في تحبيرها على بعض الوثائق والمخطوطات النادرة. فما هي أهم المحطات البارزة في مسار حياته؟ وما هي أهم إسهاماته في مجال تدوين تاريخ الجزائر الثقافي في العهد العثماني؟ وللإجابة على هذه الإشكالية فإنني سأتابع الخطة التالية:

المحور الأول : ترجمة للشيخ المهدي البوعبدلي ومنهجه في التأليف.
المحور الثاني: مظاهر الحياة الثقافية في الجزائر من خلال المؤسسات التعليمية.

المحور الأول : ترجمة للشيخ المهدي البوعبدلي ومنهجه في التأليف.
أولا - نشأت الشيخ المهدي البوعبدلي¹ ومساره العلمي والمهني.
وُلِدَ المهدي بن بوعبدالله بن عبد القادر بن محمد بن الجيلاني بن الموهوب البوعبدلي في عام 1907م ، وتعلم على يد والده في بطيوة مدة من الزمن، ثم شدد الرحال إلى مدرسة مازونة، وأتم دراسته العليا في جامع الزيتونة بتونس، وذلك خلال عقد الثلاثينات من القرن العشرين للميلاد ، وكان من ضمن رفاقه في الدراسة هناك، الشيخ أحمد حماني، والشيخ علي المغربي، وآخرون كثيرون، حيث كان جامع الزيتونية قبلة للطلبة الجزائريين، بعد أن سُدَّتْ في وجوههم هنا بالجزائر أبواب العلم والمعرفة والتعليم، من قبل إدارة الاحتلال الفرنسي.

وعندما عاد الشيخ المهدي إلى الجزائر، اشتغل مُفْتِيًا في بجاية لسنوات طويلة، ويعود الفضل في ذلك إلى تفقهه وتضلعه في العلوم الشرعية، وتمكن حينذاك من جمع ثروة هائلة من الوثائق والمخطوطات والرسائل والدراسات، من ضمنها: مكتبة (الباي القلي)، التي كانت في حوزة إحدى العائلات هناك. ومن بجاية انتقل الشيخ المهدي إلى مدينة الشلف، حيث مارس وظيفة الافتاء، إلى غاية اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954م.

وبعد وفاة والده الشيخ بوعبدالله، في يوم الرابع من شهر نوفمبر 1954 م، خلفه في رئاسة الزاوية والطريقة الشيخ عبد البر حتى وفاته عام 1974 م بالمدينة المنورة، بعدها خلفه أخوه الشيخ المهدي في منصبه، واستمرت الزاوية في أداء رسالتها الدينية والتربوية، حيث يتم تحفيظ القرآن الكريم في جناح خاص، وتعليم العلوم العربية والشرعية واللغوية في جناح آخر للطلبة الوافدين على الزاوية، الذين يتكفل بإطعامهم سكان القرية، صباحاً ومساءً، حسب العادة الموروثة، منذ تأسيس الزاوية. ووجد الشيخ المهدي نفسه عندها مضطراً للتفرغ للزاوية، حتى تستمر في تأدية رسالتها الدينية والتربوية. وقد عُرف الشيخ المهدي بشغفه باقتناء كتب التراث، من مخطوطات، ورسائل وتقارير فقهية وأدبية وتشريعية وأصولية ولغوية وتاريخية.

وبعد استرجاع السيادة الوطنية عام 1962م، عُيِّنَ عضواً في المجلس الإسلامي الأعلى، وانكبَّ على البحث والدراسة، وجمع الكتب والمخطوطات والرسائل والجرائد والمجلات، من مختلف المظان، وتفرغ للبحث والدراسة والكتابة، وتحقيق الكتب التراثية والمخطوطات.

ثانياً - آثاره العلمية:

رأى الشيخ المهدي البوعبدلي أن من واجبه أن يتجه للبحث والدراسة والتأليف في التاريخ والتراث، ولإلقاء المحاضرات، والمشاركة في الندوات والملتقيات، ولقد أحسن صنعا بعلمه هذا، فأفاد نفسه وأُمَّته وتاريخ بلاده، وتراثها الفكري والحضاري بصفة عامة، وأثار اهتمام الباحثين في الشعر، وبشعراء الملحون، أمثال: ابن خُلوفاً، وابن السويكت، وابن خميس، وبدولة (مغراوة)، وحقَّق ونشر كتابين مهمين عن تاريخ وهران، هما:

- دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، للشيخ القاضي محمد بن يوسف الزباني، طبع بالمكتبة الوطنية الجزائرية سنة 1979م.
- الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، للشيخ محمد بن سحنون الراشدي، والذي نشر لأول مرة سنة 1973م.

وله العديد من المساهمات العلمية المنشورة، ضمن الأعداد التي طبعت فيها أعمال ملتقيات الفكر الاسلامي بالجزائر؛ ناهيك عن مقالات علمية نشرت في

بعض الأعداد من مجلتي الأصالة والثقافة، وله أيضا الكثير من المراسلات والاسهامات العلمية غير منشور. وقد قام الأستاذ عبد الرحمان دويب بجمعها ونشرها؛ ضمن الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي سنة 2012م.²

ثالثا- وفاته: وبعد عمر حافل بجلائل الأعمال، توفي الشيخ المهدي البوعبدلي بمسقط رأسه، يوم السبت الخامس من ذي الحجة سنة 1412 هـ الموافق لـ 6 جوان 1992 م، ودفن خارج المسجد بطلب منه، وقام بتأمينه فضيلة الشيخ عبدالقادر الزبير، وهو من أعز أصدقائه بعد الشيخ نعيم النعيمي، والبشير الرباحي، وأحمد توفيق المدني .. إلخ.

رابعا- منهجه في التأليف:

كان الشيخ المهدي البوعبدلي متمكنا من اللغة العربية، مثل تمكن الشيخ الميلي والشيخ المدني، ويمتاز أسلوبه في الكتابة بالسلاسة والسهولة، والوضوح، وعدم الإكثار من المحسنات البديعية والتنميق، مما جعله أقرب إلى الأسلوب العلمي منه إلى الأدبي، وهو الأسلوب المناسب في الكتابة التاريخية. ويُعد إسهامه العلمي لإبراز بعض مظاهر الحياة الثقافية بالجزائر العثمانية، ضمن الكتاب الموسوم بـ "الجزائر في التاريخ - العهد العثماني"³، بمثابة قفزة نوعية في الكتابة التاريخية بأقلام وطنية، تحاول أن تلامس الموضوعية العلمية، وترد على العديد من ادعاءات وأكاذيب المستشرقين. وقد بذل الشيخ المهدي البوعبدلي جهداً كبيراً لتوضيح بعض الجوانب من الحياة الثقافية بالجزائر خلال العهد العثماني، حيث قد قسم الجزء الذي كُلّف بإنجازه إلى قسمين:

- ❖ أما القسم الأول، فقد اشتمل على ثلاثة فصول⁴ :
- جاء الفصل الأول بعنوان: لمحة تاريخية عن الأوضاع الثقافية في بداية العهد العثماني.
- أما الفصل الثاني، فعنوانه ب: بيان موقف بعض العلماء والمفكرين الجزائريين.
- وأخيرا الفصل الثالث، وعنوانه ب: حول واقع الصراع بين السلطة والصوفية.
- ❖ أما القسم الثاني، فقد ضم أربعة فصول، وهي على النحو الآتي⁵ :
- الفصل الأول، تناول فيه النشاط الثقافي.
- أما الفصل الثاني تطرق فيه إلى تطور التعليم خلال الفترة العثمانية.
- وأما الفصل الثالث فتناول فيه تراجم لبعض العلماء مع ذكره لمدرسة مازونة.
- وأخيرا الفصل الرابع الذي تعرض فيه لأهم العلماء في كل قرن وذكر الحياة الثقافية لدولة الأمير عبد القادر الجزائري.
- ومما يؤخذ عليه عموما في أغلب كتاباته، هو عدم التزامه بالضوابط والمعايير الأكاديمية، سواء في التأليف أو في التحقيق، ويضاف إلى ذلك كثرة الاقتباسات بشكل مبالغ فيه من المصادر دون نقدها أو مقابلتها بنصوص أخرى؛ ناهيك عن الاختصار في مواضيع عدة تحتاج إلى تفصيل وتوضيح لإزالة اللبس عنها.⁶ وعلى الرغم من ذلك، قد نلتمس له بعض الأعدار، عندما ندرك بأن الرجل عصامي التكوين، ولم يدخل الجامعة أصلا، كما أن المطلع على تكوين الرجل المتنوع بين العلوم الدينية واللغوية، واشتغاله لمدة طويلة في مدينة بجاية إماما ومفتيا، يُدرك بأن ذلك جعله يحصل على كم كبير من الوثائق والمخطوطات، حول تاريخ بجاية عامة، ومنطقة زواوة (القبائل) بالخصوص.

المحور الثاني: مظاهر الحياة الثقافية في الجزائر من خلال المؤسسات التعليمية.

أولاً - بعض مظاهر الحياة الثقافية بالجزائر:

إن الحديث عن مظاهر الحياة الثقافية بالجزائر خلال العهد العثماني؛ سيقودنا إلى الوقوف إلى ما أشار إليه الشيخ المهدي البوعبدلي، أثناء حديثه عن المؤسسات الثقافية (التعليمية) وأعلامها، وكذا عن مصادر تمويلها.

وقد كانت هذه المؤسسات الدينية التعليمية مرتكزة في المدن، وهي مؤسسات دينية ذات طابع رسمي تابعة للدولة، وكان علماء المدن الجزائرية، في كل من العاصمة وتلمسان وقسنطينة، يتميزون عن العلماء في الأرياف⁷. والغالب أن المؤسسات الدينية في البوادي (الأرياف) تحررت من رقابة السلطة العثمانية، ولم تكن من صلب اهتمامها. فتكفل سكان الأرياف ببنائها وجلب مشايخ للتدريس بها، وتخصيص أوقاف لتمويلها ودعمها.

ولا تكاد هذه المؤسسات الدينية (الثقافية) بالجزائر في العهد العثماني، تنفصل عن المسجد والمدرسة والزاوية والمكتبة، ومعظمها كانت للتعليم أكثر مما كانت للثقافة بمفهومها المعاصر⁸. وظاهرة التعليم في الزوايا لم تكن خاصة بالريف الجزائري، لأن المدن أيضا كانت تتوفر على زوايا تقوم بدور معتبر في نشر التعليم بجميع مستوياته. ومن هذه الزوايا التي لعبت دوراً هاماً في هذا المجال، زاوية الفكون في قسنطينة، وزاوية مازونة(*) وزاوية عين الحوت بتلمسان، وزاوية محمد التواتي في بجاية.

ويُسجل بعض الباحثون أن معظم هذه الزوايا بالمدن، كانت معطلة عن التعليم خلال العهد العثماني، نظرا لوجود الكتاتيب من جهة، ووجود المساجد المتخصصة من جهة أخرى. كما كثرت بالمدن الأضرحة والقباب والزوايا، التي كانت تؤدي دورا اجتماعيا، كإيواء الفقراء والعجزة والغرباء والهاربين إليها

من الذين يطاردتهم الحكام الأتراك العثمانيون، بالإضافة إلى ذلك، كانت تقوم باستقبال التلاميذ الذين يزاولون دراستهم في المساجد المجاورة⁹.

ولم يغفل الشيخ المهدي البوعبدلي، أن أشار إلى أن التواصل الثقافي والاجتماعي بين شمال الجزائر وجنوبها، يعود إلى عهود سابقة؛ أي قبل العهد العثماني، حيث أشار إلى بعض مظاهره بداية من القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد، وهو ما أكدّه من خلال اطلاعه على ما ذكره صاحب كتاب " القول البسيط في أخبار تمنطيط"¹⁰. والذي تعرّض إلى تراجع لأصول بعض الأسر والقبائل، كالمغيلي (آل المغيلي)، والعصنوني التلمساني، وبني هنيار، وهم من الجعافرة الذين وفدوا من نواحي سعيّدة، واستقروا نهائيا بمنطقة توات (ولاية أدرار حاليا).

كما أبرز جوانب من إسهام حواضر واحات توات في الحركة الثقافية العامة؛ خاصة في العهد العثماني؛ حيث برزت فيها تأليف قيّمة في القراءات والتراجم والنوازل الفقهية¹¹.

ثانيا- التعليم ومؤسساته:

لاحظ الشيخ المهدي البوعبدلي - رحمه الله- أن هناك تداخل، بين وظيفة المدرسة والزاوية والمسجد في ميدان التعليم، إذ كانت بعض المساجد والزوايا تؤدي وظيفة المدرسة في نشر التعليم، بجميع أطواره وخصوصا التعليم الثانوي منه. كما كانت بعض الزوايا عبارة عن مدارس أو مساكن للطلبة. وكانت بعض المدارس ملحقة بالزوايا وأخرى ملحقة بالمساجد. ولكن ينبغي الإشارة هنا إلى كون المجتمع الجزائري ظل طيلة العهد العثماني، وعلى غرار كل المجتمعات الإسلامية التي كانت خاضعة للعثمانيين، بعيداً عن الأفكار الأوروبية الحديثة في مجال التعليم، وذلك بسبب الحاجز الديني بين الجزائر وأوروبا، الذي يقول عنه الأستاذ سعد الله - رحمه الله- كان أقوى من الحاجز

التجاري السياسي¹². يُضاف إلى ذلك ضعف الخلافة العثمانية وعجزها عن مواكبة العصر.

وساهم الاهتمام بالعلوم الدينية، لاسيما حفظ القرآن على منظومة التعليم بالجزائر، إلى مرحلة تاريخية معاصرة جدا. ولعلّ هذا ما يُفسر لنا احتفاظ اللغة العربية الفصحى والدارجة بمكانتها المرموقة في الجزائر خلال العهد العثماني، إذ لم يقتصر استعمالها على الحضر واللاجئين من إسبانيا، بل كانت أيضا اللغة الوحيدة التي تفهمها القبائل المجاورة للمدن. بل إن فرنسا عندما احتلت الجزائر، كانت تعتقد في البداية أنه لا وجود لغير العرب في الجزائر، إلى أن تبين لها العكس فيما بعد¹³.

أما بالنسبة للتعليم، فيقف الشيخ المهدي البوعبدلي على المستوى الجيد للجزائريين، قائلا: "عثرنا على مخطوطة، جمع فيها صاحبها رسائل الكاتب محمد بن راس العين، وهذه الرسائل زيادة على فحواها الراجع إلى التاريخ السياسي والثقافي، فإن أسلوبها البليغ جعل محررها في مصاف أئمة النثر الفني في عهده".

والخلاصة أن التعليم، كان منتشرا في المدن والقرى، وهو إن لم يكن يخضع لقوانين رسمية، فكان يخضع للعادات والتقاليد، حيث يجتمع عدد من الطلبة ببعض المساجد أو المساكن، يتولى تموينهم السكان، وفي كل سنة يعقد الختم يحضره الأعيان والفقهاء ويستضيفهم السكان ويلقي الشيخ درسه أمام هيئة علمية، وفي الغالب يكون موضوعه مختصر خليل، وعند الانتهاء من الدرس يفتح النقاش وتطرح الأسئلة، ثم تجمع التبرعات، وهذه الطريقة كانت منتشرة في كامل البلاد، وأدركها الاحتلال الفرنسي الذي ضيق عليها الخناق، وفرض عليها القوانين الاستثنائية، بل ومنعها قانونيا؛ إلا أنها بقيت في سرية تامة وكتمان.

ويؤكد الشيخ المهدي أن الثقافة السائدة في الجزائر خلال العهد العثماني، هي ثقافة البلاد الإسلامية، إذ كانت تتمحور حول العلوم الدينية، من تفسير وحديث وفقه وعقائد. وكان في طليعة المثقفين بالمدن الفقهاء، الذين كانوا يتمتعون بالقيادة الفكرية والروحية، والتي ظلّ يشاركونهم فيها مشايخ الطرق الصوفية ومقدموها في الأرياف، وكانت تحدث بين الفقهاء والمرابطين وشيوخ الزوايا خصوصاً، بسبب إنكار الفقهاء على أتباع الطرق الصوفية ما يأتونه من بدع¹⁴.

أما المذهب الفقهي السائد في البلاد، فهو المذهب المالكي، وبعد مجيء الأتراك العثمانيين نشروا المذهب الحنفي، الذي كان هو المذهب الرسمي للخلافة العثمانية في إستانبول. وكان من نتائج انتشاره الأولية، تعيين شيخ الاسلام الحنفي؛ كرئيس للحياة الدينية للبلاد، وكبير المفتين. وكانت يتمتع بمكانة هامة؛ إذ كان الشخصية الثانية بعد الباشا. لكن المذهب المالكي، ونظراً لترسخه في الوسط الاجتماعي، بقي محتفظاً بمكانته في أوساط سكان الجزائر.

ثالثاً - نماذج من المؤسسات التعليمية:

1- المساجد:

أما المساجد، فكانت العناية بها واضحة في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، فلم تكن تجد حياً في المدينة إلاّ وله مسجد خاص به، وكان المسجد ملتقى للعبادة، ومكان اجتماع أعيان المدينة ومحور نشاط الحياة العلمية والاجتماعية.

وكان المسجد، يمثل روح الحي في المدينة، وحوله كانت تنتشر السكّات والأسواق والكتاتيب. وكان سكان المدن يساهمون بالتبرعات لبناء المساجد، لأن الدولة لم تكن تتحمل مسؤولية ذلك¹⁵. ولكن الأعيان، وأغلبهم كانوا من

الحكام بايات أو دايات، فكانوا يتبرعون ويبنون المساجد وينسبونها لأنفسهم، ويساهمون في توسيعها وتزيينها.

وهذا في تقديرنا أمر طبيعي، مادامت السلطة العثمانية تحكم المجتمع الجزائري؛ باسم الدين الإسلامي، وما دام هناك تداخل بين الديني والزمني في الثقافة الإسلامية، ولن يكون الأمر كذلك بالنسبة للسلطة الاستعمارية الفرنسية فيما بعد.

2- المعمّرات:

وهي شبيهة بالزوايا، مُعدّة لتعليم القرآن الكريم وحفظه ودراسة العلوم المختلفة، وقد انتشر هذا النوع بوادي بجاية، بعد احتلالها من قبل الاسبان ومغادرة سكانها لها؛ خصوصا الجالية الأندلسية التي كانت لاجئة فيها. كما يشير بأن الكثير من سكان منطقة زواوة (القبائل) أسّسوا معاهد في بني يعلى وبني غليس، وجهات أخرى من البلاد. وكانت لهذه المعمّرات أحباس هامة وقوانين داخلية، وهي تمتاز عن الزوايا بكون هذه الأخيرة تخضع في الغالب لتصرف شيخ الطريقة أو مقدميه. أما هذه المعاهد "المعمّرات"، فإنها تخضع لنظامها وقانونها الداخلي، وإذا وقع خلل أو سوء فهم لتطبيق تلك القوانين أو تدخل السلطات، فإن قدماء المتخرجين منها هم الذين يرجع لهم الأمر لحل المشاكل.¹⁶

3- المدارس والمعاهد: (مدرسة مازونة ومعهد القيطنة أنموذجا).

حاول الشيخ المهدي إعطاء صورة نمطية عن حركية المشهد الثقافي بالجزائر خلال العهد العثماني، وتحديدًا في المدرسة الفقهية في مدينة مازونة¹⁷ بالغرب الجزائري، وهي رديفة المدارس المعروفة بالجزائر، وبجاية وقسنطينة ببايلك الشرق، وتلمسان ووهران ببايلك الغرب الجزائري.

وقد ظلت مدرسة مازونة، تؤدي دورها كراع للعلم والدين، منذ تأسيسها في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، حيث علمت الناس أمور دينهم، وكونت علماء فطاحل، أمثال الشيخ أبو طالب، وأبو راس الناصري العسكري،

ومحمد بن علي السنوسي ... الخ، الذين قادوا حركة التعليم والجهاد داخل بلدانهم وخارجها¹⁸. ويعود الفضل لمشايخها في تكوين الشيخ المهدي البوعبدلي خلال الحقبة الاستعمارية وغيره كثيرون، كما وقفت في وجه كل من حاول طمس الهوية الجزائرية.

4- معهد القبطنة:

لم يغفل الشيخ المهدي الحديث عن المعهد الذي تخرّج منه الأمير عبد القادر، والذي أسّسه جدّه الشيخ مصطفى بن المختار، كما عرّج بالحديث عن أهم الفنون العلمية التي كانت تدرّس بهذا المعهد في عهد محي الدين والد الأمير، والتي تحدّث عنها بتفصيل المُحدّث الشهير محمد بن معروف الونشريسي.

5- الأوقاف(الأحباس):

يقودنا الحديث عن التعليم إلى التساؤل عن مصدر تمويله ورعايته، ذلك أن الحكام العثمانيين، لم يكونوا يهتمون بأمر التعليم في الغالب، ولذلك فإن الجزائريين، هم الذين كانوا يدعّمون المؤسسات الدينية والتعليمية، وذلك بواسطة ما يعرف بنظام الأوقاف. والذي يُعد الوقف من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية، لأنه يعبّر في روحه عن إرادة فعل الخير لدى الإنسان المسلم، وعن إحساسه العميق بالتضامن مع المجتمع الإسلامي.

وهو بهذا المعنى سنة اتّبعتها المسلمون من أوائل الإسلام وتطور مع الزمن وتكاثر، وتعدّدت أغراضه، خاصة في العهد العثماني؛ نتيجة اعتبارات سياسية واقتصادية، وكانت الجزائر من المناطق التي شملها هذا التطور¹⁹.

وكان الوقف يستعمل في أغراض كثيرة، منها العناية بالعلم والعلماء، والطلبة والفقراء واليتامى وأبناء السبيل. كما كان من أغراضه العناية بفقراء فئة معيّنة، كفقراء الأندلس، وفقراء الأشراف أو فقراء مكة والمدينة.

وعن أهمية الوقف، يُضيف المؤرخ سعد الله - رحمه الله - قائلاً: "ويظهر من ذلك أهمية الوقف في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية. فهو مصدر العيش للزوايا والأضرحة وغيرها من المؤسسات الدينية، كما أنه مصدر الحياة والنمو للمساجد والمدارس والكتاتيب ومعيشة العلماء والطلبة. ومن جهة أخرى لعب الوقف دوراً بارزاً في الحياة الاجتماعية، بتضامن المجتمع وتربطه، وتوزيع ثرواته على فقرائه والعجزة فيه. وكان الوقف، إلى جانب ذلك، يلعب دوراً في التأثير الديني والسياسي خارج الحدود، بإرسال النقود سنوياً إلى فقراء مكة والمدينة مع ركب الحج"²⁰.

ولم يكن الوقف يقتصر على هذه الجوانب؛ على الرغم من أهميتها، بل كان في حالات كثيرة، يهدف إلى إبقاء الملك الموقوف داخل العائلة، في صورة ملكية خاصة، غير قابلة للنقل.

ومما ينبغي ذكره هنا، أن الأحكام الفقهية التي كانت تنظم الوقف، ساهمت إلى حد كبير في تماسك الأسرة الجزائرية وحفظ حقوق الورثة. ذلك أنه كان من حق صاحب الوقف العائلي التمتع بما أوقفه هو وعقبه، حسب نص الوثيقة التي يسجل فيها الوقف^(*). فلا يصبح الوقف ساري المفعول، ولا يصرف الحبس العائلي إلى الغاية الخيرية التي أوقف عليها، إلا بعد انقراض جميع الورثة المنصوص عليهم في وثيقة الوقف²¹.

كما كان للوقف جانب سياسي أيضاً، إذ كان يهدف إلى التهرب من المصادرات والضرائب، التي كانت الدولة تقوم بها²². ذلك أن الوقف، كما نجد ذلك في الفقه الإسلامي، كان لا يباع ولا يشتري، ولا يتوصل إلى حيازته بتصرف أو استحواذ أو مصادرة، وإنما يسمح فقط لصاحبه بتأجيريه في مقابل

أجرة معينة، يقدرها المجلس العلمي الموضوع لهذا الغرض، بعد وضع هذا الوقف في المزداد العلني²³.

هذه صور من تاريخ الحياة الثقافية بالجزائر خلال العهد العثماني، وقد ركّز الشيخ المهدي البوعبدلي في إثباتها، انطلاقاً من وثائق أصلية، وهي في مجموعها تلقي الضوء على الحياة الثقافية في العهد المذكور.

الخاتمة -

وفي ختام هذه الورقة البحثية توصلت ، إلى الاستنتاجات الآتية:

- تبين من خلال البحث أن الشيخ المهدي البوعبدلي - رحمه الله - ، قد أثار مواضيع تاريخية عديدة تتعلق بتاريخ الجزائري الثقافي في العهد العثماني، وحرص في الوقت ذاته على جمع أكبر عدد من الوثائق والمخطوطات، لأنه كان يرى بأن الاهتمام بإحياء مجد الأسلاف واستعراض مآثرهم، هو من أولى الواجبات على جيله، وذلك ليتصور الجيل الصاعد تاريخ بلاده على حقيقتها.
- اتضح من خلال البحث، بأن وضع التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، كان يغلب عليه الطابع الديني، ومهما كان مستواه، فإنه حفظ بعض النتائج الإيجابية المتمثلة في تلقين وتعليم شريحة واسعة من المجتمع القراءة والكتابة. وقد غلب على معارف الجزائريين خلال تلك الفترة طابع العلوم الدينية، كما أن علماءها احتلوا مكانة مميزة في المجتمع؛ رغم أنهم لم يشكلوا فيما بينهم فئة اجتماعية متلاحمة.
- عرفت الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر العثمانية، ازدهارا كبيرا، لم تشهده من قبل، ويبرز ذلك من خلال كتب تراجم العلماء، ومن خلال انتاجهم الفكري الغزير في العلوم الدينية واللغوية والأدبية، وهو دليل قاطع على تطور الحياة الفكرية والثقافية، التي ساهم فيها الشعب الجزائري، بفضل التكافل الاجتماعي من خلال الأوقاف (الأحباس) التي يصرف مدخولها للإنفاق على العلم والتعليم؛ دون أن يعتمد على الدوائر الرسمية في البلاد.

- حاول الشيخ المهدي البوعبدلي أن يؤكد للقارئ بأن وضع الثقافة في الجزائر، لم يكن يختلف كثيرا مما كان سائدا في العالم العربي والإسلامي، والدليل على ذلك أن العلماء الجزائريين كانوا يتمتعون بسمعة طيبة، وقد سمحت غزارة علمهم بفرض وجودهم في الحواضر الثقافية العربية والإسلامية، وعلى سبيل المثال لا الحصر، نذكر الفقيه ابن العنابي، وابن الفكون، وأبو راس الناصري العسكري؛ شيخ مؤرخي الجزائر العثمانية، وغيرهم كثيرون.
- لم تعرف الأوقاف توسعا ملحوظا واسعا بالجزائر، إلا أثناء العهد العثماني، خاصة في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلاديين، وقد ساعد على انتشارها الروح الدينية السائدة، وسياسة الأتراك العثمانيين، وتأثير مشايخ الزوايا والمرابطين، فأصبحت تشتمل على الأملاك العقارية والأراضي الزراعية.
- أدت الزوايا والطرق الصوفية دورا بارزا في نشر العلم والمعرفة، وارتكز التعليم على الجانب الديني، كما شكلت الطرق الصوفية إحدى دعائم تثبيت الحكم العثماني بالجزائر؛ الذي لم يمتد على كامل مناطق الإيالة بأكملها، بل استعان بوسائط أو قوى محلية، من بينها نفوذ المشايخ والعلماء، خاصة المرابطين وشيوخ الزوايا الذين كان نفوذهم الروحي جليا على الأوساط الشعبية.
- ويمكن القول في ختام هذا البحث، بأن الشيخ المهدي البوعبدلي، هو صاحب موسوعة ثقافية دينية كبيرة، وأسهم بشكل بارز في كتابة تاريخ الجزائر الثقافي في الفترة الحديثة، انطلاقا مما تجمع لديه من الوثائق والمخطوطات، ولو أن كتاباته اتسمت بالطابع التقليدي، وهي لغة التأليف السائدة آنذاك في العالم العربي والإسلامي، إلا أنه وفق إلى حد كبير في إحياء وبعث التراث الوطني وتدوين جزء لا بأس به من تاريخ الجزائر. ولا شك أن إسهاماته العلمية، تُشكل لبنة لتدوين تاريخ الجزائر الحديث لا غنى للباحثين والدارسين من العودة إليها في أبحاثهم ودراساتهم.

هوامش -

- 1- ينظر: ترجمة الشيخ المهدي بوعبدلي رحمه الله مؤرخ الجزائر بقلم شيخنا الدكتور يحيى بوعزيز رحمه الله على الرابط: <http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=184688> الزيارة في 02/03/2014. ينظر أيضا: حمدادو عمر: "أبو عبد الله المغوفل وكتابه فلك الكواكب"، في المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد الخامس، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، 2008م، دار الأديب، وهران، ص 183 وما يليها. عبد الرحمن دويب: الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي، تصدير الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ج1، ص 73.
 - 2- تكفل الأستاذ عبد الرحمن دويب؛ بإعداد الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي، وهي تشتمل على ثمانية مجلدات، وقد طبعت على نفقة وزارة المجاهدين، بمناسبة الذكرى الستين لاسترجاع السيادة الوطنية 1962 - 2012م
 - 3- يراجع: ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ- العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م، 246ص. وهو عمل علمي مشترك مع رائد الدراسات العثمانية بالجزائر، الأستاذ الباحث والمؤرخ الدكتور ناصر الدين سعيدوني. وقد جاء هذا الانجاز العلمي بمناسبة الاحتفاء بالذكرى الثلاثين لاندلاع الثورة التحريرية الجزائرية 1954 - 1984.
 - 4- ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي: المرجع السابق، ص ص 135 - 175.
 - 5- المرجع نفسه، ص ص 177 - 290.
 - 6- هناك دراسة قيّمة، تناولت بدقة بعض المآخذ والمحاسن في كتابات الشيخ المهدي البوعبدلي، ينظر: بن عتو بلبروات: الخصائص المنهجية في كتابات الشيخ المهدي البوعبدلي، في مجلة عصور الجديدة، مجلة فصلية تصدر محكمة يصدرها مختبر البحث التاريخي - جامعة وهران، العدد 19 - 20، صيف - خريف أكتوبر 1436 - 1437هـ/ 2015م، ص ص 177 - 290.
 - 7- Adala (M.), La place de la culture musulmane dans la vie socio-politique de l'Algérie, inspirations doctrinales et idéologiques (XVI-XX siècle), sous la direction de Jacques Michaud, Atelier national de reproduction des thèses 1993, p.220
 - 8- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985م، ج1، ص 223.
- (*) يذكر الشيخ المهدي البوعبدلي أن مدرسة مازونة استمرت في أداء دورها التعليمي إلى غاية بدايات الحرب العالمية الثانية.

- 9- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص268.
- 10- ينظر: فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ويلييه تحقيق مخطوط: القول البسيط في أخبار تمنطيط، لمؤلفه الشيخ محمد بن الحاج عبد الرحيم الملقب بـ"بابا حيدة"، المؤسسة الوطنية للكتاب وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1977م. والكتاب في الأصل أطروحة جامعية لنيل درجة الدكتوراه الحلقة الثالثة، قدمت في معهد التاريخ جامعة الجزائر، تحت إشراف الدكتور أبي القاسم سعد الله.
- 11- يراجع كتاب: محمد حوتيه: توات والأزواد، جزأين، دار الكتاب العربي، ط01، الجزائر 2007م.
- 12- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص159.
- 13- ينظر الباحث الفرنسي:
- Bernard(A.): «Psychologie des Indigènes nord-africains», In : Afrique : Juillet 1933, pp.171-177 Française, N°7
- 14- ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي: مرجع سابق، ص137
- 15- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص ص. 244 - 245.
- 16- المهدي البوعبدلي: "الرباط والفضاء في وهران والقبائل"، في مجلة الأصالة، تصدر عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 13، الجزائر، 1973م، ص26.
- 17- لمعرفة تاريخ مدينة مازونة، ينظر:
- Belhamissi(Moulay), Histoire de Mazouna (des origines à nos jours) Alger, SNED, 1981. P25-37.
- 18- ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي: مرجع سابق، ص201 وما يليها. ويراجع: ميلود ميسوم: مدرسة مازونة: مسيرة علمية تزيد عن أربعة قرون؛ مسيرة علمية تزيد عن أربعة قرون، في المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، المجلد الرابع، العدد 01، تصدر عن مخبر الجزائر تاريخ ومجتمع، ص ص29 - 42.
- 19- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافى، ج1، ص ص. 223 - 224
- 20- المرجع نفسه، ج1، ص227
- (*) ينظر مثالا في: المجلة الإفريقية عدد: 8، سنة 1864، ص ص35 - 36 ، نص الوقفية التي كتبها سيدي علي بتشين أمام القاضي الحنفي، بتاريخ منتصف رجب سنة 1031 هـ / من 22 إلى 30 ماي 1622، حيث ذكر فيها أن « ثمار الوقف ترجع إلى زوجته، ثم ابنته من هذه الزوجة، ثم أبناء هذه البنت وإلى الأبناء الذين يمكن أن يولدوا من صاحب الوقف

وذريتهم، وبانتهاء كل هؤلاء، يرجع الوقف كما يلي: نصفه إلى فقراء مكة والمدينة

والنصف الآخر يرجع إلى الجامع الذي بناه صاحب الوقف، والمسمى باسمه «

21- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج 1، ص 227.

22- HERMASSI, EL-Baki.- Etat et société au Maghreb, étude comparative.- Paris, Ed. Anthropos, 1975, p.37

23- ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي: مرجع سابق، ص 26.



إقليم وادي ريغ من خلال كتابات الرحالة العرب في العهد العثماني

محمد السعيد بوبكر¹، مختار حساني²

1- قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة غرداية

2- قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2

said93674@gmail.com

ملخص -

تعتبر منطقة واد ريغ و خاصة مركزها مدينة تقرت ، معبرا أساسيا في طريق الصحراء ، سواء بالنسبة للتجار أو بالنسبة للحجاج المغاربة قديما ، لهذا وردت الإشارة إليها كثيرا في كتب الرحالة . قديما و حديثا و تعتبر الفترة الحديثة و كتاباتها بداية من القرن السادس عشر إلى بداية القرن التاسع عشر من أهم الفترات التي أشير إليها في المصادر ، التي تعتبر مادة أساسية لدراسة المنطقة خاصة إذا لاحظنا شح المصادر المحلية في تلك الفترة و في هذه الدراسة أحاول تتبع معالم هذه المنطقة من خلال الكتابات العربية لهذه المرحلة .

الكلمات المفتاحية -

واد ريغ ، تقرت ، تماسين، الصحراء الجزائرية، الرحالة ، الفترة العثمانية.

The region of the valley of Reg in the writings of Arab travelers during the Ottoman period

Abstrac-

The Old Wade Reg area, especially the center of the city of Touggourt , is a major transit point for the desert, both for Moroccan merchants and pilgrims. This is often mentioned in travelers' books. The modern period and its writings - From the 16th century to the

middle of the first century of the nineteenth century - is the most important periods referred to in the sources, which were considered a basic material for the study of the region, especially with the scarcity of local resources in that period.

In this study I try to trace the features of this region through the Arabic literature for this stage.

key words –

Wadi Reig, Touggourt , Tamasin, Algerian Sahara, Travelers, Ottoman Period

مقدمة -

إن الدارس لتاريخ الصحراء الجزائرية عموما، يلاحظ شحا واضحا في الدراسات المتخصصة، خاصة المحكمة منها، و ما لم نجد له تفسيرا رغم توفر المصادر و لو انها تعرضت لها بطريقة غير مباشرة ، من ناحية أخرى إن تعرض المصادر الوسيطة و خاصة الايباضية منها التي قدمت الكثير من المعلومات حول هذه المناطق التي استقر بها علماء المذهب الايباضي ، أما مصادر المرحلة الحديثة فقد كانت الإشارة لهذه المنطقة واضحا ، و لو بكيفية غير مباشرة أحيانا.

و منطقة وادي ريغ بالصحراء الشمالية الشرقية الجزائرية بمركزها مدينة تقرت ، تعتبر طريقا رئيسا مند القديم لقوافل التجار من الشمال إلى السودان الغربي ، و كذا طريقا من طرق و ركب الحج المغربي، و لهذا اعتبرت من أهم حواضر الصحراء مند القديم.

مما جعلها مادة أساسية في كتب الرحالة العابرين للصحراء الشرقية في الجزائر، و يلاحظ انه في الفترة الحديثة خاصة في العهد العثماني وردت الإشارة إليها في العديد من المصادر، هذه الأخيرة التي تعتبر مادة حية و خام يمكن أن نستخلص منها العديد من أوجه الحياة في هذه المنطقة، من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية.

في هذه الدراسة المتواضعة الموسومة بـ ((إقليم واد ريغ من خلال كتابات الرحالة العرب في العهد العثماني)). تتركز على ثلاث أسس هي :

الإطار المكاني: إقليم وادي ريغ خاصة بحاضرتيه (تقرت و تماسين) بما تمثله هذه المنطقة من أهمية في الصحراء عموما، و صحراء شرقية الجزائرية خصوصا.

الإطار الزمني: العهد العثماني (1518 / 1830) ما شهدته من تحولات و تأثيرات على الجزائر بصفة عامة.

الإطار الموضوعي: و هو محاولة تقديم صورة متكاملة لهذه المنطقة كما قدمتها كتب الرحالة العرب و اقتصر على الرحالة العرب لتوفر بعض المصادر في هذه العهد.

و استندت في ذلك على بعض مصادر المتوفرة مثل الوزان، والعياشي والعدواني والناصري والاغواطي، هذه المصادر هي ليست مصادر محلية من علماء المنطقة وإنما هي مصادر كتبها رحالة لا علاقة لهم بالمنطقة ، لهذا فمن الجميل أنها قدمت نظرة الأخر للمنطقة في فترات متباعدة، شملت تقريبا كل اغلب مراحل الفترة المدروسة.

وقد حاولت مناقشة الموضوع وفق العناصر التالية:

أولا : إقليم وادي ريغ التسمية والموقع.

ثانيا : إقليم وادي ريغ قبل الفترة الحديثة.

ثالثا : إقليم وادي ريغ في الفترة الحديثة.

خاتمة .

ملاحق .

أولا : إقليم وادي ريغ التسمية وتحديد الموقع

1 التعريف بوادي ريغ:

هناك العديد من التعريفات و كلا منها يركز على جانب من الجوانب و نذكر منها:

أ. التعريف الجغرافي:

هو تلك منطقة الرابطة ما بين قوق⁽¹⁾ جنوبا و الممتدة الزاب⁽²⁾ شمالا أي منطقة بسكرة حاليا وهي منخفض صحراوي يقع إلى الغرب من العرق الشرقي الكبير، يتكون حاليا من الناحية الإدارية خاصة ولاية ورقلة الجزء الجنوبي له و يشمل المنطقة الممتدة من بلدية سيدي سليمان التي تقع شمال مدينة تقرت الى بداية بلدة عمرة و التي تقع جنوب مدينة تقرت أما القسم الشمالي للإقليم فيتبع ولاية الوادي و يشمل كلا من دائرة جامعة و المغير.

يقال أنه كان واد (مجرى مائي) ذكر ذلك الرحالة الألماني مالتسان⁽³⁾ الذي زار المنطقة أواخر القرن التاسع عشر يجري من الجنوب إلى الشمال من قرية قوق إلى شط ملغيغ (لورير) و الدليل على ذلك بقاء آثاره المتمثلة في البحيرات الصغيرة الممتدة من الجنوب الى الشمال مثل: بحيرة تماسين و مرجاجة، و مقارين و سيدي سليمان و سيدي عمران وصولا إلى المصب عند شط ملغيغ⁽⁴⁾ بمنطقة المغير في قرية النسيغة⁽⁵⁾.

(1) قوق: قرية يقع في أقصى جنوب القيم واد ريغ تتبع حاليا ولاية ورقلة درة تماسين الى

الجنوب من بلدية بلدة عمر جنوبا تبعد عنها بحوالي 7 كلم، و فيها ضريح سيدي بوحنية و هو معلم بداية إقليم واد ريغ من الجنوب. للمزيد ينظر: عبد القادر نوحه: واد ريغ في مشبك الأحداث ببلاد المغرب مختصرا و ومضات، مطبعة مزوار، الجزائر، الطبعة الأولى، 2016، صص 90- 91.

(2) الزاب : تشمل حاليا منقة الزيبان أي بسكرة و هي إلى الشمال من مدينة تقرت بحوالي 220 كلم للمزيد ينظر: أحمد خمار: تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل، دار الهدى، الجزائر، 2012، ص5.

(3) هاينريش فون مالتسان: ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا، ترجمة ابو العيد دودو، الجزء 3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، بدون رقم طبعة ، 1980 ، ص 139.

(4) شريط للقناة الثالثة بعنوان وادي ريغ سنة 2010، يوجد بعض أجزائه في موقع اليوتوب (تدخل الأستاذ نورة التيجاني من تماسين). قد يكون هذا الرأي صحيحا حيث تسببت الرمال في محو معالمه ولم تبقى منه إلا المناطق العميقة و هي البحيرات.

(5) النسيغة: قرية تبعد إلى الشمال من مدينة المغير بمسافة 7 كلم و تعتبر منطقة مصب قناة واد ريغ حيث يوجد شط ملغيغ الذي تستغله شركة مروان لاستخراج الملح الطبيعي للمزيد ينظر عبد القادر نوحه : نفس المرجع ، ص 214.

و يذهب البعض إلى انه المنخفض الأرضي فقط حسب التعريف الطبوغرافي و بهذا فوادي ريغ هو المنخفض الأرضي و ليس مجرى مائي و يدعم هذا انه لا احد اشار الى وجود مشاهدة لهذا المجرى حتى في الفترة الايباضية وهو فقط منخفض ارضي مثل واد أم القرى و واد سوف.

2. مواقع ريغة في الجزائر :

هناك بعض المناطق في الجزائر تجد فيها تسمية ريغة و هي:

أ . ريغة سطيف: تقع سطيف عين آزال و عين ولمان و سكرين و عين الحجر و نقاوس و هو موضع القبيلة البربرية و ما تزال تعرف بهذا إلى اليوم و اكتشف في السنوات الأخيرة مدينة ريغة التاريخية التي تعود إلى ما قبل التاريخ و هي موطن الشيخ البشير الإبراهيمي⁽⁶⁾

ب . ريغة عين الدفلة: الموجودة في شرق عين الدفلة و المعرفة بحمام ريغة.

ج . ريغة: واد ريغ و الرواغة في منطقة واد ريغ في الشمال الشرقي للصحراء الجزائرية.

د - واد ريغة: و هو واد مجرى مائي يقع في ولاية سكيكدة ببلدية فلفلة ، و به يسمى اكبر شاطئ (شاطئ واد ريغة) المعروف في الجزائر بشاطئ جان دارك.

ثانيا : وادي ريغ قبل الفترة الحديثة:

هنا سوف أحاول تتبع تعمير المنطقة قبل القرن السادس عشر، من خلال المصادر و يمكن ان نلاحظ ان منطقة وادي ريغ أشير إليها في مصادر الفترة الوسيطة ، من خلال العديد من الكتابات و يمكن الإحالة خاصة إلى الكتابات الايباضية و التي سنفصل فيها ، و ما ذكره ياقوت الحموي و ما أشار إليه ابن خلدون في كتابه ما يمكن استنتاجه من خلال هذه الكتابات أن الإقليم قديم من حيث التعمير حيث ان أغلبها تشير إليه على انه منطقة عامرة بالسكان ، و قد أكدت ذلك الاكتشافات الفرنسية لبعض الآثار التي تعود الى فترة ما قبل التاريخ .

⁽⁶⁾ أبو القاسم سعد الله: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في قلب المعركة، دار النعمان برج

الكيفان، الجزائر، 2009م، ص 96.

كما أن المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان مدح خيول ريغة الصحراء في العهد الروماني.

و سنقدم بعض النماذج لمثل هذه الكتابات:

1. ياقوت الحموي في معجم البلدان:

مما أورده عن الإقليم ما يلي: ((و الزاب أيضا كور صغيرة يقال لها ريغ، كلمة بربرية معناها السبخة، فمن كان منها يقال له الريغي))⁽¹⁾.

و بما أن ياقوت الحموي توفي سنة 626هـ الموافق ل 1228م فإن هذه الأسطر القليلة تضمنت العديد من المعلومات القيمة عن منطقة واد ريغ تعود إلى ما قبل القرن السابع الهجري والثالث عشر الميلادي.

أ. أن من التسميات التي أطلقت على واد ريغ الزاب و هو السبخة كما عرفه ياقوت.

ب. أن المنطقة كانت عامرة بالسكان بدليل أنها عدة كور (قرى).

ج. أن كلمة ريغ كلمة بربرية يقصد بها السبخة و هي إشارة إلى أن سكان المنطقة إلى ذلك العهد أغلبهم بربر.

د. و أن تسمية الريغي شائعة و معروفة و تطلق على سكان منطقة ريغ.

هـ. أن ذكرها يعني أن ياقوت أما سمع عنها أو قرأ عنها في المصادر التي اعتمد عليها قبل القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي.

2. في المصادر الأيباضية :

يتطلب هذا الموضوع دراسة خاصة ، و يكفي أن نقول ان اكبر علماء الايباضية أبي عبد الله النفوسي الفرسطائي مؤسس حلقة العزابة قد أسسها في منطقة اجلو او تين ايسلي و هي بلدة عمر⁽²⁾ حاليا ، و بهذا فان اغلب المصادر الايباضية التي درست علماء المذهب منذ القرن الثالث الهجري كلها أشارت لمنطقة واد ريغ .

⁽¹⁾ ياقوت الحموي: معجم البلدان، المجلد الثالث، دار صادر بيروت، 1977، ص 124.

⁽²⁾ اجلوا ، تين ايسلي ، بلدة عمر: هي نفس المنطقة حيث ورد اسمها في المصادر الايباضية بتين

يسلي و آجلو و هي مدينة تقع جنوب مدينة تقرت بحوالي 20 كلم ، ينظر إلى الملحق

المرفق مع هذه الدراسة.

كما يمكن أن نشري إلى أن طريق الرابط بين منطقة بني مصعب⁽³⁾ ورجلان و رقلة حاليا كانت قوى و قصور وادي ريغ أهم المناطق التي يمرون بها حين يقطعون الطريق الرابط من جبل نفوسة بشمال غرب ليبيا عبر جربة فمناطق الجريد التونسي في منطقة توزر وصولا إلى واد سوف وادي (أسوف) و منها تذكر اغلب مصادرهم المدن التالية : تاجديت⁽⁴⁾.

و تيندلة ثم تاوغلانت و سدي عمران و تامرنيث و تاغمارت ثم يذكرن مباشرة تقرت و تماسين و اجلوا و تين ايسلي⁽¹⁾ و بعض الإشارات على قرى اندثرت حاليا.

3 . عند بن خلدون 1332 - 1406م (في القرن 14 و أوائل 15) :

حيث وردت الإشارة إلى واد ريغ في حوالي ثلاث عشرة موضعا خاصة في المجلد السادس والسابع و الحادي عشر و الثالث عشر تحت عدة مسميات ريغة و ريغ و بلاد ريغة و أهل ريغ*.

فقد تعرض إلى تعمير الوادي في إشارة واضحة حيث يقول تحت عنوان: خبر عن بني سنجاس و ريغة و الأغواط ((... و أما بنو ريغة فكانوا أحياء متعددة و لما افترق أمر زناته تحيز منهم إلى جبل عياض و ما إليه من البسيط إلى النقاس و أقاموا في قيطانهم... و نزل كثير منهم ما بين الزاب و وركلا فاخطوا قرى كثيرة في عدوة واد تنحدر من الغرب إلى الشرق ... و قد رف عليها

(3) بنوا مصعب: هي منطقة وادي ميزاب حاليا ، أي منطقة غرداية أين تتمركز قصور الايباضية.

(4) تجديت: هي قرية تقديدين حاليا تقع إلى الشرق من مدينة جامعة التابعة لولاية الواد اشير اليها كثيرا في المصادر الايباضية للمزيد ينظر: الو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي: كتاب السير ، تحقيق محمد حسن، جزء 3، دارالمدار الإسلامي، لبنان، 2009، ص 838..

(1) الشماخي : المصدر السابق ج 3، ص 825، 837. و للمزيد ينظر : يمكن العودة الى دراسة قدمتها في يوم دراسي بجامعة غرداية في السنة الجامعية 2013/2014 بعنوان: منطقة وادي ريغ من خلال المصادر الايباضية.

* ملاحظة: عملية البحث لم تشمل الإشارة إلى وغلانة و تمرنة و تندلة و تماسين تبسبت و بقية قرى وادي ريغ بل اقتصر فقط على كلمة ريغ و ريغة.

الشجر ونضدت حقا، ففيها النخيل و انساحت خلالها المياه وزهرت ينابيعها و
كثرت في القصور العمران من ريغة هؤلاء و بهم تعرف بهذا العهد و هم
أكثرها...))⁽²⁾.

و قال في موضع آخر في إشارة إلى مرحلة الفتح ((... و قال أبو زيد: أن البربر
ارتدوا بإفريقيا.. و تقدم ما كان لهم في الصحراء... و ما شيدوه من حصون
والأوطان و الأمصار من سجلماسة و قصور توات... و وركلا و بلاد ريغة و
نفزاوة... و غدامس...))⁽³⁾.

من خلال هذين النصين المختارين يمكن أن نستخلص:

أ. أن تعمير المنطقة يعود إلى ما قبل الفتح الإسلامي و أنها كانت مشهورة
بالحصون و الأوطان و ذلك من سجلماسة بالجنوب المغربي إلى غدامس
بالجنوب الليبي و مما ذكر بلاد ريغة و هو ما يشير إلى أن الطريق الذي سلكه
الرحالة العياشي قديم قبل الفتح العربي الإسلامي للمنطقة.

ب. أن بنو ريغة هم من قبيلة زناتة و أنهم عدة أحياء و افترقوا بعد الفتح و أن
أكثرهم سكن ما بين الزاب و وركلا .

ج. أنهم عمروا المنطقة بالقرى و أن زراعتهم كانت النخيل و قد كثرت فيها
المياه و أنها تنسب إليهم إلى عهد بن خلدون الذي عاش في القرن الرابع عشر
الميلادي (حيث ولد ابن خلدون في 1332م و توفي في 1406م).

ثالثا : وادي ريغ في الفترة الحديثة:

1. عند حسن الوزاني (1495م / 1550م) مؤلف كتاب (وصف إفريقيا)
و مرمول كارباخال (أسر ما بين 1552م / 1559م بالمغرب) مؤلف كتاب
(إفريقيا):

حيث تعود كتابات المؤلفين إلى القرن السادس عشر الميلادي العاشر
الهجري و المصدران متطابقان تقريبا في المحتوى إلا من بعض الزيادة التي

⁽²⁾ ابن خلدون: كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أخبار العجم و العرب و البربر و من
عاصرهم من ذو السلطان الأكبر، المجلد 11، دار الكتاب اللبنانية، بيروت، 1983،
ص967.

⁽³⁾ نفس المصدر: ص206.

يضيفها مارمول و المصدران تعرضا إلى مدينة تقرت بالتسمية ((... تقرت مدينة قديمة بناها النوميديون على جبل في شكل نتوء... وهي عامرة بالصناعة والنبلاء الذين يملكون النخيل...))⁽¹⁾.

((... بنى النوميديون هذه المدينة العتيقة على جبل يمر بسفحه نهر صغير... وسكانها نبلاء وأغنياء يملكون النخيل...))⁽²⁾

و يمكن أن نركب النص الوارد سواء من أبي حسن الوزان أو مارمول كاراباخال حول منطقة تقرت وما جاورها في ما يلي:

1. أن مدينة تقرت قديمة تعود إلى الفترة النوميديّة و هذا يعني انه مند عهد ما قبل الرومان أي قبل تاريخ 3. قبل الميلاد حيث يقول صراحة انه بناها النوميديون.

2. أنها مبنية على نتوء جبل يمر أسفل نهر و به جسر متحرك ، وهذا مما يتركنا نقول هل موقع مدينة تقرت هو نفسه أم أن موقعها مكان آخر غير هذا ؟

3. كما أن المدينة مصورة بصور من جهة واحدة أي الجهة المعاكسة للجبل لان الجبل صخري يحميها و أن هذا الصور مبني بالطين والطوب .

4. أن بها عدد كبير من السكان يقدرهم بالتقريب بحوالي (2500) كانوا أي أسرة و هذا يعني أن كان معدل الأسرة الواحدة فقط 15 افراد فان تعداد سكانها في أوائل القرن ال16 عشر يقدر بحوالي (12500) ساكن.

5. قدم لنا وصفا لمنازلها و جامعها حيث يقول أنها مبنية بالأجر المشوي ، إلا الجامع فانه مبني بالحجارة المنحوتة حيث أعجب بجمال نحتها .

6. أنها عامرة بالصناعة والنبلاء و يوجد بها النخيل و عامرة به لكنه يشير إلى انعدام القمح بها حيث يقول انه يكون مقايضة مع تجار قسنطينة بالتمر و هذا يعني علاقة اقتصادية قديمة .

⁽¹⁾ حسن بن محمد الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، الجزء 2،

الطبعة 2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983، ص 135 - 136

⁽²⁾ مارمول كاراباخال: إفريقيا، ترجمة محمد حجي و آخرون، ج3، مكتبة المعارف، الرباط،

1984، ص 165 - 166.

7. ثم يشير إلى تبعيتها حيث يرتب التبعية فيقول: إنها كانت تتبع مراكش ثم تبعت ملوك تلمسان و الآن هي تابعة لمولك تونس وهذا يعني ترتيبا الدولة المرينية ثم الزيانية ثم الحفصية و يقول أن الأمير الحفصي قد زارها مرتين وهذا إشارة إلى السلطة السياسية .

8. يتطرق النص إلى انه حول حاضرة تقرت قصور وقرى مأهولة يمكن أن نصل إليها على مسيرة ثلاثة أيام أو أربع وهذا يعني مسافة تفوق 120 كلم حاليا أي أن الإقليم كان عامرا بالسكان منذ تلك الفترة التي يتكلم عنها الوزن .

9. و أخير أشار إلى حاكمها و كم يجبي من الضرائب حيث قدرها الوزن 130 ألف مثقال وهذا يعني الشيء الكثير أي أنها كانت غنية وكثرة السكان و أن القرى والمناطق المجاورة له خاضعة له.

إن هذا النموذج من الكتابة في الفترة المتقدمة من الفترة الحديثة يقدم لنا العديد من الدلائل السياسية والاجتماعية والعمرانية والاقتصادية حول إقليم وادي ريغ.

2. عند العدواني:

ففي تاريخه الذي يتناول كيفية استقرار بعض القبائل العربية و المصدر يعود إلى القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي (11هـ/17م) حيث أرخ لمنطقة وادي سوف ويتعرض لمنطقة وادي ريغ في المواضع التالية:

الشيخ العدواني في كتابه أشار الى وادي ريغ 13 مرة ، وغلانة 4 مرات، زينب بنت تندلة 4 مرات، تمرنة 3 مرات، تقرت مرتين، و تماسين مرتين، و المغير مرة واحدة⁽¹⁾ .

⁽¹⁾ للمزيد ينظر فهارس: محمد بن محمد بن عمر العدواني: تاريخ العدواني، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار البصائر، الجزائر، 2007 ص ص 343 - 365. أما ذكره عن غلانة يندرج ضمن الأسطورة الشعبية السائدة في ذلك العهد ينظر نفس المصدر: ص 275، 276، 277.

الا ان الدراس لهذا المصدر لا يفرق في ان كاتبه هل ه ينقل اساطير قديم ام ينقل تاريخا مما يتطلب الحذر بعض الشيء من مثل هذه المصادرو مما ذكره العدواني عن واد ريغ:

((...ثم قلت أخبرني عن واد ريغ ، ولماذا سمي ريغ و عن مسكنه؟

قال لي: يا سيدي ريغ اسم رجل يقال له باهوت بن شملخ بن كعب بن غاوية من ولد أندلس بن يافث بن نوح،...

قال قلت: اخبرونا أن مدينتهم يقال لها تمرن و كان واليها من تونس.

قال لي: نعم يا سيدي وذلك قبل ولاية الترك على قصر طينة(قسنطينة)...

قلت له وما معنى تقرت و أتماسين؟ قال لي يا سيدي أتى رجل من واد مريين(بني ماريين) و قد كان مسكنه بفاس...))⁽²⁾⁽³⁾.

و في معرض حديثه عن النزاع بين قبيلتي الطرود وعدوان و تعمير سوف و حمل النخيل إليها يقول:

((...فقلت له كيف كان طرود يسبقونكم إلى الوطن...و نحن نزلنا أرضا

خالية بين ثلاث أوطان: الزاب للطعام و الجريد للتمر و وادي ريغ للصوف...))⁽⁴⁾.

يمكن أن نستخلص من خلال ما ذكره العدواني عن تعمير بلاد ريغ في القرن السابع عشر الميلادي. الحادي عشر الهجري:

1 . أن وادي ريغ كانت تشتهر برعي الغنم قبل تعميرها النخيل و هو ما يستنتج من كلام العدواني أن واد ريغ للصوف و هو يشير إليها أثناء الهجرة الهلالية و كيف كانت سوف خالية بين ثلاث أوطان ، مما يؤكد ذلك نذكر أن قبيلة زناته البربرية قبيلة غنم، كما أن نسج الصوف و صباغته من الحرف التقليدية المتجذرة في منطقة وادي ريغ كانت منتشرة بين السكان سابقا و قد تكون من بقايا ذلك العهد.

⁽²⁾ نفس المصدر: ص 138 - 139.

⁽³⁾ للمزيد حول قضية القحط الذي ضرب المنطقة سنة 735هـ و الحاج المريني و بدرة و بدرية و بناء المسجد و تحرير رقاب الناس كيفية قيام إمارة بني جلاب في تقرت و تماسين و ينظر، ص، 139 - 141.

⁽⁴⁾ نفس المصدر، ص 147.

2. أن دخول النخيل إلى منطقة وادي ريغ كان بعد الهجرة الهلالية أي مع دخول العرب منطقة ريغ بعد الفتح و أن أصل نخيل واد ريغ يعود إلى منطقة الجريد بتونس بدليل أن كل ما يتعلق بالنخلة من مسميات (الحشانة، السعف، النخلة، الجريد، الليف، الكرناف) و هذا لا يعني عدم وجود بعض المسميات البربرية لبعض أجزاء النخلة أو أنواع التمور⁽⁵⁾.

3. أن ريغ رجل من نسل ياقث بن نوح (عليه السلام) وذكر نسبه كاملا.

4. أن تمرنة كانت خاضعة للسلطة الحفصية في تونس قبل سيطرة العثمانيين على قسنطينة.

5. أن مؤسس إمارة بني جلاب جاء من المغرب.

وعموما إن وادي ريغ كانت بها سلطة سياسية تابعة لتونس في العهد الحفصي، كما ركز كثيرا على جانب الأسطورة الشعبية السائدة آنذاك⁽¹⁾.
و النص ما زال يتطلب الكثير من التحليل لما ورد فيه من معلومات تتطلب البحث و التقصي.

3 عند أبي سالم العياشي⁽²⁾ في رحلته ماء الموائد (القرن السابع عشر):

و مما ذكره العياشي في رحلته، حين مر على تقرت و سماها (تكرت) كعادت نطقها عند المغاربة حين كان في رحلة الحج حيث جاء من و رقلة و نذكر من نص الرحلة ما يلي ((ثم ارتحلنا من وركله يوم الاثنين و نزلنا بقرية قريبة منها

⁽⁵⁾ أسماء بعض أنواع التمور في إقليم وادي ريغ مثل: التينيسن، و التانصليت ن و التيفزوين، و الطنطبوش و اللولو و أغلبها تسميات أمازيغية.

⁽¹⁾ ما ذكره العدواني عن وادي ريغ يتطلب دراسة دقيقة لأحتوائه على الكثير من الإشارات و المعلومات القيمة التي لا يمكن أن ينته إليها القارئ العادي رغم الجانب الأسطوري في بعض مواضع الكتاب.

⁽²⁾ العياشي صاحب الكتاب ولد في ماي 1628 و توفي بالطاعون في 1679م و هو صاحب الرحلة الحجية المشهورة للمزيد ينظر ابو سالم العياشي: لقط الفرائد من ماء الموائد مختصر رحلة العياشي، منشورات دار التوحيد الرباط، المغرب، 2012، ص 2.

على نصف مرحلة تسمى مكوسا ، و هم من كطاعة وادي ريغ...ثم ارتحلنا من تكرت يوم الأربعاء الثامن عشر من جمادى الثاني ((⁽³⁾).

و يمكن من هذا النص أن نقول أن الرحلة كانت في النصف الثاني من القرن ال 17 (1663/1661) فهي تكمل لنا و تقدم لنا صورة عن منطقة وادي ريغ من مصدر مغربي لحاج عالم مالكي و نستخلص منها ما يلي:

1. انه ذكر أن ارض وادي ريغ ذات رمال لا يمكن أن يعرف مسالكها إلا من مارسها

و هذا يعني أن ركب الحج المغربي للعيشي كان معه مرشدون.

2. و يذكر أن أول بلد ل وادي ريغ في طريقه هي اكرك.

3. تماسين و قال عنها بلد كثيرة العمران و النيل و أميرها ابن عم أمير تقرت ، كما أشار إلى انه اجل لهم الكرم و وصف مسجد تماسين و صومعته مائة درجة و ذكر وثيقة بناءه كتب عليها ((هو المعلم احمد بن أحمد الفاسي سنة 817هجري))⁽⁴⁾.

4. ثم نزل في تقرت يوم السبت الرابع عشر من جمادى الثانية و ذكر أنها عاصمة وادي ريغ و تكلم عن الجانب الثقافي فيها حين التقى بالشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم ابن قاضي توات .

5. نص العياشي لا توجد به كثيرا الإشارات العمرانية إلا ما نذر لان صاحب الرحلة عالم و فقيه فاهتم بالكتب و الفتوى و العلماء فقط لذلك ينصح به في الجانب الثقافي .

4 - رحلة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري:

من الرحلات الحجية المغربية، التي وردت فيها الإشارة إلى منطقة وادي ريغ، الرحلة الناصرية الكبرى، لصاحبها أبي عبد محمد الناصري، الذي عاش أواخر القرن الثامن عشر و أوائل القرن التاسع عشر حيث توفي في سنة 1823م، و قد مر بمدينة بسكرة و ليس بتقرت في رحلة الذهاب و رحلة الإياب، إلا انه جاء

⁽³⁾ نفس المصدر: ص 32 - 34.

⁽⁴⁾ نفس المصدر: ص 33.

ذكر لها في طريق الذهاب، و قد كانت هذه الرحلة في سنة 1196هـ الموافق لسنة 1782م، ودامت هذه الرحلة سنة ونصف بين الذهاب والعودة.

و مما جاء في هذه الرحلة حول منطقة واد ريغ و تقرت⁽¹⁾ خصوصا يمكن أن تتبعه كما يلي:

1. أثناء مرور ركب الحج المغربي في مرحلة الذهاب ببسكرة، التقى الناصري بالشيخ احمد وهو شيخ تكرت، وهكذا سماها كعادة المغاربة في تسمية مدينة تقرت، حيث انه كمال قال الناصري جاء ليزورنا في منازلنا ببسكرة يقصد مكان إقامتنا ببسكرة، و مما أشار إليه حيث قال و أن له محبة في أسلافنا، مما نستخلص منه عمق العلاقة بين سلاطين بن جلاب⁽²⁾ و العلويين في المغرب الأقصى.

2- و قال أن تقرت تقع بنواحي وركلة أي مرحلة حاليا و أنها تقع على مسافة خمس مراحل من بسكرة، و أن هذا الأمير له منعة و ثروة و جيشا و قد سماها شيخا و لم يسمه سلطان.

3- و قد أفادنا فعلا الناصري في هذه الرحلة خاصة من حيث الوضع السياسي لتقرت في هذه السنوات حيث قال أن الأمير أحمد الذي جاءه كان هاربا و دار عليه الزمن حين ثار عليه أبناء عمومته، و عينوا أخوه عبد القادر شيخا على تقرت بعد أن كان يحكم هو والده تقرت ما يقرب من ثلاثين سنة.

(1) أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري: الرحلة الناصرية الكبرى، تحقيق المهدي الغالي، الجزء الاول: وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، المغرب، الطبعة الاولى، 2013، ص 216. للمزيد حول حيات الدرعي و رحلاته الحجازية ينظر: حمد الجاسر: ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي، دار الرفاعي للنشر والطباعة و التوزيع، الطبعة الاولى، الرياض، ص ص 35- 44.

(2) امارة بن جلاب: هي امارة حكمت منطقة واد ريغ، ما بين سنة 1414 الى سقوطها المدينة في يد الفرنسيين سنة 1854م، للمزيد ينظر: معاد عمراني: اسرة بن جلاب في منطقة وادي ريغ خلال القرنين التاسع عشر و العشرين دراسة سياسية اجتماعية، مذكرة ماجستير، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، الجزائر سنة 2003، ص ص 17- 20.

- 4- واسترسل الناصري في الكلام عن هذه الأحداث بان أخوه عبد القادر⁽³⁾ أي الذي عينه الثوار كان مواليا للأتراك و انه دفع مبلغ 100 ألف مثقال ، فخلعوا أحمد و عينوا عبد القادر و هذه إشارة إلى انه في هذه الفترة كان للأتراك دور في تعيين الحكام في المنطقة ، حيث يقدمون من يدفع لهم الضرائب
- 5- و لهذا السبب خرج الشيخ احمد إلى منطقة الزاب عازما على أن يقدم للأتراك ضعف المبلغ الذي قدمه أخوه ، و مستنصرا بالقبائل البدوية لمناصرته للعودة لحكم تقرت.
- 6- إلا انه كما أورد الناصري أن الأتراك كانوا يمدون أخوه عبد القادر بالكور أي ذخيرة المدافع و بالجيش، لحمايته و هنا يمكن أن نقول أن تقرت في مرحلة حكم عبد القادر كانت تابعة للأتراك و أن الحكم العثماني امتد فعلا إلى هذه المنطقة.
- 7- و لما خاف الأمير محمد على نفسه من الأتراك و الأعراب في بسكرة دخل مستحرما في وسط الحج المغربي إلى أن وصلنا إلى تونس و استوطن مدينة توزر، حيث آمن على نفسه في الايالة التونسية ... من أن يهاجمهم الأعراب أو الأتراك. و هذا يعرفنا على العلاقة بين أمراء بن جلاب و الايالة التونسية في عهد الأسرة الحسينية، التي كانت ترسل لمشايخ بن جلاب و شيخ الطريقة التيجانية إحسانات⁽¹⁾ أي مساعدات مالية و عينية.
- 8 - من الطرائف التي ذكرها انه زار شيخا متصوفا كبير السن يلبس قممسا من الكتان و هو من اهل ريغ من تقرت يسكن في بسكرة اسمه عمر بن

⁽³⁾ هذه الثورة او الفتنة هناك تادخل في هذه الفترة حيث تشير بعض الدراسات ان حاكم تقرت سنة 1782 كان اسمه فرحات بن عمر بن محمد الجلابي حكم ما بين 1782 الى 1792 للمزيد ينظر :ابراهيم محمد الساسي العوامر: الصروف في تاريخ صحراء و سوف، تعليق الجيلاني بن ابراهيم العوامر، منشورات تالة ، الطبعة الثانية ن الجزائر ، 2007، ص 269- 277. و علي غنابزية:مجتمع واد سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن التاسع عشر، مذكرة ماجيستار في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر ، الجزائر ن سنة 2001 ص 16.

⁽¹⁾ عمار بن خروف:العلاقات السياسية بين الجزائر و تونس في القرن 18م/12هـ -، دار الامل للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر ، 2017، ص 220.

عريش زاره الناصري بغرض التبرك الا انه نال منه ضربة بعصى، و طلب منهم الخروج من عنده الى ان يعفوا الله عليه الا اننا طلبنا منه الدعاء فدعى لنا و اخبر الناصري بان هذا الشيخ هو على هذا الحال منذ اكثر من 30 سنة و لم يتغير و يورد السكان انه له كرامات كثيرة⁽²⁾.

4. رحلة الاغواطي⁽³⁾ في الربع الثاني من القرن التاسع عشر:

هي رحلة كتب بطلب من الأمريكي وليام هودسون ، حيث يقول أن غرضه منها حين طلبها من ابن الدين ، كي يعرف حدود ببهجة البربرية فقط ، و قد تعرف هودسون على ابن الدين بين سنتي (1829/1825) ، و مما ذكره عن تقتر و وادي ريغ ما يلي:

1. أن المنطقة غنية جدل بالفواكه فعدد غير التمر أكثر من خمس فواكه مثل التمر و التين و العنب و التفاح⁽⁴⁾ و هذا يعني أنها كانت منطقة فلاحية و بها سكان و كانت متصلة بغيرها و تميزها التمر كما هو مشاع.
2. أن بها سوقا كبيرة و هذا يدول على كبرها و قوة تواصلها مع مناطق عديدة في جميع مناطق الوطن أو على الأقل أن سوقها مميز في ما جاورها من مناطق.
3. أنها عاصمة لإقليم و لها نفوذ على حوالي (24) قرية و قد سمى بعضها مثل النزلة تبسبت تماسين ميقارين و المغير قال أنها تشاهد من مناراتها .
4. أن تقتر بها حوالي (400) منزل و انه لا يوجد بها صخور و صف سورها و خندقها و أن لها ثلاثة جسور و بها مساجد بها منارات عالية كما تتميز بالكثير من منابع المياه.

(2) الناصري: نفس المصدر، ص ص 227 - 228.

(3) ابن الدين الاغواطي هو الحاج ابن الدين الاغواطي من الاغواط و هو ممن عاش في بداية القرن التاسع عشر للمزيد ينظر : ابو القاسم سعد الله : مجموع الرحلات (رحلة الاغواطي) دار المعرفة الدولية للنشر و التوزيع، الجزائر، 2011، ص 80.

(4) نفس المصدر ص 99

5. و مما أورده ان السكان لون بشرتهم سوداء و يسمون بالرواغة⁽²⁾ و هذا يمكن ان نوافقه فيه لان التسمية ما تزال إلى اليوم في بعض المناطق خاصة منطقة بلدة عمرة و اللهجة الامازيغية في المنطقة تسمى الريغية.
6. و بعد هذا أشار إلى حاكم تقرت فقال انه له سلطة إصدار حكم الإعدام و حرق المنازل و مصادرة الأملاك، و أن له جيشا و يمكنه ان يجند 5000 جندي و تطرب الطبول أمامه ، و أن له إسطبلا كبيرا به خيولا و تسرج بسروج مطرزة بالذهب .
7. و في الأخير أشار إلى مشروب الاقمي و هو عصير النخيل الحلو المعروف ببيع حلوا و ببيع مخمرا يستغل كمشروب مسكر بعد تخميره ، الذي يباع في الأسواق ببيع بالمكايل حلوا على انه عصير محلي
8. ثم ختم كلامه عن فصل الحراثة فقال هو شهر أكتوبر و شهر ماي⁽³⁾.
9. و أشار إلى ظاهرة انه بفعل أن هذه المنطقة سبخة فانه الأعراب حين يأتون إليها يصابون بالحمى، و هو ما عرف بالوخم و هو نوع من الوهن يصيب السكان خاصة في فصل الربيع حين ترتفع درجة الحرارة يبدو أثره أكثر على الأعراب الذين يزورون الواحة من حين لآخر.
10. قدم لنا الاغواطي فعلا نظرة متكاملة حول مدينة تقرت من جميع الجوانب الاقتصادية حيث تكلم عن السوق و التجارة و الزراعة من حيث المنتجات و فصل الحرث و من الناحية السياسية حول الحاكم و جيشه و من الناحية الاجتماعية حين تكلم عن المجاهرية و الرواغة و الأعراب و عدد السكان ، و من الناحية العمرانية حين تكلم عن الأسوار و القرى التي تخضع لتقرت، و من الناحية الإدارية حين أشار إلى منصب القاضي و الإمام و الكاتب و خواص الأمير.

⁽²⁾ لم يشر إلى الحشاشنة الذين يمثلون غالبية السكان و ربما فان الاسم السائد لهم في هذه

الفترة هي الرواغة أي بربر و أمازيغ واد ريغ رغم انه اصبح مستخدما في هذه الفترة

فنجده في غصن البان فيتاريخ ورجلان..

⁽³⁾ نفس المصدر، ص ص 100 - 101.

11. و مما سبق يبدو أن الاغواطي يمكن ان نقول انه لم يزر المنطقة إنما سمع عنها فقط ، لأنه ببساطة لا يمكن أن نرى مثلاً المقارين من تقرت فكيف بالمغير ن كما أن الفواكه التي تكلم عنها ربما تكون و لكن ليس بالحجم الذي ذكره و يبدو انهم أما إغرابيا أو مزارعا لذلك كان همهم الأمور الفلاحية و الأسواق بالدرجة الأولى رغم انه أشار إلى الجانب الاجتماعي مكونات المجتمع في تقرت بين الرواغة و المجاهرية و الأعراب.

خاتمة -

و بعد هذه الدراسة المتواضعة، و التي من خلالها حاولت أن أتبع المعالم السياسية والاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية لمنطقة وادي ريغ انطلاقاً من الفترة الوسيطة إلى الفترة الحديثة باستقراء العديد من المصادر التي تطرقت للمنطقة سواء كانت كتابات لجغرافيين أو رحالة أو كتاباً مما نخرج به من نتائج ما يلي:

- أن منطقة واد ريغ منطقة عامرة بالسكان و يمكن أن نطلق على مدينة تقرت فعلاً حاضرة صحراوية لأنها تحمل كل شروط و مقومات الحاضرة من ممارسة للزراعة و نشاط تجاري و تعامل خارجي مع وجود إمارة سياسية في شكل مشيخة و نشاط ثقافي و مدينة مبنية فيها مسجد و سوق لها سور يحمها.
- أن إقليم وادي ريغ ورد ذكره في العديد من المصادر سواء في الفترة الوسيطة أو الفترة الحديثة و هو ما يفتح للطلبة الباحثين باباً للبحث في تاريخ المنطقة ، و اذكر بالذكر خاصة المصادر الابيضية التي تعرضت للإقليم بطريقة غير مباشرة و هي تتبع تاريخ المذهب الابيضي أو علماء المذهب الذين ، إما اتخذوا من الإقليم موطناً للإقامة أو مروا بالإقليم .
- أن الإشارة للإقليم فقط عند ابن خلدون يتطلب بحثاً كاملاً لوحده ، خاصة إذا تتبعنا جميع الإشارات و قمنا بتركيبها يمكن التوصل لرسم صورة تقريبية عن الإقليم من خلالها خاصة في فترة أواخر العصور الوسطى .
- أن كتابات الفترة الحديثة كانت أكثر تفصيلاً و ثراء ، لان أغلب الذين كتبوا يعفون المنطقة أو أقاموا بها لمدة و هو ما تركهم يقدمون لنا

معلومات قيمة مثل العياشي و العدواني و أبي حسن الوزان و الناصري و الاغواطي.

- إن قيام إمارة بن جلاب في تقرت فعلا مكنت من توحيد الإقليم في وحدة سياسية و اجتماعية و اقتصادية و ثقافية متناسقة نظرا لأنها فعلا بسطت نفوذها على الإقليم لمدة طويلة (1414 - 1854م) مما جعل المنطقة تعرف العديد من الأحداث السياسية و تعرف توافد العديد من الرحالة عليها.

- مما يؤهل مدينة تقرت أن تصبح فعلا عاصمة سياسية و اقتصادية و ثقافية و إدارية أن لها قاعدة تاريخية ترتكز عليها أن العمق التاريخي لهذه المدينة يؤهلها لأن تصبح العاصمة الإدارية لإقليم واد ريغ حاليا .

- إن اغلب الكتابات قدمت صورة عن الجانب العمراني و تعداد السكان نلمس ذلك من خلال كتابات الاغواطي خاصة لمدينة تقرت .

- إن اغلب ما رجعت إليه لا يذكر القصور العديدة التي تتبع الإقليم فكلها تقريبا تشير فقط إلى تقرت و أشار فقط العياشي لمدينة تماسين مما يجعلنا نتساءل عن تاريخ نشأة هذه القصور؟ و لماذا لم يشر إليها و لو بطريقة غير مباشرة، على الأقل مقارنة بالمصادر الايباضية التي أشارت إلى كم كبير من القصور في واد ريغ من الشمال إلى الجنوب خاصة ما بين منطقة جامعة و بلدة عمر حاليا.

- يمكن أن تستخلص الوضع السياسي من خلال الرحلة الناصرية في أواخر القرن الثامن عشر استخلصنا منه العلاقة الداخلية و كيف هي حول الثورة أو الفتنة في تقرت بين الأسرة الحاكمة بين الشيخ أحمد و أخوه الشيخ عبد القادر، و كما استخلصنا منها علاقات خارجية حيث أكد الناصري وجود صلات كبيرة بين ملوك المغرب و شيوخ بن جلاب و هو ما شار إليه العياشي قبله ، كما استخلصنا حسن العلاقة بين أمير بن جلاب الشيخ احمد المخلوع و أمراء تونس في عهد الأسرة الحسينية و كذا العلاقة من الأتراك حيث أشار إلى تمكنهم من التدخل في تعيين و مناصرة الشيخ عبد القادر على أخيه أحمد و كذا العلاقة بين شيوخ تقرت و منطقة الزاب ببسكرة التي جاءها الشيخ احمد للبحث من مناصرين له سواء من الإعراب او من الأتراك.

• يمكن إن تلمس اهتمامات كل كاتب من خلال ما كتبه ن حين يتضح أن الحسن الوزان مثلا يتتبع الجانب التأسيسي و السياسي و تعداد السكان و عموما يمكن أن نلاحظ أن كتابته انه جغرافي ، أما العياشي فتضح انه عالم فقيه لذلك تركزت إشارات على لقاء العلماء والكتابات و الكتب ، أما العدواني فيبدو انه جمع الكثير من المرويات الشعبية في عهده عن الإقليم و ضمنها كتابه ، أما الناصري رغم انه لم يزر مدينة تقرت إلا أن رحلته قدمت لنا صورة على الفتنة التي وقعت في الأسرة الحاكمة و عن العلاقات خاصة مع المغرب و تونس و الدولة العثمانية و مع منطقة الزيبان ، أما الاغواطي فيبدو انه كان صاحب تجارة و زراعة و أصول السكان هو ما يتضح من خلال تركيزه على أنواع الفواكه و السكان و سوق مدينة تقرت و على مشروب اللاقمي .

• إن هناك بعض التناقض خاصة في كتابة الاغواطي ، الذي أشار إلى إمكانية رؤية القصور التي حول تقرت من منارة المدينة ، و من القصور التي سماها قال المغير ، مع العلم أن المغير الحالية و هي في الغالب المغير المقصورة لأنه أشار إليها في الربع الثاني من القرن التاسع عشر تبعد عن مدينة تقرت بحوالي 100 كلم فكيف يمكن أن يراها من كل هذه المسافة ، و ما يرجح أن الاغواطي يمكن انه لم يزر المدينة بل فقط ، كتب عنها من خلال من زارها و بالتالي وقع له خلط في النقل .

• و في الخير أتمنى من الدارسين خاصة من أبناء المنطقة تقديم دراسات أكاديمية في شكل مذكرات و أطروحات جامعية عن تاريخ إقليم واد ريغ .

المصادر والمراجع

- 1 . بوبكر محمد السعيد: مداخلة في يوم دراسي حول مصادر دراسة تاريخ الصحراء بجامعة غرداية كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية في السنة الجامعية 2013/2014 بعنوان: منطقة وادي ريغ من خلال المصادر الايباضية.
- 2 . ابن خلدون: كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أخبار العجم و العرب و البربر و من عاصرهم من ذو السلطان الأكبر، المجلد 11، دار الكتاب اللبنانية، بيروت، 1983.
- 3 . ابو القاسم سعد الله : مجموع الرحلات (رحلة الاغواطي) دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- 4 . ابو القاسم سعد الله : مجموع الرحلات (رحلة الاغواطي) دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011 .
- 5 . أبو القاسم سعد الله: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في قلب المعركة، دار النعمان برج الكيفان، الجزائر، 2009 م .
- 6 . ابوالعباس أحمد بن ابي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي: كتاب السير ، تحقيق محمد حسن، جزء 3، دار المدار الاسلامي، لبنان، 2009.
- 7 . أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري: الرحلة الناصرية الكبرى، تحقيق المهدي الغالي، الجزء الاول، وزارة الاوقاف و الشؤون الإسلامية، المغرب، الطبعة الأولى ، 2013 .
- 8 . حسن بن محمد الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، الجزء 2، الطبعة 2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983.
- 9 . حمد الجاسر: ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي، دار الرفاعي للنشر والطباعة و التوزيع، الطبعة الثانية، الرياض 1983.
- 10 . عبد القادر نوحه: واد ريغ في مشبك الأحداث ببلاد المغرب مختصرا و مضات، مطبعة مزوار، الجزائر، الطبعة الأولى، 2016.
- 11 . علي غنابزية: مجتمع واد سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن التاسع عشر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر ، الجزائر سنة 2001 .

- 12 . عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر و تونس في القرن 18م/12هـ - «دارالامل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2017،
- 13 . عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر و تونس في القرن 18م/12هـ - «دارالامل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2017 .
- 14 . مارمول كاراباخال: إفريقيا، ترجمة محمد حجي و آخرون، ج3، مكتبة المعارف، الرباط، 1984 .
- 15 . محمد الساسي العوامر: الصروف في تاريخ صحراء و سوف، تعليق الجيلاني بن ابراهيم العوامر، منشورات تاله ، الطبعة الثانية ن الجزائر ، 2007 .
- 16 . محمد بن محمد بن عمر العدواني: تاريخ العدواني، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار البصائر، الجزائر،
- 17 . معاد عمراني: اسرة بن جلاب في منطقة وادي ريغ خلال القرنين التاسع عشر و العشرين دراسة سياسية اجتماعية، مذكرة ماجستير، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية ، قسنطينة ، الجزائر سنة 2003،
- 18 . هينريش فون ماليتسان: ثلاث سنوات في شمال غرب افريقيا، ترجمة ابو العيد دودو ، الجزء 3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، بدون رقم طبعة ، 1980 .
- 19 . ياقوت الحموي: معجم البلدان، المجلد الثالث، دار صادر بيروت، 1977 .
- 20 - أحمد خمار: تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل، دار الهدى، الجزائر، 2012 .



تجليات الأثر الفكري والأصلاحي للمغيلي في مؤلفات الأسرة الفودية (عثمان بن فودي، عبدالله بن فودي) خلال القرن 19م

جعفري احمد¹، خالد الشريف صابر²

- 1- قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة غرداية .
- 2- قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02.

jaafria551@gmail.com

الملخص -

عرفت بلاد المغرب الإسلامي خلال الفترة الوسيطة والحديثة ثلة من العلماء الذين اسهموا في مجال الدعوة والتعليم، تعدت شهرتهم حدود الزمان والمكان، ومن أولئك الذين برزوا خلال النصف الثاني من القرن 15م، نجد الشيخ محمد بن عبدالكريم المغيلي التلمساني مولدا (ت1503م) التواتي دفيننا، والذي لم تنته أثر دعوته بوفاته، بل ترك آثارا علمية جمة في المنطق والتصوف والفقه، تأثر بها سكان المغرب وأهالي بلاد السودان الغربي، وتعدى تأثير هؤلاء مجرد قراءة كتاباته ومؤلفاته الى الاقتباس الحري من أجل جعلها مرجعا لاغنى عنه لسكان إفريقيا جنوب الصحراء، سواء في الفقه أو التصوف أو المنطق وغيرها، ليس في فترة حياة المغيلي فحسب، بل حتى في القرن التاسع عشر الميلادي وذلك ما يظهر من خلال مؤلفات أسرة آل فودي كأنموذج لهذا التأثير .

الكلمات المفتاحية -

الشيخ محمد بن عبدالكريم المغيلي ، أسرة آل فودي ، عثمان بن فودي ، بلاد السودان الغربي ، إفريقيا جنوب الصحراء ، الفلان ، بلاد الساحل الإفريقي ، الاقتباس العلمي ، المؤلفات

The Intellectual And Reformative Impact Of Elmaghili On The Literature Of El Foudeyfamilyduring The 19th Century AD

Abstract -

During The Intermediate And Modern Historicalperiod, The Islamic Maghreb Witnessed A Number Of Scientistswhohad A Prominentrole In Advocacy And Education. One Of These, Whowasveryfamed In The Second Half Of The 15th Century, Was Sheikh Mohammed Ben Abdulkarim El Maghili. He Left A Lot Of Worthbooks Inlogic, Mysticism And Jurisprudence. People In Maghreb And Western Sudanwereimpressed By Hisworks, And Theyquotedhim In Theirwritings. Hisworksbecame An Indispensiblereference For People In South Sahareanafrica , Not Only In The Life Time Of El Maghili, But Until The 19th Century. This Influence Isobvious In The Literatureof Elfoudeyfamily .

Key Words -

Mohammed Ben Abdulkarim El Maghili, El Foudeyfamily ,Othmen Ben Foudey, Western Sudan, South Sahareanafrica,Filan, Africanoastal States , Scientificquotation, Literature.

مقدمة-

بقدر ما تمثل الصحراء الكبرى من حد فاصل بين شمال القارة الافريقية وبلاد الساحل، وفي ظل قساوة طبيعتها وتشعب طرقها ووعورة مسالكها، فان هذه الأخيرة لم تكن يوماً عامل فصلبقدر ماكانت عامل ربط وتواصل، كيف لا وقد كانت ولا تزال هذه الصحراء أحد أهم القنوات المؤثرة والرابطة بين الضفتين اقتصاديا وثقافيا، ولا أدلّ على ذلك من أن دخول الإسلام الى افريقيا جنوب الصحراء كان عبر مسالكها بواسطة ثلة من التجار والدعاة والفقهاء، وسنحاول في هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على الداعية الملهم الهمام،المجاهد المتصوف محمد بن عبدالكريم المغيلي،دفين توات من أرض الجزائر.

إن اثر المغيلي في بلاد السودان لم ينقطع برحيله وإنما ظل راسخا في أذهان الأفارقة، وذلك ما نلمسه في العديد من المؤلفات والكتابات التي جعلت من

تراث المغيلي مصدرا أساسيا للتشريع السياسي والفقه في المنطقة خاصة لدى أسرة بن فودي الفلانية في شمال نيجيريا الحالية، وبالأخص عثمان دان فوديو وأخيه عبدالله وابنه محمد بللو.

والاشكالية التي أحاول معالجتها من خلال هذا البحث هي: اين تظهر تجليات الأثر الإصلاحي للمغيلي في مؤلفات الأسرة الفودية؟ ومامدى صحة الروايات القائلة بتأثر عثمان بن فودي بالحركة الإصلاحية لمحمد بن عبدالوهاب بدلا من فكر ونهج المغيلي المتصوف؟ هذا بالإضافة الى بعض التساؤلات الفرعية التي تتبع الإشكالية الرئيسية غالبا.

ولقد حاولت الإجابة عن هذه الإشكالية من خلال التعريف بالمغيلي ونهجه الإصلاحي، وعرجت بعد ذلك الى التعريف بأفراد الأسرة الفودية، واهم مؤلفاتهم، ثم بينت اثر الشيخ المغيلي في هذه الكتابات، وفي الاخير خاتمة حوصلت من خلالها أهم ما توصلت اليه من نتائج في هذا البحث.

1_ التعريف بالمغيلي (أثاره ونهجه الإصلاحي)

1- 1 التعريف بالمغيلي محمد بن عبد الكريم:

هو تاج الدين أبو الفضل محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وأبو عبدالله في جل المصادر، محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عمر بن يخلف الاشعري معتقدا المالكي مذهباً مغربي اقليمياً المغيلي نسباً التلمساني منشأ.⁽¹⁾

لأنعرف بالضبط متى ولد المغيلي، اذ لم يحدده الذين ترجموا له ، وكذا لم يرد فيما اطلعنا عليه من كتاباته أي إشارة الى ذلك، ولكن يبدو انه ولد في مطلع القرن 15/هـ 15م وتقدير ذلك استنادا الى ما علم من تاريخ وفاته المعلوم⁽²⁾، فسنة مولده يوجد حولها الكثير من الغموض وان كان من العادة ان أصحاب التراجم لا يولون اهتماما كبيرا لسنة الميلاد، لان الانسان يصبح علما يستحق الترجمة، بالنظر للأعمال التي قام بها في حياته⁽³⁾

ولد الإمام المغيلي بتلمسان وعائلته معروفة بالعلم والفقه، كان المغيلي كثير التردد والترحال بين تلمسان وفاس⁽⁴⁾ يقول عنه ابن القاضي "ولد المغيلي بتلمسان ونشأ بها ثم رحل منها بعد حفظ القرآن الى بجاية، وتمهر بها في العلوم

على يد ابي العباس الوغليسي وبعد بلوغه النهاية في العلم رحل الى توات وهي يومئذ دار علم وإسلام واستقر بها وولد له الأولاد⁽⁵⁾.

حلّ المغيلي بمدينة الجزائر والتقى بعالمها المشهور سيدي عبدالرحمن الثعالبي، لأخذ الاجازة في علم الحديث وتفسير القران والتصوف والقراءات⁽⁶⁾، شأنه في ذلك شأن علماء عصره كالسنوسي وغيرهم، وقيل ان المغيلي صاهر الشيخ عبدالرحمن الثعالبي⁽⁷⁾. ثم رحل إلى بجاية فأدرك بها شيوخ أجلاء أخذ عنهم جملة من علوم التفسير والحديث ورجع الى تلمسان واستمر في الطلب والتحصيل وبعدها سافر الى توات التي وصلها عام 480هـ/1465م فآخذ بها عن الشيخ يحيى بن يدير ما كان ينقصه من معارف⁽⁸⁾.

وتزامن وصول المغيلي الى توات مع ازدياد النفوذ التجاري والسياسي لليهود بها فعمل على تتبع احوالهم وكشف اسرارهم وماتخفي صدورهم، فقام بمراسلة علماء المغرب الإسلامي بهدف معرفة مواقفهم من هذه المسألة، وبعد حادثة يهود توات المعروفة، توجه الشيخ المغيلي الى بلاد السودان الغربي للنصح والإرشاد والدعوة⁽⁹⁾، فبذل النصح لأمرائها وأولي الامر فيها وطاف بعدد من عواصمها وأقاليمها، فزار كانو وكاتشينا في شمال نيجيريا الحالية، وكاغو، او غاو (في مالي الحالية)، وتكددة من منطقة اهير، وغيرها من البلاد الواقعة بين نهري السنغال والنيجر. وقد استقبلت وفادة المغيلي الى هذه المناطق بحفاوة بالغة وقربه امرؤها وملوكها وجعلوا منه مستشارهم الخاص ومرجعهم الفقهي الأعلى.

رجع المغيلي الى توات بعد بلوغه نعي ولده عبدالجبار، وفي ذلك قال التنبكتي ما نصه: " وبلغه هناك قتل ولده بتوات من جهة اليهود فانزعج لذلك وطلب من السلطان (أسكيا) قبض أهل توات الذين بكاغو حينئذ فقبض عليهم وأنكر عليه ذلك سيدنا أبو المحاسن محمود بن عمر إذ لم يفعلوا شيئا فرجع عن ذلك، وأمر بإطلاقهم، ورحل لتوات فأدركته المنية بها، وتوفي هناك سنة تسع وتسعمائة⁽¹⁰⁾. وقال صاحب القول البسيط في اخبار تمنطيط " مات الشيخ المغيلي المذكور عام تسعة وخمسين وتسعمائة⁽¹¹⁾، ويبدو انه قد أخطأ التقدير

وجانب الصواب في هذا التحديد والراجح في وفاته، هو ما أشار اليه احمد بابا التنبكتي.

1- 2 آثاره:

ترك المغيلي خزانة عامرة من المؤلفات في شتى العلوم، حصرها بعضهم فيما يزيد عن خمس وثلاثين 35 مؤلفا، مابين وثيقة ومخطوط ورسالة ونازلة، وبلغت عند آخر 48 مؤلفا توزعت على مختلف العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه ولغة وبلاغة ومنطق، وفي ذلك يقول صاحب لقط الفرائد " وهو صاحب التأليف المفيدة، والتصانيف العديدة " (12). فمن مؤلفات المغيلي في العقيدة والتوحيد كتاب "مصباح الأرواح في أصول الفلاح" وهو لا يزال من كتبه المخطوطة وصفه احمد بابا بقوله " كتاب عجيب في كراسي"، وقد أرسله المغيلي الى بن غازي الكناسي والسنوسي فقرضاه ، كما ترك المغيلي مراسلة هامة في علم التوحيد مع الامام محمد بن يوسف السنوسي، بالإضافة الى كل هذا وضع المغيلي ردا على المعتزلة في أوراق قليلة لاتزال مخطوطة، ومن آثاره في الفقه والمواثيق "مغنى النبيل شرح مختصر خليل"، وهو مختصر جدا وصل فيه للقسم بين الزوجات، وله عليه قطعة أخرى من البيوعات وغيرها ، وشرح ثلاثة ارباع المختصر وحاشية عليه سماها "اكيل المغني" كما شرح بيوع الآجال من بن الحاجب، وفي المواثيق له المفروض في علم الفروض ، وكذلك مختصر في علوم الفروض، وتعتبر نوازل المغيلي الشيء الوحيد الذي بقي لحد الان من فقهه، هذه النوازل التي وجدت ضمن مجموعة من الفتاوي التواتية ترجع للقرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي (13).

ويظهر من خلال فتاوي المغيلي ان هذا الأخير كان مقلدا لا مجتهدا في الفتوى كغيره من علماء عصره، إلا أن رأيه في نازلة يهود توات جعله يجتهد في بعض الاحكام. هذا بالإضافة الى رسالته الى سلطان كانو وأجوبته على سلطان كاغو والتي سماها أو سميت بعده ب تاج الدين فيما يجب على الملوك، ولما رحل الى كاغو أجاب سلطانها عن أسئلة خاصة بإصلاح مملكته وإدارة شؤونها، ولم يهتم المغيلي بالعلوم النقلية فحسب بل تجاوزها الى العلوم العقلية، وهو أمر ليس بالغريب عنه لكونه نشأ بتلمسان في زمن كانت تعج بالعلماء والادباء،

وكان للدراسات العقلية فيها النصيب الاوفر، وكان المنطق يأتي على راس هذه العلوم.

غلب على المغيلي في التصوف الجانب الأخلاقي التربوي، الذي يعمل على تزكية النفس وتطهيرها من اردان الظاهر والباطن، ومايلتصق بها من أطماع دنيوية، مع التزام الجماعة ونبذ كل الأفعال غير الشرعية من الدجل والسحر والشعوذة التي الحقت بالتصوف النقي الصافي الداعي الى الرقي بالنفس البشرية لإدراك معالي المراتب.⁽¹⁴⁾

2_ التعريف بأعلام أسرة آل فودي

2- 1 عثمان دان فوديو 1817/1754م:

هو عثمان بن محمد بن صالح بن هارون بن محمد بن رجب ابن فودي، وكلمة فودي تعني الفقيه في لغة الهوسا، وهم سكان شمال نيجيريا، ولد بقرية "تفل" من ولاية سوكونو الحالية، تنحدر عائلة الشيخ عثمان من قبائل الفلان الذين هاجروا الى نيجيريا قادمين من منطقة أعالي السنغال، توارثت اسرة آل فودي العلم قبل مولده، فتعلم على يد والده مبادئ علوم العربية واصول الفقه، وحفظ القرآن الكريم قبل ذلك، ثم زار أماكن عديدة لينهل العلم من علماء عصره المشهورين وخاصة الشيخ جبريل بن عمر ، الذي يعد آنذاك احد اقطاب العلم في بلاد السودان.

وبعد أن أتم تعليمه تصدى للوعظ والإرشاد في منطقة بلاد الهوسا في الفترة الممتدة ما بين 1785 - 1803م ، وتلخصت أفكاره الدعوية في تصحيح مفاهيم الدين الإسلامي ، والابتعاد عن البدع والخرافات واتباع القرآن والسنة ، حيث كان في هذه المرحلة من الدعوة بعيدا عن الخوض في الأمور السياسية حتى لايقف الحكام ضد دعوته ، وبذلك استطاع ان يجمع حوله عديد الأنصار والتلاميذ .⁽¹⁵⁾

واجه الشيخ عثمان بعد ذلك عددا من المناوئين لجمعه النساء الى جانب الرجال في الوعظ ، ومن ابرز من انتقدوه وقاموا ضده الشيخ مصطفى القوني ، فما كان من الشيخ الا الإصرار على ان تعليم النساء واجب شرعا حث عليه الكتاب والسنة الشريفة ، ولا يخالف مبادئ الإسلام الصحيحة ، وكتاب في هذا

الشان رسالة سماها "تنبيه الاخوان على جواز اتخاذ مجلس لأجل تعليم النسوان"، وبدا باهله واسرته حيث علم زوجاته وبناته الثلاث⁽¹⁶⁾ تزايد انصار الشيخ عثمان وتلاميذه خاصة بعد استقراره بمدينة سوكونو، التي انشاها لحركته وصار تلاميذه يجوبون الافاق، للدعوة والتعليم والوعظ، ودفع ذلك الى حنق وتضايق امير "جوبير" (ياوا) من حركة الشيخ عثمان وتزايد نفوذه، فانقل بن فودي بدعوته من الدعوة بالحسنى الى اعلان الجهاد ضد امراء الممالك الوثنية في بلاد الهوصا بدءا من سنة 1802م، انتصر فيها على جميع الامراء، وكون بذلك دولة إسلامية تحت امرته اشرف عليها حتى سنة 1810م.

لقد كان للشيخ عثمان بن فودي بالإضافة الى كونه اول من قام بحركة الجهاد في بلاد السودان الأوسط رجلا عالما مجتهدا ترك العديد من الرسائل في مواضيع الاجتهاد وفوائده، منها :

- إرساء الامة تيسير الملة - هدايا الطلاب - توقيظ المسلمين على مذهب المجتهدين - وللشيخ أيضا مجموعة كبيرة من الرسائل في مواضيع شتى منها : رسالة في أصول الولاية، رسالة في احياء السنة وبيان البدع، رسالة في الجهاد . ويعد نجاح الشيخ في تكوين دولته اشاع عنه كثيرون بانه "المهدي المنتظر" فرفض ذلك بشدة وانكره ايما انكار، ويعد الشيخ عثمان اول من ترجم القرآن للغة الفولان كي يسهل على العامة حفظه. هذا وقد اجمع معظم المؤرخين والباحثين على ان دعوته محاولة مخلص للاصلاح مجردة من أي رغبة في الملك، وقد نعم المجتمع في عهده بالهدوء والاطمئنان، وازدهرت في عهده الثقافة والحضارة الإسلامية في غرب افريقيا، وذلك بفضل مبادئه التي اعلنها وتحقيقه لتلك المبادئ⁽¹⁷⁾.

__ عبدالله بن فودي (ت 1246هـ/1830م)

هو عبدالله بن محمد بن صالح بن هارون بن محمد بن رجب ابن فودي، وهو اخو عثمان بن فودي، باشر تعليمه في البداية مع والده فحفظ القرآن الكريم، وتعلم في باقي العلوم على يد علماء عصره مرافقا لآخيه عثمان في محطات النهم العلمي المختلفة، رافق عبدالله بن فودي أخيه عثمان لمدة تقارب الخمسين

عاما وكان طيلة تلك السنوات سنده الأول وساعده الأيمن ، وحضر معه مختلف محطات الجهاد التي خاضها ، وفي عام 1813م حين تم الانتصار وتشكل الدولة في بلاد الهوصا كنتيجة لجهاد ال فودي عين عثمان اخوه عبدالله مشرفا عاما على الجهة الغربية لمملكته ، فكانت بذلك سنوات حكمه لاتشوبها شائبة من حيث الإخلاص والتفاني في الاداء⁽¹⁸⁾. وبعد وفاة أخيه عثمان تنازل عبدالله بن فودي طواعية لابن أخيه محمد بيلو ، وترك له مهمة الاشراف على كامل السلطنة شرقيها وغربيها⁽¹⁹⁾.

كتب الشيخ عبد الله بن فودي ما يزيد عن مائتي مخطوط مابين القصيدة والرسالة والكتاب ، شملت مختلف فنون العلم من نحو وصرف وعروض وادب وتفسير وفقه ومعاملات وتفسير قران ، وخاصة كتابه المعروف ب "ضيء التاويل" وأيضا في كتابه الشهير "تزيين الورقات" الذي يضم عددا من القصائد التي واكبت حركة الجهاد من بدايتها وحتى نهايتها⁽²⁰⁾.

يعد الشيخ عبدالله بن فودي من اكبر الكتاب والمؤلفين في غرب افريقيا خلال القرن 19، ولا غرابة ان يلقبه الناس جراء ذلك بعربي السودان اعترافا بجهوده في نشر الثقافة العربية من خلال اسفاره ومقالاته وكتبه العلمية والدينية⁽²¹⁾.

3 تجليات أثر المغيلي في مؤلفات عثمان بن فودي وأخيه عبدالله :

_ في مؤلفات عثمان بن فودي :

ظل تأثير المغيلي محفوظا في ذاكرة أجيال متعاقبة من أبناء بلاد السودان الغربي عموما ونيجيريا على وجه الخصوص ، وظلت اعماله المكتوبة ورواياته المنقولة يحفظها العلماء ويتداولها الصلحاء والساسة ورجال الدعوة جيلا بعد جيل ، الى غاية وصول قيام حركة عثمان بن فودي ، الذي استغلها ايما استغلال ، واعتمدها في مختلف شؤون حياته السياسية والدينية وحتى الاجتماعية ، فلا نكاد نتوقف عند مؤلف من مؤلفاته يخلو من الإشارة للمغيلي والنقل عنه والرجوع الى فتاواه ورسائله ووصاياه ، والاحتجاج بأقواله وأرائه ، في دعم دعوته الإصلاحية والجهادية ، فكانت فتاوى المغيلي وكتاباته - بمالها في نفوس

الجميع من الاجلال والاكابر- الحجة الدامغة والقاطعة ، والمرجعية الأولى
لربما في جميع السجلات التي خاضوها ضد خصومهم.

ولئن كان المغيلي قد خلف كتباً عديدة في مسائل شتى من العلوم
،كالفقه ،والحديث ،والتفسير ،والتوحيد ..فان أربعة من هذه الآثار العلمية هي
التي استأثرت أكثر من غيرها باهتمام عائلة بن فودي ، وهي تلك الرسائل
الثلاث التي ألفها خلال اقامته ببلاد السودان ، استجابة لطلب سلطاني كانو
وسنغاي ،بالإضافة الى رسالته الرابعة في نازلة يهود توات وعرفت في بعض المصادر
باسم "تأليف فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار" وفي بعضها باسم
"مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، فلو عدنا مثلاً الى كتاب "سراج الاخوان في اهم
ما يحتاج اليه في هذا الزمان" لعثمان بن فودي ، فنجد ان هذا الأخير قسم كتابه
الى عشرة فصول قصيرة اعتمد فيها المؤلف اعتماداً كلياً على المغيلي ، حيث
نقل في تسعة فصول منها اكثر كلامه في اجوبته لئلاسيا ، فلو حذفنا فرضاً
هذه النقول ، لما بقي في المؤلف شيئاً يذكر سوى فقرات قليلة⁽²²⁾.

كما أورد بن فودي في كتابه "حصن الافهام" بعض فتاوى المغيلي ، وقال
وسئل شيخنا محمد بن عبدالكريم التلمساني عن تحليل المطلقة ثلاثاً قبل زوج
فقال : " من افتي بتحليل المطلقة ثلاثاً قبل الزواج ، فهو جاهل دجال مضل ،
يجب على من له القدرة من المسلمين ان يزجره بما استطاع من الضرب الوجيع
والحبس الطويل ، وكل ما امكن من زجره " ...فمن قصر في ذلك او اوله او
حماه بوجه ما فهو معه في الاثم العظيم ...وفسقه" لقد عزا النقل الى المغيلي
ونسب نفسه اليه ، كالمعلم الذي اخذ من المغيلي مباشرة ، مع ما بينهما من
بعد الزمن الذي لا يقل عن ثلاثة قرون ، وان دل ذلك على شيء فإنما يدل على
غاية التأثروحدة التعلق بهذا الشيخ⁽²³⁾.

وفي رسالته المسماة "مسائل مهمة يحتاج الى معرفتها اهل السودان"ينقل
أيضاً عن أجوبة المغيلي لاسيما في مواضع متفرقة ويحتج بأقواله وآرائه ، كما
نجد أن المؤلف قد خصص الفصل السادس من رسالته "تنبيه الاخوان على أحوال
ارض السودان" لذكر وصية الشيخ المغيلي لمحمد بن يعقوب سلطان كانو
بالإضافة الى نقول منه واشارات اليه في مواضع أخرى⁽²⁴⁾.

لاشك أن بن فودي تأثر بسيرة المغيلي أيضا في غيرته على الإسلام والدفاع عن بيضته باللسان ، ثم باليد وصولا الى شهر السلاح ، تاثر وصل به الحد لان ينقل عنه من كتبه كانما ينقل عنه مشافهة.

__ في مؤلفات عبدالله بن فودي :

يعتبر عبدالله بن فودي بحق أكبر منظر ومؤرخ للدعوة الفودية ، وأحد أبرز علماء السودان الغربي في القرن 13 هو 19م فضلا عن تضلعه الكبير من اللغة العربية وعلومها وادابها ، ولم يكن بدوره أقل تأثرا من أخيه بكتابات المغيلي وآراؤه ، ولعلنا بذلك نتوقف عند ثلاثة امثلة للاستشهاد ، فكتابه المسمى ضياء السلطان وغيره من الاخوان يتضمن اربع رسائل ، اثنتان منهما للمغيلي، وهما رسالته في أمور السلطنة (تاج الدين) وأجوبة المغيلي لأسئلة الأسكيا ، وقد صدره بمقدمة قصيرة جاء فيها " جمعت فيه حاصل ما في أربعة كتب كتابين لمفتي الزمان محمد بن عبدالكريم بن محمد التلمساني المغيلي ، وكتابين لأمير المؤمنين شيخنا عثمان، لنستضيء بما قالوا في أمور الزمان ، مع تفسير بعض المجملات من كلامهما وتنبيه على ما يخفى على الجهال من فحوى عبارتهما بحسب ما فهمته".

وأما كتابه فيماليهم وعليهم من الاحكام فقد خصص فصلا منه لوصية المغيلي التي كتبها لأمير كانوا مع شيء من الاختصار وختم ذلك بالقول "واعلم ان جميع ما ذكرته في هذا الفصل فهو مخلص من كتاب محمد بن عبدالكريم التلمساني⁽²⁵⁾. وفي كتاب ثالث له بعنوان "ضياء السياسات وفتاوى النوازل"⁽²⁶⁾ نجده بالإضافة الى نقول عن المغيلي متفرقة ، يخصص فصلا من هذه الوصية نفسها التي كتبها المغيلي الى امير كانوا ويقدم لها بقوله "فاذا فهمت ما قدمنا لم يشكل عليك رسالة المغيلي الى سلطان كانوا" ثم اتى على الرسالة بنصها حرفيا.

الخاتمة-

نخلص في نهاية هذه البحث إلى :

- تبين أن دعوة المغيلي في بلاد السودان لم تنته بوفاته ولا بطول زمن ماخلف من مؤلفات بل ظلت حية باقية في نفوس الأفارقة إلى اليوم ولا أدل على ذلك من مسميات المساجد والمدن والأسواق، بل حتى الأبناء تيمنا وتبركا به كما أن العلاقة بين المغيلي وأبناء الأسرة الفودية هي علاقة الشيخ بمريده. شملت دعوة المغيلي وفكره معظم بلاد السودان الغربي ، ولم تقتصر على منطقة دون أخرى
 - تبين أن النقل والتدوين والانتحال من كتب المغيلي ورسائله دلالة على حفظ الأفارقة لنهج المغيلي واقتداءهم به
 - يعد الشيخ عثمان من أكبر المجددين والمصلحين في بلاد الهوسا خلال ق13هـ/ 19م ، وقد تمكن من بناء دولة إسلامية قوية استمرت زهاء قرن من الزمن.
 - عمل عثمان بن فودي على تجسيد فكر المغيلي في شقه النظري والتطبيقي، فكانت دعوته لمحاربة البدع والخرافات بالسيف والقلم .
- الهوامش-

- (1) حمادو الكتبي: مع المغيلي بن عبدالكريم الامام (صاحب نازلة يهود توات)، حقائق ووثائق، مؤسسة البلاغ، الجزائر، 2012، ص56.
- (2) يحي بوعزيز: اعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، عالم المعرفة، الجزائر، ج2، ص43.
- (3) الحمدي احمد: الفقيه المصلح محمد بن عبدالكريم المغيلي، مكتبة الرشاد، سيدي بلعباس، الجزائر، 2012، ص18.
- (4) سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ج2، ص67.
- (5) الكتبي: المرجع السابق، ص63.
- (6) الحمدي احمد: المرجع السابق، ص22.
- (7) الكتبي: المرجع السابق، ص64.
- (8) احمد بابا التبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص576.
- (9) الحمدي احمد: المرجع السابق، ص66.

- (10) التنيكتي : المرجع السابق ، ص 577.
- (11) بابا حيدة: القول البسيط في اخبار تمنطيط، ص 31- 32.
- (12) بوربيق علال: شخصية الامام محمد بن عبدالكريم المغيلي وتراثه العلمي، مؤسسة البلاغ، الجزائر، 2013، ص 99. انظر أيضا، عبد الكبير المجذوب الفاسي وآخرون: موسوعة اعلام المغرب، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي ط2، تونس 2008، ج2، ص 816.
- (13) الحمدي احمد: المرجع السابق، ص 92.
- (14) المرجع نفسه: ص 93.
- (15) زبادية عبد القادر: دراسة عن افريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص 78.
- (16) المرجع نفسه: ص 79.
- (17) ماهر شعبان: مصادر دراسة تاريخ جنوب وغرب افريقيا، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2011، ص 12.
- (18) زبادية عبد القادر: المرجع السابق، ص 83.
- (19) المرجع نفسه: ص 84.
- (20) عمر احمد سعيد: تزيين الورقات بين التاريخ والادب للشيخ عبدالله بن فودي، مجلة دراسات افريقية، ع1، الخرطوم ابريل 1985، ص 153.
- (21) ماهر شعبان: المرجع السابق، ص 29.
- (22) عبد العلي الودغيري: اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالغرب الافريقي وملامح من التأثير المغربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط1، المملكة المغربية، 2011، ص 82، 83.
- (23) - ادم عبدالله الأثوري: الامام المغيلي واثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا، مكتبة مصطفى البابي، ط1، نيجيريا، 1974، ص 34.
- الودغيري: المرجع السابق، ص 83. (24)
- المرجع نفسه: ص 88. (25)
- (26) - عبدالله بن فودي: ضياء السياسات وفتاوى النوازل، تحقيق وتقديم احمد كاني، الزهراء للإعلام العربي، ط1، القاهرة، 1988، ص 81.



أساليب الحرب النفسية الاستعمارية الفرنسية في القضاء على

الثورة التحريرية الجزائرية

الأحمر قادة

قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي الياقوت - سيدي

بلعباس (الجزائر).

elahmarkada@yahoo.fr

الملخص-

تهدف هذه الورقة البحثية إلى إبراز أحد أهم استراتيجيات سلطات الاستعمار الفرنسي للقضاء على الثورة التحريرية الجزائرية وإخضاع الشعب، والمتمثلة في الحرب النفسية ذات الخطورة الشديدة، والتي كانت تسعى من خلال تجسيدها إلى إحداث الفوضى والتأثير على الروح المعنوية للمجاهدين مع القضاء على نقاط القوة التي تميز بها الشعب الجزائري؛ خاصة في احتضانه للثورة.

ومن خلال معالجتنا لموضوع استراتيجية الجيش الفرنسي في القضاء على الثورة من خلال تجسيد الحرب النفسية كأنموذج، خلص البحث إلى جملة من الاستنتاجات التي تؤكد بأنه بالرغم من أن استراتيجية الحرب النفسية؛ وإن تمكنت في بعض الأحيان من زعزعة نفوس الكثير من الجزائريين، إلا أنها لم تكن عزيمة إيمانهم في التحرر والاستقلال من الاستعمار الفرنسي.

الكلمات المفتاحية -

الحرب النفسية؛ الثورة الجزائرية؛ الاستعمار الفرنسي؛ العمل الاستخباراتي؛ الدعاية والدعاية المضادة.

French colonial psychological warfare methods In the elimination of the Algerian liberation revolution

Abstract -

The aim of this paper is to highlight one of the most important strategies of the French colonial authorities to eliminate the Algerian liberation revolution and to subjugate the people, represented by the highly dangerous psychological war which, by embodying it, sought to create chaos and influence the morale of the Mujahideen, Especially in embracing the revolution.

By addressing the issue of the French army's strategy of eliminating the revolution by embodying psychological warfare as a model, the research concluded with a number of conclusions that, although the strategy of psychological warfare, although sometimes able to shake the hearts of many Algerians, The determination of their faith in liberation and independence from French colonialism.

Key words-

Psychological warfare Algerian revolution; French colonialism; intelligence work; propaganda and counter propaganda.

توطئة -

حاولت فرنسا منذ الانطلاقة الأولى للثورة الجزائرية تطويقها عسكريا وسياسيا وإعلاميا؛ بغية القضاء عليها في المهد. وقد جنّدت كل ما لديها من إمكانيات سياسية وأمنية وعسكرية وإعلامية ودبلوماسية لتحقيق هذا الهدف. وفي هذا الإطار أولت السلطات الفرنسية أهمية خاصة للعمل البسيكولوجي، حيث أصدر الجنرال "سالان" في فيفري 1958 تعليمة إلى المدراء العامين ورؤساء المصالح العسكرية تؤكد على ضرورة تنظيم دورات تكوينية لموظفي مصالح الحرب النفسية من أجل التدريب على التحكم في عقول الجزائريين وأكد على إشرافه الشخصي على مراقبة تنفيذ ما جاء فيه.¹

ولمعالجة الموضوع يتبادر إلى ذهن الباحث مجموعة من التساؤلات تتمثل في الآتي: ما المقصود بالحرب النفسية؟ وما الهدف من تجسيدها؟ وكيف مورست هذه السياسة على الشعب الجزائري؟ وهل حققت مبتغاها؟ وقبل الحديث عن الأساليب النفسية التي انتهجتها المصالح الاستعمارية الفرنسية المختصة للقضاء على الثورة الجزائرية، يجدر بنا أن نتعرف أولاً على مفهوم الحرب النفسية، لنعقبه بالحديث عن بيان وسائل وأشكال الحرب النفسية، لنختم الحديث ببيان أساليب الحرب النفسية أو ما يعرف (الدعاية والدعاية المضادة)

1- مفهوم الحرب النفسية:

يمكن تعريف الحرب النفسية، بأنها الاستعمال المخطط للدعاية ومختلف الأساليب النفسية للتأثير على آراء ومشاعر وسلوكيات العدو بطريقة تسهل الوصول للأهداف. وقد كانت هذه الحرب تقوم على المغالطة والتضليل، والتي ولدت مع ولادة الثورة في الفاتح من نوفمبر 1954، ثم تطورت وتنوعت، فأصبحت فناً وعملاً نبغ فيها الفرنسيون، حيث أشاعوا أن الثورة ليست إلا حركة تمردية محدودة²، وأصبحت من الأسلحة الرئيسية التي يستعملها الاستعمار الفرنسي في قتاله ضد الشعب الجزائري وغايتها فصل المجاهدين عن الشعب³.

كما أنها نوع من القتال النفسي موجه ضد العدو، وتمارس بعدة وسائل، وهي لا تهدف إلى اقناع الطرف الآخر بقضية ما، بل إلى تحطيم إرادته الفردية وخلق تصورات معينة عن طريق الدعاية أو عمليات عسكرية استعراضية أو بالتنسيق بين العمل العسكري والدبلوماسي وأحداث الفوضى والبلبل في معسكر العدو للتأثير على روح الجنود المعنوية، وعلى انضباطهم وعلى قرارات ضباطهم وقادتهم⁴.

وهي تطبيق أجزاء من علم النفس لتدعيم جهود العمليات السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية، وتهدف بالأساس إلى:

- التشكيك في سلامة وعدالة الهدف أو القضية؛
- زعزعة الثقة في القوة "من كافة عناصرها" والثقة في إحراز النصر، وإقناع الجانب الآخر بأنه لا جدوى من الحرب أو الاستمرار في القتال أو المقاومة؛
- بث الفرقة والشقاق بين الصفوف والجماعات؛
- التفريق بين الجانب الآخر وحلفائه ودفعهم إلى التخلي عن نصرته؛
- تحييد القوى الأخرى التي قد يلجأ إليها الجانب الآخر للتحالف معها أو لمناصرته.⁵

2- وسائل وأشكال الحرب النفسية: ثمة عدة صور وأساليب تستخدم لتحقيق تلك المهام، نذكر منها ما يلي:

- الكلمة المسموعة أو المقروءة والتي من شأنها التأثير على العقول والعواطف والسلوك، وهو مجال تتعدد فيه الأشكال والوسائل، كالكتاب والصحيفة والمجلة والمنشور واللافتة والإذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح. الخ؛
- الشائعات، وهي أخبار مشكوك في صحتها، ويتعذر التحقق من أصلها، وتتعلق بموضوعات لها أهمية لدى الفئات الموجهة إليهم، ويؤدي تصديقهم لها أو نشرهم لها "وهذا هو ما يحدث غالباً" إلى إضعاف الروح المعنوية؛
- بث الذعر والتخويف والضغط النفسي؛
- الإغراء والتضليل والوعد لاستدراج الجانب الآخر لتغيير مواقف معينة.

وتعتبر الحرب النفسية من أخطر أنواع الحروب، ذلك لأنها أكثر شمولاً واتساعاً من غيرها، كما أنها لا تشمل القوات المقاتلة فقط، وإنما توجه إلى كل فئات الشعب. ولا تعتمد المواجهة الصريحة، كما يحدث في المعارك العسكرية،

ولكنها تلجأ إلى أساليب خفية وملتوية ومقنعة غير معروفة بالنسبة لغالبية الشعب، لذلك يكون تأثيرها أكثر خطورة⁶.

3- **انشاء مصلحة العمل النفسي والإعلامي:** وفي هذا السياق أنشأت وزارة الدفاع الفرنسية مصلحة للعمل النفسي والإعلامي (Service D'action Psychologique et D'information) في شهر مارس 1956 على مستوى قيادة الجيش الفرنسي في الجزائر، وذلك في عهد " Maunoury Bourges"⁷ وعُيّن العقيد "lacheroy" رئيساً لهذه المصلحة. وقد حددت مهامها في الإشراف على التكوين والإعلام وتدعيم مختلف الوحدات القتالية للجيش الفرنسي الموجودة بالجزائر، وأيضا التكفل بإدارة وتوجيه العمل النفسي الموجه للجزائريين وفصائل جيش التحرير الوطني.

مع الإشارة، أنه سبق للناحية العسكرية العاشرة للجيش الفرنسي في الجزائر أن أنشأت عددا من المكاتب والملاحق المتخصصة في العمل النفسي والدعائي وصل عددها إلى اثنتا عشر مكتبا. وفي شهر يناير 1957 تحول اسم هذه المصلحة إلى اسم المكتب الخامس، وهو تابع مباشرة لأوامر القائد الأعلى للجيش الفرنسي في الجزائر ويشارك الوزير المقيم في تسييره واتخاذ القرارات من خلال لجنة مشتركة.

أما عن صلاحياته، فتتمثل في الإشراف على ما يتعلق بالتهدة والقضايا الجزائرية وكل ماله علاقة بالمعنويات، كما أنشئت له عدة مصالح نذكر منها: مصلحة الصحافة والإعلام، والتي أسندت مهمتها لديوان قيادة الأركان، ومصلحة الإرشاد للمكتب الأول، ومصلحة الاستعلامات النفسية للمكتب الثاني. أما مصلحة المعلومات والتوثيق، فقد أسندت للمكتب الثالث، أما المكتب الرابع فقد أدار المصلحة الاجتماعية، أما مصلحة مهام الحرب النفسية، فقد اشرف عليها مكتب الدراسات والارتباط التابع لقيادة الأركان⁸.

واختيرت مدينة الجزائر لتكون مقر لهذا المكتب مع إنشاء عدد من المكاتب موزعة حسب التقسيم العسكري السائد "القطاع، الناحية، المنطقة". وعلى المستوى المركزي كان المكتب الخامس يتشكل من أربعة وثلاثين ضابطا واثان وثلاثين ضابط صف ومائة وثمانية وثلاثين مجنّد من العسكريين واثنا عشر من النساء العسكريات التابعات للجيش البري.

ولتعويض النقص في التعداد البشري الذي كانت تعانيه مصالح المكتب الخامس، استعان هؤلاء الضباط بـ "الحركة" للقيام بتعليم السكان وتوعيتهم بواسطة التجمعات الشعبية، أو بواسطة الاتصالات الخاصة واختيار الأشخاص الذين يظهرون تعاوناً واستجابة ليتم تعيينهم في وظائف كمسؤولي داو وير أو شيوخ قبائل أو تكوين فرق عسكرية للدفاع الذاتي وذلك كله لمواجهة تغلغل الثورة في الأوساط الشعبية.⁹

4- من أساليب الحرب النفسية (الدعاية والدعاية المضادة):

أولت فرنسا أهمية كبيرة لقطاع الدعاية، حيث وجه الجنرال "سالان" «Salan»¹⁰ قائد الناحية العسكرية العاشرة تعليمة إلى قواته في 1958/02/01 يعترف فيها بأن الحرب التي تقودها جبهة التحرير الوطني تستهدف أيضا السيطرة على عقول الجماهير خاصة بعد أن ضببطت قوات الجيش الفرنسي منشورا يتحدث عن التنظيم الدعائي لجبهة التحرير الوطني. وتشير هذه التعليمة، إلى أن دعاية الجبهة قد تأثرت بالدعاية الثورية الماركسية اللينينية. وفي هذا الصدد، يقول الجنرال "سالان": "إن مصطلحات هذا المنشور لا تدع مجالا للشك أن قادة جبهة التحرير الوطني لديهم المعرفة التامة بكل تقنيات الدعاية؛ باعتبارها أحد أهم أسلحة الحرب النفسية، ولهذا يجب إعطاء أهمية كبيرة للدعاية من طرف الجيش الفرنسي أكثر من تلك التي توليها جبهة التحرير الوطني لهذا السلاح الخطير".¹¹

وفي هذا الإطار كلفت مصالحي الحرب النفسية بعض الباحثين المتخصصين بإجراء دراسات حول الدعاية والدعاية المضادة، من أجل الاستفادة منها في حربها ضد الجزائريين، ومنها تلك الدراسة التي أعدها السيد "Fernand kessis"¹² أحد المتخصصين في الموضوع. وهو من سكان منطقة سيدي بلعباس، هذا الأخير قام بإنجاز دراسة مطولة ومفصلة عن أساليب الدعاية لدى الجيش الفرنسي معترفاً بمحدوديتها وضعفها أمام الدعاية المركزة لجهة التحرير الوطني، والتي بالرغم من بساطة وسائلها إلا أنها في نظره أكثر تأثيراً وقرباً من الأوساط الشعبية. وقد اقترح الباحث مجموعة من الحلول والوسائل التي بإمكانها أن تعزز دعاية الجيش الفرنسي، ووصلت هذه الدراسة إلى مكتب محافظ وهران في 1957/07/27، الذي بدوره أرسلها إلى مختلف المسؤولين الفرنسيين¹³.

وفي نفس سياق الحرب النفسية، ويغرض التشويش على الإذاعات التي كانت تحظى بشعبية كبيرة في الداخل والخارج باعتراف الفرنسيين أنفسهم، فقد تم إنشاء دار للتزوير الإذاعي والصحفي مهمتها تحضير برامج إذاعية وصحفية تحت إشراف أخصائيين فرنسيين ينتمون إلى قسم الجاسوسية الفرنسية. المسؤول المباشر عنها هو الرائد "كولون"، وهو من ضباط الشؤون الأهلية ويساعده النقيب "لأنجيلا"، الذي طُرد من تونس لسوابقه فيها، والملازم "فرانكو" الذي طُرد من المغرب لنفس السبب، ويعمل تحت إشراف هؤلاء جمع من الجواسيس والعملاء العرب من المشرق والمغرب. وتتمثل أعمال موظفي هذا المركز في الآتي:

- إعداد حصص إذاعية عادية تسجل كلها بالعربية وتذيعها محطة الإرسال الباريسية رقم "02" في مساء كل يوم ابتداء من الساعة العاشرة،

- إعداد حصص إذاعية تحمل "صوت الجزائر" تقوم بالدعاية للحركة الميصلية التي يوجّهها البوليس السري الفرنسي لضرب جبهة التحرير في فرنسا،

- الإشراف على حصص التزوير وهي المهمة الأساسية لهذا المركز. وتنقسم أعمال الإذاعة المزوّرة إلى خمسين قسماً، يذيع باسم "إذاعة صوت العرب من القاهرة" على نفس موجات "صوت العرب". وفي نفس الوقت وبنفس اللهجة التي يصحبها القليل من التشويش الإذاعي، حتى يقتنع المستمع بأنه يصغي إلى إذاعة صوت العرب الحقيقية التي اعتاد المستمع في شمال إفريقيا على أن يسمعها مصحوبة بشيء من التشويش المسلط عليها من المحطات الفرنسية، ويقوم هذا القسم بالتشويش أيضاً على حصة "صوت الجزائر" التي تلقى من إذاعة تونس ثلاث مرات في الأسبوع¹⁴.

وقد اعترف الفرنسيون أنفسهم بالخطورة التي كانت تشكلها بعض الإذاعات المساندة للثورة الجزائرية، والتي تبث من الخارج حيث جاء في أحد المراسلات التي بعث بها المحافظ الرئيسي لشرطة قسنطينة "روجي بينيلي" إلى السيد المفتش العام للإدارة لناحية الشرق الجزائري في 13 جويلية 1956 بخصوص الخطر التي تشكله الدعاية المنطلقة من الإذاعات العربية للدول الشقيقة. وجاء فيها "بناء على المعلومات التي وصلتنا من مستخدمينا الفرنسيين المسلمين التابعين لمصلحة الأمن العمومي، والذين قاموا بالاستماع إلى برامج العديد من الإذاعات العربية يسرني أن أعلمكم أن إذاعة القاهرة هي الأكثر استماعاً بين أوساط الجزائريين من خلال الأنباء والتقارير التي تقدمها وحتى الكلمات المستعملة فيها تشكل خطراً على فرنسا ولهذا المطلوب تنظيم حملات مكثفة للتشويش على هذه الإذاعة في إطار الدعاية المضادة"¹⁵.

وفي مراسلة أخرى من الوزير المقيم في الجزائر مؤرخة في 1956/06/30 وجّهها إلى محافظي كل من وهران، الجزائر، عنابة، وإلى المدير العام للشؤون

السياسية والوظيف العمومي، يتحدث فيها عن خطورة الدعاية المنطلقة من الإذاعات العربية يحثهم فيها على التجسس والتحري عن شعبيتها وبرامجها، وقد أرفق هذه المراسلة بملفات استعلام خاصة¹⁶.

ولتثبيط همم المجاهدين وتدمير ثقتهم في قيادتهم السياسية والعسكرية، اعتمدت مصالح الدعاية الفرنسية على عنصر الإشاعة بغرض تشويه المقاصد النبيلة للثورة الجزائرية، بترديد مقولة أن الثورة الجزائرية عاجزة على طرد الفرنسيين من الجزائر وأن هذه الثورة أضحت تتقاذفها الصراعات والاختلافات والانقسامات التي احتدمت بين قيادتها في الداخل والخارج حسب زعمها، لاعتبارات عرقية وسياسية وكان الهدف المنشود من وراء هذه الدعاية، خلق نوع من القلق والارتباط والحيرة لدى المجاهدين، مما يدفعهم في الأخير إلى الاستسلام¹⁷.

وحسب إحدى التعليمات الموجهة إلى مستخدمي مصالح الحرب النفسية، فإن الحرب النفسية الفرنسية، يجب أن تركز على ما يلي¹⁸:

- بث اليأس من النصر في نفوس الجزائريين بجميع فئاتهم، وذلك عن طريق المبالغة في وصف القوة التي يتمتع بها الجيش الفرنسي والتذكير بالانتصارات التي حققها على مدار التاريخ.

- تشجيع أفراد جيش التحرير الوطني والمتعاملين معه على الاستسلام وذلك عن طريق توجيه النداءات بمختلف الوسائل وخاصة بواسطة مكبرات الصوت قبل بداية أي عملية عسكرية تدعوهم إلى الاستسلام، بالإضافة إلى توزيع المنشورات التي تحتوي على الحيل المختلفة لتشجيع الاستسلام.

- زعزعة إيمان الجندي في جيش التحرير بمبادئه وأهدافه وذلك عن طريق إثبات استحالة تحقيق هذه المبادئ أو الأهداف وتضخيم الأخطاء التي تقع عند

محاولة تحقيق هذه المبادئ والأهداف وخفض قدرته القتالية بأضعاف روحه المعنوية.

- إضعاف الجبهة الداخلية لجيش التحرير الوطني وإحداث نوع من عدم الثقة بينه وبين الأهالي، وذلك عن طريق إظهار عجز هذا الأخير عن تحقيق آمال الجماهير، وتشكيك الجماهير في قدرة جماعات مسلحة تضم مجرمين وخارجين عن القانون على مواجهة الجمهورية الفرنسية القوية.

- تقنيت وحدة جبهة التحرير الوطني وذلك عن طريق التشكيك في أهدافها الحقيقية وتشجيع بعض أعضائها على التمرد وعصيان أوامر قادتهم.

ونظرا للتنظيم والتخطيط المحكم لمصالح العمليات النفسية في الجيش الفرنسي ونجاحها في إقناع الكثير من الجزائريين باستحالة الانتصار، بل أن هذه المصالح نجحت حتى في اختراق صفوف جيش التحرير الوطني كما هو الحال في قضية "لابلوويت"¹⁹، إلا أن جبهة التحرير الوطني لم تبق مكتوفة الأيدي، بل ردت بمجموعة من الإجراءات تمثلت في الآتي:

- الاستمرار في رفع المعنويات داخل الوحدات العسكرية وبين المدنيين وشف دعاية العدو وتبصير الشعب وأفراد جيش التحرير بأنها مجرد كلام مزيف وهذا يفقدها مفعولها.

- سرعة إعلان ونشر الأخبار الصحيحة مهما كانت مريرة، حتى لا يترك فرصة للعدو الفرنسي وعملائه للتصرف فيها وترويجها حسب ما يخدم مصالحه.

- تكاثف وسائل الإعلام والدعاية المختلفة من أجل عرض الحقائق في وقتها.

- التوعية المستمرة بين مختلف الأطراف المعنية بالقضية الجزائرية عن طريق البلاغات الرسمية والندوات والمحاضرات.

- التأكيد على ضرورة تعاون الجزائريين في الإبلاغ عن الشائعات وتكذيبها وعدم ترديدها.

- اقتفاء خط سير الشائعات والوصول إلى جذورها وإصدار البيانات الصحيحة الصريحة ومعاينة المروجين لها.²⁰

الخاتمة

ومجمل القول، فإن استراتيجية سلطات الاستعمار الفرنسي، قد وظّفت كل الأساليب والوسائل، وطبّقت في الوقت ذاته مختلف السياسات في محاولة منها لإخماد الثورة وشل حركة المجاهدين.

وأمام الهزائم العسكرية والسياسية التي مُنيت بها كل المشاريع الفرنسية في تحقيق أهدافها ابتكر منظرو الاستعمار أساليب جديدة لمحاربة الثورة، ومنها لجوء سلطات الاحتلال الفرنسي إلى أسلوب الحرب النفسية بصورها المختلفة وبواسطة ضباط قادرين على فهم اللغة العربية ولهجات الشعب الجزائري. وبالرغم من أن استراتيجية الحرب النفسية قد تمكنت في بعض الأحيان من زعزعة نفوس الكثيرين من الجزائريين، لكنها لم تكن عزيمة إيمانهم في التحرر والاستقلال.

وفي المقابل تصدّى قادة الثورة الجزائرية للحرب النفسية، وذلك بتطويرهم لوسائل الاعلام؛ وفقا لتطور الأحداث والتحريات السياسية والعسكرية والإعلامية، وهذا من خلال استخدامهم للإعلام المكتوب كالنشرات والتقارير. كما استخدموا صحف المقاومة والمجاهد وإذاعة تتكلم باسم الثورة وتشرح خياراتها وأفكارها وتدعو لدعمها ومساندتها، وترد على الدعاية المضللة للاستعمار.

وبهذه الطريقة، تمكّنت جبهة التحرير الوطني من إحباط مهمة مصالح الحرب النفسية الفرنسية التي عجزت عن تحقيق الأهداف المرجوة منها؛ بالرغم من الإمكانيات الضخمة التي خُصّصت لها.

الهوامش والاحالات:

1. Instruction n°1071.Action psychologique.1956_1959.z :alg.F :oran.Cote :5I/196.Aix en Provence.

2. محمد الصالح الصديق، عملية العصفور الأزرق، ط1، منشورات دحلب، الجزائر 1990، ص32.
3. يحي بوعزيز، الثورة في الولاية الثالثة، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص95.
4. إبراهيم لونيسي، المجاهد ودورها في الحرب النفسية إبان الثورة التحريرية، سلسلة الملتقيات حول الاعلام ودوره أثناء الثورة، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 1988، ص119.
5. محي الدين مختار، محاضرات في علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982، ص52.
6. المرجع نفسه، ص54.
7. بورجيس مونوري: ولد يوم 19/08/1914 وتوفي في 10/02/1993 في باريس. سياسي فرنسي ترأس الحكومة من (مارس 1957 إلى 30 سبتمبر 1957). تعتبر هذه الحكومة هي أول من طرح قوانين الاطار وهو ماميز سياسة بورجيس مونوري الذي كان وزيرا للدفاع في عهد "غي مولي"، وهو الذي شرع في وضع هذا المشروع وقدمه للبرلمان فرفضه وسقطت حكومته.
8. يحتفظ أرشيف هذه المصلحة التي يرمز لها اختصارا ب: (S.L.N.A) بكم هائل من التقارير المرتبطة بالعمل النفسي والتي اعتمدت كمصدر أساسي لهذه الدراسة، إلا أن هناك ملاحظة يجب الإشارة إليها، وهي أن العديد من التقارير التي كان يعدها الضباط واطلعت عليها لم تكن مختومة بالختم الرسمي للمصلحة.
9. الغالي غربي، فرنسا والثورة الجزائرية: دراسات في السياسات والممارسات، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص160 - 159.
10. راوول سالان **Raoul Salan (1899 - 1984)** جنرال فرنسي، شارك في حرب فرنسا في الهند الصينية، من معارضي استقلال الجزائر، شارك في انقلاب الجنرالات أفريل 1961 ضد ديغول مع جوهو، زيلر، شال، دخل العمل السري بتأسيس المنظمة العسكرية السرية، سجن في أفريل 1962 إلى غاية جوان 1968.
11. Action psychologique 1956-1959/z :Alg,F :Oran,Cote :5i,184,ANOM,Aix-en-provence.
12. أحد العمرين الذين استقروا بمنطقة سيدي بلعباس لم يذكر التقرير الذي تحصلت عليه وظيفته ولا أي معلومات خاصة به. لكن المرجح أن يكون من أصول إسبانية. والملاحظ من خلال الدراسة التي أنجزها أنه كان قريبا جدا من الأهالي ولمم بكل ما يتعلق بهم، للإطلاع على هذه الدراسة ينظر الملحق ص370.
13. Action psychologique 1956-1959/z :Alg,F :Oran,Cote :5i,196,ANOM,Aix-en-provence.

14. المجاهد العدد 60 1960/01/25.
15. FR. ANOM93/5Q 459.aix en province.
16. -Ibid.
17. الغالي غربي، مرجع سابق، ص 166 - 167.
18. Opération de contre_guerilla dans le cadre de maintien de l'ordre en A.F.N./ g :Alg_Cote :SAS_Doc :25.ANOM.AIX en provence.
19. لابلوويت:هي مؤامرة من تدبير النقيب الفرنسي "بول آلان ليجي" الذي خطط ونفذ العملية في 1958، التي كانت تدخل في حرب فرنسا النفسية ضد جبهة وجيش التحرير الوطنيين.كانت الولاية الثالثة التي كانت تحت قيادة "عميروش" مسرحا لها.لا يوجد عدد محدد لضحاياها حيث يتراوح من 300 إلى 600 مجاهد.حملت هذا الاسم نسبة إلى سراويل الجينز الزرقاء التي كان يرتديها رجال النقيب "ليجي".ومازالت الآراء مختلفة حول هذه القضية..
20. Traduction d'un document du F L N، Op.cit.



الشباب الجزائري والمواطنة الرقمية بين التداول الافتراضي والممارسة في الواقع الاجتماعي

كانون جمال

قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة غرداية.

kanoundjamel2014@gmail.com

الملخص -

انطلاقا من ما أحدثته شبكة الانترنت في مجال الاتصال والتواصل، من حيث خدماتها و إستخداماتها أو انعكاساتها والتي استطاعت اختزال كل الوسائل الاتصالية التي سبقتها بفضل التحولات التي نشهدها في شكل ونمط الاتصال وسرعته، مما جعلها تساهم في صياغة العلاقة بين الفرد ومجتمعه من خلال فضاء رقمي كان له تأثيره وانعكاساته على قضايا اجتماعية عديدة كالقيم والهوية والمواطنة وغيرها من القضايا خاصة لدى فئة الشباب الأكثر استخداما لهذا المجال الذي ساهم في إنتاج وإعادة إنتاج الكثير من المفاهيم كالمجتمع الافتراضي، والمواطن الرقمي والمواطنة الرقمية وهو ما دفعنا إلى إعداد هذه الورقة والتي نهدف من خلالها إلى الدعوة إلى توظيف هذا الفضاء الرقمي للتعبير عن المواطنة الحقيقية والحب الحقيقي للوطن والدفاع عنه من خلال استغلال هذا الفضاء الذي تجاوز الحدود السياسية والجغرافية والزمنية، لتكريس المواطنة الحقيقية و التعريف بحقوق وواجبات المواطن تجاه وطنه ودينه وأمته.

الكلمات المفتاحية -

المواطنة، الفضاء الرقمي، المواطنة الرقمية، الشباب

Algerian Youth And Citizenship Digital Divide Between The Default Trading And Practice In Social Reality

Summary -

Based On What The Internet Has Done In The Area Of Communication In Particular In Terms Its Services, Its Uses And Its Implications, It Has Been Able To Reduce All Communication Means That Preceded And Transformations That We Are Witnessing In The Form And Type Of Communication And Its Speed, Thus Contributing To The Formulation Of The Relationship Between The Individual And His Community Through Digital Space Was It Has An Impact On Many Social Issues Such As Values, Identity, Citizenship And Other Issues, Especially Among The Most Popular Youth. This Has Contributed To The Production And Reproduction Of Many Concepts Such As Virtual Society, Digital Citizens And Digital Citizenship. That Is Why We Have Prepared This Paper And Which We Aim Call To Use Of This Digital Space To Express Their True Citizenship And True Love For The Homeland And Defend It Through The Use Of This Space, Which Exceeded The Political, Geographical And Time Limits. To Devote Real Citizenship And The Definition Of The Rights And Duties Of The Citizen Towards His Country And His Religion And His Nation.

Keywords -

Citizenship, Digital Space, Digital Citizenship, Youth

مقدمة -

لقد أحدثت شبكة الانترنت ثورة في مجال الاتصال والتواصل لم تعرف البشرية مثيلا لها من قبل ، سواء من حيث خدماتها واستخداماتها أو انعكاساتها ، بسبب ما حققته من تغيرات جادة في شكل ونمط الاتصال وسرعته ، وحجم ونوع المعلومات المتداولة ، ونسقتها لكل ما هو معروف من قيود وحدود تقنية أو قانونية ، وخروجها من نطاق الاستخدام النخبوي إلى النطاق الجماهيري الواسع ، مبرزة ظواهر جديدة وتأثيرات مباشرة على مختلف التنظيمات والبنى الاجتماعية وأصبحت بذلك وسيلة الاتصال المؤثرة في الأحداث اليومية، فأتاحت الفرصة

لأفراد المجتمع بكل مستوياتهم وأطيافهم نقل أفكارهم، ومناقشة قضاياهم السياسية والاجتماعية وما يرغبون في نقله متجاوزين في ذلك الحدود الطبيعية إلى فضاءات جديدة مما جعلها تساهم في صياغة العلاقة بين الفرد ومجتمعه ،و بين ثقافة المجتمع وثقافات غيره محدثةً طفرة حقيقية في ثقافة المجتمعات البشرية عموماً والمجتمع الجزائري خصوصاً من خلال هذا الفضاء الرقمي وتأثيره علاقة المواطن بالدولة، وانعكاساته على قضايا اجتماعية عديدة كالقيم والهوية والمواطنة وغيرها من القضايا خاصة لدى فئة الشباب الأكثر استخداماً لهذا المجال حسب ما تؤكد عديد الدراسات وبحكم خصائص المرحلة العمرية التي يعيشونها، مما أثار ويثير جدلاً حول تأثير قيم المواطنة لدى الشباب في الفضاء الرقمي الذي ساهم في إنتاج الكثير من المفاهيم أهمها المجتمع الافتراضي ، والوطن الرقمي والمواطن الرقمي والمواطنة الرقمية وغيرها من المفاهيم التي دفعتنا إلى إعداد هذه الورقة حول الشباب الجزائري والمواطنة الرقمية بين التداول الافتراضي والممارسة في الواقع الاجتماعي. وذلك انطلاقاً من الإشكالية والتساؤلات التالية : ماهية المواطنة الرقمية ؟ وكيف تتمظهر المواطنة الرقمية لدى الشباب في الفضاء الرقمي ؟ وهل أن التفاعل في هذا الفضاء كفيل بزيادة الوعي لدى الشباب بأهمية وأبعاد المواطنة أم أنه مجال يعمل على تراجع الوعي بالمواطنة وأبعادها ؟

ويستمد هذا الموضوع أهميته في تناوله موضوعاً مستجداً في ميدان الدراسات الاجتماعية وهو المواطنة الرقمية، كما تبرز أهمية هذه الورقة من خلال ما ستطرحه مقترحات لتنمية روح المواطنة لدى الشباب الجزائري من خلال الفضاء الرقمي والإلكتروني كمجال للتفاعل الاجتماعي للشباب الذي يمثل أهم شريحة في المجتمع الجزائري .

أولاً: المواطنة سلوك وممارسة :

تعتبر قضية الانتماء والمواطنة من القضايا التي ارتبطت بالجانب الغريزي للإنسان بالإضافة إلى أنها ممارسة وسلوك مجتمعي ، وتعدّ ركيزة أساسية للنهوض والارتقاء في المجتمع وتطويره في جميع الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ،وهي ليست فكرة سياسية وقانونية فقط بل هي ذات

طابع سياسي واجتماعي واقتصادي وثقافي بالإضافة إلى الطابع النفسي والمعنوي والروحي على أهمية معرفة الشباب بأن روح المواطنة تكمن بأدائهم لواجباتهم لتأمين حقوقهم أي أنها قضية موازنه بين الحقوق والواجبات يؤكد أن مسؤولية ترسيخ قيم المواطنة تبدأ من الأسرة لتنمية فكرة قيم العدالة وتكافؤ الفرص بين الأبناء ثم تنتقل هذه المهمة للمدرسة والجامعة ومؤسسات المجتمع المدني التي تعزز قيم ومبادئ المواطنة لدى الفرد المتبادل وقيم الإحساس في الواجب والمسؤولية وقبل التطرق إلى مفهوم المواطنة ومنه المواطنة الرقمية ينبغي أولاً أن نتعرف على مفاهيم مثل: الوطن – المواطن – الدولة.¹

الوطن : و هو الإطار البشري و الجغرافي المحدد بعوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية و ثقافية، وهو مجال يتفاعل فيه الأفراد و الجماعات مع بعضهم ومع الأرض التي يقطنون عليها، وذلك على مر الزمان، و الوطن ليس علاقة عابرة، مؤقتة وقصيرة، بل هو مجموعة من العلاقات الإنسانية والعاطفية والثقافية والمادية.

الدولة : الدولة هي الشكل التنفيذي والمؤسساتي للوطن، وهي مؤسسة سياسية تحرص على تنظيم المجتمع بإشراك المواطنين. و دولة الحق والقانون تجعل المواطن في صدارة اهتماماتها.

المواطن: وهوتجسيد للإنسان باعتباره غاية في ذاته و ليس وسيلة والمواطن بصفته فردا تجتمع فيه كل صفات الإنسانية دون تمييز في الجنس أو اللون أو العرق أو المكانة أو الصحة، ويتواجهه الفاعل و الايجابي فهو الوحدة الأساسية في بناء الوطن، فدون الاعتراف بالمواطن ودوره الفاعل لا يمكن أن يكون هناك وطن.

المواطنة اصطلاحاً .

¹ - <http://webcache.googleusercontent.com> تم الإطلاع : 15.10.2017 .

والمواطنة في اللغة العربية إلى الوطن ، وهو المنزل الذي يقيم فيه الإنسان ، والجمع أوطان ، ويقال وطن بالمكان وأوطن به أي أقام ، وأوطنه اتخذته وطناً ، وأوطن فلان أرض كذا أي اتخذها محلاً ومسكناً يقيم فيه ².

أما في المفهوم الإسلامي: يحددها بأنها تعبير عن طبيعة وجوهر الصلات القائمة بين دار الإسلام وهي (وطن الإسلام) وبين من يقيمون عليه من المسلمين وغير المسلمين ³.

يعرفها غيث بأنها مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة) ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء ، ويتولى الطرف الآخر الحماية ، وتتحد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق القانون ⁴. وتعرف الموسوعة العربية العالمية المواطنة بأنها "اصطلاح يشير إلى الانتماء إلى أمة أو وطن" ⁵.

وينظر إليها فتحي هلال وآخرون من منظور نفسي بأنها الشعور بالانتماء والولاء للوطن وللقيادة السياسية التي هي مصدر الإشباع للحاجات الأساسية وحماية الذات من الأخطار المصيرية" ⁶ -

المواطنة والوطنية: لبيان الفرق بين مفهوم المواطنة والوطنية يجب إدراج مفهوم آخر لا يقل أهمية عن المفهومين السابقين وهو مفهوم التربية الوطنية الذي يشير إلى ذلك الجانب من التربية الذي يشعر الفرد بصفة المواطنة ويحققها فيه، والتأكيد عليها إلى أن تتحول إلى صفة الوطنية، ذلك أن سعادة الفرد ونجاحه، وتقدم الجماعة ورفقيها لا يأتي من الشعور والعاطفة إذا لم يقترن

² . ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين: لسان العرب، ط3، المجلد الخامس، دار صادر، لبنان، بيروت . 1994

³ . هويدي فهمي : المواطنة في الإسلام ، مقال منشور بجريدة الشرق الأوسط العدد 5902 1995.

⁴ . غيث ، محمد عاطف: قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1995

⁵ - الموسوعة العربية العالمية ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض 1996م.

⁶ - هلال فتحي ، وآخرون: تنمية المواطنة لدى طلبة المرحلة الثانوية بدولة الكويت، مركز البحوث التربوية والمناهج بوزارة التربية، الكويت 2000م.

ذلك بالعمل الإيجابي الذي يقوم على المعرفة بحقائق الأمور والفكر الناقد لمواجهة المواقف ومعالجة المشكلات، فهذا الجانب العملي تحصل النتائج المادية التي تعود على الفرد بالنفع والارتياح والسعادة، وعلى الجماعة بالتقدم والرفق⁷.

تعرف الموسوعة العربية العالمية الوطنية بأنها "تعبير قويم يعني حب الفرد وإخلاصه لوطنه الذي يشمل الانتماء إلى الأرض والناس والعادات والتقاليد والفخر بالتاريخ والتفاني في خدمة الوطن. ويوحى هذا المصطلح بالتوحد مع الأمة"⁸.

ويميز (الشريدة ، 2005) بين المواطنة والوطنية إذ عد الوطنية الإطار الفكري النظري للمواطنة ، بمعنى أن الوطنية عملية فكرية والمواطنة ممارسة عملية أي مشاركة وقد يكون الإنسان مواطناً بحكم جنسيته أو مكان ولادته الخ ولكن ليس لديه وطنية تجاه المكان الذي يعيش فيه .⁹

ومعنى ذلك أن صفة الوطنية أكثر عمقاً من صفة المواطنة أو أنها أعلى درجات المواطنة، فالفرد يكتسب صفة المواطنة بمجرد انتسابه إلى جماعة أو لدولة معينة، ولكنه لا يكتسب صفة الوطنية إلا بالعمل والفعل لصالح هذه الجماعة أو الدولة وتصبح المصلحة العامة لديه أهم من مصلحته الخاصة.

وكذلك الوطنية فهي الجانب الفعلي أو الحقيقي للمواطنة. والولاء لا يولد مع الإنسان وإنما يكتسبه من مجتمعه ولذلك فهو يخضع لعملية التعلم فالفرد يكتسب الولاء "الوطني" من بيته أولاً ثم من مدرسته ثم من مجتمعه بأكمله حتى يشعر الفرد بأنه جزء من كل.¹⁰

⁷ - إسماعيل علي سعيد: التعليم على أبواب القرن الحادي والعشرين، دار عالم الكتاب، ط1، القاهرة، 1998م ص 43.

⁸ - الموسوعة العربية العالمية، الرياض ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1996م.

⁹ - الشريدة خالد بن عبد العزيز : صناعة المواطنة في عالم متغير :دراسة مقدمة، لقاء السنوي الثالث عشر لقادة العمل التربوي/ الباحة/ السعودية 2005

¹⁰ - السليمان سليمان سعد: اتجاهات بعض المربين نحو الدراسات الاجتماعية في مدينة الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، رسالة الخليج العربي، ع38 ، 1998م. ص

والمواطنة لها عدة أبعاد على أكثر من محور:

الأول قانوني: الدستور هو الوثيقة الأساسية التي تحدد حقوق المواطنين والواجبات التي تقع عليهم.
 الثاني سياسي: يعنى أن يشارك المواطن فى العملية السياسية.
 الثالث معنوي: يتحدد فى علاقة الانتماء والولاء للوطن.
 الرابع اقتصادي: أن يستطيع المواطن أن يحصل على احتياجاته الأساسية ويرمز له بالعدالة الاجتماعية.
 كما تشمل حقوق المواطنة الحق فى البيئة النظيفة وتداول المعلومات وحرية وصول المواطن للمعلومات والشفافية.¹¹

كما أن للمواطنة قيم تعبر عن مدى ممارستها بشكل صحيح وسليم داخل المجتمع الواحد وهي:

أ- المواطنة مساواة: تؤسس المواطنة لمفهوم الحقوق والواجبات، إنطلاقاً من روح الانتماء و المشاركة القائمة على العدل و المساواة ضمن منظومة قانونية سيادية، فالفرد تكون له حقوق وواجبات سياسية واجتماعية واقتصادية قائمة على العدل و المساواة،¹

ب- المواطنة حرية: تعد الحرية مفهوم محوري لتحقيق المواطنة فلا بد أن تكون الحرية مضبوطة بقوانين على اساس ممارستها بشكل ديمقراطي واعي يضع فى الحسابات التغيرات الاجتماعية و السياسية التي تطرأ على الساحة الاجتماعية، وهذه الحرية تكون فى المعتقد و التنقل داخل الدولة وحق المناقشة مع الآخرين و الاحتجاج ضد الحكومة، شرط أن يكون موضوعي،¹²

¹¹ <http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=770003&eid=9511>.

الإطلاع : 19.04.2013 . 23:00h

¹² - شيماء مبارك و شباب محمد الأمين : التواصل الأسري ودوره فى تنمية وترسيخ قيم

المواطنة ورقة مقدمة فى الملتقى الوطني الثاني حول : الاتصال وجودة الحياة فى الأسرة

أيام 10/09 أفريل 2013 بجامعة قاصدي مرباح/ورقلة

ج- **المواطنة وحدة وانتماء:** هذا يعني الانتماء الى الوطن و التمسك بوحدة، ، وتعني الانتماء للأرض و التاريخ و الحوار البناء بين افراد الوطن الواحد، فهي حالة تفاعلية تجتمع على وحدة وطنية.

د- **المواطنة حوار ومشاركة:**

إذا كانت المواطنة تؤسس على ما سبق من القيم، فهي كذلك حوار واعي وموضوعي بين افراد الوطن الواحد انطلاقا من الاحترام المتبادل،¹.

هـ- **المواطنة مسؤولية:** هنا يكون واجب خدمة الوطن و احترام القانون و دفع الضرائب، وعدم خيانة القانون بالتستر على جرائم الدولة واحترام الرموز و التوابث الوطنية،

و- **المواطنة همة عالية وقيمة أخلاقية:** ومما سبق تكون المواطنة قيمة اخلاقية راقية فهي تمثل روح التعاليم الاسلامية، ففقدان الحرية او المساواة، يعني انتشار الظلم و كل معاني الشر و الاساءة، فال مواطنة إنتماء عقلي موضوعي واصيل لقيم الحق و الخير، وكلما ارتفع المواطن في درجة المسؤولية وجب عليه أن يكون قدوة ، وعن قناعة، وعليه أن يعيش حس المواطنة بحالة وجدانية عالية لكي يكون قادرا على تحمل المسؤولية، وبذل العطاء و التضحية، لأن المواطن في الاصل متشبه بالقيم السامية ومشحون بحب الوطن¹³.

دوافع الاهتمام بالمواطنة عموما :

إن المواطنة وجدت منذ أن تكونت المجتمعات وحاجة الانسان الى الاجتماع على الرغم من وجود الفوارق في التمتع بحقوق المواطنة قديما نتيجة لوجود الطبيعية في المجتمعت القديمة، ففي العصر الحالي تجدد الاهتمام بهذا المفهوم لعدة اعتبارات منها:

❖ شعور الدول بتهديدات القيم الجديدة التي جاءت بها العولمة مما يقوض قيم الانتماء و الولاء لدى افرادها

❖ هشاشة العلاقة بين الفرد و الدولة

❖ ظهور السلوكيات المنحرفة داخل المجتمع

¹³ . أ / شيماء مبارك وأ / شيباب محمد الأمين ، مرجع سابق

❖ تصاعد حدة النفور من الدولة وكل مايمس بها، إنطلاقا من الافعال و
الاقوال التي يمكن رصدها في الحياة اليومية
❖ ارتفاع معدلات الهجرة غير الشرعية بين أوساط الشباب
❖ تنامي المشكلات القبلية والدينية وخاصة في مجتمعات العالم الثالث .
❖ هيمنة قيم وأعراف جديدة فرضتها العولة و المتمثلة في ازالة الحدود
 واصبحت الاوطان غير محصنة اجتماعيا وثقافيا فالعالم أصبح قرية صغيرة.
كل هذه الدوافع أدت الى اعادة الاهتمام بقيم و معايير المواطنة كاساس
لإعادة صورة وهبة الدولة في نقوس الافراد.¹⁴

أما الاهتمام بقضايا المواطنة في المجتمع الجزائري فيعد ضرورة
اجتماعية، وهذا الاهتمام يتماشى مع ما تسعى إليه كل المجتمعات العالمية
دون استثناء، إذ أن قيم المواطنة لدى الشباب تعتبر الأساس المتين الذي تبنى
عليه سياسة

تطوير الوطن والمجتمع في كل المجالات، وذلك بالاهتمام بحقوقه
وواجباته في الحياة الاجتماعية، ، وتدعيم الجمعيات المهتمة بترقية قيم
المواطنة، وكذلك ضرورة تنمية دور الشباب في المجتمع الجزائري بما يخدم
تقدم ورفاهية الوطن في ظل السلم والاستقرار في جميع مجالات الحياة،
وعلى توفير برامج وخطط لتنمية روح المواطنة في جميع المراحل التعليمية
وحتى الجامعية منها، وتنمية طموح الشباب في بناء وطنهم مع توفير
مقومات المواطنة من عدالة ومساواة.... الخ، كما يجب التركيز على دور
الأسرة في ضبط وتوجيه الشباب نحو تجسيد قيم المواطنة والالتزام الفعلي
بها، والعمل على معالجة مشكلات الشباب¹⁵

ثانيا - المواطنة الرقمية: digital citizenship :

¹⁴ <http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=770003&eid=9511>.

بقلم: حنان أبوسكين الإطلاع : 19.04.2013 . h23:00

¹⁵ - د . فوزي ميهوبي ود . سعد الدين بوطبال : " اتجاهات الشباب الجامعي نحو المواطنة

في الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ، العدد 14 مارس 2014

أدى دخول التكنولوجيا واستخداماتها في كافة مجالات الحياة، إلى تسمية المرحلة الزمنية التي يعيشها العالم اليوم بالعصر الرقمي، لا سيما مع وجود الرغبة والقدرة والبنية التحتية لتسهيل استخدامها من جميع الفئات المجتمعية، وفي كافة المناطق من الكرة الأرضية، وربما تعد أكثر الفئات انجذاباً وتمسكاً بها فئة الشباب، فهي بلا شك تستجيب لاهتماماتهم، وتحقق رغباتهم.

في ظل العصر الرقمي وانتشار التكنولوجيا، اتخذت المواطنة أشكالاً وصوراً جديدة، أخذت فيه حقوق وواجبات المواطن شكلاً جديداً يتفق ومطالب العصر الرقمي الذي يعيشه، كما دفع ظهور الرقمنة إلى إعادة النظر في مناقشة مفاهيم المواطنة، فالتقدم السريع في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات له تأثير كبير على قضايا المواطنة، والهوية الثقافية، وقواعد السلوك، وتنامي العنف وتفكك العلاقات، مما زاد الاهتمام بموضوع المواطنة على مستوى عالمي¹⁶ مما أدى إلى تصاعد الاهتمام في الوقت الحالي

بفكرة المواطنة الرقمية Digital Citizenship

1- نشأة وتطور مفهوم المواطنة الرقمية: عُرِف مصطلح المواطنة في اليونان القديمة عندما كانت الولايات المستقلة تُحكم من خلال المواطنين أنفسهم فالحكم الذاتي كان حقاً تكفله الدولة لكافة المواطنين، وشهدت المواطنة اهتماماً كبيراً في روما القديمة خاصة عندما تم توسيع حدود الإمبراطورية وظهور الحاجة للاستعانة بالمواطنين في إدارة المناطق الجديدة كما كان لثورات الفرنسيين دور ملحوظ في نشر فكرة المواطنة بالدول المستعمرة.

في خلال فترة التسعينات ومع التأكيد في كافة المحافل القومية والدولية على مبادئ الديمقراطية والحرية والمساواة، أضحت المواطنة من

¹⁶ – Mossberg, K., Tolbert, C.J. & McNeal, R.S. (2011). Digital Citizenship: The Internet, Society, and Participation. The MIT Press, Cambridge, Massachusetts, London, England.

أكثر الموضوعات التي تحظى باهتمام عالمي. ومع تحديات الألفية الثانية بدأت المجتمعات في التحول نحو التقنية، وما تميز به من تطور مذهل في تقنية المعلومات والاتصالات، نتج عن التقدم المتسارع في علوم الحاسوب وشبكات الإنترنت والبريد الإلكتروني والهواتف الخلوية والأقمار الصناعية وغيرها من تطبيقات التقنية الرقمية التي أثرت على مختلف مجالات الحياة وغيّرت من أساليب ممارسة الأعمال والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد والمجتمعات وصارت سلاحاً تستخدمه الأمم المتقدمة تقنياً واقتصادياً في التغير في السياقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية¹⁷

أما عن ظهور المواطنة الافتراضية فقد فتحت الشبكات الاجتماعية المجال أمام ممارسة قضايا المواطنة عبر الإنترنت والتي أطلق عليها المواطنة الافتراضية Virtual citizenship فعند الحديث عن المواطنة لا يغيب البعد السياسي إذ ارتبطت بحقوق وواجبات اجتماعية سياسية، فهناك ممارسة لحقوق المواطنة في المجتمع الافتراضي. وهناك أيضاً قضايا يتم سحبها من الواقع إلى المجتمع الافتراضي الذي يعد بوابة جديدة لعبور وتحقيق المواطنة مع الأخذ في الاعتبار أن قضايا المواطنة الافتراضية عالمية النشأة ومحلية المردود¹⁸.

2- المواطن الرقمي: ويعني هذا المصطلح قدرة المواطن على استخدام الحاسوب والتعاملات الالكترونية في إنجاز أعماله.

17 - د. فاطمة بنت علي الشهري: تحدي الأسرة في تعزيز قيم المواطنة الرقمية: رؤية مقترحة ورقة عمل مقدمة للملتقى العلمي " دور الأسرة في الوقاية من التطرف" والذي تنفذه كلية العلوم الاجتماعية والإدارية بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية - خلال الفترة 18- 19 أكتوبر 2016

18 - للمزيد حول أبعاد المواطنة الافتراضية أنظر وليد رشاد، المواطنة في المجتمع الافتراضي " تأملات نظرية علي مرجعية الواقع المصري" ورقة مقدمة إلى المؤتمر السنوي العاشر، للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، الفترة من 16- 19 مايو 2009

إن المواطن الرقمي هو ثمرة من ثمرات التقنية الحديثة وتطور المجتمع، والاستفادة من معطيات الحضارة، من أجل مستقبل أفضل¹⁹.

ومن أهم مميزات المواطن الرقمي أي الصفات التي يجب أن يتحلى بها ليصبح مواطناً رقمياً. ويتحصل على جنسية الوطن الرقمي وهي :
أ\ استخدام الكمبيوتر والانترنت بكفاءة عالية.
ب\ أن يتحلى بثقافة معلوماتية وهي ليست تقنية محضة. بل ثقافة المجتمع الجديد.

ج\ تطبيق التكنولوجيا في معظم تعاملاته اليومية
د\ أن يتحلى بقواعد السلوك الحسن. بحيث لا يستخدم التكنولوجيا المعلوماتية للإضرار بالآخرين.²⁰

3- **الوطن الرقمي:** ولا يمكن أن يكون لدينا مواطن رقمي بدون وجود وطن رقمي. الذي يشير إلى العالم الإلكتروني الذي أنتجته شبكة المعلومات. حيث أضحى بمقدور الناس التواصل مع بعضهم البعض في فضاء إلكتروني عالمي بكل سهولة ويسر وبتكلفة زهيدة وحتى خارج رقابة الحكومات أو سيطرتها، إن الوطن الرقمي هو الذي يمكن تسميته بـ "مجتمع الإعلام والمعلومات والذكاء الإنساني" الذي أنتجه التطور الهائل لوسائل الإعلام والاتصال. إنه ثورة الاتصال الخامسة.²¹

4- أهمية المواطنة الرقمية:

¹⁹ <http://www.alriyadh.com/2007/02/02/article221577.html>، الإطلاع :

h20:00. 14.04.2013

²⁰ د محمد لعقاب : **المواطن الرقمي، كيف ساعدت تكنولوجيا المعلومات الثورات العربية** ، ط

1 ، ص 11 دار هومة الجزائر 2012 ص12

²¹ - د محمد لعقاب المرجع نفسه ص29

حيث تكمن أهميتها ليس في أن تضع قائمة بالسلوكيات الصحيحة والخاطئة المرتبطة باستخدام التقنية بمختلف أشكالها بل في كونها أداة تساعد في إدراك ما هو صحيح وما هو خاطئ²² وعلى ذلك تتضح أهمية المواطنة الرقمية جلياً فيما تلعبه من دور في إعداد مواطن قادر على تفهم القضايا الثقافية والاجتماعية والإنسانية المرتبطة بالتقنية، مثال ذلك:

- الممارسة الآمنة والاستخدام المسئول والقانوني والأخلاقي للمعلومات والتقنية.

- اكتساب السلوك الإيجابي لاستخدام التقنية والذي يتميز بالتعاون والتعلم والإنتاجية.

- تحمل المسؤولية الشخصية عن التعلم مدى الحياة²³.

ولا شك أن نشر ثقافة المواطنة الرقمية في مجتمعاتنا من خلال التربية المنزلية والمناهج التعليمية في المدرسة والجامعة أصبح من أساسيات الحياة وضرورة ملحة يجب أن تتحول إلى مشاريع وبرامج تربوية بالتعاون مع مبادرات المجتمع المدني والمؤسسات الإعلامية حتى نتمكن من حماية مجتمعاتنا من الآثار السلبية المتزايدة للتكنولوجيا وتحفيز الاستفادة المثلى منها للمساهمة في تنمية مجتمع المعرفة وبناء الاقتصاد الرقمي الوطني²⁴.

5- المواطن الرقمي والمواطنة الإلكترونية: علاقات التأثير والتأثر:

ويمكن أن نلمس ذلك من خلال عدة عناصر، أهمها:

²² - د. فاطمة بنت علي الشهري: مرجع سابق

²³ - د. فاطمة بنت علي الشهري: مرجع سابق

²⁴ - رجائي حداد : 2102 : المواطنة الرقمية كيفية التعامل مع وسائل الإعلام الرقمي والتكنولوجيا والتقنيات الحديثة بحيث تصبح عوامل بناء وتطور وتعلم للجيل

الجديد ، دورية ، متاح على الرابط التالي :

<http://rajaiehaddad.com/2014/12/27/digital-citizenship>

- المشاركة الإلكترونية في المجتمع : حيث يلتزم مستخدمو التكنولوجيا بتكافؤ الفرص أمام جميع الأفراد فيما يتعلق بالتكنولوجيا فنقطة الانطلاق في "المواطنة الرقمية" هي العمل نحو توفير الحقوق الرقمية المتساوية ودعم الوصول الإلكتروني.
- الاتصالات الرقمية والتبادل الإلكتروني للمعلومات : من أبرز التغيرات الهامة التي استحدثتها الثورة الرقمية هو قدرة الأفراد على الاتصال فيما بينهم مهما بعدت الأماكن وتباينت الأوقات.
- محو الأمية الرقمية : لا بد أن يتعلم الدارسون كيف يتعلمون في ظل مجتمع رقمي ، فيتعلمون أي شيء في أي وقت وفي أي مكان
- القوانين الرقمية والمسؤولية الرقمية على الأعمال والأفعال : يعالج قطاع القوانين الرقمية مسألة الأخلاقيات المتبعة داخل مجتمع التكنولوجيا ، ويفضح الاستخدام غير الأخلاقي نفسه في صورة السرقة أو الجريمة الرقمية، فالالتزام بقوانين المجتمع الرقمي توجب تعريف المستخدمين بأن سرقة أو إهدار ممتلكات الآخرين ، أو أعمالهم أو هويتهم عبر الإنترنت يعد جريمة أمام القانون.
- الحقوق والمسؤوليات الرقمية : توجد حزمة من الحقوق التي يتمتع بها " المواطن الرقمي " مثل حقوق الخصوصية وحرية التعبير وغيرها.
- الأمن الرقمي (الحماية الذاتية) : هي إجراءات ضمان الوقاية والحماية الإلكترونية ، إذا يجب أن يتوفر لدينا برامج حماية من الفيروسات وإنشاء نسخ احتياطية من البيانات وتوفير معدات وآليات التحكم الموجه ، من أجل حماية ما لدينا من معلومات من أي قوة خارجية من شأنها أن تقوم بالسطو على بياناتنا²⁵.

ثالثا - الشباب في المجتمع الرقمي :

²⁵- أ جيدرور حاج بشير : أثر الثورة الرقمية والاستخدام المكثف لشبكات التواصل الاجتماعي في

رسم الصورة الجديدة لمفهوم المواطنة ، من المواطن العادي الى المواطن الرقمي ، مجلة

دفاتر السياسة والقانون ، العدد 15 جوان 2016 ص 69

يشهد العصر الحالي ثورة رقمية جديدة، يقوم خلالها الشباب بالتفكير والتعلم والتواصل بطرق تختلف جذرياً عن تلك التي كانت تنتهجها الأجيال السابقة. فشبّاب اليوم يعيشون في بيئة تفاعلية تخلو من أية قيود جغرافية، ويحصلون على المعلومات من مختلف أنحاء العالم؛ الأمر الذي أسهم في تطور مهارات وقيم أساسية - مثل الأخلاق الاجتماعية، والتفكير النقدي، والتمكين - وظهور تطبيقات جديدة في العالم الرقمي.

يمارس الشباب، في المجتمع الرقمي، حياتهم الاجتماعية والعملية في ظل بيئات رقمية متعددة ومتداخلة وديناميكية. ولكي يصبح الشباب قادراً على الاستفادة من وقته وطاقته من أجل المنفعة الشخصية والمجتمعية، فإنه يحتاج إلى مجموعة من القدرات التي تمكنهم من الاستيعاب الكامل لمزايا ومخاطر هذه البيئات وكيفية استخدامها، وكذلك الكفاءة اللازمة للتعامل مع البيانات، وبناءً على ذلك فإن كفاءات محور البيئة الرقمية هي تلك التي يحتاج إليها الشباب الذين يتنقلون بين العديد من السياقات في حياتهم.

وتشمل هذه الكفاءات البرمجة، وتحليل البيانات الضخمة، والتنقل في العالم الرقمي، إضافة إلى الكفاءات المتضمنة في المحاور الأخرى²⁶.

1- لماذا تنمية ثقافة المواطنة لدى الشباب؟

شكل الشباب على مرّ العصور فئة هامة تقوم بدور حيوي في حركية المجتمعات، وهي تعدّ مرآة تعكس الواقع الاجتماعي الذي تعيش فيه ومقياساً يحدد درجة تطوره أو تخلفه، وهو الطاقة البشرية والتنموية التي تحرك دواليبه ومؤسساته، وهو من هذا المنطلق يطرح استحقاقات وإشكاليات وتحديات يتعين

²⁶ - الغريب زاهر إسماعيل : دور شبكات التواصل الاجتماعي في تعزيز قيم المواطنة وتشكيل الرأي العام لدى منتسبي الجامعات ، كلية التربية ، جامعة المنصورة .
https://repository.nauss.edu.sa/handle/123456789/63241 تم الإطلاع

إدراكها والسعي إلى العمل على ضوئها في كل ما تضعه الدول من برامج ومخططات للحاضر والمستقبل²⁷.

لأنها تعتبر مرحلة الشباب من أهم المراحل التي يمر فيها الفرد، حيث تبدأ شخصيته بالتبلور. وتنضج معالم هذه الشخصية من خلال ما يكتسبه الفرد من مهارات ومعارف، ومن خلال النضوج الجسماني والعقلي، والعلاقات الاجتماعية التي يستطيع الفرد صياغتها ضمن اختياره الحر، فإن مرحلة الشباب تتلخص في أنها مرحلة التطلع إلى المستقبل بطموحات عريضة وكبيرة.

أما سمات هذه المرحلة، فهي عديدة وإن كانت هناك خاصيتان أساسيتان للشباب بشكل عام وهما:

- إن الشباب اجتماعي بطبعه، وهذا يعني الميل الطبيعي للانتماء لمجموعة اجتماعية يعطيها وتعطيه
- وأن الشباب طاقة للتغيير والتشكيل.

2- دور ومساهمة شبكات التواصل الاجتماعي في ترقية المواطنة

لدى الشباب الجزائري :

تؤدي شبكات التواصل الاجتماعي المتعددة دورا محوريا في تعزيز البناء الفكري للشباب وترسيخ منظومة الوعي لديه، وما يمكن أن توفره هذه الشبكات التواصلية من تعميق فرص الوعي وترسيخ ثقافة إيجابية تسهم في تغيير السلوك النمطي السائد في المجتمعات وضبط الممارسة الشبابية بشكل يضعها أمام تقييم مستمر لموقعها في وجدان الوطن والاعتزاز بحضارته وقيمه وسياساته والشاركة الشبابية في برامج التطوير. والتي يمكن أن تؤصل لثقافة مهنية قادرة على تحقيق التحول في سلوك الشباب وتمكينه من استثمار الفرص المتاحة له في

²⁷ - دور الشباب في عملية التغيير المجتمعي

<http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3202> تم الإطلاع :

2017/10/25 الساعة 15:22h

28. ظل قناعاته ومشاركته في رصد المنجز التنموي الوطني المقدم له . وبالتالي فإن دور شبكات التواصل الاجتماعي في صناعة المواطنة يرتبط بتأثيرها في تشكيل هوية الشباب الوطنية - أكبر المتفاعلين من شبكات التواصل الاجتماعي - في أبعادها الترويجية والفكرية والثقافية والتعليمية والتشريعية والتحفيزية، والتمكين وترسيخ مستويات عاليه من الثقة في كفاءة الشباب وبناء قدراته، وما تتطلبه المواطنة من فكر واعٍ مدرك لمسؤولياته، وشعور بواجب التضحية والعمل من أجل الوطن، وترسيخ قناعات إيجابية، منطلقات تتيح للمواطنة - عبر توظيف هذه الفضاءات المفتوحة - فرص مواجهة حالات التثاؤم والإحباط والسلبية والنظرة الضيقة في ثقافة البعض، وحواراته وردات الفعل التي تتخذ مواقف مغايرة ، خاصة عندما يكون الحديث عن مثل المواطنة الحقوق والواجبات والمسؤوليات وبالتالي تأتي شبكات التواصل الاجتماعي في ظل مفهوم المواطنة الرقمية كمحطات لتعميق القيمة المضافة لها في رقي الوطن وتحقيق غاياته وتنمية موارده وتوجيهها نحو تحقيق منافعه والترويج له وتحفيز أبنائه على المحافظة على منجزاته، والسمو بممارساتهم في ظل شعور الفرد المستخدم لها، بأنه يحمل رسالة المواطنة الداعية إلى السلام والوئام والتعارف والحوار، ويمارس دوره الوطني في ظل التزام بالقواعد والأسس والأخلاقيات ومنهجيات الذوق، والحرص على مصداقية الكلمة ودقة المعلومة ساعيا نحو تقديم الأفضل، مدركا لحدود مسؤولياته، عارفا بما عليه من واجبات وما له من حقوق وآلية الحصول عليها والطريقة المناسبة لإيصالها لمتخذي القرار والمؤسسات عبر هذه الشبكات وفق منظومة القوانين والتشريعات، لتكون تعبيراته ووجهات نظره وتغريداته عبر التويتر والفيس بوك وغيرها نابعة من فهم عميق لمسؤولياته الوطنية ، واستثمار لجانب الخصوصية والمرونة والتنوع في طريقة تناول المحتوى الوطني، على شكل كلمات وعبارات محددة مختصرة أو جمل

28- عبد الله بن محمد بن بخيت صفراو: دور شبكات التواصل الاجتماعي في ترسيخ قيم المواطنة من وجهة نظر الشباب الجامعي العماني -رسالة ماجستير - جامعة الشرق الأوسط - 2017 ص 51

مطولة، وعرض للتجارب والمبادرات والرسوم والأشكال والصور والفيديوهات عبر قنوات اليوتيوب وغيرها²⁹

رابعاً- التحديات التي تواجه الفضاء الإلكتروني في تفعيل المواطنة داخل

المجتمع

يواجه الفضاء الإلكتروني عدداً من التحديات لتفعيل المواطنة في الوطن الواقعي خارج الشبكة العنكبوتية ومن هذه التحديات:

1- لم يتوفر لعدد كبير من المواطنين فرص تعليمية كافية ولا إمكانات اتصالية تؤهلهم أن يصبحوا من مواطني الويب وفرص المشاركة المدنية والسياسية الجديدة على الإنترنت لن تخدم في المقام الأول سوى النخبة التي تمتلك الموارد والحوافز للاستفادة منها.

2- يواجه الإنترنت صعوبة وضع تشريع محدد لطبيعة الأفكار السياسية التي تطرح والنقاش حول قضايا المواطنة، فلا يمكن ضمان صيغة الحوار أو مستواه أو ضمان الوصول إلى أرضية تفاهم³⁰ مشتركة بين المتحاورين مما يتيح إمكانية بث الأفكار المتطرفة وإفساد المناخ السياسي.

3- يتمثل التحدي الرئيسي في مدى القدرة على نقل المواطنة من الفضاء الإلكتروني إلى أرض الواقع ومشاركة المواطن من خلال القنوات الرسمية وتمتعته بالمساواة والعدالة دون تمييز على أرض الواقع، فالفضاء الإلكتروني لا يحتك بأرض وقد يتحول إصلاحه إلى الأفضل بزيادة الاهتمام بقضايا المواطنة³¹

²⁹ - عبد الله بن محمد بن بخيت صفرار: المرجع السابق

³¹ . <http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=770003&eid=9511>

خاتمة -

وخلاصة القول أنه تعتبر المواطنة الرقمية أحد أشكال التعبير عن المواطنة الحقيقية من خلال العالم الافتراضي، لأنها مواطنة افتراضية يغذيها الإحساس والشعور بالمواطنة الحقيقية، ويقف خلفها شخص حقيقي لكنه يعبر عنها افتراضياً ما يعظم أهميتها هو الدور الفاعل للإنترنت وتزايد استخدامها وزيادة عدد متصفحها حول العالم وأهمية استخدامها للدفاع عن الوطن ، وضد ما يثار أحياناً من لغط وهجوم على الوطن ومقدراته ومكتسباته، وهنا تتجلى أهمية المواطنة الرقمية في الدفاع عن الوطن ورموزه ومعطياته، ومنه يمكن أن ندعو إلى توظيف فضاء الإنترنت الشاسع للتعبير عن المواطنة الحقيقية والحب الحقيقي للوطن والدفاع عنه من خلال استخدام الشبكة العنكبوتية وخاصة شبكات التواصل الاجتماعي التي تمتلك إمكانيات كبيرة تتجاوز الحدود السياسية والجغرافية والزمنية في نشر قيم ومبادئ المواطنة في المجتمع الجزائري والعمل على نقل قيم المواطنة من الفضاء الرقمي إلى سلوكيات وممارسة على أرض الواقع

وهي دعوة إلى الشباب الجزائري لاستغلال الشبكة العنكبوتية لتكريس حب الوطن والتعبير عن هذا الحب بكافة الأشكال والصور التعبيرية للحب الحقيقي والمواطنة الصالحة والصادقة. وأيضاً التعريف بحقوق وواجبات المواطن تجاه وطنه ودينه وأمتة، ونشر ثقافة المواطنة إلكترونياً.

قائمة المراجع :

1. ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين: لسان العرب، ط3، المجلد الخامس، دار صادر، لبنان، بيروت . 1994
2. إسماعيل علي سعيد: التعليم على أبواب القرن الحادي والعشرين، دار عالم الكتاب، ط1، القاهرة، 1998م.
3. جيدور حاج بشير : أثر الثورة الرقمية والاستخدام المكثف لشبكات التواصل الاجتماعي في رسم الصورة الجديدة لمفهوم المواطنة ، من المواطن العادي الى المواطن الرقمي ، مجلة دقاتر السياسة والقانون ، العدد 15 جوان 2016
4. السليمان سليمان سعد: اتجاهات بعض المربين نحو الدراسات الاجتماعية في مدينة الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، رسالة الخليج العربي، ع38 ، 1998م.
5. الشريدة خالد بن عبد العزيز : صناعة المواطنة في عالم متغير :دراسة مقدمة، للقاء السنوي الثالث عشر لقادة العمل التربوي/ الباحة/ السعودية 2005
6. شيماء مبارك و شياب محمد الأمين : التواصل الأسري ودوره في تنمية وترسيخ قيم المواطنة؟ ورقة مقدمة في الملتقى الوطني الثاني حول : الاتصال وجودة الحياة في الأسرة أيام 10/09 أفريل 2013 بجامعة قاصدي مرباح/ورقلة
7. العامر عثمان بن صالح : اثر الانفتاح الثقافي على مفهوم المواطنة لدى الشباب السعودي، دراسة مقدمة للقاء السنوي الثالث عشر لقادة العمل التربوي/ الباحة/ السعودية 2005
8. عبد الله بن محمد بن بخيت صفرار: دور شبكات التواصل الاجتماعي في ترسيخ قيم المواطنة من وجهة نظر الشباب الجامعي العماني -رسالة ماجستير - جامعة الشرق الأوسط - 2017
9. غيث، محمد عاطف: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية 1995
10. فاطمة بنت علي الشهري: تحدي الأسرة في تعزيز قيم المواطنة الرقمية :رؤية مقترحة ورقة عمل مقدمة للملتقى العلمي " دور الأسرة في الوقاية من التطرف" والذي تنفذه كلية العلوم الاجتماعية والإدارية بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية - خلال الفترة 18- 19 أكتوبر 2016
11. فوزي ميهوبي و د .سعد الدين بوطبال " : اتجاهات الشباب الجامعي نحو المواطنة في الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد 14 مارس 2014
12. محمد لعقاب : المواطن الرقمي ،كيف ساعدت تكنولوجيا المعلومات الثورات العربية ، ط 1 ، دار هومة الجزائر 2012
13. الموسوعة العربية العالمية ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض 1996م.

14. الموسوعة العربية العالمية، الرياض ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1996م.
15. هلال فتحي ، وآخرون: تنمية المواطنة لدى طلبة المرحلة الثانوية بدولة الكويت، مركز البحوث التربوية والمناهج بوزارة التربية، الكويت 2000م.
16. هويدي فهمي : المواطنة في الإسلام ، مقال منشور بجريدة الشرق الأوسط العدد 5902 1995.
17. وليد رشاد ، المواطنة في المجتمع الافتراضي " تأملات نظرية علي مرجعية الواقع المصري" ورقة مقدمة إلى المؤتمر السنوي العاشر . للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية القاهرة. الفترة من 16 - 19 مايو 2009
18. دور الشباب في عملية التغيير المجتمعي الإطلاع : 2017/10/25 على الساعة 15:22h
19. رجائي حداد 2102 : المواطنة الرقمية كيفية التعامل مع وسائل الإعلام الرقمي والتكنولوجيا والتقنيات الحديثة بحيث تصبح عوامل بناء وتطور وتعلم للجيل الجديد ، دورية ، متاح على الرابط التالي
<http://rajaiehaddad.com/2014/12/27/digital-citizenship>:
20. الغريب زاهر إسماعيل : دور شبكات التواصل الاجتماعي في تعزيز قيم المواطنة وتشكيل الرأي العام لدى منتسبي الجامعات ، كلية التربية ، جامعة المنصورة متاح على الرابط التالي
<https://repository.nauss.edu.sa/handle/123456789/63241>
21. Mossberg, K., Tolbert, C.J. & McNeal, R.S. (2011). Digital Citizenship: The Internet, Society, and Participation. The MIT Press, Cambridge, Massachusetts, London, England.
22. <http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3202>
23. <http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=770003&eid=9511>
24. <http://webcache.googleusercontent.com>
25. <http://www.alriyadh.com/2007/02/02/article221577.html>



الشعور بالعزلة الاجتماعية لدى الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي (دراسة ميدانية على عينة من مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي بمقاهي الإنترنت بمدينة متليلي)

كيوص ربيحة¹، قدوري يوسف²

1- طالبة دكتوراه علم النفس الاجتماعي، كلية العلوم الانسانية

والاجتماعية، جامعة غرداية

2- قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة

غرداية

¹Kiouas.rebha@univ-ghardaia.dz

²Kadori.youcef@univ-ghardaia.dz

ملخص -

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة مدى الشعور بالعزلة الاجتماعية لدى الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي بمقاهي الإنترنت. وكذا الكشف عن دوافع هذا الاستخدام ودرجة كل دافع في الاستخدام، وتوصلت إلى أن:

- الشباب يشعر بدرجة عالية من العزلة الاجتماعية.
- هناك فروقا جوهرية في درجة الشعور بالعزلة الاجتماعية باختلاف متغيري الحالة الاجتماعية وعدد ساعات الاستخدام.
- هناك دوافع متنوعة لاستخدام هؤلاء الشباب لتلك المواقع، وأن درجة كل دافع في الاستخدام ظهرت بدرجة عالية.

الكلمات المفتاحية -

مواقع التواصل الاجتماعي، العزلة الاجتماعية، الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي.

The Social Isolation Feeling Among The Young People Who Use Social Networking Sites. A Field Study On A Sample Of Young People Who Use Social Networking Sites In The Internet Cafes In The City Of Metlili.

Abstract-

This Study Aims At Identifying The Social Isolation Of Young People Who Use Social Networking Sites In The Internet Cafés.As Well As To Reveal The Motives For This Use And The Degree Of Each Motive In Use.

The Results Of The Study Show That:

- Young People Feel A High Degree Of Social Isolation.
- There Are Significant Differences In The Degree Of Feeling Of Social Isolation According To The Variables Of The Social Situation And The Number Of Hours Of Use.
- There Is A Variety Of Motives For The Use Of Those Sites By Young People, And The Degree Of Each Motive In Use Has Been High.

Key Words-

Social Networking Sites,Social Isolation,Young People Who Use Social Networking Sites In The Internet Cafés

مقدمة-

يمثل الشباب الفئة الأكثر أهمية وحيوية وتأثيرا في المجتمع.فهم مصدر قوته وحاضره ومستقبله لأنهم وسيلته للتنمية وغايتها.والأوطان لا تبنى عامة إلا بشبابها.فالشباب الواعي المتعلم هو الأكثر قدرة على مواجهة تحديات الحاضر والأكثر استعدادا لخوض غمار المستقبل. وهو أيضا الأكثر اندماجا في مجتمعه،يهتم لهومومه ويرعى مصالحه ويسعى لتحقيق أهدافه. لذلك فإن المجتمع بمختلف أفرادهِ وشرائحه مسؤول عن حماية شبابه من الوقوع في مختلف الأزمات والاضطرابات التي تؤدي به إلى الانحراف عن المسار الطبيعي لتوجهات هذا المجتمع وأهدافه وهويته. ومن بين الأزمات الاجتماعية التي يمكن للشباب التعرض إليها هي الانعزال عن مجتمعه والانسحاب من كافة أشكال التفاعل الاجتماعي بين أفرادهِ سواء على صعيد الأسرة أو الأقارب أو الجيران أو

مختلف الأوساط الاجتماعية التي يفترض تواجد فيها للقيام بمختلف الأدوار الاجتماعية المنوطة به تجاهها وخاصة في وقتنا الحالي الذي يمتاز بالتطور التكنولوجي السريع وما أنتجته التكنولوجيا من وسائل في مجال الاتصال تمتاز بالإثارة وسهولة الاستعمال ولعل أهم هذه الوسائل هي الإنترنت وما تحتويه من مواقع اجتماعية تجعل منها من أشهر وأكثر الوسائل استخداما بما توفره من معلومات وفوائد تجعل منها أيضا من أهم مصادر العلم والمعرفة والتعلم. إلا أنها قد تنعكس بالسوء على مستخدميها وخاصة عند الاسراف في الاستخدام. لأن ذلك يؤثر بالسلب على الشباب في مختلف جوانب حياتهم الشخصية والاجتماعية باعتبارهم الأكثر انجذابا إليها، حيث يمكن أن تجعلهم في عزلة عن محيطهم الاجتماعي الواقعي غير واعين أو مدركين أو مبالين بما يدور من حولهم نظرا لانشغالهم بالجلوس أمام جهاز الحاسوب من أجل الابحار في الإنترنت والانغماس في عالم افتراضي عبر الدخول إلى مواقع التواصل الاجتماعي والاستخدام المفرط لها.

مشكلة الدراسة:

أدى التطور التكنولوجي المتسارع الذي يشهده عصرنا الحالي إلى حدوث تغير نوعي في مختلف مجالات الحياة عامة، وفي مجال الاتصال خاصة، حيث انتشرت شبكة الإنترنت في أرجاء المعمورة وربطت أجزائها المتباعدة، وهو ما جعل العالم يشبه القرية الصغيرة فأصبحت المجتمعات أكثر انفتاحا على بعضها البعض، الأمر الذي سهل التعارف وتبادل الآراء والأفكار والخبرات بين أفرادها مهما تباعدت المسافات بينهم.

وتعد مواقع التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت أشهر وسيلة للاتصال بين الأفراد والجماعات. فهي عبارة عن مواقع إلكترونية تتيح لمستخدميها إنشاء حساب خاص بهم يتمكنون من خلاله إجراء المحادثات مع أشخاص يعرفونهم واقعا أو افتراضيا. كما تتيح لهم إمكانية نشر وتبادل الرسائل والصور ومقاطع الفيديو والملفات، والكتابة حول موضوعات محددة قد يهتم بها مشتركون آخرون، فيعلقون عليها ويبدون آرائهم حولها.

ووفقا للإحصاءات المتوالية والتي تكشف كل مرة عن حجم النمو في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي عبر العالم فإن "أعداد مستخدمي تلك المواقع تزداد زيادة مطردة في كل ثانية.

(هداية درويش سلمان، 2014)

وما يميز هذه المواقع بأنها متاحة لجميع الأفراد من مختلف الفئات العمرية. إلا أن أكثر المنجذبين إليها هم من فئة الشباب "وعدد كبير منهم وصل استخدامه لتلك المواقع إلى حالة الإدمان. كما يذكر أستاذ الإعلام في جامعة زايد بدولة الإمارات الدكتور بدران بدران أن مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت متهمة بتسببها في تدهور العلاقات الأسرية حيث فرضت على مستخدميها نوعا من العزلة والانقطاع عن الحياة العامة والاجتماعية، فالوقت الذي يمضيه الشاب على تلك المواقع هو وقت مستقطع من علاقاته الاجتماعية" (هداية درويش سلمان، مرجع سابق) فكلما زاد عدد الساعات التي يقضيها الفرد في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي قل الوقت الذي يمضيه في التفاعل مع أسرته وأقاربه وجيرانه وأصدقائه، مما يؤدي به الى الابتعاد عن عالمه الواقعي والانغماس في عالم افتراضي لا صلة له بالواقع. فيدخل في حالة من العزلة عن مجتمعه دون الاكتراث بإقامة أي شكل من أشكال العلاقات الاجتماعية الحقيقية والواقعية أو الفطور في إبداء أي نشاط من نشاطات التواد والتزاور والتفاعل بالإضافة إلى التقصير في أداء واجب التعاون المادي والدعم الاجتماعي لمن يحتاجونه ممن هم حوله من أهل أو أقارب أو أصدقاء أو جيران وذلك نتيجة لانشغاله عنهم بإقامة علاقات مع أصدقاء افتراضيين يقضي جل وقته جالسا أمام الحاسوب للتواصل معهم عبر حساب له بموقع أو أكثر من تلك المواقع. من هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة للكشف عن درجة شعور الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي بالعزلة الاجتماعية لدى عينة من مرتادي مقاهي الانترنت بمدينة متليلى. ونظرا لأهمية ظاهرة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي وما ترتب عنها من آثار وانعكاسات ايجابية أو سلبية وانتشارها في وقتنا الحاضر وشيوعها لدى فئة الشباب بالتحديد فلقد تناولتها العديد من الدراسات العربية والأجنبية بالدراسة والبحث ومن هذه الدراسات ما يلي:

♦دراسة الكندري والقشعان (2001):

هدفت إلى الكشف عن أثر استخدام الإنترنت في العزلة الاجتماعية لدى عينة من طلبة جامعة الكويت. أشارت النتائج الى وجود فروق دالة احصائيا بين الجنسين في متوسط ساعات الاستخدام لصالح الذكور. ووجود علاقة طردية بين المدة الزمنية لاستخدام الانترنت والعزلة الاجتماعية.

(عصام منصور وعبد الله الدبوبي، 2011، ص.332 - 333)

♦دراسة حلمي خضري ساري (2003):

هدفت إلى معرفة تأثيرات الاتصال عبر الإنترنت في العلاقات الاجتماعية في المجتمع القطري، طبقت على عينة عشوائية تتكون من 471 شابا في مدينة الدوحة. اعتمد على منهج المسح الاجتماعي، وتم استخدام أداة الاستبيان، وأما متغيرات الدراسة فكانت: الجنس، العمر، المستوى التعليمي والوضع المهني والحالة الاجتماعية وعدد ساعات استخدام الإنترنت في اليوم وسنوات الخبرة في الاستخدام. توصلت الدراسة إلى أن أفراد العينة من كلا الجنسين يستخدمون الإنترنت في حياتهم اليومية بنسب متفاوتة، لكن تأثير الإنترنت في الإناث كان أكثر من تأثيره في الذكور. كما تبين أيضاً أن لمتغيري مستوى التعليم وعدد ساعات الاستخدام أثراً في هذا التأثير وتبين أيضاً أن الاتصال عبر الإنترنت ترك تأثيراً في اتصال أفراد العينة الشخصي المباشر مع أسرهم بنسبة 44.4% وتأثيراً في اتصالهم بأصدقائهم ومعارفهم بنسبة 43%. كما تبين أن هناك قدرة للاتصال عبر الإنترنت في تكوين علاقات عاطفية قوية جعلت ما نسبته 28.8% منهم لا يمانع في فكرة الزواج عبر الإنترنت. وتوصلت الدراسة أيضاً إلى وجود تأثير للإنترنت في نسق التفاعل الاجتماعي بين أفراد العينة وبين أقاربهم تمثل في تراجع عدد زيارات الأقارب بنسبة 7.44%. وتراجع في نشاطاتهم الاجتماعية بنسبة 43.9%. ومن النتائج الأخرى التي توصلت إليها الدراسة قدرة الإنترنت على توسيع شبكة العلاقات الاجتماعية لأفراد العينة بنسبة 64.5%. وشعور ما نسبته 40.3% منهم بالاغتراب عن مجتمعهم المحلي. (مريم نرمان نومان، 2012/2011، ص24)

♦دراسة نرمين خضر (2009):

هدفت إلى التعرف على دوافع استخدام موقع الفيسبوك والآثار النفسية والاجتماعية (السلبية والايجابية) لاستخدامه. وطبقت في مصر على عينة عمدية قوامها 136 فردا من مستخدمي الفيسبوك من الشباب الجامعي في جامعة القاهرة والجامعة البريطانية، وتوصلت إلى: أن دافع التسلية والترفيه يأتي على رأس قائمة دوافع الاستخدام بنسبة 69.9%. بينما جاء دافع خلق صداقات جديدة ودافع التواصل مع الآخرين وتطوير علاقات اجتماعية معهم في المرتبة الثانية والثالثة بنسبة 41.2% و 37.5% لكل منهما على التوالي. كما توصلت الدراسة إلى غلبة الطابع الايجابي على الآثار الاجتماعية المترتبة على استخدام الطلبة لموقع الفيسبوك (وديع محمد العزعلي، 2015، ص 89)

❖ **دراسة سهام العزب ومحمد الغامدي (2011):**

هدفت إلى التعرف على الأنماط والدوافع والآثار المترتبة على استخدام غرف الدردشة عبر شبكة المعلومات وعلاقتها بمتغيرات العمر والمعدل الدراسي والدخل لدى 474 طالبا بجامعة الملك عبد العزيز بجدة من مختلف الكليات العلمية والنظرية، تم الاعتماد على منهج المسح الاجتماعي وعلى أداة الاستبيان لجمع البيانات، وتوصلت الدراسة إلى: أن غرف الدردشة هي أحد الأساليب الفعالة للتواصل الاجتماعي ومدة استخدامها تتراوح من ساعة إلى أقل من 3 ساعات يوميا لدى الجنسين وفترة المساء هي الوقت المفضل للاستخدام. دوافع النسبة الأعلى من مستخدمي غرف الدردشة كانت التسلية وقضاء وقت الفراغ بالنسبة للجنسين، فقد بلغت 46.7% للتسلية و 39% لقضاء وقت الفراغ لدى الذكور، في حين سبق قضاء وقت الفراغ التسلية لدى الإناث فقد بلغت النسبة 18.2%، 15.2% على التوالي.

(حنان بنت شعشوع الشهري، 1433هـ/1434هـ، ص 37 - 38)

❖ **دراسة سوليفان وبرايس (Sullivan & Paradise, 2012):**

هدفت إلى فهم تقدير الشباب للآثار السلبية على أنفسهم وعلى غيرهم نتيجة لاستخدام الفيسبوك، تكونت عينة الدراسة من 475 طالبا جامعيًا من شمال شرق الولايات المتحدة، ولتحقيق أهداف الدراسة تم إعداد مقابلة اشتملت على مجموعة من الأسئلة حول استخدامهم للفيسبوك وآثاره

السلبية عليهم، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن 13% من المشاركين يستخدمون الفيسبوك سبعة أيام في الأسبوع، وأن متوسط مرات دخول المشتركين إلى الفيسبوك هو 514. مرة يوميا، ولمدة 47.11 دقيقة يوميا، وأن أفراد العينة تقريبا لديهم 45.33% من الأصدقاء، وأن 23% يعرفونهم من خلال الحياة الواقعية، و45.17% هي عبارة عن طلبات صداقة من الغرباء، كما أشار المشاركون إلى أن الإدمان على استخدام الفيسبوك يؤدي إلى العزلة الاجتماعية، واستخدامه بطريقة معتدلة يؤدي إلى مستويات جيدة من التوافق النفسي والاجتماعي.

(سامي أحمد شناوي ومحمد خليل عباس، 2014، ص 84)

♦ دراسة سامية ابرييم (2012/2013)

هدفت إلى بحث العلاقة بين إدمان الإنترنت والعزلة الاجتماعية لدى عينة من طلبة جامعة أم البواقي والفروق بين الجنسين في إدمان الإنترنت، تكونت عينة الدراسة من 92 طالباً و 102 طالبةً من معظم الكليات. وقد استخدم مقياس إدمان الإنترنت، ومقياس العزلة الاجتماعية، وكشفت الدراسة عن وجود علاقة ترابط موجبة بين إدمان الإنترنت والعزلة الاجتماعية لدى الطلبة. ووجود فروق بين الذكور والإناث في درجة إدمان الإنترنت لصالح الطلبة الذكور. (سامى ابرى عم، 2015، ص 231)

♦ دراسة عبير بنت حمد بن ناصر بن سفران (2013):

تناولت دراسة العلاقة بين استخدام الإنترنت والعزلة الاجتماعية لدى 375 طالبة في التخصصات الإنسانية في جامعة الملك سعود، باستخدام منهج المسح الاجتماعي للعينة والاستبيان. وقد تم التوصل إلى: أن لاستخدام الإنترنت تأثير متوسط على العزلة الاجتماعية ومع ذلك توافق المبحوثات على أن الانترنر أصبح جزءاً رئيسياً من نمط حياتهن اليومي وشعورهن بالضيق عند فقدانه. كما أن أغلبهن توافقت على أن لبعض خصائص الإنترنت (كالرغبة في التسلية والترفيه، وإمكانية التواصل الاجتماعي، وعرض ومشاركة الأفكار والاهتمامات وحرية التعبير والإطلاع) دور في زيادة استخدام الإنترنت ومن ثم وجود عزلة اجتماعية عن المحيطين بهن. كما توجد فروق ذات دلالة إحصائية

بين وجهات نظر الطالبات حول العزلة الاجتماعية الناجمة عن استخدام الإنترنت باختلاف متغيري (الحالة الاجتماعية وعدد ساعات الاستخدام) لصالح غير المتزوجات ولصالح اللائي يستخدمن الإنترنت من 4 ساعات إلى أكثر من 6 ساعات. (عبير بنت حمد بن ناصر بن سفران، 2013)

♦ دراسة محمود السمايسيري وغالب شنطاوي (2013):

هدفت إلى التعرف على كيفية استخدام 200 طالبا من جامعتي اليرموك والعلوم والتكنولوجيا بالأردن للفيسبوك. اعتمد على منهج المسح وتم التوصل إلى: أن أكثر من نصف العينة يقضي أكثر من ساعة ونصف يوميا على الفيسبوك. وأن دافع التسلية حصل على أعلى نسبة وقدرت بـ 77% وتلاها قضاء وقت الفراغ بنسبة 73%. (وديع محمد العزعلي، 2015، ص 86)

♦ دراسة شفيق ساعد ونوال بركات (2015):

هدفت إلى الكشف على التأثيرات النفسية والاجتماعية لاستخدام الشباب الجامعي لموقع فيسبوك، ودوافعهم لاستخدامه، ومختلف العوامل التي دفعتهم للانخراط فيه، وتحديد التأثيرات النفسية والاجتماعية لاستخدامه، طبقت الدراسة على 150 طالبا من مستخدمي الفيسبوك بجامعة محمد خيضر ببسكرة، اختيروا بطريقة العينة القصدية. اعتمد على المنهج الوصفي التحليلي وكانت النتائج المتوصل إليها فيما يتعلق بدوافع الاستخدام كما يلي: جاء في المرتبة الأولى بنسبة 96,67% كل من: التواصل مع الأصدقاء سواء كانوا حقيقيين أو افتراضيين والتسلية وقضاء وقت الفراغ وفي المرتبة الثانية بنسبة 86,67% التواصل مع جماعات ذات اهتمام مشترك. وفي المرتبة الثالثة يأتي دافع كل من: التعرف على أصدقاء جدد والبحث عن الثقافة بنسبة 76,67% وفي المرتبة الأخيرة بنسبة 63,33% لإبداء الرأي في بعض القضايا.

(شفيق ساعد ونوال بركات، 2016)

التعليق على الدراسات السابقة:

تناولت الدراسات السابقة استخدامات الإنترنت أو شبكات التواصل الاجتماعي والإدمان عليها، كما ركزت بعض الدراسات على الآثار النفسية

والاجتماعية للإنترنت أو شبكات التواصل الاجتماعي على المجتمعات التي طبقت فيها تلك الدراسات، وتتفق الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في تناولها دوافع استخدام شبكات التواصل الاجتماعي كمواضيع هامة فرضت نفسها أمام العديد من الباحثين في وقتنا الراهن. إلا أن الدراسة الحالية تميزت عن تلك الدراسات في كون الأخيرة تناولت وجهات نظر المبحوثين حول تأثير استخدام الإنترنت أو مواقع التواصل الاجتماعي أو الفيسبوك على علاقاتهم الاجتماعية بصفة عامة وبطريقة مباشرة، أما الدراسة الحالية فحاولت التعرف على درجة العزلة المرتبطة باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي لدى المبحوثين كمغير محدد من العلاقات الاجتماعية بطريقة غير مباشرة. كما ركزت أغلب الدراسات على طلبة الجامعة، أما الدراسة الحالية فركزت على الشباب المرتاد لمقاهي الإنترنت عموماً. كما تميزت الدراسة الحالية في محاولة التعرف على درجة العزلة التي يسببها الاستخدام في ضوء متغيري الحالة الاجتماعية وعدد الساعات. وكذلك التعرف على درجة دوافع الاستخدام من باب أن الدوافع التي تناولتها الدراسات السابقة هي دوافع طبيعية للاستخدام بينما لم تحدد لنا درجة هذه الدوافع. وفي ضوء ما سبق يمكن بلورة التساؤل الرئيسي للدراسة فيما يلي:

- ما درجة شعور الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي بالعزلة الاجتماعية؟

وتتفرع عنه التساؤلات الفرعية التالية:

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة شعور الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي بالعزلة الاجتماعية تعزى لعدد ساعات الاستخدام (أقل من 3 ساعات / أكثر من 3 ساعات)؟

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة شعور الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي بالعزلة الاجتماعية تعزى للحالة الاجتماعية (متزوج / غير متزوج)؟

- ما درجة كل دافع في استخدام الشباب لمواقع التواصل الاجتماعي؟

أهداف الدراسة:

- التعرف على درجة الشعور بالعزلة الاجتماعية لدى الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي.

- التعرف على الفروق في درجة الشعور بالعزلة الاجتماعية لدى الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي في ضوء متغيري الحالة الاجتماعية وعدد ساعات الاستخدام.

- التعرف على درجة كل دافع في استخدام الشباب لمواقع التواصل الاجتماعي.

أهمية الدراسة:

- الأهمية النظرية: تسعى هذه الدراسة إلى متابعة الدراسات السابقة في مجال علاقة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بالعزلة الاجتماعية والتي تعد محدودة إلى حد ما، رغم أن هناك ارتباط وثيق بين ما يعانيه الشباب من عزلة بفعل وسائل الاتصال الحديثة عامة وبفعل استخدام مواقع التواصل الاجتماعي خاصة. كما قد تساعد في تفسير البحوث المستقبلية في نفس المجال.

- الأهمية العملية: تكمن في محاولة الكشف عن مسببات العزلة الاجتماعية لدى الشباب، خاصة فيما يتعلق باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي وأثرها عليهم ومحاولة توفير معلومات حول هذه الظاهرة مبنية على دراسات وبيانات ميدانية ومحاولة إيجاد بعض السبل والأساليب التي من شأنها التقليل من الظاهرة. فسوء إدارة وفهم هذه الظاهرة وعدم الوقاية منها يزيد من حدة الآثار الاجتماعية السلبية وبخاصة على علاقات الفرد وتفاعلاته مع أفراد أسرته والمقربين منه ومدى تحمله لمسؤولياته ودرجة أدائه لواجباته تجاههم ومدى قيامه بالأدوار الاجتماعية المنوطة به، فمعرفة هذه الظاهرة كما يجب يؤدي إلى نتائج جيدة على مستوى الفرد والمجتمع، واعتباراً أن ظاهرة العزلة الاجتماعية تعد من قضايا عصر العولمة وإحدى سماتها البارزة.

حدود الدراسة:

- الحدود المكانية: مقاهي الإنترنت بمدينة متيلي.

- الحدود البشرية: الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي البالغ عددهم 150 شاباً.

- الحدود الزمانية: الفترة الممتدة بين 15 جانفي 2017 و15 مارس 2017.

التعريفات الإجرائية لمفاهيم الدراسة:

- **مواقع التواصل الاجتماعي:** هي تلك المواقع الموجودة على الإنترنت والتي تمكن مستخدميها من نشر الملفات والصور ومقاطع الفيديو كما تتيح لهم التواصل مرئيا أو صوتيا أو كتابيا مع غيرهم من المستخدمين الذين كونوا معهم صداقات عبر هذه المواقع بهدف تبادل الصور ومقاطع الفيديو والملفات والردشة وتبادل الأفكار والآراء حول مختلف القضايا والموضوعات ذات الاهتمام المشترك.

- **دوافع استخدام مواقع التواصل الاجتماعي:** هي تلك الأغراض التي يهدف الفرد المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي إلى تحقيقها من أجل الحصول على حاجات مادية أو معنوية يسعى إلى إشباعها. ويعبر عنها من خلال الدرجة التي يحصل عليها المبحوث في الاستبيان المعد للدراسة الحالية.

- **العزلة الاجتماعية:** هي انسحاب الفرد من الحياة الاجتماعية، بحيث لا يشارك المحيطين به والمقربين منه من أفراد أسرته أو أقاربه أو جيرانه أو أصدقائه حديثهم ولا اجتماعاتهم ولا اهتماماتهم. ولا يتفاعل معهم بالشكل الكافي والطبيعي. وتتميز علاقاته معهم بالبرود والفتور. ويعبر عنها من خلال الدرجة التي يحصل عليها المبحوث في الاستبيان المعد للدراسة الحالية.

- **الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي:** هم فئة من المجتمع، يسكنون بمدينة متليلي، يرتادون عادة مقاهي الإنترنت من أجل استخدام مواقع التواصل الاجتماعي وتتراوح أعمارهم عادة بين 18 و34 سنة.

- **عدد ساعات الاستخدام:** بلغ متوسط عدد ساعات استخدام عينة الدراسة لمواقع التواصل الاجتماعي

3 ساعات.

الإطار المفاهيمي للدراسة:

- **مفهوم مواقع التواصل الاجتماعي:**

هي مجتمعات افتراضية تسمح للجمهور بالتواصل والتفاعل مع بعضهم أو لمجرد الإبحار في شبكة الإنترنت. وتزود مستخدميها بكتابة لمحات شخصية

عن أنفسهم وتمكنهم من تحميل ومشاركة الصور والموسيقى ومختلف أنواع الرسائل التي يرغبون مشاركتها مع الآخرين فضلا عن ذلك فإنها تزودهم بسند عاطفي واجتماعي ومصادر للمعلومات وروابط مع الآخرين.

(علي عبد الهادي عبد الأمير، 2016، ص.ص 119 - 120)

- تعريف مواقع التواصل الاجتماعي:

يعرفها (Boyd & Ellison, 2007) على أنها خدمات على شبكة الإنترنت تسمح للأفراد بإنشاء ملفات شخصية عامة أو شبه عامة داخل نظام محدود، والتواصل مع مستخدمين آخرين والاطلاع على الصفحات والتفاصيل المقدمة من قبل المستخدمين الآخرين داخل النظام.

(Boyd Danah & Ellison Nicole, 2007, p211)

ويعرفها (BALAS, 2006) على أنها "مواقع تستخدم لبناء مجتمعات افتراضية على شبكة الإنترنت تمكن للأفراد أن يتصلوا ببعضهم البعض للعديد من الأسباب المتنوعة".

ويعرفها (زاهر راضي) بأنها: "منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح للمستخدم فيها إنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات والهوايات.

ويعرفها (الحسيني، 2012) بأنها خدمات يتم إنشاؤها وبرمجتها من قبل شركات كبرى لجمع أكبر عدد من المستخدمين والأصدقاء ومشاركة الأنشطة والاهتمامات وللبحث عن تكوين صداقات والبحث عن اهتمامات وأنشطة لدى أشخاص آخرين يتشاركون معهم بأحدى الاشتراكات الفكرية أو غيرها. وتوفر هذه الخدمات ميزات مثل المحادثة الفورية والتراسل العام والخاص ومشاركة الوسائط المتعددة من صوت وصورة وفيديو والملفات وقد استقطبت هذه الخدمات ملايين المستخدمين من شتى بلاد العالم.

(محمد محمد عبد المنعم وآخرون، 2016، ص.ص 291 - 292)

- نظرية الاستخدامات والاشباع لمواقع التواصل الاجتماعي كوسيلة

من وسائل الاعلام:

يعد مدخل الاستخدامات والاشباعات من أنسب المداخل للتعرف على طبيعة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي ودوافعه والتأثيرات الناجمة عنه، وقد نشأ هذا المدخل على يد كاتز **katz**. ويعد نقطة تحول مهمة في الدراسات الاعلامية، فلقد نقلت هذه النظرية الدراسات من المفهوم السلبي لجمهور الإعلام إلى المفهوم الإيجابي القائم على إدراك أن أعضائه أناس فاعلون يصطفون منه المضامين والمفاهيم التي يفضلونها.

عناصر نظرية الاستخدامات والاشباعات:

1- **الجمهور النشط:** أي أن الجمهور إيجابي يبحث عما يريد التعرض إليه ويتحكم في اختيار الوسائل التي تلبي احتياجاته والمضامين التي تحقق اشباعاته. (بارعة حمزة شقير، 2009، ص.ص 457 - 458)

2- **الأصول الاجتماعية والنفسية لاستخدامات وسائل الإعلام.**

3- **دوافع الجمهور وحاجاته من وسائل الإعلام:** وتنقسم إلى فئتين:

دوافع منفعية: وتستهدف التعرف على الذات واكتساب والمعلومات.

دوافع طقوسية: وتستهدف تمضية الوقت والاسترخاء والصدقة والألفة والهروب من المشكلات.

(محمد بن عبد الرحمان الفارس وعبيد بن عبد الله العمري، 2009، ص. 344)

4- **الاشباعات المحققة من وسائل الإعلام:** وتنقسم إلى قسمين

أ- **إشباعات المحتوى،** وتحتوي على نوعين من الإشباعات:

إشباعات توجيهية: تتمثل في الحصول على معلومات وتأكيد الذات

ومراقبة البيئة وترتبط بكثرة التعرض والاهتمام بالوسائل والاعتماد عليها.

إشباعات اجتماعية: يقصد بها ربط المعلومات التي يحصل عليها الفرد

بشبكة علاقاته الاجتماعية، حيث يستخدم وسائل الإعلام لتحقيق نوع من

الاتصال بينه وبين أصدقائه وأسرهم، من خلال تحقيق إشباعات مثل إيجاد

موضوعات للحديث معهم، والقدرة على إدارة النقاش والتمكن المعرفي، والقدرة

على فهم الواقع، والتعامل مع المشكلات.

ب- **إشباعات عملية الاتصال:** وتنقسم إلى نوعين:

إشتباكات شبه توجيهية: وتتحقق من خلال تخفيف الإحساس بالتوتر والدفاع عن

الذات، وتنعكس في مواضيع التسلية والترفيه والإثارة.

إشتباكات شبه اجتماعية: وتتحقق من خلال التوحد مع شخصيات وسائل الإعلام، وتزداد هذه

الإشتباكات مع ضعف علاقات الفرد الاجتماعية، وزياد إحساسه بالعزلة، مثل تحرير الخيال، والتخلص من الشعور بالملل والضيق، والتخلص من الشعور بالوحدة والعزلة، والتوحد أو الاندماج مع الشخصيات. (ممدوح شتلة وحنان كامل، 2015، ص7)

- مفهوم العزلة الاجتماعية: (social isolation)

ينظر إلى العزلة الاجتماعية عموماً على أنها حالة موضوعية أين يكون للفرد فيها الحد الأدنى من الاتصال مع الآخرين وعموماً هي انخفاض في مستوى الاندماج في الحياة الاجتماعية. وتقاس عادة بعدد الاتصالات وشكلها ومدتها بين الأفراد والبيئة الاجتماعية والشبكات الاجتماعية للأفراد.

(Ann Hemingway and Eleanor Jack, 2013, p27)

أو هي انسحاب الفرد وانفصاله عن تيار الثقافة السائدة في مجتمعه مما يجعله يشعر بالانفصال عن الآخرين والإحساس بعدم الانتماء واللامبالاة بطريقة يشعر فيها الفرد بأنه وحيد منفصل عن نفسه ومجتمعه. (جديدي زليخة، 2011، ص353)

تعريف العزلة الاجتماعية:

يعرفها (قشقوش، 1983) على أنها "شعور الفرد بوجود فجوة نفسية تباعد بينه وبين أشخاص وموضوعات مجاله النفسي إلى درجة يشعر معها بافتقار التقبل والتودد والحب من جانب الآخرين."

يعرفها (دي يونج وجير فيلد وفان تيلور، 1990) على أنها مدى ما يشعر به الفرد من وحدة وانعزال عن الآخرين والابتعاد عنهم وتجنبهم وانخفاض معدل تواصله معهم وقلة عدد معارفه مما يؤدي إلى ضعف شبكة العلاقات الاجتماعية التي ينتمي إليها. (علي شاكرا الفتلاوي، 2009، ص387)

النظريات المفسرة لسلوك العزلة الاجتماعية:

يُوصف العزلة الاجتماعية متغيراً نفسياً واستجابة تظهر بأفعال سلوكية في شخصية الفرد فقد تناولتها العديد من النظريات المفسرة للشخصية، منها ما يلي:

منظور التحليل النفسي: وجد كارل يونغ (K.yung) أن الانسان يتفاعل مع العالم وفق نمطي الانبساط والانطواء استناداً إلى اتجاهاته نحو الخبرة، فالانطوائيون يتوجه اهتمامهم نحو الذات وسياقاتها النفسية وتصبح مركز جميع الاهتمامات عندهم، فالليبيدو التي هي في قاموس Yung الطاقة الحيوية تبحث في الذات وتمنع الموضوع من أن يكتسب أهمية كبرى. ومن سمات الانطوائيين أنهم أكثر خجلاً وأكثر انسحاباً أو عزلة وأقل اهتماماً بالآخرين، على النقيض من الانبساطيين. وفي نظرية أدلر Adler الفردية نجد تأكيداً واضحاً للدور الاجتماعي الفطري لدى الفرد. فمنذ الطفولة يسعى الطفل لاشباعاته من خلال سياق اجتماعي ومع المزيد من التوافق الاجتماعي، يتطور السعي من القوة إلى النضال من أجل التفوق. ويرى أن شعور الفرد بالعزلة يرجع إلى إساءة الوالدين له في طفولته أو حرمانه من الحب والعطف والتشجيع مما يؤدي إلى الشعور بالنقص نظراً لافتقاره إلى عوامل الشعور الاجتماعي.

(علي شاكر الفتلاوي، 2009، ص393)

وترى نظرية العصاب لكارين هورني Horney أن الشخصية الإنسانية تنمو وتتكون خلال أساليب التنشئة الاجتماعية التي يمارسها الوالدان تجاه الطفل ومن خلال تفاعل الفرد وفق الثقافات التي ينمو ضمنها، فسلوك العزلة من الخصائص المكتسبة من الأسرة والثقافة الاجتماعية للفرد والعلاقات الأسرية داخلها، وأن العزلة عبارة عن دفاعات لاشعورية يتم تطويرها من أجل التعامل مع الحياة. فحينما يخفق الفرد في محاولاته للحصول على الدفء والعلاقات الحميمة فإنه سوف يعزل نفسه ويبتعد عن الآخرين ومن ثم يرفض أن يربط نفسه بهم. أما نظرية الشخصية لـ أريك فروم A.From فتري أن بناء طابع الفرد الاجتماعي هو من يؤثر في تفكيره

ومشاعره وأفعاله، وأن تصوره للشخصية يكمن في التفرقة بين مصطلحين مهمين هما الطابع الاجتماعي للشخص والطابع الفردي للشخص ويولي فروم اهتماماً بالغاً بالطابع الاجتماعي الذي يحدد بدوره التفكير والمشاعر والأفعال لدى الفرد. وبناء على روح الثقافة التي يتكون في رحابها الطابع الاجتماعي تتشكل سلوكيات الأفراد واستجاباتهم داخل المجتمع الذين يعيشون فيه، وكلما حمل المجتمع أهدافاً مثل التوافق والتفاعل الاجتماعي بوصفها أهدافاً أساسية له فإن انعزال الناس والشعور بالوحدة يكونان أمراً حتمياً إذا لم يحقق الأفراد الذين يعيشون فيه تلك الأهداف وفي النظرية النفسية التاريخية لأريك أريكسون E.Erikson نجد أن صراع المرحلة الخامسة من مراحل نظريته (الثمانية) ينشأ بين بعدين هما العزلة ضد الألفة، والفرد في مرحلة الشباب يعيش صراعاً بينهما، فإذا ما حصل الفرد على المودة والتآلف والحب العاطفي لاسيما مع الجنس الآخر، فإنه يحصل على الألفة وتنشأ لديه فضيلة العناية أو الاهتمام وإذا لم يحصل على تلك الحاجات ويشبعها فقد ينشأ لديه شعوراً بالعزلة النفسية والاجتماعية.

المنظور السلوكي: يعتبر العزلة الاجتماعية عادة متعلمة، وأن الشخصية برمتها عبارة عن تنظيمات وأساليب متعلمة ثابتة نسبياً تميز الفرد عن غيره، وأن العزلة عبارة عن سلوك تشكل بفعل عدد متكرر من الارتباطات بين مجموعة الاستجابات المعززة لعدد من المتغيرات.

نظرية التعلم الاجتماعي: ترى أن سلوك العزلة لدى الإنسان مرده الفشل في تعلم الطرائق الأكثر ملائمة للتعامل مع الناس. وأن هناك عوامل متعددة تؤثر في السلوك الانعزالي منها طبيعية النموذج الملاحظ أو افتقار الفرد إلى المهارات الاجتماعية المتعلمة. (علي شاكر الفتلاوي، 2009، ص. 394 - 395)

الجانب الميداني للدراسة:

- منهج الدراسة:

نظراً لطبيعة موضوع الدراسة الحالية التي تهدف إلى معرفة مدى شعور الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي بالعزلة الاجتماعية، كان المنهج

المناسب لتحليل وكشف جوانب هذا الموضوع هو المنهج الوصفي الاستكشافي باعتبار أن المنهج الوصفي هو "مجموعة من الإجراءات البحثية التي تتكامل لوصف الظاهرة أو الموضوع اعتماداً على جمع الحقائق والبيانات وتصنيفها ومعالجتها وتحليلها تحليلًا كافيًا ودقيقًا لاستخلاص دلالتها والوصول إلى نتائج أو تعميمات عن الظاهرة أو الموضوع محل البحث". (شحاتة سليمان ومحمد سليمان، 2006، ص337)

- عينة الدراسة:

لصعوبة القيام بدراسة شاملة لجميع مفردات مجتمع البحث بسبب عدم التمكن من حصر حجمه، تم اختيار أسلوب العينة ولقد تمت المعاينة بطريقة العينة القصدية للشباب مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي المرتاد لمقاهي الإنترنت بمدينة متيلي، ولقد تم توزيع 200 استمارة، إلا أنه بسبب عدم الاسترجاع أو وجود استمارات غير صالحة للمعالجة الإحصائية فلقد تكونت العينة النهائية من 150 فرداً فقط.

جدول رقم (01) يوضح حجم العينة وفق متغيرات الدراسة

المتغير	العدد	النسبة
عدد ساعات الاستخدام	أكبر أو يساوي 3 ساعات	67.33 %
	أقل من 3 ساعات	32.67 %
المجموع	150	100 %
الحالة الاجتماعية	متزوج	35.33 %
	غير متزوج	64.67 %
المجموع	150	100 %

- أداة الدراسة وبنائها:

تم الاعتماد على استبيان العزلة الاجتماعية والذي يتكون من ثلاثة محاور، محور للمعلومات الشخصية المتمثلة في المتغيرات الوسيطة ومحور لدوافع استخدام مواقع التواصل الاجتماعي يتكون من 10 فقرات ومحور للعزلة الاجتماعية بسبب استخدام مواقع التواصل الاجتماعي يتكون من 22 فقرة وقد تم بناؤه بعد مراجعة عدة مقاييس حول دوافع استخدام مواقع التواصل الاجتماعي من أجل بناء محور الدوافع. أما من أجل بناء محور العزلة

الاجتماعية فقد تم مراجعة مقياس عبير بنت محمد بن ناصر بن سفران لدراسة قامت بها بعنوان استخدام الإنترنت وعلاقته بالعزلة الاجتماعية لدى طالبات جامعة الملك سعود من أجل نيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع خلال الموسم الجامعي 2012/2013، حيث تكون المقياس من أربعة محاور ثم الاستفادة من محوره الثالث الخاص بمدى مساهمة الإنترنت في وجود عزلة اجتماعية عن الأسرة والأقارب مع استبدال كلمة الإنترنت بمواقع التواصل الاجتماعي.

الخصائص السيكومترية لمقياس العزلة الاجتماعية:

صدق الأداة: تم قياسه بالاعتماد على حساب الصدق التمييزي وصدق الاتساق الداخلي على عينة قوامها 35 مستخدماً لمواقع التواصل الاجتماعي بأحد مقاهي مدينة متليلي وتم استبعادهم من عينة الدراسة الأساسية فيما بعد.

الصدق التمييزي: تم حسابه بطريقة المقارنة الطرفية، حيث رتبت درجات الاختبار تنازلياً ثم تمت المقارنة بين 33% من المستوى العلوي بـ 33% من المستوى السفلي باستعمال الاختبار (ت) وذلك باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS) وكانت النتائج كما يوضحها الجدول التالي:

الجدول رقم (2) يوضح حساب الصدق التمييزي لمقياس العزلة الاجتماعية

م.د	د.ح	(ت) الجدولية	(ت) المحسوبة	ن	ع	م	التقنية ا لإحصائية المقياس
دالة عند 0.01	22	3.81	12.38	12	6.42	122.25	الدرجات العليا
				12	5.81	91.25	الدرجات الدنيا

م: المتوسط الحسابي. ع: الانحراف المعياري. ن: الأفراد. د.ح: درجة الحرية.
م.د: مستوى الدلالة.

يتضح من خلال الجدول أن قيمة "ت" المحسوبة تقدر بـ (12.38) وهي أكبر من قيمة "ت" الجدولية المساوية لـ (3.81) وهي دالة عند مستوى (0.01)، وبذلك فإن الاختبار صادق ويقبس ما وضع لقياسه.

صدق الاتساق الداخلي: تقوم فكرة هذا النوع من الصدق على حساب ارتباطات درجات الفقرات مع الدرجة الكلية للمقياس، وكذلك مع الأبعاد الفرعية التي تنتمي إليه، إضافة لحساب الارتباطات البينية للأبعاد المكونة للمقياس. (حبيب مجدي عبد الكريم، 1996، ص 322) وقد تم حسابه باستعمال معامل الارتباط بيرسون لحساب العلاقة الارتباطية بين كل فقرة من الفقرات بالدرجة الكلية للمقياس، وذلك باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS) وكانت النتائج كما يوضحها الجدول التالي:

الجدول رقم (03):

يوضح حساب صدق الاتساق الداخلي لفقرات مقياس العزلة الاجتماعية

رقم الفقرة	معامل الارتباط	رقم الفقرة	معامل الارتباط	رقم الفقرة	معامل الارتباط	رقم الفقرة	معامل الارتباط
01	0.45	09	0.77	17	0.48	25	0.47
02	0.68	10	0.61	18	0.38	26	0.53
03	0.54	11	0.62	19	0.71	27	0.67
04	0.63	12	0.70	20	0.52	28	0.72
05	0.77	13	0.67	21	0.63	29	0.77
06	0.39	14	0.45	22	0.41	30	0.72
07	0.78	15	0.67	23	0.68	31	0.71
08	0.55	16	0.54	24	0.45	32	0.75

(♦♦) دالة عند (0.01)، (♦) دالة عند (0.05).

يبين الجدول أن معاملات الارتباط بين كل فقرة من الفقرات بالدرجة الكلية للمقياس بطريقة بيرسون تراوحت بين (0.38) و (0.78)، وكلها قيم دالة إحصائياً سواء عند (0.01) أو عند (0.05) وبالتالي يمكن الاعتماد عليه في الدراسة.

ثبات الأداة: تم حسابه بطريقة التجزئة النصفية وطريقة معامل ألفا

كرونباخ كما يلي:

ثبات التجزئة النصفية: طبقا لهذه الطريقة يقسم الاختبار- بعد تطبيقه مرة واحدة- إلى جزأين متبعين في ذلك مثلا التقسيم على أساس الفقرات الفردية والفقرات الزوجية. ويمكن أيضا الرجوع في تقسيم الجزأين إلى طريقة التوزيع العشوائي. وبعد تطبيق الاختبار يتم حساب معامل الارتباط بين درجات الأفراد في الجزأين. وتصحيح هذا المعامل يكون باستخدام معادلة سبيرمان براون 21 وذلك للحصول على معامل الثبات ككل. (محمد مزيان، 1999، ص 87) وقد تم حساب الثبات بطريقة التجزئة النصفية باتباع الخطوات السالفة الذكر وذلك باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS). وكانت النتائج كما يوضحها الجدول التالي:

الجدول رقم (04): يوضح نتائج ثبات التجزئة النصفية لمقياس العزلة

الاجتماعية

معامل الارتباط	(ر) المحسوبة	(ر) المعدلة	(ر) الجدولية	د.ح	مستوى الدلالة
مقياس العزلة الاجتماعية	0.96	0.98	0.44	33	دالة عند 0.01

يبين الجدول أنّ قيمة معامل الارتباط بلغت 0.96. وبعد تعديلها بمعادلة سبيرمان- براون أصبحت قيمته مساوية لـ 0.98 وعند مقارنتها بالجدولية 0.44 وهي قيمة دالة إحصائيا عند 0.01، وهذا يعني أنّ معامل الثبات ذو دلالة إحصائية، ومنه فإنّ المقياس ثابت ويمكن الاعتماد عليه في الدراسة الحالية.

♦ **معامل ألفا كرونباخ:** تم حسابه باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS)، حيث بلغت قيمته 0.75 وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى 0.01. ومنه فإنّ المقياس يتمتع بدرجة عالية من الثبات.

طريقة تقييم مقياس العزلة الاجتماعية:

كل فقراته إيجابية، وتكون الإجابة عليها وفق مقياس "ليكرت" ذو خمس درجات (من درجة كبيرة جدا إلى درجة قليلة جدا)، حيث يقوم المبحوث باختيار أحد هذه البدائل لكل فقرة، ووفقا لهذا الاختيار يحصل في الفقرات

على:درجة كبيرة جدا (خمس درجات)،درجة كبيرة (أربع درجات)،درجة متوسطة

(ثلاث درجات)،درجة قليلة (درجتان)،درجة قليلة جدا (درجة واحدة).وتجمع درجات كل الفقرات لتعطى في الأخير الدرجة الكلية للمستجيب حول الاستبيان،حيث تنحصر بين 22 درجة و110 درجة.

تم تحديد مستوى العزلة (المرتفع،المتوسط،المنخفض)،وبذلك بحساب المدى بين أدنى وأقصى حد.ثم تم تقسيمه على 3 فئات للحصول على طول كل فئة وحدودها وعليه فإن المستويات الثلاثة للعزلة تتحدد ب:المستوى المرتفع:(110- 81)،المستوى المتوسط:(80- 51)،المستوى المنخفض:(50- 22)

كما تفسر المتوسطات الحسابية درجة دوافع استخدام مواقع التواصل الاجتماعي حسب المقياس الوزني التالي:(1- 2.33) درجة منخفضة.(2.34- 3.66) درجة متوسطة.(3.67- 5) درجة مرتفعة.

- عرض وتحليل ومناقشة التساؤل الرئيسي:

ما درجة الشعور بالعزلة الاجتماعية لدى الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي؟

لمعرفة ذلك تم حساب درجات استجابات الشباب على محور العزلة الاجتماعية ثم تم تصنيفها إلى ثلاثة مستويات كما سبق توضيح ذلك.ثم تم حساب التكرارات والنسبة المئوية لكل مستوى ثم تم حساب الفروق بين المستويات الثلاث ودلالاتها الإحصائية كما هو ممدون في الجدول أدناه.

جدول رقم (05) يوضح الفروق في درجة الشعور بالعزلة الاجتماعية لدى الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي ؟

التقنية الإحصائية			درجة الشعور بالعزلة الاجتماعية								الأفراد
مستوى الدلالة	كا ² الجدولية	كا ² المحسوبة	المجموع		منخفضة		متوسطة		مرتفعة		
			%	ن	%	ن	%	ن	%	ن	
			الشباب المستخدم								

مواقع التواصل الاجتماعي	84	56	58	38.7	8	5.3	150	100	59.68	9.21	دالة عند
											0.01

يبين الجدول أن درجة الشعور بالعزلة الاجتماعية لدى الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي كانت مرتفعة، وهو ما تعكسه نسبة 56% في حين قدرت الدرجة المتوسطة بـ 38.7%. أما الدرجة المنخفضة فقد قدرت بنسبة 5.3%. كما يبين أن قيمة كا² بلغت 59.68، وهي قيمة أكبر من كا² الجدولية المساوية 9.21 وكانت دالة إحصائية عند 0.010، مما يدل على أن هناك فروقا بين المستويات الثلاثة، وأن الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي يشعر بدرجة مرتفعة من العزلة الاجتماعية. ويمكن أرجاع هذه النتيجة إلى أن مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت عموما يفضلون الجلوس أمام جهاز الحاسوب على القيام بالأنشطة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي وجها لوجه مع أشخاص حقيقيين، مما يدفعهم إلى الانسحاب والابتعاد عنهم والدخول في عالم افتراضي بالتفاعل مع أصدقاء افتراضيين أو قد يعرفونهم واقعا ولكنهم يفضلون أن لا يتفاعلوا معهم وجها لوجه. حيث "أشار) ميلر، 1996) أن استخدام الإنترنت والتواصل في المجتمع الافتراضي يمكن أن يخلق للفرد إحساسا مضللا بأنه ينتمي إلى مجتمع ويغنيه عن مجتمعه الواقعي. كما وجد كلا من (Pawla&Grosse, 2004) أن مستخدمي الإنترنت بإفراط يعانون الشعور بالوحدة وعدم المساندة الاجتماعية ويلجأون لاستخدام الإنترنت كوسيلة لتعويض هذا الشعور وتسبب لدى الشباب في شعورهم الاغتراب والعزلة الاجتماعية. (سمية بن عمارة ومنصور بن زاهي، 2013، ص 63). ومما لاشك فيه أن أي وقت يقضيه الفرد في استخدام تلك المواقع أو الإنترنت عموما هو وقت مستقطع من الوقت الذي من المفترض أن يقضيه مع المقربين منه. فمواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت يحقق لهم النشوة عن طريق عوالم وآفاق جديدة لم يعهدها، مما يضفي لهم العديد في حياتهم، ويجعلهم يستغنون عن إقامة الصداقات والعلاقات الاجتماعية مهما

كان نوعها، إضافة إلى ذلك فإنه يمنحهم عضوية مجانية دون أية شروط في المجتمع الافتراضي، ودون أن يخشوا أية مسئوليات أو قيود فيعودهم ذلك عن الاندماج الحقيقي مع المحيطين بهم. كما أن الانغماس الزائد في استخدام الإنترنت، وقضاء أطول الأوقات يسبب اضطراباً في حياة الفرد من الناحية الاجتماعية؛ حيث سوف يقضي أوقاتاً أقل مع أسرته، كما سيهمل واجباته الأسرية، وعلاقاته مع الآخرين، أيّاً كانت مكانتهم لديه، حيث إنّ سهولة استخدام الكمبيوتر والدخول على الإنترنت، وما يحتويه من برامج متنوعة من معلومات علمية وترفيهية، ومكالمات ومحادثات (الشات)، سينجم عنه الاعتماد المكثف على هذه الشبكة والتي ستعوضه عن فصل الدراسة، وعن الأسرة، وعن السوق والملاعب، مما يسهم في انخفاض مستوى العلاقات الاجتماعية المباشرة وزيادة العزلة الاجتماعية، وعدم القدرة على إقامة علاقات اجتماعية مباشرة وواقعية، فيصبح الإنترنت هو المسيطر على عقله فيتجنب الآخرين بشكل كبير حتى يختلي بفعل ما يحبه وما يريده، مما يجعله أكثر حساسية في علاقاته بالآخرين، وأكثر إنطوائية لا يرغب في عقد علاقات معهم، كي لا يشغله ذلك عن الإنترنت. كما أن أي عطل في جهاز الكمبيوتر أو انقطاع في الشبكة أو في التيار الكهربائي، قد يتسبب له في الشعور بالقلق والانزعاج الشديد والعصبية، وتلك كلها من أعراض العزلة الاجتماعية.

(سامية ابري عم، 2015، ص 241)

كما أن الأوضاع التي يعيشها الشباب في مدينة متليلي تتمثل خاصة في ظل نقص المرافق الاجتماعية والثقافية والترفيهية وما يشعر به من رتابة وروتين يسهم بكثير في لجوءه إلى تلك المواقع لتعويض نقص ما يجده في حياته اليومية الروتينية وبالتأكيد لن يجد وسيلة لذلك أسهل من الإنترنت وشبكاتاتها ومواقعها. فالشباب بما لديهم من الحماس والطاقة العالية والأفكار والهوايات والميول والدوافع والآمال والتطلعات لم يجدوا الآليات والتسهيلات والوسائل التي تمكنهم من ممارسة ذلك في عالمهم الواقعي فيلجأون إلى خلق عالم خاص بهم يرتقي لتطلعاتهم وآمالهم عن طريق الإنترنت وما تحويه من غرف للدردشة تمكنهم من إقامة علاقات اجتماعية مع أصدقاء آخرين عبر مواقع التواصل

الاجتماعي يشاركونهم ذات الاهتمامات والأمال والتطلعات، كما وجدوا فيها متنفساً ومنبراً يعبرون فيه عن آرائهم بسهولة ويسر كما تتيح لهم ممارسة كافة هواياتهم. فالإنترنت فضاء يستقطب كل الأذواق والاهتمامات والميول. كما أنه متاح لكل الفئات العمرية والمستخدم لها يكون ايجابياً يختار ما يريده هو، فيها الجانب الجاد فهي مصدر للتثقيف وللتعلم والعلم والمعرفة وبذلك فهي قبلة للباحثين والمتعلمين والمعلمين وفيها الجانب الترفيهي وهي بذلك أيضاً قبلة للباحثين عن الاثارة والتسلية وقضاء وقت الفراغ. إذا فكل سيجد ضالته في الإنترنت وذلك حسب دوافعه لاستخدامها. هذا من جهة. ومن جهة ثانية فإنه "بحكم التحديث والتطوير والتجديد المستمر لمواقع الإنترنت والتشويق والإثارة التي تعكسه الشبكة على مستخدمها لمتابعة ذلك التحديث والتجديد تنشأ ألفة غير طبيعية بين الشاب وعالمه الافتراضي" (سمية بن عمارة ومنصور بن زاهي، 2013، ص 63) ومع مرور الوقت تتفاقم مشاعر الوحدة لدى هؤلاء، ويُفصلون عن عالم الواقع شيئاً فشيئاً، بما يزيد شعورهم بعدم الرغبة في المشاركة في الحياة الاجتماعية والانعزال عنها. وتزداد هذه العزلة مع مرور الزمن وقد تنتقل من العزلة عن المجتمع إلى العزلة عن أسرة الشاب نفسها. وتتفق نتيجة هذه الدراسة مع ما توصلت إليه نتائج بعض الدراسات، منها دراسة كل من: سامية ابريغم (2012/2013) وحلمي خضري ساري (2003) وسوليضان وبراداييس (2012). واختلفت مع دراسة عبير بنت حمد بن ناصر بن سفران (2013) التي توصلت إلى أن لاستخدام الإنترنت تأثير متوسط على العزلة الاجتماعية.

- عرض وتحليل ومناقشة نتائج التساؤل الفرعي الأول:

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة شعور الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي بالعزلة الاجتماعية تعزى لعدد ساعات الاستخدام (أقل من 3 ساعات / أكبر أو يساوي 3 ساعات)؟

الجدول رقم (07): يوضح نتائج الفروق في درجة شعور الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي بالعزلة الاجتماعية تعزى لعدد ساعات الاستخدام.

م	ع	ن	(ت) المحسوبة	(ت) الجدولية	دج	مد	التقنية الإحصائية متغير عدد ساعات الاستخدام
70.71	12.90	97	16.07	2.57	148	دالة عند 0.01	أقل من 3 ساعات
93.03	3.35	53					أكبر أو يساوي 3 ساعات

يبين الجدول أن (ت) المحسوبة بلغت 16.07 وهي قيمة أكبر من (ت) الجدولية المساوية لـ 2.57. وهي قيمة دالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0.01. بمعنى أنه توجد فروق دالة إحصائية في درجة الشعور بالعزلة الاجتماعية بين الشباب الذين يستخدمون مواقع التواصل الاجتماعي لمدة أقل من 3 ساعات والذين يستخدمونها لمدة أكبر أو تساوي 3 ساعات لصالح الذين يستخدمونها لمدة أكبر أو تساوي 3 ساعات.

لقد اتفقت نتيجة هذه الدراسة مع دراسة كل من: الكندري والقشعان (2001) ودراسة حلمي خضري ساري (2003) وعبير بنت حمد بن ناصر بن سفران (2013). وهذا الأمر طبيعي لأنه كلما زاد عدد الساعات التي يقضيها الفرد في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي قل الوقت الذي يمضيه في التفاعل مع أسرته وأقاربه وجيرانه وأصدقائه، مما يؤدي به إلى الابتعاد عن عالمه الواقعي والانغماس في عالم افتراضي لا صلة له بالواقع فيدخل في حالة من العزلة عن مجتمعه دون الاكتراث بإقامة أي شكل من أشكال العلاقات الاجتماعية الحقيقية والواقعية.

عرض وتحليل ومناقشة نتائج التساؤل الفرعي الثاني:

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة شعور الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي بالعزلة الاجتماعية تعزى للحالة الاجتماعية (متزوج/غير متزوج)؟

الجدول رقم (08): يوضح نتائج الفروق في درجة شعور الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي بالعزلة الاجتماعية تعزى للحالة الاجتماعية.

م	ع	ن	(ت) المحسوبة	(ت) الجدولية	دج	م	التقنية
							الإحصائية متغير
دالة عند 0.01	148	101	19.45	2.57		87.63	غير متزوج
							متزوج
		49				59.67	

يبين الجدول أن (ت) المحسوبة بلغت 19.45 وهي قيمة أكبر من (ت) الجدولية المساوية لـ 2.57. وهي قيمة دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة 0.01. بمعنى أنه توجد فروق دالة إحصائية في درجة الشعور بالعزلة الاجتماعية بين الشباب المتزوجين والشباب غير المتزوجين لصالح الشباب غير المتزوجين. لقد اتفقت هذه النتيجة مع دراسة عبير بنت حمد بن ناصر بن سفران (2013). وهذا الأمر طبيعي، فالمتزوجون يستخدمون هذه المواقع بشكل عقلائي نظراً لأن لديهم ارتباطات وعدة مسؤوليات وعدة أدوار فهم آباء وأزواج وعمال تحتم عليهم تلك الارتباطات والأدوار والمسؤوليات أن يكونوا متواجدين حيثما احتاج إليهم أفراد أسرهم أو عملهم على عكس غير المتزوجين فليس لديهم تلك المسؤوليات والأدوار والارتباطات. وبالتالي يكون لديهم وقت أكبر لاستخدام تلك المواقع وبالتالي يزيد شعورهم بالعزلة.

- عرض وتحليل ومناقشة نتائج التساؤل الفرعي الثالث:

ما درجة كل دافع في استخدام الشباب لمواقع التواصل الاجتماعي؟

للإجابة على هذا السؤال استخرجت المتوسطات الحسابية (م) والانحرافات المعيارية (ع) لاستجابات الشباب على محور دوافع استخدام الشباب لمواقع التواصل الاجتماعي. ثم تم ترتيبها تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية (م) والانحرافات المعيارية (ع) كما هو موضح في الجدول المدون أدناه.

الجدول رقم (06):

يوضح نتائج دوافع استخدام الشباب لمواقع التواصل الاجتماعي ودرجة كل دافع في الاستخدام.

دافع الاستخدام	(م)	(ع)	درجته	دافع الاستخدام	(م)	(ع)	درجته
زيادة المعلومات والمعارف	4.32	0.68	مرتفعة	التعرف على الأخبار الجديدة ومواكبة الأحداث الجارية	3.82	0.89	مرتفعة
التثقيف	4.08	0.74	مرتفعة	إقامة صداقات جديدة	3.76	0.96	مرتفعة
التواصل مع الأصدقاء والأهل	3.96	0.83	مرتفعة	التخلص من الملل والروتين	3.70	0.81	مرتفعة
الترفيه والتسلية	3.94	0.86	مرتفعة	الهروب من الواقع	2.85	0.88	متوسطة
قضاء وقت الفراغ	3.90	0.73	مرتفعة	التخلص من الفراغ الاجتماعي والعاطفي	2.76	0.99	متوسطة

يبين الجدول أن درجات دوافع استخدام مواقع التواصل الاجتماعي تراوحت بين 4.32 و 2.76. وأن ترتيب هذه الدوافع حسب درجة الاستخدام جاء كما يلي: زيادة المعلومات والمعارف، التثقيف، التواصل مع الأصدقاء والأهل، الترفيه والتسلية، قضاء وقت الفراغ، التعرف على الأخبار الجديدة ومواكبة الأحداث الجارية، إقامة صداقات جديدة، التخلص من الملل والروتين، الهروب من الواقع والتخلص من الفراغ الاجتماعي والعاطفي. وأن أغلب هذه الدوافع جاء بدرجة مرتفعة عدا دافع كل من الهروب من الواقع والتخلص من الفراغ الاجتماعي والعاطفي كانت درجتهما متوسطة. ولعل ما يفسر هذه النتيجة أن ذلك راجع إلى وجود خاصيتين تتميز بها الإنترنت عموماً ومواقع التواصل الاجتماعي خصوصاً وهما:

الخاصية الأولى: وفقاً لما تقوم عليه النظرية الاعلامية في الاستعمال والاستخدام أن المستخدمين يتصفون في استخدامها بالنشاط، أي أنهم إيجابيون يبحثون عما يريدون التعرض إليه ويتحكمون في اختيار الوسائل التي تلبى احتياجاتهم والمضامين التي تحقق أشتباكاتهم.

الخاصية الثانية: أنها تتيح لمستخدميها القيام بنشاطات متعددة وفي نفس الوقت. فالمستخدم قد يقوم بنشاط إلكتروني ما وهو تحميل ملف أو فيديو عن معلومات يحتاجها حول موضوع ما، وقد يستغرق ذلك وقتاً معتبراً بسبب حجم

الملف الكبير أو انخفاض في سرعة أداء الشبكة أحيانا نتيجة للضغط الذي تتعرض له لكثرة عدد المستخدمين فينصرف أثناء ذلك لفتح صفحات أو نوافذ عديدة ينتقل بينها بكل يسر لممارسة نشاط آخر بشكل متقطع أو متباعد كالردشة مع الأصدقاء الافتراضيين أو مع الأهل والأصدقاء الفعليين الذين كون معهم صداقات عبر مواقع التواصل الاجتماعي أو اللعب والترفيه والتسلية أو الاطلاع على آخر الأخبار والمستجدات لمواكبة الأحداث الجارية أو التعليق على موضوع معين أثاره بعض المشاركين ممن يعرفهم أو لا يعرفهم فيؤدي ذلك إلى الدخول إلى صفحاتهم للإطلاع على مشاركاتهم ومنشوراتهم فإن أعجبته أفكارهم ومنشوراتهم وتوجهاتهم بعث إليهم رسالة يطلب فيها صداقتهم. وبهذا ففي اشباعه لهذه الدوافع يتمكن من قضاء وقت فراغه والتخلص من الروتين والملل الذي قد سببه له الفراغ الاجتماعي والعاطفي.

ولقد اتفقت هذه الدراسة مع أغلب الدراسات السابقة المذكورة سابقا من حيث دوافع الاستخدام، إلا أنها لم تتفق معها كلية من حيث ترتيب الدوافع في الاستخدام، حيث اتفقت إلى حد ما مع بعضها في بعض الدوافع واختلفت معها في البعض الآخر ومن هذه الدراسات :

♦ **دراسة نرمين خضر (2009):** التي توصلت إلى: أن دافع التسلية والترفيه يأتي على رأس قائمة دوافع الاستخدام بنسبة 69.9%. بينما جاء دافع خلق صداقات جديدة ودافع التواصل مع الآخرين وتطوير علاقات اجتماعية معهم في المرتبة الثانية والثالثة بنسبة 41.2% و 37.5% لكل منهما على التوالي.

♦ **دراسة محمود السمايسري وغالب شنطاوي (2013):** التي توصلت إلى أن دافع التسلية حصل على أعلى نسبة وقدرت بـ 77% وتلاها قضاء وقت الفراغ بنسبة 73%.

♦ **دراسة شفيق ساعد ونوال بركات (2015):** والتي توصلت إلى أن دافع كل من: التواصل مع الأصدقاء سواء كانوا حقيقين أو افتراضيين والتسلية وقضاء وقت الفراغ جاء في المرتبة الأولى بنسبة 96,67%. وجاء في المرتبة الثانية بنسبة 86,67% التواصل مع جماعات ذات اهتمام مشترك. وفي المرتبة الثالثة جاء دافع كل من: التعرف على أصدقاء جدد

والبحث عن الثقافة بنسبة 76,67% وفي المرتبة الأخيرة وبنسبة 33,63 % جاء دافع إبداء الرأي في بعض القضايا.

- خاتمة

يعتبر التطور التكنولوجي الذي يشهده مجال الاتصال في وقتنا الحالي أحد أبرز العوامل التي تساهم في إيجاد مفهوم العزلة الاجتماعية لدى الشباب، وذلك من خلال ارتفاع معدلات استخدام الإنترنت عبر مواقع التواصل الاجتماعي، حيث أثر هذا الوضع سلباً على العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، وخصوصاً لدى الشباب بسبب فقدان عمليات التفاعل الاجتماعي بينهم بشكل كامل، الأمر الذي ساهم في إيجاد نوع من الفتور والعزلة الاجتماعية وبهذه الحالة تعتبر العزلة الاجتماعية بمثابة متغير تابع للإنترنت وما تحويه من مواقع للتواصل الاجتماعي التي تعتبر بمثابة المتغير المستقل.

لقد تبين من خلال هذه الدراسة أن الشباب بمدينة متليلي يستخدم مواقع للتواصل الاجتماعي لعدة دوافع وكانت درجة تلك الدوافع للاستخدام في معظمها مرتفعة. كما أنه يعاني من العزلة الاجتماعية بالإضافة إلى وجود فروق جوهرية في شعوره بالعزلة الاجتماعية باختلاف الحالة الاجتماعية وعدد ساعات الاستخدام لصالح غير المتزوجين ولصالح الذين يستخدمون تلك المواقع لأكثر من 3 ساعات.

- الاقتراحات:

نظراً لأهمية الإنترنت عموماً ومواقع التواصل الاجتماعي خصوصاً من حيث انتشارها بين أفراد المجتمع بمختلف أعمارهم العمرية وذلك لما توفره من خدمات وانشغالات، حيث أصبحت فضاءات للشباب خاصة للتعبير عن آرائهم ولتحميل مختلف الكتب والمقالات والملفات ليستفيدوا من معلوماتها في أبحاثهم أو للتسلية وقضاء وقت الفراغ ولممارسة هواياتهم فلا يمكن بحال أن ننادي بتخليهم عن استخدامها ولكن ينبغي ترشيد هذا الاستخدام بطريقة عقلانية، بحيث يبقى استعمالهم لها بقدر حاجتهم إليها واستفادتهم منها دون

افراط أي دون اسراف الوقت في استخدامها ودون أن يؤثر ذلك على مسؤولياتهم وأدوارهم وعلاقاتهم الاجتماعية وخاصة تجاه المقربين منهم بل وقد يجعلون منها فرصة للتقارب بحيث يشركون أفراد أسرهم في استخدامهم لها بتخصيص وقت يتفقون عليه، يجلسون فيه جميعا أمام الحاسوب ويختارون المواضيع ذات الاهتمام المشترك للبحث فيها وللدخول لتلك المواقع ثم تقييم ما تم البحث عنه وتبادل وجهات النظر حوله. هذا على المستوى الشخصي للأفراد. أما على مستوى الرسمي فينبغي على القائمين على تلك المواقع ما يلي:

- نشر الوعي لدى فئة الشباب حول دور وأثر مواقع التواصل الاجتماعي

في تنمية شخصياتهم وإرشادهم للاستخدام الأمثل والایجابي لها.

- إنشاء صفحات علمية مفيدة عبر مواقع الاجتماعي تتوافق مع ميول الشباب واهتماماتهم في مختلف مجالات الحياة وتسهيل الدخول إليها. مع إنشاء مجموعات شبابية هادفة على تلك المواقع تتبنى قضايا شبابية لإيجاد حلول لها عن طريق تبادل المعرفة ووجهات النظر والتجارب الشخصية لتعميم الاستفادة منها وكذلك إبراز القضايا الثقافية والاجتماعية بشكل ي عمل على تنمية المجتمع.

- عقد دورات تدريبية لفئة الشباب تستهدف تطوير مهاراتهم في توظيف مواقع التواصل الاجتماعي في خدمة قضاياهم وقضايا مجتمعاتهم.

- إجراء دراسات مماثلة على مجتمع الطلبة عبر مختلف المراحل التعليمية، وفحص مدى تأثير استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية المسؤولية الاجتماعية وفي إحداث التغيرات الاجتماعية. وفي ترسيخ قيم المواطنة والحفاظ على الهوية الثقافية والاعتزاز بها.

قائمة المراجع -

- 1- بارعة حمزة شقير، استخدام أساتذة جامعة دمشق للإنترنت والشبكات المحققة منه، مجلة جامعة دمشق، العدد 1 و2، 2009.
- 2- جديدي زليخة، الاغتراب، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة وادي سوف، الجزائر، العدد 8، 2011.
- 3- حنان بنت شعشوع الشهري، أثر استخدام شبكات التواصل الإلكترونية على العلاقات الاجتماعية، دراسة ميدانية على طالبات جامعة الملك عبد العزيز، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، جامعة الملك عبد العزيز، 1433هـ/1434.
- 4- حبيب، مجدي عبد الكريم، التقويم والقياس النفسي في التربية وعلم النفس، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 1996.
- 5- سامي أحمد شناوي ومحمد خليل عباس، استخدام شبكة التواصل الاجتماعي (الفيس بوك) وعلاقته بالتوافق النفسي لدى المراهقين، مجلة جامعة، المجلد 18، العدد 2، 2014.
- 6- سامية ابري عم، إدمان الإنترنت وعلاقته بالعزلة الاجتماعية دراسة ميدانية لعمالة من طلبة جامعة أم البواقي، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سطيف 2، العدد 20، 2015.
- 7- سمية بن عمارة ومنصور بن زاهي، الشعور بالاغتراب الاجتماعي لدى الشباب مستخدم الإنترنت، دراسة ميدانية لعينة من الشباب بمقاهي الإنترنت بولاية ورقلة، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، عدد 10، 2013.
- 8- شفيق ساعد ونوال بركات، التأثيرات النفسية والاجتماعية لاستخدام الشباب لمواقع التواصل الاجتماعي، موقع فيس بوك وطلبة جامعة بسكرة نموذجا، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة عمار التبيجي، الأغواط، العدد 16، 2016.
- 9- شحاتة سليمان محمد سليمان، مناهج البحث بين النظرية والتطبيق، مركز الإسكندرية للكتاب، ط1، الإسكندرية، 2006.
- 10- عبير بنت حمد بن ناصر بن سفران، استخدام الإنترنت وعلاقته بالعزلة الاجتماعية لدى طالبات جامعة الملك سعود، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، جامعة الملك سعود، 2013.
- 11- عصام منصور وعبد الله الدبوبي، إدمان النت وآثاره الاجتماعية السلبية لدى طلبة الثانوية العامة في عمان كما يدركها الأخصائيون الاجتماعيون، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد 35، الجزء 2، 2011.

- 12- علي شاكِر الفتلاوي، العزلة الاجتماعية لدى المهاجرين العراقيين، مجلة كلية الآداب، العدد 91، 2009.
- 13- علي عبد الهادي عبد الأمير، اتجاهات أساتذة الجامعات نحو دور مواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل الرأي العام الإلكتروني إزاء الازمات النفسية، مجلة الباحث الاعلامي، العدد 32، 2016.
- 14- محمد بن عبد الرحمان الفارس وعبيد بن عبد الله العمري، الخصائص والحاجات النفسية والاجتماعية لمستخدمي الإنترنت، دراسة تطبيقية على المستخدمين السعوديين للإنترنت، مجلة العربية للإعلام والاتصال، العدد 5، 2009.
- 15- محمد محمد عبد المنعم وآخرون، أثر استخدام شبكات التواصل الاجتماعي على مهارات التواصل والشعور بالوحدة النفسية لدى طلبة جامعة الملك فيصل، المجلة العلمية، المجلد 1، 2016.
- 16- محمد مزيان، مبادئ في البحث النفسي والتربوي، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط 1، وهران، 1999.
- 17- مريم نرمان نورمان، استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية، شهادة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال تخصص الإعلام وتكنولوجيا الاتصال الحديثة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012/2011.
- 18- ممدوح شتلة وحنان كامل، استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وعلاقته بالمشاركة السياسية في الانتخابات الرئاسية المصرية 2014، دراسة ميدانية على عينة من الشباب الجامعي المصري، دورية إعلام الشرق الأوسط، العدد 11، 2015.
- 19- هداية درويش سلمان، مواقع التواصل الاجتماعي وتأثيرها على الشباب العربي سلبا وإيجابا، 13/04/2014، مقال على موقع: www.kolawatan.net
- 20- وديع محمد العززي، استخدامات الشباب الجامعي لشبكة التواصل الاجتماعي، المجلة العربية للإعلام والاتصال، العدد 14، 2015.
- 21- Ann Hemingway and Eleanor Jack (2013), **Reducing social isolation and promoting well being in older people**, quality in ageing and older adults, vol 14, no.1, p27.
- 22- Boyd Danah and Ellison Nicole (2007), **Social Network Sites: Definition, History and Scholarship**, Journal of Computer-Mediated Communication, Vol.13, No.1.



إشكالية العنف المدرسي وطرق معالجته لضمان الأمن التعليمي

ختير مسعود¹، مهداوي عبد القادر²

1- جامعة أحمد دراية، أدرار

2- جامعة أحمد دراية، أدرار

amksaa@yahoo.fr

الملخص -

تم التطرق في هذه الورقة البحثية إلى ظاهرة العنف المدرسي، والتي ما فتئت تهدد كل المجتمعات بما في ذلك مجتمعاتنا العربية الإسلامية، التي لطالما سادها السلوك الإسلامي النابع من قيمنا ومعتقداتنا. لقد أصبحت مدارسنا أحيانا حلبة للمعارك بشتى صورها، بحيث لم تستثن أي فئة من تلاميذ وأساتذة ومربين، دون مراعاة للرسالة النبيلة التي أوكلت لهذا الصرح الحصين، وهو ما لمسناه جليا في الآونة الأخيرة من اعتداءات وصلت حتى القتل، ما دفع بالباحثين من مختلف التخصصات إلى البحث عن أساليب الحد من هذه الظاهرة و القضاء عليها، وذلك كله من أجل الحفاظ على الرسالة الحقيقية للمدرسة وضمان الأمن التعليمي في المؤسسات التربوية، والحفاظ على المجتمع.

الكلمات المفتاحية -

العنف المدرسي - التلميذ - الأستاذ - الأمن التعليمي - المجتمع.

The Problem Of School Violence And How To Deal With It To Ensure Educational Security

Abstract-

This Paper Discusses The Phenomenon Of School Violence, Which Continues To Threaten All Societies, Including Our Arab And Islamic Societies, Which Have Always Been Dominated By Islamic Behavior Stemming From Our Values And Beliefs.

Our Schools Have Sometimes Become A Battleground In All Its Forms, So As Not To Exclude Any Class Of Students, Professors And Educators, Without Taking Into Account The Noble Message Entrusted To This Fortified Edifice, Which We Have Seen In Recent Times From Attacks Until The Murder Prompting Researchers From Different Disciplines To Seek Ways To Reduce This Phenomenon And Eliminate It, In Order To Preserve The True Message Of The School And Ensure The Security Of Education In Educational Institutions, And The Preservation Of Society.

Key Words -

School Violence - Student - Professor - Educational Security – Society.

مقدمة -

تمثل ظاهرة غياب الأمن التعليمي في المؤسسات التربوية إحدى أخطر الظواهر التي باتت تؤرق الباحثين في البلدان العربية والإسلامية، و تدق ناقوس الخطر الذي يتهدد ليس كيان المدرسة فحسب، و إنما كيان المجتمع و الأمة بأسرها، إذ يعتبر العنف المدرسي مصدر قلق متنام في أوساط الأطر الإدارية والأساتذة والتلاميذ وأولياء أمورهم على حدّ سواء.

و العنف بكافة أشكاله المادية والمعنوية، يولد خلا في العلاقات التربوية والتعليمية التي هي من أهم الأدوار الأساسية للمدرسة. فتعليم الأطفال وكذا

المراهقين وتنشئتهم وتربيتهم على القيم وضبطها والامتثال للمبادئ الأخلاقية والدينية، لا يكون إلا بابتعاد المؤسسات التعليمية عن كل المؤثرات والتطورات الحاصلة في العالم الخارجي، خاصة ما كان منها مرتبطاً بتلك الظواهر المؤدية للعنف بكل أشكاله وأنواعه، على اعتبارها المنهل الثاني بعد الأسرة والتي تكتسب منها أنبل الموروثات التربوية.

ولعل الاهتمام بهذه الظاهرة -العنف- بصفة عامة والعنف المدرسي بصفة خاصة سواءً على المستوى الدولي أو الداخلي وكذا المؤسسات والمنظمات، كل ذلك من أجل حماية هذه اللبنة الأساسية، ألا وهي المدرسة والحفاظ على جهازها من تلاميذ وأساتذة وتربويين، كانت من صلب اهتمامات المشرع الجزائري بإصدار مجموعة من النصوص والتنظيمات التي من شأنها أن تحافظ على هذه الفئة من كل أشكال الإساءة والاستغلال والعنف التي تتعرض لها.

الإشكالية: ما مدى تكفل المشرع الجزائري بمواجهة ظاهرة العنف المدرسي؟

لمناقشة الإشكالية طرحنا جملة من التساؤلات:

- ما مفهوم العنف المدرسي؟ وما أهم مظاهره؟
- كيف تصدت النصوص القانونية في الجزائر لظاهرة العنف المدرسي؟
- ما مدى فعالية تلك النصوص في القضاء على الظاهرة أو التقليل منها؟

أهمية الموضوع:

لعل أهمية الموضوع -العنف المدرسي- تكمن في الموضوع ذاته، وفيما تخلفه ظاهرة العنف من آثار وخيمة، سواء على التلميذ أو المعلم أو الإدارة، وما ينجر عنه من سوء للسلوك وتردي في العطاء، ما يجعل دور المدرسة في تراجع دائم وهو ما يلمس جلياً في وقتنا الحاضر، من سوء أخلاق وانطماسها وانعكاس لسلوكيات سلبية على شخصية التلميذ.

فكان لزاماً الوقوف على الأسباب المؤدية لهذه الظاهرة، وأشكالها، وكذا تتبع النصوص القانونية والمراسيم واللوائح والتنظيمات... التي أصدرها المشرع الجزائري في هذه الباب، مما يزيد في التأكيد على أهمية هذا الموضوع.

أهداف البحث:

من أهم ما يهدف إليه البحث حصر أنواع العنف المدرسي والوقوف على أسبابها، للوصول إلى كيفية معالجتها أو الحد منها، عن طريق الحرص على تطبيق النصوص الواردة، وإكمال النقص أو الفراغ الشرعي إن وجد، وكل ذلك من أجل القضاء على الظاهرة وإصلاح المدرسة التي هي صمام الأمان لكل مجتمع يسعى إلى الرقي والتطور.

تقسيمات البحث:

قسمت الدراسة إلى مبحثين: المبحث الأول خصص للوقوف على الظاهرة بتعريفها وتحديد أنواع وأشكال العنف المدرسي ومظاهره والأسباب المؤدية إليه. أما المبحث الثاني فتطرق لأهم الوسائل التي اعتمدها المشرع الجزائري في مواجهة ظاهرة العنف المدرسي ضمن الإطار العام للنصوص التنظيمية للتوجيه المدرسي.

المبحث الأول: ماهية العنف المدرسي

من أهم الظواهر انتشارا وأخطرها ألا وهي ظاهرة العنف التي باتت تهدد كيان المجتمعات العالمية بما في ذلك مجتمعاتنا العربية الإسلامية، التي كانت إلى وقت قريب تمتاز بالهدوء والاستقرار والقيم الروحية، كالمودة وحسن الجوار والسلم والسلام والرفق والهدوء والسكينة، وهو ما يتنافى مع حضارة المجتمعات الإنسانية الراسخة.¹

ويعد العنف سلوكاً إنحرافياً مكتسباً، وظاهرة إجتماعية مثيرة للقلق، كما أنه من الظواهر الاجتماعية المركبة التي لا تعتمد على عامل واحد وليست وليدة عنصر وحيد، بل هو وليد مجموعة من العوامل والأسباب لأنها ظاهرة فردية و إجتماعية، كما أنه لا يقتصر على نمط واحد بل تتعدد أنماطه وأساليبه من عنف أسري، وعنق مدرسي... وغيره، هذا الأخير هو محور دراستي في النقاط الموالية.

المطلب الأول: تعريف العنف المدرسي:

أن الحديث عن العنف المدرسي يكتسب أهمية خاصة، حيث أن المدرسة هي ثاني مؤسسات التنشئة الاجتماعية بعد الأسرة، يقع على عاتقها مسؤولية

كبيرة إلى جانب الأسرة في تنشئة الفرد تنشئة إجتماعية سليمة، ذلك أن من مهام المدرسة تقويم السلوك الفردي وفق فلسفة تربوية إلى عادات سلوكية تتزامن مع النمو المتكامل والسليم للأفراد، كما أوكلها المجتمع تربية النشأ وصياغة العقول التي تأخذ بدورها إلى صناعة المستقبل بكل ما تزود به هذه العقول وتنشأ عليه.²

هذا ما يجعل الاهتمام بيّن بهذه الظاهرة وذلك بوضع تعريفات دقيقة خاصة بها، فقد عرف الدكتور أحمد الحوتي العنف المدرسي بأنه: مجموعة السلوك غير المقبول اجتماعيا بحيث يؤثر على النظام العام للمدرسة ويؤدي إلى نتائج سلبية بخصوص العلاقات داخل المؤسسات والتحصيل".

كما عرفه فتحي عبد الواحد أمين بأنه: "كل فعل أو قول أو سلوك يصدر من الطالب أثناء تواجده في المدرسة خلال اليوم الدراسي اتجاه زملائه أو المدرسين أو العاملين في المدرسة، ويترتب عليه إهانة أو تجريح للآخرين، أو تهديد لحياتهم، وإتلاف للأثاث أو تعطيل الحصص الدراسية".³

و عرفه أيضا حسين طه بأنه: نمط العنف يصدر من طالب أو مجموعة من الطلاب ضد طالب أو مدرس، ويتسبب في إحداث أضرار مادية أو جسدية، أو نفسية لهم، ويتضمن هذا النمط من العنف الهجوم، والاعتداء الجسمي واللفظي، والعراك بين الطلاب والتهديد والمطاردة، والمشغبة، والاعتداء على ممتلكات الطلاب الآخرين، أو تخريب ممتلكات المدرسة.⁴

مما سبق يتبين أن كل التعريفات وإن اختلفت إلا أنها تركز على السلوك المنحرف الذي يقع من الأسرة التربوية سواء الأستاذ أو التلميذ أو المستشار أو غيرهم في الوضع غير المألوف، ويأخذ صورة العنف عن طريق الضرب أو السب أو الشتم أو التعنيف أو التخريب... وغيرها.

ومن هنا يمكن القول أن العنف المدرسي تتعدد صوره مع اختلاف أنماط السلوك الإنساني والمواقف التي يكون فيها والوسط الذي يوجد فالعنف المدرسي هو عادة دخيلة تأثرت بها المدرسة لعدة عوامل ما جعل المشرع يجرم كل أنواع العنف البدني، وكل أشكال العنف المعنوي والإساءة في المؤسسات التربوية.

فقد جاء في نص المادة 21 من القانون التوجيهي للتربية الوطنية ما يلي: "يمنع العقاب البدني وكل أشكال العنف المعنوي والإساءة في المؤسسات المدرسية. يتعرض المخالفون لأحكام هذه المادة لعقوبات إدارية دون الإخلال بالمتابعات"⁵. ولعل من أهم أنواع العنف داخل المدرسة ما يلي:

المطلب الثاني: مظاهر العنف المدرسي

اتخذ العنف المدرسي مظاهراً وأنواعاً مختلفة والتي سأعالجها في النقاط الموالية بداية بالتطرق إلى طريفي العنف المدرسي وذلك بالوقوف على أهم مظاهره من خلالها ثم الصور التي جاءت بها النصوص القانونية كالتالي.

أولاً: العنف من الإدارة نحو التلميذ

إن الحديث عن استخدام العنف داخل المؤسسات التعليمية من طرف بعض الأساتذة والإداريين أصبح أمراً ملحاً بعد أن تفاقمت هذه الظاهرة في مؤسساتنا الابتدائية والإعدادية والثانوية والتي أصبحت تفقد قدسيته يوم بعد يوم مما أصبح يثير الكثير من المخاوف في أوساط جميع المهتمين من انعكاساتها الخطيرة، حيث يظهر الواقع اليومي استمرار تزايد حالات تعرض التلاميذ لمختلف أمثال العنف من طرف الأساتذة والإداريين ورغم غياب إحصائيات دقيقة تكشف الحقيقة إلا أن الأخبار التي تتناقلها وسائل الإعلام والملفات الرائجة في المحاكم وما تنشره الصحافة الوطنية بهذا الخصوص كافية لكشف الستار عن المنحى التصاعدي الخطير الذي اتخذته الظاهرة ودليل على ارتفاع العنف في المؤسسات التعليمية.⁶

إن العنف الذي يمارسه الأستاذ والإداري يضرب عمق العلاقات التربوية الهادفة لاكتساب مقومات أخلاقية وإنسانية واجتماعية والتي ليست سوى مظهر لفشل المؤسسة التعليمية في القيام بدورها وفشل التلاميذ في التكيف مع برامجها وأنشطتها وأساليبها التي لا تأخذ بعين الاعتبار المعطيات المتعلقة بشخصيتهم وقدراتهم وطموحاتهم ورغباتهم فيخلق لديهم آثار قد تتطور إلى رد فعل ضد المؤسسة وإدارتها.⁷

ولخطورة الوضع سن المشرع نصوص وقوانين رادعة محاولة منه للحد منها، فقد نص المشرع في مادته السابعة من القرار رقم 8778 المؤرخ في

1991/10/26 والمتعلق بتنظيم الجماعة التربوية في المؤسسات التعليمية والتكوينية ما يلي: "تعتبر الأضرار الناجمة عن العقاب البدني خطأ شخصيا يتحمل الموظف المتسبب فيها كامل المسؤولية من الناحية المدنية والجزائية ولا يمكن لإدارة التربية أن تحل محل الموظف المعني في تحمل تبعاتها".⁸

كما جاء نص المادة (5) من التشريع المدرسي الجزائري كآتي: "يحرص المعلمون والأساتذة وباقي أفراد الجماعة التربوية على خلق الجو الكفيل بدعم علاقة الثقة والإحترام المتبادل وتعزيز روح التعامل بينهم وبين تلاميذهم".⁹

ثانياً: العنف من التلميذ نحو التلميذ

لا يقتصر العنف المدرسي على عنف المدرسين ضد الطلاب بل هناك عنف يمارسه الطلاب على بعضهم البعض وهو عنف لا يقل خطورة عن عنق المدرسين مع الطلاب وله تداعيات ونتائج غير مرحب بها، والمدرسة بدل من أن تكون منارة للعلم وبانية للأجيال تتحول إلى ساحة صراع بين الطلاب وهنا تنحرف عن مسارها وتوجهها النبيل وهي أيضاً تعتبر تجمع تربوي وبشري تضم بين أحضانها أفراد مختلفون من حيث الأفكار والآراء والطباع وهذا أمر يعتبر سبباً ودافعاً في التصادم بين الطلاب له نتائج سيئة وضارة على المدى القريب والبعيد.¹⁰

المطلب الثالث: صور العنف المدرسي وطرق معالجته من الناحية القانونية

إن عملية تعنيف التلاميذ في نظر القانون الجزائري غير مشروعة ولا تعتبر وسيلة تأديبية تحت أي ظرف، بل أن المشرع اعتبرها اعتداء على الغير فما بالك إن كان المعتدى عليه (أي التلميذ) قاصراً أو تحت سلطة ومسؤولية المعتدي (وهو المدرس)، فهذا تكون العقوبة مشددة.

كما أن دور الإدارة التربوية بقيت قضية مطروحة للنقاش وكتب عنها الكثير إلا أنها لم تتناول بما تستحقه من عمق وتفصيل وإن حدث ذلك ففي سياق الحديث عن قضايا أخرى وكلنا يتذكر العقوبات التي كانت الإدارة بموافقة (إن لم نقل بتأليب) من بعض المعلمين تفرضها من غير حق على

التلاميذ في سياق ثقافة الردع والزجر والعقاب التي كانت سائدة بحيث تظهر في صور عنف سنشير إليها كالآتي:¹¹

أولاً: العنف المادي (الجسدي)

لا يتوقف العنف الجسدي في المدرسة على فئة دون أخرى، حيث أصبح متبادلاً بين المعلم والتلميذ والعكس، ويقصد به استخدام القوة العضلية على أعضاء الجسم اتجاه التلاميذ من أجل إيذائهم وإلحاق أضرار جسيمة بهم، في أشكال متعددة منها لي عضو، أو حرقه أو الرفس بالأرجل أو الضرب بالأيدي، أو بالأدوات الأخرى أو دفع الشخص... وغيرها.¹²

وقد جرم القانون وعاقب على هذه الصورة خصوصاً في حالة وقوعها من الإدارة نحو التلميذ من خلال نصوص قانونية، وهنا تجدر الإشارة إلى ما جاء في القرار السالف الذكر أن العقاب البدني الممارس على التلاميذ قد يجر فاعله إلى عقوبة العزل النهائي من الوظيفة وهي أقصى العقوبات التأديبية.¹³

وكذا من خلال نص المادة 06 من القرار 178 السالف الذكر أيضاً: "علاوة على كون العقاب البدني أسلوب غير تربوي في تهذيب سلوكات التلاميذ فإنه يعتبر خطأ مهنيًا يعرض الموظف الفاعل إلى الإجراءات التأديبية المنصوص عليها في القوانين الأساسية السارية المفعول"¹⁴

أما الحديث عن المسؤولية التقصيرية عن الأعمال الشخصية في القانون المدني فينطلق لتوضيح نص المادة (124) منه والتي تنص على أن "كل عمل أياً كان يرتكبه المرء ويسبب ضرراً للغير يلزم من كان سببا في حدوثه بالتعويض".¹⁵

إضافة إلى ما تم ذكره فقد جاء ذكر العقاب البدني داخل المؤسسة باعتباره شكلاً من أشكال العنف من خلال القانون رقم 08 - 04 المؤرخ في 23 جانفي 2008 المتضمن القانون التوجيهي للتربية في المادة (21) بحيث يمنع من خلالها العقاب البدني وكل أشكال العنف المعنوي والإساءة في المؤسسات المدرسية، يتعرض من المخالفون لأحكام هذه المادة لعقوبات إدارية دون الإخلال بالمتابعات.¹⁶

فقد جاء هذا القانون صريحاً واضحاً حيث منع منعاً باتاً استخدام الضرب كوسيلة تربوية لمعاقبة التلاميذ وبالرجوع إلى نص المادة 6 من القرار (778) حيث تنص على : " علاوة على كون العقاب البدني أسلوب غير تربوي في تهذيب سلوك التلاميذ فإنه يعتبر خطأ مهنيًا يعرض الموظف الفاعل إلى الإجراءات التأديبية المنصوص عليها في القوانين الأساسية السارية المفعول".

وكذا المادة 73 من نفس القرار التي نصت: على أنه " يعد التأديب البدني أسلوب غير تربوي في تهذيب سلوكات التلاميذ، تعتبر الأضرار الناجمة عنه خطأ شخصيا يعرض الموظف الفاعل إلى تبعات المسؤولية الإدارية والجزائية التي لا يمكن للمؤسسة أن تحل محل الموظف في تحملها"¹⁷

إذاً اعتبر القانون أن الأضرار الناتجة عن ضرب التلاميذ مهما كانت الأسباب خطأ شخصياً يتحمل مسؤولية الموظف الفاعل ولا تتحمل الإدارة مسؤولية فعلته ولا تدافع عنه أمام المحاكم بصفته موظفاً عمومياً كما أن الإدارة تقوم بمتابعة الموظف المخطئ إدارياً عن طريق مجلس التأديب وقد ينتهي به الأمر للفصل والطرده.

أما فيما يخص قانون العقوبات الجزائري فقد اعتبر أن ضرب التلاميذ من الناحية القانونية يعتبر اعتداء على قاصر، خاصة إذا كان التلميذ المعتدي عليه لم يبلغ (16) سنة من العمر، فالمرجع الجزائري اعتبر الضرب والجرح إذا تعلق الأمر بصفة المجني عليه كونه أقل من (16) سنة (التلميذ من التعليم المتوسط مثلاً) جريمة أو جنحة حسب الحالات، كما ورد في نص المادة (269) من قانون العقوبات الجزائري، فحسب ما ينتج عن عملية الاعتداء بالضرب والجرح من مرض أو عدم القدرة على الحركة أو عجز كلي عن العمل لأكثر من (15) يوماً، أو وجد سبق الإصرار أو ترصد أو فقد أو بتر أحد الأعضاء أو الحرمان من استعماله أو فقد البصر أو فقد إبصار إحدى العينين أو أي عاهة مستديمة أخرى ونتج عن ذلك وفاة بدون قصد إحداثها أو بالقصد أو تكون من قبل أحد الأصول الشرعيين أو أي شخص آخر له سلطة على الطفل أو يتولى رعايته تكون العقوبة جنائية أو جنحة كما يلي:

إذا لم ينتج عن الضرب والجرح عجز كلي لمدة تفوق (15) يوم.

إذ تعتبر مخالفة من حيث المبدأ (المادة 442 / ق العقوبات) وعقوبتها الحبس من عشرة أيام إلى شهرين وغرامة من 100 إلى 1000 دج أو إحدى هاتين العقوبتين، أما إذا تعلق الأمر بقاصر لا يتجاوز (16 سنة) (مادة 269) فتشدد العقوبة من سنة إلى 5 سنوات والغرامة من 500 إلى 5000 دج.¹⁸

إذا نتج عن الضرب والجرح مرض أو عجز كلي لمدة تفوق (15) يوماً فهي جنحة من حيث المبدأ بنص المادة (1/264) وعقوبتها الحبس من شهرين إلى خمس سنوات وغرامة من 500 إلى 10000 دج،

وتكون جنحة مشددة إذا تعلق الأمر بقاصر لم يتجاوز 16 سنة المادة 270 الفقرة الأولى وعقوبتها الحبس من 03 إلى 10 سنوات وغرامة من 500 إلى 6000 دج.

وتكون جناية إذا كان الضحية قاصر أقل من 16 سنة والجاني أحد الأصول أو ممن له سلطة عليا أو يتولون رعايته المادة 272 الفقرة (2) وعقوبتها السجن من 5 إلى 10 سنوات.

- إذا نتج عن الضرب والجرح عاهة مستديمة.

من حيث المبدأ هي جناية (264 ف/3) وعقوبتها السجن من 05 إلى 10 سنوات وهي جناية مشددة إذا تعلق الأمر بقاصر لم يتجاوز 16 سنة م (271 ف/1) وعقوبتها السجن من 10 إلى 20 سنة.

وإذا كان الضحية قاصراً لم يتجاوز 16 سنة والجاني من الأصول أو ممن لهم سلطة على الضحية أو يتولى رعايتها م 272 / ف/3 وعقوبتها السجن مؤبد.

- إذا نتج عن الضرب والجرح وفاة دون قصد إحداثها :

فمن حيث المبدأ هي جناية م 264 ف/4 وعقوبتها السجن من 10 إلى 20 سنة وتعتبر جناية مشددة إذا كانت الضحية قاصر لم يتجاوز (16) سنة من ظرف الإعتياد م 271 ف/3 وعقوبتها السجن المؤبد إذا كانت الضحية قاصر لم يتجاوز 16 سنة والجاني من الأصول أو ممن له سلطة عليها أو يتولى رعايتها م 272 (فقرة 04 وعقوبتها الإعدام).¹⁹

كما منع في هذا النص كل أشكال العنف اللفظي المستخدم ضد التلميذ أو الطالب ويكون في صورة بين المعلمون والتلاميذ في أسلوب التوبيخ والإهانة وزجر الطلبة وردعهم أو تأنيبهم.²⁰

وبالرجوع للقرار رقم 173 المؤرخ في 02 مارس 1991 والمتضمن إنشاء مجلس التأديب وتنظيمه وعلمه في المدارس الأساسية ومؤسسات التعليم الثانوي، وبمقتضى القرار رقم 778 المؤرخ في 26 أكتوبر 1991 والمتعلق بتنظيم الجامعة التربوية في المؤسسات التعليمية والتكوينية يقرر ما يلي: (المادة الأولى): "يهدف هذا القرار إلى منع استعمال العقاب البدني والعنف تجاه التلاميذ منعاً باتاً في جميع المؤسسات التعليمية" (المادة الثانية) : "ينطبق المنع المشار إليه في المادة الأولى أعلاه على جميع أشكال الضرب والشتم والتمثيل وكل ما من شأنه أن يلحق ضرراً مادياً أو معنوياً بالتلاميذ".²¹

وقد عاقب المشرع الجزائري على هذا النوع من العنف بموجب نص المادة 297 من قانون العقوبات 23/06 المؤرخ في 20 ديسمبر 2006 بنصه على أنه "يعد سباً كل تعبير مشين أو عبارة تتضمن تحقير أو قدحاً لا ينطوي على إسناد أية واقعة"

يقصد بالسب كل خدش للشرف والاعتبار، فهو مدلول أوسع من القذف الذي لا يتحقق إلا بإسناد واقعة معينة، وقد تناول المشرع الجزائري السب في القسم الخامس تحت عنوان الاعتداء على شرف واعتبار الأشخاص ونص عليه في المواد 297، 298 مكرر 299 من قانون العقوبات.

والعنصر الذي يفرق السب عن القذف هو أن القذف لا يكون إلا بإسناد أمر معين، أما السب فيتوافر بكل ما يتضمن خدشاً للشرف أو الاعتبار، أي بكل ما يمس قيمة التلميذ عند نفسه أو يحط من كرامته أو شخصيته عند غيره وعلى ذلك فكل قذف يتضمن في نفس الوقت سباً، ولكن قد يخدش الشرف أو الاعتبار بغير إسناد واقعة معينة وقد يكون ذلك بإسناد عيب معين دون تعيين واقعة، كمن يقول لآخر إنه لص أو مزور أو نصاب أو فاسق أو ماجن.....وهي كلها ألفاظ وأفعال جرمها المشرع ونهى عنها لما قد تخلفه من آثار سلبية على التلميذ

ثانياً: العنف المعنوي

إذا كان العنف الجسدي بين وظاهر ولا اختلاف فيه فإن مظاهر العنف المعنوي والرمزي قد تخفي حتى عن المدرس نفسه، حيث تحدد المظاهر الكبرى لهذا النوع من العنف فيما يلي:

ففي العلاقة بين التلميذ يتجلى في النبذ والعزل والسيطرة على الأقران عن طريق التآلب والتخويف و التنازب بالألقاب والتعبير.

أما في العلاقة بين المدرس والتلميذ فتتجلى الصورة غالباً في العقوبات المنزلية العديمة المعنى الإهمال و اللامبالاة وأيضا الشتيمة والإهانة اللفظية بصورها المتعددة مثل الإهانة، الإذلال، السخرية من التلميذ أمام الرفاق، نعتة بصفات مؤذية، احتجازه في الصف، القساوة في التخاطب معه، انتقاده باستمرار، التمييز بين طفل وآخر، البرودة العاطفية في التعامل معه، عدم احترامه، عدم تقدير جهوده...²².

وهذا ما أشار إليه المشرع في المادة الثانية من القرار رقم (2) المؤرخ في 02 مارس 1991 السالف الذكر حيث تنص على: " ينطبق المنع المشار إليه في المادة الأولى أعلاه على جميع أشكال الضرب والشتم والتمثيل وكل ما من شأنه أن يلحق ضرراً مادياً أو معنوياً بالتلاميذ.²³

المبحث الثاني: أسباب العنف المدرسي وطرق الحد منه

نتطرق في هذا المبحث لأهم الأسباب التي قد تؤدي إلى وقوع هذه الظاهرة - ظاهرة العنف المدرسي، و الوسائل الكفيلة بالحد منها.

المطلب الأول: أسباب العنف المدرسي

تتعدد أسباب العنف المدرسي بحيث يصعب حصرها في هذا الباب، وذلك لتشعبها وكثرتها فهي عنصر لصيق بالمدرسة والتلميذ ونابعة من أصلهما، فقد ذهب الفقهاء إلى وضع عدة تصنيفات لها بحسب الزاوية التي ينظر منها إلى العنف، فقد يزداد العنف من وسط لآخر ومن مدرسة إلى آخر ومن تلميذ إلى آخر وهو ما جعل الاتفاق يقع على أن العوامل التي تحيط بالتلميذ والمدرسة هي التي تكون أسباب في العنف وتحدد مقداره وطبيعته وسأحاول في النقاط الموالية ذكر بعض الأسباب المؤدية إلى العنف المدرسي كالتالي:

أولاً: العوامل الفردية

وهي تختلف من شخص لآخر فالحالة النفسية والانفعالية للتلميذ هي التي تدفعه أو تمنعه من العنف، فيذهب علماء النفس في هذا الصدد إلى القول بأن التلاميذ الذين يكون مستوى ذكائهم منخفضاً تكون دافعيتهم للعدوان أكثر بالإضافة إلى انخفاض تقدير الذات والاعتراب، فهاتين الحالتين تجعلان لدى التلاميذ حالة نفسية محبطة وبائسة ويصبحون غرباء عن ذاتهم، وبالتالي فهم يتخذون من العنف وسيلة لتقدير الذات ومن خلال سلوكهم العنيف هذا يحافظون على مكانتهم بين أقرانهم.²⁴

ثانياً: العوامل الأسرية

تعتبر الأسرة هي اللبنة الأولى والأساسية لبناء شخصية التلميذ وزرع كل قيم الحضارة والأخلاق والفضيلة لديه فيكون بذلك إيجابياً لا محالة وقد تساهم عكس ذلك بحيث تكون سبباً في هدم كل هذه القيم والفضائل وتكون سبباً رئيسياً لانحراف هذا التلميذ وذلك بفقدانه أدنى معايير التربية خصوصاً في مرحلة التنشئة الأولى لديه ما ينعكس سلباً على سلوكه وتعاملاته داخل المدرسة مع مدرسيه وكذا زملاءه وأقرانه، وقد يكون السبب في ذلك صعوبة العيش والظروف القاسية التي قد تعانيها الأسرة كالفقر أو ضعف المستوى الاقتصادي والذي يجعل رب الأسرة عاجزاً عن تلبية حاجات أفرادها وهو ما يجعل التلميذ في حالة من التوتر والقلق فيلجأ إلى إتباع أسلوب القسوة في سلوكياته مع الآخرين سواء تلاميذ أو مدرسين أو هياكل مادية في حد ذاته فيظهر ذلك في انتقامه عن طريق السب والشتم، التهكم، السخرية، الاعتداء، التحطيم... وغيرها، وقد يدفعه ذلك إلى خلق حالة من الحرمان العاطفي لدى التلميذ فيتخذ صورة العنف السلبية داخل المدرسة كالتدخين أو تعاطي المخدرات أو التحرش الجنسي.²⁵

ولعل الحديث عن الأسرة يطول في هذا المقام لأن كل الظروف والأوضاع والحالات التي تمر بها الأسرة لها تأثير مباشر على الطفل كتلميذ فحالات الطلاق، أو إدمان أحد الوالدين أو كليهما واختلاف وخلاف الوالدين، وإهمال الوالدين، وتفضيل الأولاد أو تذليلهم... كل هذا وذالك قد يجعل التلميذ غير

مسئولا ويؤدي به إلى وقوع خلل في شخصيته يدفع به إلى العنف داخل المدرسة باعتبارها المنعكس المباشر لدى التلميذ.

ثالثاً: عامل الرفقة أو الأقران

إن الصحبة أو الرفقة هي من أشد العوامل التي تؤثر في شخصية التلميذ وهي سبب رئيسي في استوائه أو انحرافه وقد عرفت هذه الجماعة بتعريفات مختلفة أذكر منها التعريف بين التاليين: جماعة تتألف من زمرة عن الأولاد يعوضون بتجمعهم ورفقتهم قصور الوسط العائلي وقسوة البؤس، بحيث تمثل لهم الجماعة قوة وقدرة، تشبع في نفس الوقت حاجتهم إلى الطمأنينة، وتوطيد الذات، فيشعرون بأنهم مترابطون وأنهم عنصر واحد.

وعرفت كذلك: مجتمع تلقائي لم يقم أحد بتنظيمه ولم توضع له قواعد أو تقاليد، أو قوانين فهو مجتمع نابع من حاجة نفسية أو اجتماعية حقيقة، ويتميز بأنه مجتمع يستلب قلوب أفراد، ويستوعب بسرعة كل فرد جديد ينظم إليه، كما لا يتميز بالتفكير المنطقي ولا يحس بالمسؤولية لدى وضع خطته.²⁶

إن هذه الأخيرة هي من أشد العوامل تأثيراً على شخصية التلميذ بعد الأسرة وهذا ما يظهر من خلال التعريف فاختيار التلميذ لرفقائه يكون اعتباطياً وفق حاجاته و ميكانيزماته، وشخصيته، ومحيطه، كما أن القيود قد لا تتحدد لدى التلميذ رفقة الجماعة في بعض الأحيان وهو ما ذهب البعض إلى إطلاق عليها مصطلح - الجماعة المرجعية- فهي تستقطب الفرد في مقابل قوى الطرد من المؤسسات الأولية -الأسرة والمدرسة- فيبدأ في التحرك بحرية وتنفيس ما بداخله وذلك عبر تأييد وتدعيم أفراد هذه الجماعة.

وسائل الإعلام: لعل الانتشار البين لوسائل الإعلام واختلافها تنوعها جعلها سبباً رئيسياً في التأثير المباشر على شخصية التلميذ خصوصاً المرئية منها وذلك من خلال الأفلام والمسلسلات وكذا القنوات القضائية المختلفة التي تساهم في تشكيل خلفية عدوانية لدى التلميذ،²⁷ وذلك من خلال مشاهدتهم وتببعهم لهذه الأفلام والبرامج المختلفة.

رابعاً: العوامل المدرسية

تتعدد هذه العوامل والتي قد تدفع بالتلميذ إلى العنف فقد تكون كردة فعل من جراء السلوك العنيف من قبل الإدارة أو الأستاذ وكذا غياب المشاركة الجماعية للتلاميذ في اتخاذ القرار والنزعة التسلطية في الأساليب الإدارية. كما قد تكون المناهج سبباً أساسياً لهذا العنف المعنوي كيف لا وما يحدث في أغلب الأحيان هو الاكتفاء بترجمتها بعد استزادها ثم فرضها بطريقة تعسفية على الطلاب، ونتيجة لذلك فإن معظم محتويات تلك المناهج لا تلبي احتياجات المتعلمين، ولا تلائم استعداداتهم وقابليتهم.

فكيف بهذه المناهج أن تخلق احتقان لدى الطلاب وتدمرهم؟

كما أن ما لا يجب إغفاله هو أن هذه المناهج تفرض كذلك على المدرسين، بغض النظر عما يحملونه من قناعات و إعتقادات وتحفظات، مما يقلل من حماسهم ويضعف رضاهم عن مهنتهم، ولما لا قد يصبح العنف هو الحل البديل.²⁸

مما سبق يمكن القول أن الأسباب المؤدية للعنف المدرسي لا يمكن حصرها في سلوكات القائمين عليها وحسب بل هي مجموعة من الانعكاسات المتعددة والمتعدية، فقد تعود إلى الأسرة أو المجتمع أو وسائل الإعلام، أو جماعة الرفاق، وهي كلها سابقة عن المدرسة وطاقهما ومتزامنة معها.

وبالتالي ينتقل العنف من المجتمع إلى المدرسة وتصبح المدرسة تتحمل أعباء الخلافات الأسرية، ومشاكل الشارع وما فيه من آفات وأخطاء ووسائل الإعلام التي تساهم يومياً من خلال قنواتها الفضائية في ترسيخ ثقافة العنف لدى التلميذ.²⁹

المطلب الثاني: طرق ووسائل الحد من العنف المدرسي

نظراً لانتشار هذه الظاهرة واستفحالها فقد سعت الكثير من الدراسات لوضع طرق وإجراء دراسات معمقة ومركزة خصوصاً على فئة التلاميذ في الطورين المتوسط والثانوي، كما سعت أغلب الدول للتفكير في وضع برنامج مكثف لمكافحة العنف داخل المدارس وعلى رأسها الجزائر خصوصاً في الآونة

الأخيرة بعد ظهور موجه من جرائم القتل. ناهيك عن الجروح والعاهاات المستديمة والتي لم تبقى محصورة في التلاميذ بينهم بل تعددت إلى الأساتذة والذين أصبحوا ضحايا في أغلب الأحيان.

فقد سعت وزارة التربية الوطنية إلى تشكيل لجنة وطنية لتحضير إستراتيجية وطنية للمكافحة والوقاية العنف داخل المدارس الجزائرية وفي هذا الإطار اقترح أعضاء اللجنة الوطنية ثلاثة محاور رئيسية للتفكير تدور حول ميثاق المدرسة والقوانين واللوائح الداخلية للمدرسة، ومجال الاتصال، ودور المجالس المختلفة.³⁰

وفي هذا السياق كذلك أصدر المشرع مجموعة من القرارات السالفة الذكر كالقرار رقم 171/02 المؤرخ في 13/06/1992 والذي يتضمن منع العقاب البدني والعنف اتجاه التلاميذ والذي نص في مادته الأولى صراحة على أنه: "... منع استعمال العقاب البدني والعنف تجاه التلاميذ منعاً باتاً في جميع المؤسسات التعليمية بمختلف مراحلها".

وكذا القرار رقم 778 المؤرخ في 26/10/91 لاسيما في مادته 73. وكذا القانون التوجيهي رقم 04/08 المؤرخ في 23/06/2008 خصوصاً في مادته 21.

لكن على الرغم من هذه النصوص وغيرها إلى أن هذه الظاهرة لا تزال موجودة ومستمرة في مؤسساتنا التربوية ما يعني أن الحلول التشريعية لا تكفي وحدها بل لابد من حلول أخرى تساعد على تفعيل القضاء على هذه الظاهرة ولعل الدراسات أعطت مجموعة من النظريات وكذا الحلول نعرض عليها فيما يلي:

أولاً: تهمين العمل البيداغوجي

وذلك باستثمار الأنشطة التعليمية المقررة في مختلف المستويات وفي كل المراحل التعليمية للتأكيد على قيم التسامح والحوار واحترام الآخر ونبد العنف مهما كان نوعه كشكل من أشكال التعبير ولعل ذلك لا يكون إلا عن طريق إصلاح المعلم قبل المتعلم، والعمل على تطوير الأنظمة التعليمية بأهدافها

وبنياتها وأساليبها، وذلك بتنوع طرق التدريس والسماح للتلاميذ بالمشاركة وإبداء آرائهم ونزع الحواجز والفوارق بينهم.³¹

ثانياً: تنظيم العلاقات بين أفراد الجماعة التربوية

من خلال التأكيد على المبادئ التي تقوم عليها الخدمة العمومية للتربية والمتمثلة أساساً في تمجيد العمل والمواظبة وبذل الجهد، والمثابرة واحترام الآخرين في دواتهم وقناعاتهم وممتلكاتهم والتعامل مع الآخرين دون تمييز على أي أساس كان، وتفعيل دور الهيئات التي يقررها التنظيم الجاري به العمل في مؤسسات التربية والتعليم وهي مجالس التعليم ومجالس القسم ومجلس التربية والتسيير ومجلس التوجيه ومجلس التأديب، وذلك كي تلعب دوراً كاملاً في جو من التآلف والحوار والتفاهم وتفعيلها بكل حزم للحد من مظاهر العنف بكل أشكاله وجعل مصلحة التلميذ فوق كل اعتبار.³²

ثالثاً: اللجوء إلى استخدام التقنيات الحديثة

وذلك مواكبة التطور الحاصل من أجل القضاء على الظاهرة ونذكر على سبيل المثال الوساطة وهي ظاهرة حديثة العهد في فرنسا وقد طبقت في الولايات المتحدة الأمريكية في سنة 1972.

كما أنها طبقت كتقنية بيداغوجية من طرف الأستاذ Fenerstien في فلسطين سنة 1950، والتي تضع المدرس الوسيط المتدخل أو الحكم، شريك بين المعرفة والمتعلم وتطبيقها يكون بمجموعة من الشباب في نفس العمر أو من عمر أكبر بقليل ولهم نفس مرتبة التلاميذ "الأتراب" تلاميذ وهؤلاء التلاميذ سوف يتدخلون ما بين التلاميذ الذين هم في شجار دائم " صراع" أو الدين هم ضحايا أعمال عنف داخل المؤسسة التربوية وذلك من أجل تقديم المساعدة لهم لإيجاد حل متفق عليه من طرفهم.³³

لعل هذه من الوسائل التي قد تساعد على الحد من الظاهرة ولو بالقدر اليسير، لأن التطبيقات العملية أثبتت نجاعة هذه الوسائل خصوصاً المعالجة التشريعية في الحد من ظاهرة العنف الواقع ضد التلاميذ من قبل الإدارة والمدرسين، ضف إلى ذلك المناشير التي تعزز العمل في جو هادئ يسوده الود

والرحمة والتآخي وهو ما يساعد على نشر روح المودة واستتباب العلاقات داخل المحيط المدرسي و إنتشار الاحترام فيه.

وهذا كله ليس هدفه القضاء على العنف داخل المدرسة بل السماح للمدرسة بتأدية الدور المنوط بها وهو التعليم وإخراج النشأ والنهوض بالمدرسة.

خاتمة -

وفي الأخير يمكن القول أن البحث في مجال التربية بحث مستمر إلى أبعد الحدود، ليس من حيث الحجم ولكن لما للموضوع من أهمية، فقد جاءت دراسات وبحوث كثيرة نظمتها من مختلف جوانبه ورغم كل ذلك ما زال الموضوع يستحوذ على تلك الأهمية المتزايدة عبر الزمان. ومشكلة العنف المدرسي سواء أكانت من الإدارة نحو التلميذ أو بين التلاميذ فيما بعضهم هي مشكلة اجتماعية خطيرة و في تفاقم مستمر مع الأيام والظروف والمتغيرات الحياتية و الاجتماعية، حيث توجب التوقف عندها وتحليلها، و استجلاء دور القانون في محاولاته للتقليل والحد منها.

و من خلال هذا البحث توصلنا إلى مجموعة من النتائج والتوصيات والتي من شأنها أن تثري هذا البحث:

- **أولاً:** ضرورة إعادة تأهيل المعلمين والإداريين عن طريق دورات تكوينية وغرس لديهم ثقافة اللاعنف والتسامح وحسن التعامل مع التلاميذ، كلاً حسب الطور الذي يشرف عليه، فالعامل مع الطور الابتدائي يختلف عنه المتوسط والثانوي، ففي هادين الأخيرين سيشعر التلميذ بذاته وقوته وتزداد لديه ملكة التفكير وتنمو أعضائه وهو ما سيجعل ملكة العنف تزداد شدتها وقد تتعدى من التلاميذ فيهما بينهم إلى الأستاذ والإدارة، ضف إلى ذلك حسن التعامل مع هذه الفئات سيجعل التوتر في أدنى درجاته مما يزيد قدرة الاستيعاب لدى التلميذ، وما يجعل المدرسة تقوم بدورها الرئيسي والمنشود.

ثانياً: ضرورة تحيين النصوص القانونية خصوصاً ما تعلق بالقضاء على العنف، و وضع نصوص صارمة رادعة من أجل الحد من هذه الظاهرة، و حتى لا تبقى هذه النصوص جامدة لأبد من تشديد آليات الرقابة لتنفيذ هذه القوانين.

ثالثاً: المراقبة الميدانية للمدارس والتلاميذ وذلك عن طريق الاختصاصيين الاجتماعيين لتقصي العنف ومختلف المشاكل التي يتعرض لها التلاميذ ومحاولة إيجاد حلول لها.

رابعاً: النشر الواسع لثقافة اللاعنف داخل المدارس عن طريق الملصقات الأيام الدراسية و التحسيسية الندوات الملتقيات... ولعل أهم وسيلة في ذلك وسائل الإعلام لما لها من دور في زيادة العنف أو تخفيفه عن طريق ما تنشره من برامج توعوية وتربوية، تزرع لدى التلميذ والأستاذ فكرة اللاعنف، وهذا لا يكون إلا عن طريق تشجيع الدول لذلك.

خامساً: دور الأسرة وأولياء الأمور في تهذيب سلوك الطفل وغرس كل القيم والفضائل لديه مما ينعكس إيجاباً على سلوكه ويجعل منه تلميذاً متحضراً مواكباً لكل التطورات الإيجابية في مجتمعه.

سادساً: توفير الحماية للأستاذ والمعلم، حتى يستطيع أن يؤدي رسالته، وإبعاد كل الأخطار التي قد تحوم حوله، ومحاولة عدم معاملته كغيره من الناس، خصوصاً في المتابعات عن بعض الجرائم غير العمدية، وحصر حالات المتابعة في الإدارة فقط دون الأولياء أمام المحاكم حتى لا يصبح الأستاذ مهدداً في وظيفته ونفسه وماله وقد يتعداه إلى عائلته.

الهوامش -

¹ عبد الرحمان العيسوي، سيكولوجية العنف المدرسي، والمشاكل السلوكية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1428هـ، 2007م، ص 15.

² عبد الله محمد النبري، العوامل النفسية والاجتماعية المسؤولة عن العنف المدرسي في المرحلة الإعدادية، رسالة استكمال المتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الإرشاد النفسي، كلية التربية بالجامعة الإسلامية، غزة، 2008، ص 10.

³ سميحة نصر وآخرون، العنف بين طلاب المدارس، والتقارير الاجتماعي، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجزائية، قسم بحوث كريمة، المجلد الأول، القاهرة، 2004، ص 22.

- ⁴ حسين طه، سيكولوجية العنف (المفهوم، النظرية، العلاج) دار الصولتية للتربية، الرياض، ط1، 2006م، ص 262.
- ⁵ القانون رقم 08- 04 المؤرخ في 23 يناير 2008، الجريدة الرسمية العدد 04 المتضمن القانون التوجيهي للتربية الوطنية.
- ⁶ البرنكو نورة، عوامل ممارسة العنف المدرسي، مذكرة تخرج مكملة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، الموسم الجامعي 2013- 2014، ص 24.
- ⁷ البرنكو نورة، مرجع سابق، ص 24.
- ⁸ القرار رقم 778، المؤرخ في 26- 10- 1991، المتعلق بنظام الجماعة التربوية.
- ⁹ سعد لعمش، الجامع في التشريع المدرسي الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص 195.
- ¹⁰ طارق عبد الرؤوف، إيهاب عيسى المصري، العنف المدرسي، (مفهومه، أسبابه، علاجه)، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، 2013، الطبعة الأولى، القاهرة، ص 67.
- ¹¹ عبد المالك أشهب، مهام الإدارة العنف المدرسي، (المظاهر، العوامل، بعض وسائل العلاج)، ص 02.
- ¹² كامل عمران، تأثير العنف المدرسي على شخصية التلاميذ، جامعة دمشق، مداخلة بالملتقى الدولي الأول، العنف والمجتمع، جامعة محمد حيضر، بسكرة، 09- 10 مارس 2003، ص 123.
- ¹³ طارق عبد الرؤوف، إيهاب عيسى المصري، ص 68.
- ¹⁴ القرار 178، 778، المرجع سابق.
- ¹⁵ أمر رقم 75- 58 المؤرخ في 26 سبتمبر 1975، المتضمن القانون المدني، المعدل والمتمم.
- ¹⁶ القانون رقم 08- 04، المؤرخ في 23 جانفي، المتضمن قانون التوجيه والتربية.
- ¹⁷ القرار 778، مرجع سابق.
- ¹⁸ المادة 269، قانون العقوبات الجزائري.
- ¹⁹ المادة 242، 264، 270، 271، 272، قانون العقوبات الجزائري.
- ²⁰ طارق عبد الرؤوف، إيهاب عيسى المصري، مرجع سابق، ص 67.
- ²¹ القرار رقم 778، المؤرخ في 26- 10- 1991، المتعلق بنظام الجماعة التربوية.
- ²² البرنكو نورة، مرجع سابق، ص 91.
- ²³ القرار رقم 178، مرجع سابق.

- ²⁴ زهرة مزرقط، دور مستشار التوجيه في التقليل من ظاهرة العنف المدرسي دراسة ميدانية حول مواقف التلاميذ (المرحلة الثانوية)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علم إجتماعي التربية، قسم علم الاجتماع، جامعة الوادي، الجزائر، 2013 - 2014، ص 78.
- ²⁵ الفصل الثالث، العنف المدرسي... مظاهره وعوامله، ص 21 موقع: Lthesis.vniv - biskta.dz /18/04/2018 22 :00
- ²⁶ الفصل الثالث، المرجع السابق، ص: 31.
- ²⁷ صباح عجرود، التوجيه المدرسي وعلاقته بالعنف في الوسط المدرسي حسب اتجاهات تلاميذ المرحلة الثانوية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس، قسم علوم التربية والارطوفونية، موسم 2006 - 2007، جامعة قسنطينة، الجزائر، ص 23.
- ²⁸ ناجية مصطفى الزرقاني، أبواب مختار، أسباب العنف المدرسي أسباب تمايزاً وتجانس، مجلة العلوم الإنسانية، ديسمبر 2003، جامعة محمد خيضر، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد (5)، ص 59.
- ²⁹ صباح عجرود، المرجع السابق، ص 32.
- ³⁰ أحمد حويتي، العنف المدرسي، في العنف والمجتمع مداخل معرفية متعددة، أعمال المتلقي الدولي الأول لـ 09 - 10 مارس 2003، جامعة بسكرة، الجزائر، 2003 - 2004، ص 242.
- ³¹ صباح عجرود، مرجع ساب، ص 27.
- ³² منشور وزاري رقم 96/وت.و.ت.و.أ.ج.و وموضوعة محاربة العنف في الوسط المدرسي، مؤرخ في 2009/03/10.
- ³³ صباح عجرود، مرجع سابق، ص 28.



الحدث المنحرف ومسألة التأهيل الاجتماعي

أحمد عبد الحكيم بن بعطوش

قسم علم الاجتماع والديموغرافية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة باتنة 1

04 تعاونية الأرز حي بركا فوراج ص 05000

baahak@gmail.com

ملخص-

تهدف هذه الدراسة الى تسليط الضوء على قضية انحراف الأحداث وجنوحهم من زوايا ومداخل اجتماعية قانونية، وكذا إبراز أهمية التأهيل الاجتماعي كعملية اجتماعية ضرورية وفاعلة للحدث المنحرف لمساعدته على الاندماج في المجتمع والتكيف مع متغيراته المجتمعية، ليصبح قادر على تحمل مسؤولياته اتجاه المجتمع.

الكلمات المفتاحية -

الحدث- جنوح الأحداث- التنشئة الاجتماعية- الاندماج- التأهيل الاجتماعي.

Juvenile Delinquency And The Subject Of Social Rehabilitation

Abstract -

The Aim Of This Recherche Paper Is To Clarify The Subject Of Juvenile Delinquency Of Legal Social Aspects, And To Demonstrate The Importance Of Social Rehabilitation As A Necessary And Effective Social Process For Juvenile Delinquent To Help Him Integrate Into Society And Adapt To His Societal Variables, So That He Can Take His Responsibilities Towards Society.

Keywords -

Juvenile - Juvenile Delinquency- Socialization -Integration - Social Rehabilitation.

مقدمة -

تعتبر قضية انحراف الأحداث بمثابة ظاهرة مجتمعية على العموم لها أبعاد تأثيرية متعددة وعوامل تشكّل مختلفة، ويؤدي تطور الظاهرة الى دخول مرحلة العنف والعدوان وبالتالي عدم استقرار المجتمع وشيوع الفوضى، ولحساسية موقف الظاهرة باعتبار أن الحدث المنحرف يحتاج الى مرافقة خاصة والى عمليات اجتماعية معينة تعمل على تعديل سلوكه و تساعد على الاندماج والتكيف في الوسط المجتمعي، وبالتالي نصل الى حدث مؤهل اجتماعيا قادر على تحمل مسؤولياته اتجاه المجتمع، لذلك يستوجب منا كباحثين في هذا المجال التحلي بنوع من الضبط المنهجي والالتزام المعرفي السوسيوقانوني.

ومنه سنعالج هذا الموضوع بتحديد ماهية الحدث المنحرف؟ وجنوح الأحداث؟ والعوامل المؤثرة في انحراف الحدث ومراحلها؟ بتأطير نظري يفسر الظاهرة معرفيا، اضافة الى تناول عملية التأهيل الاجتماعي وتوضيح فعالية آلياتها وميكانيزماتها في تأهيل الحدث المنحرف.

أولا- ماهية الحدث المنحرف وجنوح الأحداث:

يعد جنوح الأحداث مجالا هاما ضمن علم الإجرام، ومن القضايا الهامة في دراسة جنوح الأحداث أو انحراف الأحداث التعريف بالحدث المنحرف وتحديد بدقه، باعتباره وحدة التحليل التي يتم اتخاذها كنقطة انطلاق للتحليل والتفسير العلميين ومن ثم العلاج.

لذلك تستطلب منا متغيرات الموضوع تحديد معنى لمصطلح الجنوح ليسهل علينا فهم واستيعاب الحدث المنحرف من خلال جنوح الأحداث، وعليه فإن الجنوح هو صورة من صور الانحراف كسلوك سواء أكان هذا الانحراف يقع تحت طائلة القانون أم لا، فالمفهوم متداخلاً، إلا أن الانحراف تتسع دائرته لتشمل عناصر معينة لا تشملها دائرة المفهوم الثاني، كما أن الجنوح عادة يرتبط بفئة معينة من المجتمع وهم الأحداث أما الانحراف فتتسع دائرته لتشمل جميع أفراد المجتمع ويشير مفهوم الجناح الأفعال غير الشرعية أو الأفعال التي ترتكب ضد المجتمع والتي يرتكبها غالبا الذكور من صغار السن.¹

ومن الناحية القانونية يعرف الجنوح على اعتبار انه: "أي فعل أو تصرف أو موقف معين، يمكن أن يعرض الحدث للمثول أمام إحدى المحاكم التي تطبق تشريعا معينا، وإصدار حكم قضائي بصدده"².

أما التصور الاجتماعي يرى أن الجنوح هو: "كل سلوك يعارض مصلحة الجماعة في زمان ومكان معينين، بصرف النظر عن كشف هوية الفاعل، وبصرف النظر عن تقديم الفاعل للمحاكمة"³.

وقد تضمنت القوانين والسياسات الاجتماعية والمطبقة في مجال الأحداث بعض التصنيفات لفئات الأفعال التي يرتكبها الأحداث، حيث توجد حالات الجناح التي يرتكبها الأحداث وتكون دون مستوى الجريمة، وذلك مثل التسول، والمروق عن سلطة الوالدين وقيادة السيارات واحتساء الخمر، وغيرها من الأفعال التي لا ترقى لمستوى الأفعال الإجرامية التي يرتكبها الراشدون وهي تختلف من مجتمع إلى آخر حسب ظروف المجتمعات وبناءها الثقافي والاجتماعي⁴، باعتبار أن جنوح الأحداث يشير إلى فرد يحاكم أمام محاكم الأحداث لارتكابه أفعالا إجرامية أو لأسباب أخرى تقتضي ذلك مثل المروق عن سلطة الوالدين... الخ⁵ وعند التحدث عن جنوح الأحداث يشيع مصطلح الجنوح ليعطي طائفة من أنواع السلوك بدءا من أنماط السلوك التي تعد خروجاً عن القيم الاجتماعية⁶، (مثل الإزعاج الناجم عن تجمع المراهقين والهروب من المدرسة) وانتهاء بالجرائم البسيطة أو تلك التي قد تصبح أحيانا خطيرة (مثل تحطيم وسرقة المحلات وسرقة السيارات).

ويجمع الجانح بين عدة أنماط من السلوك غير الاجتماعي، فقد يكون عضوا في عصابة، وله سوابق في إزعاج السلطات ولذلك يغلب أن يكون في المستقبل مجرما عائدا⁷.

وعليه يمكن أن نصل الى طرح سوسيوقانوني يحدد المعنى المطلوب في هذه الدراسة للحدث المنحرف، انطلاقا من أن مصطلح الحدث يطلق على الصغير طوال مرحلة عمره التي تبدأ منذ ولادته، وحتى يتم له النضج النفسي والاجتماعي، وتتكامل له عناصر الرشد، والحدث المنحرف من هذا المنظور هو

ضحية ظروف⁸ سيئة اجتماعية كانت أم اقتصادية أم صحية، أم ثقافية أم حضارية.⁹

وعليه فالحدث المنحرف من المنظور القانوني هو الشخص الذي يتعدى حدود القانون ويرتكب فعلا لو ارتكبه البالغ لوقع تحت طائلة القانون سواء كان هذا الفعل، مخالفة أو جنحة أو جناية¹⁰، ويفهم بالنسبة للأحداث المنحرفين أن الواحد منهم يعتبر مجرم أو منحرف إذا قام بارتكاب جريمة يعاقب عليها الشخص البالغ، سواء كانت: مخالفة أو جنحة أو جناية.

والحدث المنحرف حسب المفهوم الاجتماعي هو الصغير منذ ولادته، حيث يتم نضوجه اجتماعيا فتتكامل لديه عناصر الإدراك والمعرفة لطبيعة عمله والقدرة على تكييف سلوكه وتصرفاته طبقا لما يحيط به من ظروف ومتطلبات الواقع الاجتماعي. ويعرف علماء الاجتماع الحدث بأنه الفتى القاصر الذي لم يستطع التكيف مع النسق الاجتماعي الذي يعيش فيه. وانتهك القواعد الاجتماعية والأخلاقية للمجتمع¹¹.

ويعرف دوركايم الحدث المنحرف "بأنه القاصر الذي تصدر عنه أفعال منحرفة عن المتوسط الذي يمثل النموذج السليم، وهي أفعال لو صدرت عن الراشدين لعوقبوا عليها كجرائم"¹².

كما يرى علماء الاجتماع أن انحراف الحدث ينشأ من البيئة التي يعيش فيها الحدث ذاته، ويصفون الجانح بأنه قاصر ضحية ظروف خاصة اتسمت بعدم الثقة والاطمئنان والاضطراب الاجتماعي لأسباب متعلقة بتدني مستوى المعيشة، فعلم الاجتماع ينظر إلى الجانح على أنه الحدث الذي يقوم بالسلوك المناهض للمجتمع، ويفسر أسباب الجنوح بعوامل اجتماعية معينة وأسباب تتعلق بمحيط الحدث، لذلك يمكن الاعتماد على أن جنوح الحدث هو انحراف السلوك عن المعايير الاجتماعية بشكل يلحق الضرر بالمجتمع.

ثانيا- العوامل المؤثرة في انحراف سلوك الحدث:

لفهم العمق السوسيوقانوني للسلوك المنحرف للحدث يستوجب منا تسليط الضوء والاعتماد على تلك الخبرة التي تشكل جزءا من عملية ديناميكية مستمرة، فالطفل يتمتع عادة بتكوين بيولوجي ونفسي خاص، ويتمتع بقدرات

وميولات واتجاهات مختلفة، ولكنه يعيش في وسط ومحيط اجتماعي تسوده العلاقات الفردية والاجتماعية والثقافة المتنوعة التي تؤثر في تكوين شخصيته، لذلك فإن سلوك الحدث المنحرف يرجع الى أكثر من سبب يساهم بشكل أو بآخر في تكوين ذلك السلوك المنحرف، ويمكن حصرها فيما يلي:

1- العوامل الاجتماعية:

التمثلة في مجموعة الظروف المحيطة بالحدث وهي في الأساس العلاقات التي تنشأ بين الحدث وبين فئات مختلفة من الناس تربطهم علاقة لفترة من الزمن، وفي هذا الصدد تعد الأسرة بمثابة المحضن الأساسي لتكوين شخصية الطفل وتأهيله اجتماعيا أو دافعا للسلوك العدواني والاجرامي بسبب خلل وظيفي لأدوار الأسرة وعلاقاتها، والتي تؤدي الى الانحلال أو التفكك الأسري.

ويتحدد ذلك في تصدع العلاقة بين الوالدين تؤثر على استمرارية الحياة الزوجية المضطربة التي تنعكس على الأطفال، إذ أن الخلاف بين الوالدين نتيجة التوتر العنيف بينهما يجعل الطفل يختار الانتماء إلى واحد منهما، مما يخلف خيبة أمل للطفل في مصدر السلطة وهو الأب ومظهر العطف والحنان وهي الأم، مما يدفعه للانتماء الى رفقاء السوء التي يجد فيها الإشباع العاطفي الذي يفتقه في أسرته، ويتعرض الطفل وخاصة في مرحلة المراهقة إلى حالات خطيرة من الانحلال الخلقي نتيجة الإخلال الوظيفي لأدوار الوالدين.

كما يمكن أن يكون من نتائج الخلل الوظيفي للعلاقات الأسرية سوء العلاقة بين الوالدين والطفل والتي تكون أيضا عاملا في انحراف سلوك الطفل خاصة في حالات القسوة في معاملة الطفل التي تؤدي إلى ردود أفعال عدوانية تأخذ أشكالا مختلفة من السلوك غير السوي، كذلك الإفراط في التدليل للطفل مما يجعله عاجزا عن مقاومة المغريات أو مواجهة المواقف المختلفة وغير قادر على تحمل المسؤولية، أو الاحساس في عدم الرغبة فيه أين يصبح عبئا في وسط الأسرة، ومثل هذه النوع من الأطفال الذي يفتقد الرعاية الداخلية في الأسرة يلجأ إلى البيئة الخارجية بحثا عن الرعاية التي يريدها والحنان والعطف في أماكن أخرى، وقد تؤدي بهم إلى أن يسلكوا سبل الغواية والفساد نتيجة إحساسهم بالاستبعاد والتهميش في الأسرة.

وتشكل مظهرات التفكك الأسري في صور مختلفة كتعدد الزواج وأثره على الأطفال- الطلاق وأثره في انحراف الأحداث - وفاة أو غياب أو مرض احد الوالدين، كلها جوانب لها انعكاساتها السلبية على الطفل حيث انه قد يقوم ببعض التصرفات المنحرفة وتضاعف الاضطرابات السلوكية، فتظهر النزاعات العدوانية في علاقاته الاجتماعية، و تؤدي به إلى الانحراف عن السلوك السوي العام الذي يقبله المجتمع.

2- العوامل الاقتصادية:

هي مجموعة الظروف الاقتصادية والعوامل المادية التي تحيط بالحدث في بيئة معينة وتؤثر في سلوكه وتصرفاته كانهخفاض دخل الأسرة من خلال الحرمان من الإشباعات الأساسية والضرورية التي تحقق نمواً سليماً. ولا شك أن الطفل الذي يجد نفسه بين أسرة فقيرة يعاني من حرمان اقتصادي كبير، ويتعرض لبعض الظروف التي تتميز بها الحياة في أسرة فقيرة، قد يؤثر على العلاقات الاجتماعية ويدفع إلى الشعور بالحرمان المادي الذي قد يغذي اتجاهات ومشاعر خاصة كالشعور بالحسد والحقد والكراهية، بالإضافة إلى مشاعر النقص والقلّة.

كما أن هذه الظروف الاقتصادية التي تحيط بالطفل تحول بينه وبين حاجاته التي يرغب فيها والحب الذي يفتقده حين يعمل أبواه مدفوعين بضرورات الحياة الاقتصادية الملحة، مما يخل باتزان البيت في أوقات مختلفة خاصة في أوقات الأكل، لذلك نجد أن الأسر الجزائرية ذات الدخل الضعيف تسعى إلى إيجاد مصدر رزق إضافي لسد حاجياتها.

نجد أيضاً الظروف الغير ملائمة للسكن من المؤثرات الأساسية لجنوح الحدث من خلال الضيق والازدحام وكثرة عدد الأفراد وعدم توفر كفاية في مرافقه، كعيشهم في غرفة واحدة ينتج عنه نمط معين من العلاقة الأحادية وتحديد أنماط التعامل بين أفرادها، أين يلجأ الطفل الى قضاء اليوم خارج المنزل، وعليه فإنه يكون عرضة للانحراف نتيجة الأصدقاء وجماعة الرفاق التي يقضي معهم جل أو كل وقته، حيث يكتسب ويتعلم منهم سلوكيات قد تكون منحرفة وخارجة عن القانون في الغالب¹³.

لذلك فإن المسكن الضيق مع كثرة أفراد الأسرة يحرم أفرادها بوجه عام، ويحرم أطفالها بوجه خاص من الحيز المكاني اللازم لنموهم عن طريق اللعب داخل المسكن، وهنا يؤثر المسكن كمقوم مورفولوجي في شخصية الناشئين الصغار.

وعليه فالسكن الضيق يؤدي إلى الاحتكاك المستمر والصراع والخلافات لتباين الرغبات في هذا المكان الضيق، ويحرم الوالدين من فرص مناقشة سلوك الصغير ومشاكله بعيداً عن مسمعه ويكون كفيل بهروب الأبناء والآباء والأخوة الكبار إلى خارجه مما يفقد الصغار فرص التوجيه والرعاية ويلجئون إلى الشارع مما يؤثر على النمو النفسي والاجتماعي للحدث.

3- عوامل أخرى:

توجد هناك عوامل أخرى لها تأثيرات واضحة في انحراف الحدث من خلال عمليات ومؤسسات اجتماعية تعرضت الى خلل وظيفي في أداءها ووظائفها، لتتحول الى مصدر أو مؤثر من مؤثرات انحراف الحدث في صورة المدرسة وحالة الفشل في التحصيل المدرسي أين يعكس السلوك الجانح مشاعر الإحباط المرتبطة بالاجتهاد والتعرض اليومي للعقاب نتيجة لعدم القدرة على التحصيل، التي قد تسوء العلاقة بين الحدث ومعلمه بسبب جهل المعلم بخصائص التلميذ (النفسية والعقلية والجسمية والوجدانية والاجتماعية) فاذا ساءت هذه العلاقة نجد ان الحدث يكره المعلم والمدرسة بحيث يلجأ اما للكذب او للهروب من المدرسة لكي يتقي غضب معلمه ويقضي هذا الوقت في الشوارع بين رفقاء السوء التي تدفعه الى الانحراف.

كذلك تأثير جماعات الرفاق المنحرفة فهي تلعب دورا هاما في حل المشاكل التي يواجهها الحدث في بيئته الأسرية والمدرسية، فهي تقدم له البديل الذي افتقده في البيئة الاجتماعية من خلال انضمامه الى من يشبهونه في الميول والعادات السلوكية فيكون له استعداد للانحراف وسهولة الانقياد.

كما أن لوسائل الاعلام المختلفة التقليدية منها والحديثة نصيب في انحراف الحدث خاصة اذا جانبت وظيفتها الاجتماعية، أين يكتسب الطفل تقنيات الجريمة من خلال مؤثرات العنف والتعذيب والاختطاف عن طرق مواقع

التواصل الاجتماعي والأنترنت والهواتف الذكية والألعاب الالكترونية وبعضها يكون مثيرا للعدوانية والجنس، وقد تعطي أفلام ومشاهد الجريمة الحدث شعورا خفيا بأن ثمة طريقة أخرى للحياة خلاف طريقة الكسب المشروع.

إضافة الى ما يتبع ذلك عامل وقت الفراغ وعدم التحكم في تسييره بمختلف وسائل الترفيه الممنهجة وعدم توفر المؤسسات الاجتماعية العاملة في مجال الترويج خاصة في الأحياء الشعبية والمناطق المزدحمة بالسكان مما يمهّد لانطلاق الأطفال إلى ممارسة ألعابهم وقضاء وقت فراغهم في الشوارع والطرق بلا رقيب وبدون موجه، وهنا تكمن الخطورة في تعرضهم إلى خبرات الشارع غير الموجهة فيتعلمون أساليب سلوكية غير مقبولة نتيجة لسوء اختيار الصحبة الصالحة لمن هم في أعمارهم أو ارتباطهم بالكبار الذين يدفعونهم لأعمال الانحراف مستخدمين في ذلك وسائل الجذب والإغراء المادية والمعنوية.

كما ان هناك عوامل مورفولوجية جسمية هامة لها من المؤثرات الكامنة لانحراف الحدث من خلال تأثيرها في تحديد سلوك الحدث في شعوره بالنقص نتيجة ما يحدث في جسمه من تغيرات تجعله مغايرا او منحرفا عن غيره من الاسوياء كأن تزيد العوامل البيولوجية عن معدلها او تنقص عن مستوى الحدث العادي الذي من شأنه ان يؤثر في نظرتة على نفسه وفي معاملة الناس له وبجانب شعور الحدث بالنقص نتيجة الصورة الذهنية التي يتخذها الحدث لنفسه عن جسمه التي تؤثر في سلوكه وتتمثل في معاملة المجتمع لهم اما في اخذهم بالقسوة او الشفقة الزائدة او العطف الشديد مما يؤدي الى عدم شعورهم بالاستقرار وعدم الاطمئنان للغير وفقدان الثقة في انفسهم وهذا يؤدي الى السلوك غير المتوافق ويقوده الى الانحراف.

ثالثا - مراحل انحراف الأحداث:

أصبحت ظاهرة انحراف الاحداث في الفترة الأخيرة التي تحول فيها المجتمع إلى قرية صغيرة بسبب انتشار وسائل الاتصال والتقدم التكنولوجي السريع، كما أن الانحراف في مرحلة الصغر يشكل خطورة على المجتمعات؛ ذلك أن الحدث المنحرف قد يكون هو مجرم الغد، حيث إن احتراف الجريمة لا يأتي فجأة أو من فراغ وإنما يلزمه دائما الإعداد والممارسة والتدرج وقلما يتحول إنسان سوي

بين عشية وضحاها ليصبح مجرماً متمرساً يتخذ الجريمة وسيلة للعيش والارتزاق، دون أن يكون له تاريخ إجرامي منذ الصغر تدرس من خلاله على السلوك الإجرامي، لذلك فإن انحراف الحدث يبدأ من مراحل بسيطة وينتهي بمراحل معقدة تصل الى الأزمة.

وكان لظهور النساء في مختلف وسائل الاعلام الحديثة بمظهر تنقصه الحشمة والحياء من جراء الغزو الاعلامي للثقافة الغربية من خلال نقل الصور عن حالة المجتمعات الغربية الثقافية والسياسية، أو السياحية، أو الصحية، أو مظاهر التقدم الصناعي الأثر السلبي في الانحراف من خلال إثارة الغرائز الجنسية، ثم أعقبه ظهور الملابس المنافية للحشمة والداعية للفتنة، مما نتج عنها ظهور الانحراف الخلقي بين الأحداث.

ثم زامنه أيضا المجاهرة بشرب الخمر في الطرقات والأماكن العامة ، وخصوصا في القرى التي لم يكن يعرف فيها المجاهرة به، بعد أن كان متعاطيه موضع لوم وانتقاد وتأديب من قبل ذويه وأهله، بعدها بدأ الحدث مرحلة تعاطي المؤثرات العقلية من المواد المنبهة التي تروج خفية أيام الامتحانات رغبة في السهر وقوة التركيز حسبما كان يروج لها وانخداع بعض الأحداث بها، ثم أعقبها تعاطي الحبوب المخدرة والمهلوسة وهي أسوأ مرحلة يمر بها الحدث، لكونها مرحلة النهاية التي يصعب الخروج منها بسبب خطورة المخدرات، وكون المصاب بها مريضا لا يرحب برأيه ويعتبر عضوا مشلولا اجتماعيا.

رابعا- الاتجاهات المفسرة لانحراف الأحداث:

1- الاتجاه الاجتماعي:

يقوم الاتجاه الاجتماعي على اعتبار الانحراف ظاهرة اجتماعية ولكنها ظاهرة مرضية أو ظاهرة اجتماعية ضارة تعمل ضد المجتمع، وتضر بمصلحة أفراد، و هو ما جعل دوركايم يصفها بالظاهرة الطبيعية والاعتى ادى لكونها تمس كل المجتمعات و في كل الأزمنة ،و هي تخضع في شكلها و أبعادها لقوانين حركة المجتمع، فهي لا تركز اهتمامها على الحدث المنحرف بقدر تركيزها على مجمل السلوك المنحرف الذي يصدر عنه - أو عن المجرم على حد السواء¹⁴.

وتذهب معظم النظريات الاجتماعية إلى أن الانحراف أمر يتعدى النشاط الفردي بدوافعه السوية منها والمرضى، ولا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة بيئة المجتمع ومؤسساته مع عدم إنكار أنه بالإمكان أن يكون للعوامل الذاتية لدى المنحرف دورها، ومع هذا يبقى تحديد الانحراف في الأصل أمرا اجتماعيا والجريمة كظاهرة اجتماعية لها أبعاد اجتماعية معينة ولذلك فإن هدف كل التفسيرات الاجتماعية السابقة هو تحديد الأبعاد وتشخيص تلك العوامل المختلفة التي تشكل الأرضية والخلفية لتكوين السلوك المنحرف.

ولكن لا ينبغي أن نركز من خلاله على تفسير ظاهرة الانحراف من منظور المجتمع فقط، ونحمله المسؤولية في التسبب في هذه المشكلة في حين نهمل الجوانب البيولوجية والنفسية التي لها أثر واضح في تكوين هذا السلوك، فالمجتمع الغربي يتعامل مع الكحوليات بشكل عادي وكذلك الأمر بالنسبة للاتصالات الجنسية غير المشروعة بل يدفع إليها أفرادها دفعا، والتي تعتبر في المجتمعات الإسلامية أشياء محرمة وصاحبها منحرف.

2- الاتجاه البيولوجي:

عزى أتباع هذا الاتجاه أن التكوين البيولوجي للفرد بمثابة المحدد الرئيسي للانحراف حيث يرون أن هناك خصائص جسمية وسمات شخصية و جينات وراثية معينة تميز المنحرفين وتجعلهم يختلفون في أشكالهم وطريقة تفكيرهم عن الأفراد الطبيعيين يمثل هذا الاتجاه **لومبروزو** الذي يرى أن السلوك الانحرافي أو الإجرامي أمر فطري وطبيعي في الإنسان، فالإنسان مفلطور على الانحراف، وتفترض هذه النظرية أن السلوك الانحرافي هو نتيجة حتمية لموروث بيولوجي بشكل واضح، ولذلك فإن نظرية **لومبروزو** تنبني من قاعدة تنكر وجود الجبرية الاجتماعية، وتنكر اعتبار السلوك الانحرافي ظاهرة اجتماعية تنشأ من عملية التقليد، فالفرد المنحرف في نظره يعاني من أمراض بيولوجية واختلال جسمي فالجريمة يراها **لومبروزو** هي استعداد حيواني موروث يدفع بالإنسان إلى ارتكاب الجرائم والانحرافات المختلفة تحت طائلة حتمية بيولوجية حيوانية لا يستطيع دفعها عن نفسه.¹⁵

وعليه فإن هذا الاتجاه يركز أكثر على العامل الوراثي وأهمل بقية العوامل التي تساهم بشكل أو بآخر في ظهور السلوك الانحرافي، كما أنه ينطلق من تعميم بعض الحالات الشاذة على بقية أفراد المجتمع بمختلف فئاته، إلى جانب إلغاء مبدأ حرية الاختيار.

3- الاتجاه النفسي:

يرجع الاتجاه السيكولوجي السلوك المنحرف إلى أسباب خاصة بالتكوين النفسي للفرد فهو بالنسبة لمدرسة التحليل دوافع وغرائز مكبوتة في اللاشعور، واندفاعها إلى الخارج - الأنا الأعلى - ي على البعد الذاتي مركزة جهودها على فهم شخصيته و القوى الفاعلة فيها، و الإنسان المنحرف حسب هذا الاتجاه هو إنسان مريض نفسياً، فهو يتصف بالعنف و الشدة و الاندفاع الراجع لتجارب و مواقف نفسية مربها الفرد في مرحلة طفولته.

كما ركزت مدرسة التحليل النفسي في دراساتها على الاهتمام بدراسة ماضي الطفل وتحليله لتفسير ما قد يحدث له في الحاضر، وذلك نظراً للأثر الخطير الذي تتركه الطفولة المبكرة خاصة العلاقة بالوالدين وأثرها في تشكيل شخصية الطفل الراشد فيما بعد، قد أقام هذا الاتجاه للفكر مجالاً خصباً لدراسة خبرات الطفولة المبكرة و أثرها في السلوك اللاحق فساعد بذلك على معرفة دوافع السلوك المنحرف مما سمح بوضع خطط و أساليب علاجية قائمة على أساس التوجيه و قد أدى ذلك إلى الاهتمام بدراسة السلوك المنحرف لدى الطفل بالتركيز على الخصائص النفسية له.

4- الاتجاه الاقتصادي:

تبرز أهمية العامل الاقتصادي في مجال الانحراف والجريمة، باعتباره دافعا قويا لارتكاب الأفعال المنافية للقانون، وذلك بهدف إشباع الحاجات الضرورية، ولقد كشفت عدة دراسات مدى تأثير المستوى الاقتصادي للأسرة على ظاهرة جنوح الأحداث والانحراف، كما بينت أن مستوى دخل الأسرة، أو أن المهن التي يعمل بها الأولياء قليلة الدخل، لا يفي عائدها متطلبات الأسرة كثيرة الحجم، الشيء الذي يؤدي إلى لجوء أفرادها بالعوز أو المرض مما يضطر أحد أفرادها إلى

ارتكاب بعض المخالفات، وهذا ما ذهب إليه كارل ماركس بقوله "أن القضاء على المشكلات الاجتماعية ومنها ظاهرة الجريمة، إنما يتم بإصلاح النظام الاقتصادي"¹⁶.

فالحادث الذي ينشأ في بيئة فقيرة يعتبره البعض حدثاً سيئاً الحظ إذ ينعكس الفقر الذي يعانيه على كافة مظاهر وجوده و سائر مقومات حياته لأن وجود الفقر يتضمن سوء التغذية والجوع والعري والسكن المتواضع والتفكك الأسري والقلق والانزعاج والغضب والغضب، وكل هذه المظاهر تؤثر على الحدث جسمياً وتربوياً وثقافياً واجتماعياً انطلاقاً من كون المنحرف شخصاً مدفوعاً لإشباع حاجات لم تشبع بصورة كافية ولا يستطيع إشباعها في إطار ما تفرضه عليه القيم والمعايير الاجتماعية مما يجعله في حالة صراع مع المجتمع الذي يفرض عليه عدم الخروج على قيمه ومعاييره و بىن ذاته التي تسعى إلى تحقيق ما تصبو إليه من أهداف ولا يستطيع.

لذلك فإن العامل الاقتصادي هو نقطة اهتمام هذا الاتجاه في تفسير وعلاج الكثير من الظواهر التي تتعلق بالحياة الإنسانية، فالطرح جاء انطلاقاً من النظرة للإنسان الذي أوجدته الظروف الاقتصادية، وهذا ما يؤثر على سلوك الفرد وتكوينه، وهو يتعدى ذلك إلى التأثير في تكوين الطبقات الاجتماعية، وهذا التأثير لا يكون على الأفراد الراشدين فحسب، بل يتعداه إلى الصغار من حيث الإشباع والحرمان والرعاية والشعور بالأمن أو فقدانه.

خامساً- التأهيل الاجتماعي وسياق التداول:

يعتبر المجتمع مؤسسة متعددة المهام ومتداخلة الأدوار، وبنية اجتماعية ثقافية، حضارية، تستمد قيمتها من تدخل الأفراد وتفاعلهم لإنتاج المعرفة السائدة، والتفاعل ضمن إطار منظومة شمولية تضم القيم الاجتماعية وأنماط السلوك، فالعلاقات الاجتماعية تؤدي إلى التأثير لإنتاج الوعي الجمعي، لبناء تصور عام يحوي مفاهيم باتت تنتج عمليات اجتماعية تؤسس لمبادئ الحياة الاجتماعية الحضرية، فمقاربة من هذا القبيل تستوجب علينا توظيف بعض المفاهيم كالتربية، التنشئة، التحضر. والعمليات النفس واجتماعية في صورة

التلقين، الاكساب، الرقابة ، التوجيه والإرشاد لتحديد البعد السوسيو معرفي للتأهيل الاجتماعي في الوسط المجتمعي والاسري،

لذلك مصطلح التربية يساهم في بناء عملية التأهيل الاجتماعي من خلال توجيه السلوك وتهذيبه في إطار التوجه العام، باعتباره نشاطا يمتلك وظيفة التكوين و التأثير في الفرد، من هذا المنطلق، فهي عملية أساسية مبنية على التأثير والتأثر، كما تحكم علاقة الأفراد والمجتمع لتنمية القدرات، تقويم الميول، واكتساب المعرفة، وصنع آليات وأساسيات التفكير.

من هنا تشكل موقف دوركايم من التربية على أنها الفعل الذي يمارسه جيل الراشدين على جيل أولئك الذين لم ينضجوا بعد للحياة الاجتماعية، والغرض منها أن تثير وتنمي لدى الطفل عددا معينا من الحالات الجسدية والعقلية والأخلاقية يطلبها منه المجتمع السياسي بمجموعه، والبيئة الخاصة التي أعد لها خصيصا". ويتابع قوله "ينتج من التعريف السابق أن التربية عبارة عن تأهيل أو تنشئة اجتماعية Socialisation منهجية للجيل الفتى.¹⁷

أما التنشئة الاجتماعية فهي المحور الأساسي والركيزة المفصلية في عملية التأهيل الاجتماعي من خلال تحويل نشاط الفرد إلى سلوك إيجابي من خلال تعلمه المبادئ الأولى للغة والعادات و القيم السائدة في الجماعة التي يعيش فيها، لأجل الحفاظ على التكامل والاستقرار والتماسك¹⁸، لذلك فإن المجتمع بات مدعوا لصنع كيان ينبنى على جملة المعارف والمعتقدات التي تجسدها العلاقات الدينامية للأفراد في شموليتها، ومن ثمة يتحول الجسد الاجتماعي إلى محرك فاعل يقود عملية التنشئة ويوجهها في إطار المثل الأعلى الذي تصنعه علاقات الأفراد في محاكاة قوية تنجم بالأساس عن مقومات التأثير ثم التأثير، وهو ما يجعل البيئة مصدرا قارا وثابتا للقيم، التربية والتنشئة كذلك.

لذلك فإن كل المجتمعات البشرية تعمل على استخدام أساليب ومناهج تتفاوت في بساطتها ودرجة تعقيدها لتربية الأبناء وتنشئتهم الاجتماعية. حتى يصبحون على وعي كامل بمتغيرات الحياة وإكسابهم الأدوار والاتجاهات والقيم المتوقعة من أفراد المجتمع، من هنا تنبع وجودية التأهيل الاجتماعي بمساعدة الفرد على الإحساس بالمشيرات الاجتماعية وتعلم كل آليات التكيف

والتأقلم مع المحيط الاجتماعي حتى يصبح فاعلا اجتماعيا في مستوى أفراد مجموعته. والطفل باعتباره كائنا اجتماعيا له وجود داخل النسق الاجتماعي، ولا ننكر أن كل واحد منا يحمل في كنفه صفات الطفولة، إذ لم نقل أنها صفة ملازمة للإنسان عبر سيرورته التاريخية.

يتضح من العرض السابق أن عملية التأهيل الاجتماعي هي عملية معقدة متشعبة، تتضمن من جهة شبكة من العلاقات والتفاعلات الاجتماعية التي تحدث داخل إطار معين من المعايير والقيم، ومن جهة ثانية تفاعلاً ديناميكياً مستمراً بين التنشئة والفرد يؤدي إلى نمو ذات الفرد تدريجياً.

ويعمل التأهيل الاجتماعي على إكساب الأفراد في مختلف مراحل نموهم (طفولة، مراهقة، رشد، شيخوخة) أساليب سلوكية معينة، تتفق مع معايير الجماعة وقيم المجتمع، حتى يتحقق لهم التفاعل والتوافق في الحياة الاجتماعية وداخل المجتمع الذي يعيشون فيه.

وتتم من خلال عمليات التفاعل الاجتماعية، فيتحول الفرد إلى كائن اجتماعي، مكتسبا الكثير من الاتجاهات النفسية والاجتماعية عن طريق التعلم والتقليد، مما يطبع سلوكه بالطابع الاجتماعي.

لذلك يقوم المجتمع من خلال عملية التأهيل الاجتماعي بدور هام في تشجيع وتقوية بعض الأنماط السلوكية المرغوب فيها والتي تتوافق مع قيم المجتمع وحضارته... في حين يقاوم ويحبط أنماط أخرى من السلوك غير المرغوب فيها.

ومن هنا يتضح جليا عبر مشهد سوسيوقانوني خصائص عملية التأهيل الاجتماعي المتمثلة في أنها عملية تعلم اجتماعي يكتسب فيها الفرد عن طريق التفاعل الاجتماعي أدواره الاجتماعية والمعايير الاجتماعية التي تحدد هذه الأدوار، ويكتسب الاتجاهات والأنماط السلوكية التي ترضيها الجماعة ويوافق عليها المجتمع. حيث يتحول الفرد عبرها من طفل يعتمد على غيره متمركز حول ذاته إلى فرد ناجح يقدر معنى المسؤولية الاجتماعية. وهي تختلف من مجتمع إلى آخر بالدرجة ولكنها لا تختلف بالنوع. ولا يقتصر القيام بها على

الأسرة فقط، بل تتعدى الى المدرسة وجماعة الرفاق والمؤسسات الدينية ووسائل الإعلام المختلفة. لأنها عملية مستمرة تبدأ بالحياة ولا تنتهي إلا بانتهائها.

كما يهدف التأهيل الاجتماعي الى انتاج شخص ذي كفاية اجتماعية، بمعنى إعداد فرد لديه القدرة على التفاعل الاجتماعي الحقيقي مع كل من البيئة الطبيعية والاجتماعية، وادماج القيم الاجتماعية والخلقية في شخصية الفرد، وتكوين ضوابط مانعة لممارسة السلوك الغير مقبول اجتماعيا لصنع شخصية منوالية للمجتمع.¹⁹

اضافة الى تعليم الأطفال الأدوار الاجتماعية و تلقين الأطفال نظم المجتمع الذي يعيشون فيه، منتقلين من التدريب على العادات الخاصة بهذا المجتمع إلى الامتثال لثقافة هذا المجتمع، وتحقيق عملية الضبط الاجتماعي بالنسبة للمجتمع بشكل عام والامتثال لقواعده وقيمه بشكل خاص، وهذا لا يتم إلا من خلال تبني الفرد لقيم الجماعة وثقافتها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، والتي تتمثل في نقل ثقافة المجتمع إلى الأفراد.

كما يهدف التأهيل الاجتماعي الى تكوين الذات وتحقيق التنشئة الاجتماعية من خلال اكتساب الطفل سمات خاصة به تميزه عن باقي الأفراد أو تكون له ذات مختلفة عن ذوات الآخرين. ولا شك أن للوراثة دور هام في تكوين الذات لدى الأطفال. ويبدأ الطفل فترة تكوين ذاته عندما يدرك أن اسمه مختلف عن اسماء الآخرين ... ثم يتعلم تدريجياً كيف يستجيب للمؤثرات ويستكشف العالم ونظمه ... ثم تأتي مرحلة استخدامه للغة وهي هامة جداً حيث يشعر بأنه يستطيع أن يتفاعل مع الآخرين وينقل لهم أفكاره وحاجاته... وعندما يبدأ الطفل في التفكير مع نفسه تبدأ مرحلة جديدة من تكوين ذاته ويبدأ في تكوين شخصيته ومن خلال تفاعله مع أفراد الأسرة والمجتمع يكون مخزوناً من المعلومات والمهارات تساعده على التكيف والتصرف مع المواقف المختلفة. فيتعلم الطفل كيف يبتعد عن السلوكيات التي لا تحقق له اشباعاً أو التي تحدث في نفسه ضرراً... ومع النمو اللغوي تزداد سرعة التنشئة الاجتماعية للطفل وتنمو ذاته.

وعليه فالتأهيل الاجتماعي هو عملية اكتساب وتلقين الطفل لكل العمليات الاجتماعية والمجتمعية ومختلف أنماط السلوك التي تجعله قادراً على التفاعل والاندماج والتكيف مع ديناميكية الحياة الاجتماعية ومتغيرات التحضر، وتؤهله الى تحمل مسؤولياته اتجاه المجتمع.

سادساً - التأهيل الاجتماعي للحدث المنحرف:

تعد عملية التأهيل الاجتماعي من أهم العمليات تأثيراً على الأطفال في مختلف مراحلهم العمرية، لما لها من دور أساسي في تشكيل شخصياتهم وتكاملها، وتعتبر إحدى طرق ومناهج التعلم التي عبرها يكتسب الأبناء العادات والتقاليد والاتجاهات والقيم السائدة في بيئتهم الاجتماعية التي يعيشون فيها، ومراحل عملية التأهيل الاجتماعي تتم من خلال وسائط متعددة، وتعد الأسرة أهم هذه الوسائط، فالأبناء يتلقون عنها مختلف المهارات والمعارف الأولية كما أنها تعد بمثابة الرقيب على وسائط التنشئة الأخرى، ويبرز دورها - الأسرة - في توجيه وإرشاد الأبناء من خلال عدة أساليب تتبعها في تنشئة الأبناء، والتي تنعكس على شخصية الأبناء وسلوكهم بطريقة مباشرة.

وإذا كانت الأسرة كمتغير وظيفي بمثابة أهم وسيط من وسائط التنشئة تسهم في تشكيل سلوك الأبناء بتأهيلهم اجتماعياً، من خلال دور المناخ الاجتماعي الذي تعيش فيه الأسرة سواء كان مجتمعاً محلياً أو جيرة سكنية وما يتسم به من بعض الصفات والخصائص والثقافة الفرعية التي تميزه عن غيره من سائر المجتمعات، والتي يكون لها تأثير فاعل على أفرادها من خلال دور المناخ الاجتماعي في اتباع أساليب معينة في عملية التأهيل الاجتماعي حيث تختلف من مكان لآخر باختلاف الثقافة الفرعية للمجتمع إلى جانب المستوى التعليمي وثقافة الأسرة.

لذلك تعتبر الأسرة إحدى الوحدات الأساسية للتحليل السوسيولوجي، أين يمكن دراستها استناداً إلى الأفعال الاجتماعية الصادرة عن أعضائها التي من شأنها أن تؤدي إلى ظهور التفاعل بين أفراد الأسرة الواحدة وبالتالي تحديد العلاقات التي تربطهم ببعضهم البعض بحيث تنتج علاقات زوجية، أبوية وأخوية، ويكون التفاعل الذي يكتسب من خلاله الأبناء أساليب ومعايير

السلوك والقيم المتعارف عليها في جماعة الأسرة، بحيث يستطيعون العيش فيها والتعامل مع أعضائها بقدر مناسب من التناسق والنجاح، كما يكتسب الأبناء من البيئة الأسرية بفعل التنشئة القيم والمعايير والقواعد الموجهة والضابطة للأفعال والسلوكيات والمناخ الأسري يؤثر في نمو الابن وفي سلوكه واتجاهاته، كما هذا مرتبط أشد الارتباط بالأنماط والأساليب التي يؤدي بها الوالدين أدوارهما المنوطة بهما.

من الجدير بالملاحظ أن أساليب التنشئة الاجتماعية التي يتبناها الآباء والأمهات والأقارب في بعض الأحيان تختلف من أسرة لأخرى، ومن فئة اجتماعية لفئة أخرى اعتماداً على خلفياتها الاجتماعية وانحدراتها الطبقية، إذ تعتبر الطبقة الاجتماعية التي تنتمي لها الأسرة عاملاً بارزاً من العوامل المؤثرة في عملية التنشئة كونها تشكل البيئة والمحيط بالأولاد وبالتالي تعمل ثقافتها وأهدافها كمحور بين الآباء والأبناء.

إن لكل طبقة اجتماعية ثقافة معينة خاصة بها تتمثل في القيم والمعتقدات وأنماط السلوك، وتمثل الإطار المرجعي يشكل القاعدة لأي ممارسات والدية في التنشئة الاجتماعية ولقد أكدت الدراسات في مجتمعات مختلفة على أن هناك فروقا بين الطبقة المنخفضة والمتوسطة والمرتفعة،²⁰ فمثلا الآباء الذين ينتمون إلى الطبقات الاجتماعية الأدنى يقدرّون الاحترام والطاعة والامتثال والتأديب أمام آباء الطبقات الاجتماعية الوسطى، فيركزون اهتمامهم نحو النمو الداخلي للولد وعلى نمو الشعور بالمسؤولية وتحملها، وعلى الضبط الذاتي للطفل وعلى دوافع التحصيل والانجاز

وعليه فإن جنوح الأحداث مرتبط بصورة واضحة بالمتغيرات البنائية والوظيفية للأسرة، وخاصة عندما تسمح الأسرة للابن الصغير بالخروج مع من يشاء وفي أي مكان وإلى ساعات متأخرة من الليل، دون رقابة من الأسرة، ولا أي توجيه، ولا قدوة، فيكون الحدث ضحية الإهمال الأسري، فيجرح نفسه في قضايا ليست في مستوى عمره أو تفكيره، فالأسرة اليوم تخلت عن كثير من واجباتها ودورها تجاه أبنائها فانعدم الإحساس بالمسؤولية، وأصبح الأطفال هم الضحية.

فالحادث الجانح تنتجه أسرة جانحة، لأنه نتيجة تفكك أسري، وعدم استقرار العائلة التي يحكمها التشتت والضياع، نتيجة غياب رقابة الوالدين، فالأسرة المتضررة والمنهكة عاجزة عن القيام بأي مسؤولية في تربية الأطفال، وخاصة فيما يتضمن تلبية احتياجاتهم ورغباتهم الأساسية من مسكن وملبس، ومأكل، ومن تعليم أساسي، لتحقيق توازن اجتماعي وتربوي واقتصادي للطفل، وعدم انسياقه لرفاق السوء، إذ يكون المرء هنا ضحية لواقع اجتماعي متفكك وتقع مسؤولية إنقاذه وإعادة بنائه ودمجه بالمجتمع مرة أخرى على الأسرة والمؤسسات الاجتماعية الأخرى.

لذلك عملية التأهيل الاجتماعي أصبحت ضرورية في العصر الحديث لما فيه من تكتلات وصراعات بين جيلي الآباء والأبناء ، ليظهر دور الأسرة كمؤسسة اجتماعية تمثل الإطار الذي يكتسب منه الفرد مكوناته الشخصية ، وتعد عملية التأهيل الاجتماعي من المواضيع الجديرة بالاهتمام لما لها من مردودات في بناء الفرد والمجتمع وهذه المردودات قد تكون ايجابية أو سلبية وذلك وفقاً للطرق والأساليب المتبعة في العملية الاجتماعية ، فمن خلال عملية التأهيل الاجتماعي تحدد ملامح وسمات الفرد وبالتالي هوية المجتمع بالإضافة إلى ذلك فإن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية للأسرة تؤثر في تنشئة الأفراد ، فالأسرة تتأثر بنسق المجتمع وتلقى منه المضمون القيمي والمعياري والسلوكي الذي تغرسه بدورها في الفرد من خلال مسؤوليتها في تربية الطفل وحسن تنشئته فعندما نتحدث عن الأسرة كوسيط بين الفرد والمجتمع لابد أن ندرك أن الفرد نفسه ليس كيانا سهلا يسهل تشكيله بواسطة الأسرة بطريقة آلية، فالأسرة هي التجمع البشري الأول الذي يحقق كل شروط النظام الاجتماعي وهي الوحدة الاجتماعية التي تتشابه بصورة معقدة مع جميع الأنظمة الأخرى ولذلك فهي تأخذ على عاتقها المسؤولية الأولى للتطبيع داخل الإطار الثقافي للمجتمع إذ تتولى الأسرة نقل ثقافة المجتمع وحضارته من جيل لآخر عن طريق عمليتي التنشئة الاجتماعية و التطبيع الاجتماعي باعتبارهما من آليات وميكانيزمات التأهيل الاجتماعي.

أضافة الى ذلك توجد مؤسسات اجتماعية أخرى تساهم بطريقة فاعلة في تجسيد عملية التأهيل الاجتماعي والمتمثلة في مراكز تأهيل الأحداث التي تهدف الى إبعاد الأحداث عن السجون العامة، حيث قامت هذه المراكز على بنية مفادها المضي في العملية الإصلاحية برمتها، وهي تتعدد في آلياتها، وتندرج جميعها ضمن محددات العملية الاجتماعية الإصلاحية وفق نظام الرعاية الشاملة للأحداث الجانحين، الذي يأخذ بالسبل اللازمة كافة، لتعليم الأحداث، وتدريبهم على استيعاب المفاهيم والمدرجات الخلقية القيمة والتوجيه الديني، وفق تصور هام يتمثل في الحفاظ على إعادة تأهيل الأحداث قيمياً واجتماعياً ونفسياً على أسس علمية حديثة، حتى تكون لديهم المقدرة العقلية على تعميم وانتقال مبدأ ما من السلب إلى الإيجاب، في جو أسري بديل، يشعر الحدث بأن ما نقوم به إنما هو في مصلحته، ويساعده على اجتياز مصاعبه وتخطيها، حيث تأتي ضمن العملية الإصلاحية مسألة التعليم ، ليتابع كل حدث دروسه التعليمية منعاً للانقطاع عن العملية التعليمية، وأيضاً مسألة التدريب المهني، فهناك الكثير من الحرف والمهن التي يتعلمها الحدث الجانح، وهي جزء لا يتجزأ من العملية الإصلاحية، حتى يعود للمجتمع، وقد حمل سلاح العلم، أو المهنة، ليعاد إدماجه فيه من جديد .

وهناك اللقاءات الاجتماعية الجماعية التي تجري شكل دوري ومنتظم، أو اللقاءات الفردية عبر دراسة الحالات الموجودة، بالإضافة²¹ لعملية التوجيه الديني التي تجري بشكل مستنير، وأيضاً النشاطات الثقافية الفنية والأدبية كبرنامج التوعية الثقافية، بالإضافة للرحلات التي يقوم بها المركز لنزلائه من الأحداث، للكثير من الأماكن الأثرية في الجزائر لاطلاع الأحداث على تاريخ بلدهم ولتنمية البعد الوطني لديهم. ووجود الكثير من البرامج الأخرى ذات الصلة مع العملية الإصلاحية.

خاتمة -

من خلال ما تقدم نستطيع القول أن مسألة التأهيل الاجتماعي للحدث المنحرف أصبحت مطلب وضرورة في الوقت نفسه، فمن خلال العمليات الاجتماعية التي يعتمد عليها التأهيل الاجتماعي وانسحابه على مختلف المؤسسات الاجتماعية التي تشتغل على برامج الرعاية اللاحقة التي تعتبر من أهم البرامج التي يتوجب على المجتمع المحلي إنتاجها لتأهيل الأحداث الجانحين، وإعادة دمجهم بالمجتمع من جديد، وإن الرعاية اللاحقة للأحداث تعد الركيزة الثانية في عملية الرعاية الاجتماعية التي تقدم للأحداث الجانحين كجهد مكمل للرعاية الاجتماعية الأولية، التي تقدمها المؤسسات الاجتماعية في شكل عمليات وبرامج اجتماعية للحدث المنحرف.

الهوامش -

1 - 2 - طلعت ابراهيم لطفي: دراسات في علم الاجتماع الجنائي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2008، ص:18.

3- مصباح عامر : التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية، دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2003، ص: 253.

4 - السيد علي شتا : الانحراف الاجتماعي الانماط والتكلفة، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية، الاسكندرية، ط1، 1999، ص ص: 24- 25

5 - نفس المرجع، ص : 25.

6 - طلعت ابراهيم لطفي، مرجع سابق، ص ص 18 - 19.

9 - السيد رمضان، جلال الدين عبد الخالق: الجريمة والانحراف من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الازرابة، د. ط، 2001، ص23.

- 10 - طارق كمال: الانحراف الاجتماعي الاسباب والمعالجة، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د.ط، 2008، ص18.
- 11 - حجازي، مصطفى: الأحداث الجانحون. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط2، بيروت: 1981، ص- ص: 32- 33.
- 12 - نفس المرجع، ص: 35
- 13 - إبراهيم عبد الرحمان الطخيس: دراسات في علم الاجتماع الجنائي، الطبعة 2، دار العلوم للطباعة و النشر، الرياض 2004، ص: 221.
- 14 - صطفى حجازي: الأحداث الجانحون: تأهيل الطفولة غير المتكيفة. دار الفكر اللبناني. بيروت. 1995، ص: 69.
- 15 - سلوى عبد الحميد الخطيب: نظرة في علم الاجتماع المعاصر، مكتبة الشنفرى، مصر، 2015، ص: 173
- 16 - يسري أنور علي و آمال عبد الرحيم عثمان: علم الإجرام وعلم العقاب، دار النهضة العربية، القاهرة، 1970، ص19.
- 17 - مصطفى محسن: الاتجاهات النظرية في سوسيولوجية التربية ،مجلة الدراسات النفسية، مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة، 1984 ص 47
- 18 - مصطفى حجازي: تأهيل الطفولة غير المتكيفة، الأحداث الجانحون، دار الفكر اللبناني، الطبعة 1، 1995، ص 63.
- 19 - السيد عبد القادر شريف: التنشئة الاجتماعية للطفل العربي، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، القاهرة 2004 ص13.
- 20 - فاطمة المنتصر الكتاني: الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بمخاوف الذات لدى الأطفال. دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2000، ص 129.

قائمة المصادر والمراجع :

- 01- طلعت ابراهيم لطفي: دراسات في علم الاجتماع الجنائي، ط/ الأولى، 2008، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر.
- 02- مصباح عامر: التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية، ط/ الأولى، 2003، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع .
- 03- السيد علي شتا : الانحراف الاجتماعي الأنماط والتكلفة، ط/ الأولى، 1999، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية، الإسكندرية - مصر.
- 04- السيد رمضان، جلال الدين عبد الخالق: الجريمة والانحراف من منظور الخدمة الاجتماعية، د،ط/ 2001، المكتب الجامعي الحديث، الازريطرة.

- 05- طارق كمال: الانحراف الاجتماعي الأسباب والمعالجة ، د، ط/ 2008. مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية- مصر
- 06- حجازي، مصطفى: الأحداث الجانحون، ط/ الثانية، 1981، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط2، بيروت- لبنان .
- 07- إبراهيم عبد الرحمان الطخيس: دراسات في علم الاجتماع الجنائي، ط/ الثانية، 2004، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- 08- مصطفى حجازي: الأحداث الجانحون: تأهيل الطفولة غير المتكيفة، د.ط، د.ت، دار الفكر اللبناني، بيروت- لبنان.
- 09- سلوى عبد الحميد الخطيب: نظرة في علم الاجتماع المعاصر، ط/ الأولى، 2015، مكتبة الشنفرى، مصر.
- 10- يسري أنور علي وآمال عبد الرحيم عثمان: علم الإجرام وعلم العقاب، د.ط، د.ت، دار النهضة العربية، القاهرة- مصر.
- 11- مصطفى محسن: الاتجاهات النظرية في سوسيولوجية التربية، مجلة الدراسات النفسية، مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة، 1984 .
- 12- مصطفى حجازي: تأهيل الطفولة غير المتكيفة، الأحداث الجانحون، ط/ الأولى، 1995، دار الفكر اللبناني، بيروت - لبنان.
- 13- السيد عبد القادر شريف: التنشئة الاجتماعية للطفل العربي، ط/ الثانية، 2004، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر .
- 14- فاطمة المنتصر الكتاني: الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بمخاوف الذات لدى الأطفال، ط/ الأولى، 2000، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن.



الاتصال الإقناعي للقائد و دوره في بناء ثقافة الاتصال التنظيمي لدى العمال- دراسة ميدانية بجامعة غرداية-

مهيري دليلة^{1,2}

- 1- قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة غرداية .
- 2- عضو بفرقة بحث مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

العنوان الشخصي: شارع لحرش مبارك أثنية المخزن- ولاية غرداية- الجزائر.

socio.meh73@gmail.com
Mehiri.dalila@univ-ghardaia.dz

الملخص -

عرفت التنظيمات الحديثة اليوم تطورا كبيرا في عملية التسيير ساعدها في المحافظة على استقرارها و استمراريتها قد يعود هذا لعقلنة التسيير الإداري. ونظرا لتعدد العمل الإداري ساهم في ظهور مشكلات تنظيمية وأخرى اجتماعية داخل هذه التنظيمات الاجتماعية منها عدم القدرة على تبني قيم وثقافة المنظمة وعدم إدراك مدى ضرورة تتبع قنوات الاتصال التنظيمي وما له من أثر على نجاعة الأداء للفاعلين والمنظمة. مما ركزت الدراسات في علم الاجتماع التنظيم و العمل على الجانب الاجتماعي. مما وجب على المسؤولين الذين يعتبرون أهم أفراد التنظيم الذين تتمحور عليهم عملية التسيير بالتنظيمات سواء في عملية التسيير الإداري والاجتماعي، قصد توجيه عناصره في عملية التسيير وتفعيل العلاقات الاجتماعية بين الفاعلين التي تخدم وتحقيق أهداف مشتركة بين التنظيم والفاعلين بها. وهذا لا يتحقق إلا بأسلوب اتصال إقناعي من طرف المسئول اتجاه مرفوضيه قصد تسيير ناجع وترسيخ ثقافة اتصال تنظيمي بين العاملين بالإضافة الى التقليل من النزاعات والصراعات بين الإدارة والموظفين.

الكلمات مفتاحيه -

الاتصال الإقناعي، بناء ثقافة الاتصال التنظيمي، القائد.

The Method Of Persuasive Leader And Its Role In Building The Organizational Communication's Culture Of Workers

Abstract-

Today, Modern Organizations Have Witnessed A Great Development In The Process Of Management, Especially The One Which Maintains Their Stability And Continuity. This May Have Stemmed From The Rationalization Of Management. The Complexity Of Administrative Work Has Contributed To The Emergence Of Organizational And Social Problems In These Social Organizations, Including The Inability To Adopt The Values And Culture Of Organization, In Addition To A Lack Of Awareness About The Need For Following Organizational Communication Channels And Their Impact On The Performance Efficiency Of Actors And Organization As Well.

Studies In Sociology (Work And Organization) Have Focused On The Social Aspect. Officers Who Are Considered As The Most Important Members Of Organization And The Focus Of The Management's Process In Organizations Both In Administrative And Social One Have To Pay A Particular Attention To The Organizational Communication In Order To Guide Its Elements In The This Process As Well As To Mobilize The Social Relationships Among Actors Which Serve And Achieve The Common Goals Between The Organization And Its Workers. This Can Be Achieved Only Through A Persuasive Communication Method Adopted By The Superior Officer Towards His Subordinates For An Effective Management, And Establishing A Culture Of Organizational Communication Between Workers, In Addition To Reducing Conflicts Between Management And Staff.

Keywords-

Persuasive Communication; Cultural Construction ; Organizational Communication ; Leader .

1- مقدمة -

تعد التنظيمات الحديثة مجالات اجتماعية تضم أفراد في علاقات اجتماعية مستمرة مبنية على الأدوار و المراكز تعمل على تحقيق أهداف مشتركة. بتعدد النسيج الاجتماعي للتنظيمات و ما ينقله أفرادها من ثقافة المجتمع. جعلها تعاني مشكلات تنظيمية نتيجة ممارسات مختلفة بين الأفراد و الإدارة. مما أخذت بالدراسات في مختلف المجالات العلمية كعلوم الإدارة و العلوم الإنسانية و العلوم النفسية. الى أن حظيت بالدراسة في علم الاجتماع الذي أولى لها أهمية كبيرة. بذلك عملت الدراسات في العلوم الاجتماعية بشكل أوسع في

معرفة أسباب المشاكل التي يعاني منها العمال داخل المصانع. و ذلك بدراسة الفعل الاجتماعي بالتنظيمات الاجتماعية مستخدمة في ذلك قواعد المنهج البحث الميداني. عرفت التنظيمات الحديثة اليوم تطورا كبيرا في عملية التسيير الإداري قصد المحافظة على استقرارها و استمراريتها قد يعود هذا لعقلنة التسيير الإداري. إذ أصبح التركيز على الجانب الاجتماعي نظرا لتعدد العمل الإداري. ظهور مشكلات تنظيمية و أخرى اجتماعية داخل هذه التنظيمات الاجتماعية. قد تجعلها في حالة اللأمن و استقرار وظيفي سواء للمنظمة أو للأفراد.

كما جاء الاهتمام بدراسة القيادة الإدارية التي تعتبر المحرك الرئيسي في أي تنظيم. و الضرورة الملحة بالتنظيمات الحديثة في ممارسة المدراء الدور القيادي لأجل بناء و تشكيل قيم و مبادئ الاتصال التنظيمي عند الرؤوسين (الأفراد) قصد تفعيل العملية الاتصالية بالتنظيمات الاجتماعية. مما أوجب على المسؤولين و لمكانتهم التنظيمية الذين تتمحور عليهم عملية التسيير بالتنظيمات سواء في عملية التسيير الإداري و الاجتماعي قصد توجيه عناصره في عملية التسيير و تفعيل العلاقات الاجتماعية بين الفاعلين التي تخدم و تحقق أهدافهم المشتركة. و هذا لا يتحقق إلا بعملية اتصالية ناجعة، باعتبار العملية الاتصالية العصب الأساسي لتحريك النسق الاجتماعي لأي تنظيم. قصد إدارة فاعلة قادرة على ترسيخ قيم الاتصال التنظيمي و العمل على حل مشكلاتها التنظيمية و بناء علاقات اجتماعية بين الفاعلين الاجتماعيين (الأفراد). و لا يتم هذا إلا من خلال أسلوب اتصالي إقناعي يمارسه المسئول داخل النسق التنظيمي في توجيه رؤوسيه لتسيير ناجع و ترسيخ ثقافة اتصال تنظيمي بين العاملين بالإضافة الى التقليل من النزاعات و الصراعات بين الإدارة والموظفين.

2- التساؤل العام: التنظيمات و المؤسسات الاجتماعية بالجزائر خلال مسارها التاريخي شهدت تعقيدا في تطبيق سياسة ناجحة قصد ترسيخ مبادئ و ثقافة التنظيم، الأمر الذي جعل رؤساء و مدراء هذه التنظيمات الاجتماعية يجدون صعوبات و مجابهة من طرف الفاعلين الاجتماعيين (العاملين) الذين ينتقلون للعمل بثقافة و قيم مجتمعهم و يمارسونها بالتنظيمات التي تميزها ثقافة تنظيمية خاصة. و القيادة الرشيدة هي التي تحاول ترسيخ مبادئ التنظيم عند العمال من خلال اتصال إقناعي يساعد الأفراد على تبني قيم المنظمة و بناء علاقات اجتماعية تنظيمية ترسخ من خلالها مبادئ الاتصال التنظيمي لدى طرحنا التساؤل التالي:

- كيف هو الاتصال الاقناعي عند القائد الذي يؤثر على الأفراد لتقبل ثقافة الاتصال بالمنظمة ؟

2- 1- التساؤلات الجزئية هي:- كيف هي صورة القائد الاقناعية بالعمل التي تؤثر في توجيه الأفراد لبناء ثقافة الاتصال التنظيمي؟

- كيف يؤثر القائد على المرؤوسين لاستمالتهم في حل النزاعات فيما بينهم ومع الإدارة ؟
- كيف يعدل القائد بالحجج الاقناعية أفكار العمال و تدريبهم لتتبع الاتصال التنظيمي بالمنظمة ؟

3- الفرضيات:

- كلما كان أسلوب القائد إقناعي كلما ساعد أفراد التنظيم في تقبل مبادئ عملية الاتصال التنظيمي بالمنظمة.

3- 1- الفرضيات الجزئية:

- كلما كانت صورة القائد أكثر إقناعا بالعمل كلما جعل الأفراد أكثر قابلية للانضباط والالتزام بمبادئ الاتصال التنظيمي في المنظمة.

- كلما أثر القائد على عواطف وأحاسيس العمال كلما قلّ من حدة الصراع بالتنظيم.
- كلما عدل القائد أفكار المرؤوسين بالحجج والبراهين كلما جعلهم أكثر تفكيراً في التحلي بثقافة الاتصال التنظيمي.

4- تحديد المفاهيم:

- مفهوم الاتصال الاقناعي: **Organizational structure** المفهوم من علم الاتصال يعرف كلا من "ولبر شرام" و "دونالد روبرت" الإقناع هو " عملية اتصال تضم معلومات التي تؤدي الى إعادة النظر في حاجات المتلقين و طرق التقاء هذه الحاجات أو علاقاتهم الاجتماعية أو اتجاهاتهم".¹

- مفهوم الثقافة التنظيمية: **Organizational culture** "هي مجموعة خاصة من القيم والأعراف والقواعد السلوكية التي يتقاسمها الأفراد والجماعات في المنظمة، التي تحكم الطريقة التي يتفاعلون فيها مع بعضهم البعض ومع الذين يتعاملون معهم من خارج المنظمة. وجب أن يتحلى بها أفراد التنظيم في سلوكياتهم من أجل تحقيق تلك الأهداف"²

- مفهوم الاتصال التنظيمي: **Organizational Communication** يعرف "أنه الاتصال الإنساني المنطوق والمكتوب الذي يتم داخل المؤسسة على المستوى الفردي الجماعي ويسهم في تطوير أساليب العمل وتقوية العلاقات الاجتماعية بين الموظفين".³

- **المفهوم الإجرائي:** من خلال أدبيات الكتب والعمل الميداني نعرف للاتصال الإقناعي عند المسئول "هو عملية اتصالية يقوم بها المسئول قصد التوجيه والتأثير على الأفراد التابعين له سواء من خلال صورته الحسنة عنه في الانضباط والالتزام بقيم التنظيم والانجاز من خلال التوجيه أو بالتأثير على عواطف وآراء المرؤوسين واستمالتهم في تقبل الإجراءات الإدارية المتخذة و حل النزاعات بين العمال".

5- **مفهوم المنظمة:** جاء تعريف التنظيمات الحديثة على يد أحد رواد علم الاجتماع الوظيفية "تالكوت بارسونز" T.Parsons هي "وحدات اجتماعية تقام وفقا لنموذج بنائي معين لكي تحقق أهدافا محددة"⁴

- **التنظيم الرسمي:** يقوم على أساس الوظائف التي يؤديها الأعضاء والمراكز التي يشغلونها داخل المنظمة أو المؤسسة. سلوك كل عضو في المنظمة يحدده المركز الرسمي والعلاقات الرسمية. ويشارك أعضاء الجماعة الرسمية في أداء نفس العمل أو يشغلون نفس الوظيفة.⁵

إذ يذكر "روثلز برجر" F.Roethlisberger و"ديكسون" W.Dichson "أن التنظيم الرسمي هو التنظيم المكتوب على الورق، أي العلاقات المنطقية التي تحددها القوانين والسياسة المعمول بها داخل التنظيم"⁶ جاء مفهوم "التنظيم الرسمي" (البيروقراطي) "ماكس فيبر" الذي وضع تصور معرّف للتنظيمات الحديثة وهو أن "لا يتأثر بالقيم الشخصية والاجتماعية للأفراد الذين يقومون بإدارتها أو بالأفراد الذين يمتلكونها، فالتنظيم الرسمي دائما تنظيم عمدي ومقصود".⁷

من **مبادئ التنظيم الرسمي** كذلك منها: مبدأ تفويض السلطة أي إعطاء الحق في اتخاذ القرارات الهامة للمستويات الأدنى بقدر الإمكان.

✓ مبدأ وحدة الأمر أو الرئاسة أي ألا يكون الشخص مرؤوسا لأكثر من شخص واحد.

✓ مبدأ الرقابة من خلال فصل عمليات الرقابة في وحدات غير وحدات التنفيذ.

و من أنماط السلطة الشرعية داخل التنظيم: هو ما ذهب إليه (ماكس فيبر) "أن كل جماعة منظمة تتميز بضبط ملزم تسمى دائما الى تدعيم اعتقادها في الشرعية. السلطة القانونية الرشيدة: وهي نمط من السلطة "يقوم على أساس عقلي رشيد مصدره الاعتقاد في قواعد أو معايير موضوعية و غير شخصية".⁸ الذي يظهر في التنظيمات في شكل التسلسل الإداري "يؤكد هذا المبدأ ضرورة وجود مرجعية إدارية واضحة أمام العاملين، بحيث تكون خطوط السلطة واضحة. سواء كان الأسلوب المتبع أسلوب المركزية أو اللامركزية".⁹

6- القيادة التنظيمية: حظيت القيادة داخل التنظيم باهتمام علماء الاجتماع التنظيمي و السياسي لعدة اعتبارات من أهمها الدور الذي تؤديه القيادة في التنظيم ومدى تأثيرها على فعالية وكفاءة التنظيمات.

- مفهوم القيادة: يرى فيدلر F.E.Fiedler "أن القيادة هي عملية التأثير في الآخرين بهدف أداء عمل مشترك. تتطلب هذه العملية أن يقوم شخص ما بتوجيه أعضاء الجماعة على انجاز عمل معين. فالقائد قد يستخدم قوة مركزه لفرض الإذعان أو قد يحاول إقناع أعضاء جماعته بتنفيذ أوامره"¹⁰ و يعرف القائد انه "هو الشخص الذي يكون تأثيره في أعضاء جماعته اكبر من تأثير أي واحد منهم ، و ذلك من حيث هدف الجماعة . و من حيث تحديد هذا الهدف."¹¹

7- أنماط القيادة: "القيادة في التنظيمات تتخذ شكل وظيفي حسب التدرج الهرمي يقف على قمته رئيس مجلس الإدارة. تأثيره واضح على المنشأ و على العمال. و في قاعدة التدرج الهرمي يوجد العمال و بين القمة و القاعدة هناك مستويات قيادية وسطى، منها المشرفون وهم الذين يشرفون إشرافا مباشرا على عدد محدود من العاملين و عادة المشرفون قريبين من العمال زمانيا و مكانيا."¹²

- صنفت القيادة الى ثلاث أنماط أو أنواع هي: 1- القيادة الديمقراطية: نجد هنا "إن القائد لا يصدر الأوامر إلا بعد مشاورة الجماعة، و يأخذ في اعتباره أن السياسة ترسم في مناقشة جماعية و عن طريق تقبل الجماعة لها، و يشارك القائد في الجماعة اعتبار أنه عضو فيها. إذ يعمل القائد هنا على مشاركة الرؤوسين دائما في عملية اتخاذ القرارات و الاعتماد على أسلوب المناقشة و الإقناع."¹³

2- القيادة الأوتوقراطية: تلاحظ هذه النظرية "أن القائد يصدر الأوامر التي يجب على الرؤوسين طاعتها، و يحدد سياسة الجماعة دون الرجوع إليها أو مشاورتها، و لا يعطي أي معلومات تفصيلية عن خطط المستقبل، بل يخبر الجماعة ببساطة عن الخطوات الحالية التي يجب عليهم إتباعها، و يبقى بعيدا عن الجماعة في معظم الأوقات. في هذا النمط لا يعمل القائد على مشاركة الرؤوسين في اتخاذ القرارات و تتضح علاقات السيطرة على الرؤوسين."¹⁴

3- أما القيادة الفوضوية: التي نادرا ما نجدها "يتيح القائد الحرية الكاملة لأعضاء الجماعة في اتخاذ القرارات. فالقائد لا يقود و إنما يترك الجماعة لنفسها كلية، و لا يشترك مع أعضائها في اتخاذ القرارات."¹⁵

8- نظريات القيادة: منها نظرية السمات ونظرية الموقفية وأخيرا نظرية التفاعل.

(أ) - **نظرية السمات:** "ترجع القيادة إلى شخصية القائد، و إلى توافر سمات معينة في بعض الأشخاص مثل الذكاء، و الثقة بالنفس، و بعض الخصائص العقلية أو الجسمية. و على الرغم من أهمية هذه النظرية إلا أنها لم تطبق بصفة مستمرة لسببين هما (أنه لم يتفق حتى الآن حول خصائص عامة للقائد تكون ثابتة. لا توجد هناك خصائص للقائد قد لا يمتلكها باقي أعضاء الجماعة."¹⁶

(ب) - **النظرية الموقفية:** جاءت كرد فعل لفشل اتجاه السمات و ذلك ليؤكد دراسة الفرد في المواقف المتباينة. إذ تقول هذه النظرية على "أن القيادة لا تعد سمة للشخصية و إنما هي وظيفة كل من الشخصية و الموقف الاجتماعي و هما في حالة تفاعل."¹⁷

(ج) - **نظرية القيادة التفاعلية:** تنظر إلى القيادة على اعتبار "أنها عملية تفاعل اجتماعي. فالقائد يجب أن يكون عضوا في الجماعة، يشاركها مشكلاتها و معاييرها و أهدافها و آمالها، و يوطد العلاقات مع أعضائها و يعمل على تعاونهم."¹⁸ إذ ترى هذه النظرية "إن القيادة هي عملية إثارة متبادلة و تفاعل اجتماعي تلعب فيها الاتجاهات و المثل و تطلعات الأتباع دورا له من الأهمية و التحديد ما لدور شخصية القائد."¹⁹

9- ثقافة الاتصال التنظيمي:

إن مفهوم فلسفي للاتصال في الإدارة "أنه عملية اجتماعية مؤداها أن يؤثر فرد أو أفراد في سلوك الآخرين للوصول الى هدف معين، و إذا لم يحدث اتصال بين جماعات سواء الرسميين أو غير الرسميين لفترة من الزمن، فالتوقع أن تكون هذه الفترة غير منتجة للعمل الجماعي، و معنى ذلك أنها طالت الفترة تفككت الجماعة و عاشت حياة فردية و هذا ما يؤكد أن الاتصال في أي منظمة هو الذي يدفع الحياة من جانب الى جانب آخر إذا انقطعت الحياة.

الاتصال ضروري لاستمرار و بقاء المنظمة من جانب و ضروري لتوصيل المعلومات التي ستبنى عليها القرارات من جانب آخر و بدون الاتصال لا توجد قرارات"²⁰

10- **مفهوم الاتصال في التنظيم:** "يعتبر كلا من (كاتزو كاهن) "أن الاتصال التنظيمي لا يتجاوز تدفق المعلومات و تبادلها و ترحيلا للمعنى ضمن نطاق التنظيم أي انه يمكننا القول بان:

- الاتصال التنظيمي يحدث في نطاق مفتوح يؤثر و يتأثر بالبيئة المحيطة به.
- كما يتعلق "بالوسائل و تدفقها و أهدافها و اتجاهاتها و مشاعر الأفراد و علاقاتهم داخل التنظيم"

11- أهداف الاتصال الإداري:

- 1- إعلام المرؤوسين بالأهداف المطلوب تحقيقها والسياسات التي تم إقرارها، والبرامج وخطط التي وضعت، والمسؤوليات والسلطات التي تم تحديدها أو أي تغييرات أخرى.
- 2- إعلام المرؤوسين بالتعليمات الخاصة المتعلقة بتنفيذ بعض الأعمال وإرجاء البعض الآخر.

12- أشكال الاتصال بالمنظمة:

- الاتصال في المنظمة: هي الاتصالات الرسمية تسير في اتجاهات هي:

(أ) الاتصالات رأسية: تتكون من شكلين هما:

أ- 1) الاتصال الهابط (النازل): الذي يتم من الأعلى الى الأسفل و يتدفق هذا الاتصال من قمة التنظيم الى ادنى المستويات الإدارية في المنظمة و يتضمن هذا الاتصال عادة القرارات والأوامر والتعليمات والتوجيهات.

أ- 2) الاتصال الصاعد: الذي يتم من الأسفل الى الأعلى و يطلق على الاتصالات التي تتم من المرؤوسين الى رؤسائهم و يتضمن الاتصالات و التقارير التي يعدها المرؤوسين و التي يوجهونها الى رؤسائهم و توضح هذه التقارير مدى تنفيذ المرؤوسين لتعليمات و قرارات الرؤساء، و يتضمن هذا النوع من الاتصالات والشكاوي والتظلمات والالتماسات التي يرفعها المرؤوسين الى رؤسائهم وكذلك يتضمن مقترحات المرؤوسين لصالح العمل.

أ- 3) اتصالات أفقية: هي تلك التي تتم بين موظفي المستوى الإداري الواحد بهدف التنسيق بين جهودهم²¹

13- الاتصالات غير الرسمية: تحدث خارج المسارات الرسمية المحدودة للاتصال الإداري، تتم بأسلوب غير رسمي. ينبغي على المديرين تشجيعه وتيسير السبل أمامه. من أمثلة الاتصالات غير الرسمية "ما يدور بين زملاء العمل من أحاديث عن مشكلاتهم الخاصة أو آمالهم وأمنيتهم وتمنياتهم، أو عن الأحوال العامة التي تستدعي اهتمامهم وتستحوذ على تقاليدهم. ما ينقل بين الرؤساء والمديرين في ندواتهم الخاصة من معلومات. والشكاوي والمظلمات التي تصل من صغار الموظفين مباشرة الى الوزراء و من في حكمهم متخذين في ذلك المستويات الرئاسية."²²

14- نظريات لها علاقة بالاتصال(أ)- نظرية النسق الاجتماعي: يرى "بارسونز" أن "فعل الاجتماعي يتميز بوجود دافع لإنجاز بعض الأهداف". و المؤسسة أو التنظيم كنسق اجتماعي يتم داخله الفعل الاجتماعي، حيث تضم المؤسسة انساق فرعية تعمل هذه الأنساق

فيما بينها لتحقيق أهداف النسق التنظيمي و "يركز هذا النسق على القيم و الثقافة السائدة في المجتمع التي يتعلمها الأفراد"، وهذه الثقافة التي ركز عليها بارسونز "بمنظور نسقي لعملية الاتصال على نشأة و بروز الثقافة الرمزية و ذلك على أساس التفاعل بين الفاعلين من الناس، حينما يوجد تفاعل اجتماعي فان الرموز و الإشارات تكتسب معاني عامة، و يصبح لها دور هام كوسائل اتصال بين الفاعلين و حينما ينشأ أو يظهر نسقا للرموز التي كانت تتوسط الاتصال التي تصبح الثقافة جزءا من نسق الفعل للفاعلين.²³

(ب) - أما نظرية العلاقات الإنسانية (الكلاسيكية المعدلة): جاءت دراسة و تجارب أجراها (إلتون مايو، 1927- 1932) في مصانع هاورثون سنة 1939 في مؤلفه (الإدارة و العامل) حول مشاكل العمل، نتائجها جاءت كبداية لجميع الدراسات المتعلقة بالجوانب الإنسانية. استطاع "إلتون مايو" أن يثبت "أن للاتصال تأثير قوي على العلاقات الاجتماعية و التفاعل بين رضا و دافعية الأفراد في أعمالهم، إذا أثبت من خلال إحدى تجاربه أن للمقابلات الشخصية بين الإدارة و العمال أثر كبير في تلبية الاحتياجات الاجتماعية لهم و أنه يمكن اعتبار الاتصال كوسيلة للمشاركة و بث روح التعاون في العمل و القيادة و اتخاذ القرارات. و هذا على عكس المفهوم السائد بأن الاتصال يكون من الأعلى الى الأسفل فقط، و كذا اهتم بالشكل غير رسمي للاتصال كما اعتبر الاتصال وسيلة للتعرف على العالم الداخلي للعمل و الأفراد"²⁴، "و كوسيلة لإقناعهم بآدميتهم، و كوسيلة لرفع كفاءة العمل و الرضا عنه. لقد التفت (إلتون مايو) الى أهمية الفرد في تسيير المؤسسة و الى التنظيم غير الرسمي للمؤسسة و العلاقات العفوية بين العمال و تأثير كل هذا على رضاهم في العمل و بالتالي أدائهم عن طريق اتصالاتهم.²⁵

(ج) - مدرسة العلاقات الإنسانية الجديدة (السلوكية): ظهرت في السبعينيات و أوائل الثمانينيات من القرن العشرين جاءت بأفكار حركة التصميم التنظيمي لتحسين حركة اجتماعية تؤدي الى تحسين نوعية حياة العمل بالنسبة للعاملين في المجتمعات الصناعية. و يعد (دوقلاس ماغريغور) من بين أهم مؤسسيها. جاء في نظريتي (X) و (Y)، ترى هذه النظرية أن دور القائد له أهمية بالغة في التنظيم، مما يساعد من خلال قدرته و أسلوبه أثناء اتصاله بجماعة عمله عن طريق المراقبة. له اثر كبير على التنظيم و هذا ما جاء به علماء النفس الاجتماعي الأمريكي منهم ماغريغور McGregor. يعتبر التمييز بين النظريتين أن لكل نظرية سلوكيات اتصالية يتبناها المدراء المتسكعون بتطبيقها و بالتالي:

1) سلوكيات الاتصال في نظرية (X):

- " قلة التفاعل بين العمال بحيث يظهر بشكل ضئيل.
- إتباع معظم المديرين لاتجاه الاتصال الهابط و اقتصاره على بعض الرسائل و المعلومات البسيطة
- اقتصار الاتجاه الرأى الصاعد على صندوق الاقتراحات و شبكة الاتصال من خلال جماعات العمل غير الرسمية.
- تركيز عملية اتخاذ القرارات على جزء غير كاف من المعلومات الى جانب عدم وضوح هذا الجزء²⁶

و بالتالي يتضح أن الاتصال في ظل نظرية (X) يخضع فيها الى سلطة القائد التقليدية يعتمد من خلالها في مراقبة العمال بتحفيظهم ماديا و ردعهم بالعقوبة، حيث يتسم الاتصال من خلال هذه النظرية بعدم الثقة و الخوف و سوء الفهم و سيادة مناخ غير صحي، مما يجعل أفراد المنظمة ينظرون الى كل الاتصالات بعين الشك و الخوف.

2) سلوكيات الاتصال في نظرية (Y):

- " تشجيع عملية التغذية العكسية من خلال إصغاء الإدارة للعمال.
 - اتخاذ القرارات في ظل مشاركة الأفراد في المنطقة.
- التواصل و التفاعل بين العمال بشكل دائم و خلق جوٍّ من الثقة و الأمان بينهم.²⁷
- "حيث تهتم بمصدر السلوك العقلاني للقائد، و القائد الكفء هو الذي له القدرة على أن يحصل من جميع أفراد مجموعته على المجهود و التعاون الكلي فيما بينهم من أجل انجاز العمل المحدد لهم. و تقتصر السلطة و مراقبة القائد على العلاقة النوعية بينه و بين أعضاء مجموعته، أي هي علاقة اجتماعية تفاعلية تتشكل داخل التنظيم من أجل تحقيق أهدافه لضمان استمراريته"²⁸

هذا يدل على وجود اثر واضح في خلق مناخ جيد للاتصالات و بث الثقة و التفاهم بين كافة الأطراف في ظل النظام المفتوح للاتصالات التنظيمية، إضافة الى خلق روح الألفة، الصداقة و هذا يقلل من تشبث العمال بالاتصالات غير الرسمية. من خلال تحسين الاتصال في العلاقة بين القيادة و الأفراد داخل التنظيم لأجل تحقيق أهداف المنظمة.

و بالتالي فالاتصال هو مصدر سلوك عقلاني للقائد الكفء الذي له القدرة على الحصول على التعاون مع جماعته في العمل، معتمد على سلطة متسامحة من خلال

الاتصال الجيد معهم لبناء علاقة اجتماعية تفاعلية تتشكل داخل التنظيم تخدمه و تخدم التنظيم.

- **نظرية النظم:** التي تنظر الى منظمات الأعمال على اعتبار "أنها نظام اجتماعي يضم أفرادا و أهدافا و اتجاهات نفسية و دوافع مشتركة بين الأفراد، فترى أن النظام الاجتماعي لن يستقيم دون وجود اتصالات تؤثر فيه بحيوية.²⁹ فالاتصالات هي جزء من النظام الاجتماعي للعمل، تؤثر فيه وتتأثر به. و الاتصالات هي وسيلة لربط النظام الاجتماعي للعمل بالبيئة المحيطة به من منظمات أخرى (عملاء، و موردين، و مساهمين و غيرها). يعتمد التوازن داخل النظام الاجتماعي للعمل على وجود نظام متكامل من الاتصالات الذي يربط أجزاءه و أفرادها. انه باختلاف الظروف (كأطراف الاتصال، و موضوع الاتصال و غيرها) يمكن أن يختلف نظام و وسائل الاتصال، أي أن الوسيلة تختلف لكي تتناسب مع الظروف.

كما يرى (ميشال كروزي) هناك "علاقة ثلاثية بين الرضا الفردي و الإنتاجية، وأسلوب القيادة المتسامحة... و أن أسلوب القيادة المتسامحة يحقق رضا نفسي لدى العمال مما يجعلهم يعملون على تحسين إنتاجيتهم. و هذا إلا من خلال تحسين علاقات القيادة و الاتصال بين أفراد التنظيم من أجل تحقيق أهدافه"³⁰

- المدرسة التفاعلية:

ترى انه "يتم داخل النسق علاقة تفاعلية بين الأفراد، خاصة بين العمال و القادة داخل التنظيم"³¹

15- الاتصال الإقناعي داخل التنظيمات:

بما أن الاتصال هو عملية نقل رسالة من المصدر الى المتلقي عبر قناة معينة لأجل تحقيق هدف معين. فإن الإقناع هو عملية تأثير قصدية على سلوكيات أو أفكار شخص أو جماعة معينة. يعني بذلك أن الإقناع "هو أحد وظائف الاتصال الى جانب الوظائف الأخرى كالأخبار أو نقل المعلومات التي تضمن استمرارية الحياة الاجتماعية. فهو الاتصال "الذي يأخذ بعين الاعتبار كلية طابعه العملي و فعاليته."³²

إن الاتصال الإقناعي في ميدان القيادة التنظيمية يكون بين القائد و الأتباع، يقول "وايزمان Huisman" يتم في الحياة المهنية الحاجة الى التعبير التي تضمن استمرارية نشاط الأفراد، و لكن الحياة الاجتماعية لنشاطاتهم توضع في أول السلم، الوظيفة الإقناعية

للاتصال... فالقائد الإداري يظهر كمحترف في الاتصال الاقناعي الذي يبحث عن إقناع أتباعه".³³

و لتحقيق الاتصال الاقناعي من طرف القائد بالتنظيمات قصد بناء ثقافة اتصال تنظيمية نجد من بين التقنيات التي يجب أن يمارسها القائد هي:

- الإقناع عن طريق تقديم صورة حسنة عن ذات القائد وتدعى *Ethos*.

- الإقناع عن طريق التأثير على العواطف و أحاسيس الأتباع (المتلقي) تدعى استمالة النفوس *Pathos*.

- وأخيرا استهداف عقل الأتباع (المخاطبين) وتفكيرهم عن طريق الحجج والبراهين وتسمى *Logos*.³⁴

16- القيادة عبر الثقافات: أشارت (الدكتورة ماجدة العطية) بقولها "أن القيادة الفعالة لا تستخدم أسلوبا موحدا، بل أنها تعدل أسلوبها وفق الظروف. حيث تعتبر ثقافة المجتمع الذي ينتمي لهذه التنظيمات عاملا موقفيا مهما في تحديد الأسلوب القيادي الأكثر فاعلية، و تؤثر هذه الثقافة على أسلوب القائد عن طريق الأتباع، و أنهم محددون بالظروف الثقافية التي يتوقعها أتباعهم، يتوقع من القادة الكارزماتيين أن يكونوا أبويين في تعاملهم مع الأتباع...، إشارة الكاتبة أن الأسلوب القائد الأوتوقراطي يتوافق مع ثقافات التفاوت الكبيرة في القوة، قد نجد ذلك في الدول العربية ودول أمريكا اللاتينية، في حين نجد المشاركة أكثر فاعلية في دول أوروبية مثل النرويج، السويد".³⁵

17- المنهج المعتمد والتقنيات المستعملة:- (منهج الدراسة): اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي يعرف "بأنه طريقة لوصف الظاهرة المدروسة و تصويرها كميا، عن طريق جمع معلومات مقننة عن المشكلة و تصنيفها، و تحليلها، و إخضاعها للدراسة الدقيقة".³⁶ استعملنا تقنية (الملاحظة): التي تسمح للباحث الرؤية عن قرب لمعرفة سلوك و علاقات المبحوثين فيما بينهم و مع الفئات المهنية الأخرى. قمنا خلال الزيارات الميدانية بالملاحظة المباشرة. بالإضافة الى استعمال تقنية (المقابلة): تعرف بأنها "لقاء يتم بين الشخص المقابل (الباحث) الذي يقوم بطرح مجموعة من الأسئلة على الأشخاص المستجيبين وجها لوجه، و يقوم الباحث أو المقابل بتسجيل الإجابات على الاستمارات"³⁷ وظفنا المقابلة مع بعض رؤساء المصالح و بعض العمال، و تقنية (الاستمارة) هي "مجموعة من الأسئلة تطرح على مبحوث ما و هي تتعلق بآرائه و اعتقاداته و مختلف المعلومات الشخصية بالذات أو حول محيطه... هي الوسيلة القاعدية لكل بحث ميداني... و هي وسيلة

لا يمكن تعويضها³⁸ تضم أسئلة (مغلقة و مفتوحة) لجمع اكبر قدر ممكن من المعلومات عن ظاهرة الاندماج الاجتماعي بالإدارة العمومية.

- (مجتمع البحث و العينة): مجتمع البحث هو "مجموعة عناصر لها خاصية أو عدة خصائص مشتركة تميزها عن غيرها في العناصر الأخرى و التي يجري عليها البحث أو التقصي"³⁹ من اجل الدراسة الميدانية وقع اختيارنا على جامعة غرداية و هو الإطار الميداني لموضوع بحثنا. و مجتمع البحث متمثل في رؤساء أقسام و موظفي و أساتذة ، عدد المبحوثين 132 تم اختيار عينة عشوائية. لأن عملية الاتصال المشكلة للعلاقات الاجتماعية تتم بين أفراد الإدارات تظهر في علاقة القائد (المسؤول) بالموظفين و كيف هي ثقافة الاتصال التنظيمي. أما الإطار الزمني فكان بين الفترة شهر جانفي 2018 الى فيفري 2018.

- بعض القواعد و القياسات الإحصائية المستعملة في الدراسة: قمنا باستخدام بعض الأدوات الإحصائية. و منها برنامج الإحصائي للعلوم الاجتماعية SPSS و هو من أهم أدوات التحليل الإحصائي في العلوم الإنسانية و الاجتماعية. و " ضرورة معالجة البيانات الميدانية إحصائيا." ⁴⁰ قصد تحليل و معالجة البيانات كميا.

أ- (الوسط الحسابي): من مقاييس النزعة المركزية، و هو " مجموع القيم على عددها." ⁴¹

$$\text{س} 1 + \text{س} 2 + \dots + \text{س} \text{ن}$$

$$\text{الوسط الحسابي} = \frac{\text{س} 1 + \text{س} 2 + \dots + \text{س} \text{ن}}{\text{ن}}$$

- س : هو الوسط الحسابي، - س 1 : القيمة الأولى من المتوالية الحسابية.

- س ن : القيمة ما في المتوالية الحسابية.

ب- (معامل الارتباط): تستخدم نظرية الارتباط لمعرفة العلاقة بين ظاهرتين، تطبق نظرية كارل بيرسون لمعامل الارتباط، و خصائصها ما يلي:

- قيمة معامل الارتباط تتغير بين: +1، - 1، أي أن: 1(+) ؟ 1(-) ؟ 1(-) و يرمز لمعامل

الارتباط ب (ر)

كلما اقتربت قيمة معامل الارتباط من 1(+) أو 1(-) كان ارتباطا قويا و كلما اقتربت هذه القيمة من الصفر كلما كان ارتباطا ضعيفا. إذا كانت إشارة معامل الارتباط موجبة كان ارتباطا طرديا، وإذا كانت سالبة كان ارتباطا عكسيا." ⁴³

$$\text{مع(س-م-ص)} / \text{مع(ص-م-س)} = \text{ر} \quad \text{قانون معامل الارتباط: ر} = \frac{\text{مع(س-م-ص)} / \text{مع(ص-م-س)}}{2}$$

18- الدراسة الميدانية: بعد ما قمنا بتحليل عدد من الجداول البسيطة حول السن و النوع و المستوى التعليمي و التي لم ندرجها بهذا المقال حتى لا نطيل. تطرقنا لبعض الجداول المركبة الأساسية و القيام بالتحليل السوسيولوجي لها.

- الفرض الأول: متعلق بصورة القائد الإقناعية بالعمل و أثرها على مدى التزام الأفراد بمبادئ الاتصال التنظيمي في المنظمة .

- الجدول رقم 10: رأي الباحثين عن ما تقدمه صورة القائد الإقناعية في العمل و أثرها على التزامهم و انضباطهم بالاتصال التنظيمي.

نسب مئوية	المجموع	عدم اهتمام الرؤوسين بالعمل والالتزام بإتباع قنوات الاتصال التنظيمي	إتباع القائد و احترام قنوات الاتصال التنظيمي	رأي الباحثين من طبيعة العمل، التزامهم وانضباطهم بالاتصال التنظيمي. - رأي الباحثين من صورة القائد الإقناعية في العمل	
		ت	ت	ت	ت
100	76	36.84	28	63.15	48
100	56	60.71	34	39.28	22
100	132	46.96	62	53.03	70
المجموع.....					

من خلال نتائج الجدول نلاحظ أن الاتجاه العام يتجه نحو تمثلة فئة الذين صرحوا بإتباع القائد و احترام قنوات الاتصال التنظيمي بالعمل بنسبة 53.03% ثم تليها فئة الذين صرحوا بعدم اهتمامهم بالعمل و الالتزام باحترام قنوات الاتصال بالمؤسسة بنسبة 46.96%.

بإدخال المتغير المستقل نلاحظ بأن الاتجاه العام تدعمه فئة الذين صرحوا باللامبالاة عند القائد بالعمل بنسبة 63.15%، ثم تليها فئة الذين صرحوا بسمعة القائد الحسنة بالعمل بنسبة 39.28%، و التنسيب الأضعف يستمد قوته من فئة الذين صرحوا بسمعة القائد الحسنة بنسبة 60.71% ثم تليها فئة الذين صرحوا باللامبالاة عند القائد بالعمل بنسبة 36.84%، و معامل توافق يساوي 1+ علاقة ارتباط قوية بين درجتي إتباع القائد و احترام قنوات الاتصال التنظيمي و عدم اهتمام الرؤوسين بالعمل و بالالتزام بقنوات الاتصال التنظيمي (ر=1). نلاحظ من خلال المعطيات الإحصائية أن معظم الباحثين صرحوا أن سمعة القائد الحسنة في العمل من خلال انضباطه و التزامه في أداء العمل في وقته ساعدنا ذلك على إتباع سلوك القائد بالامتثال و الانضباط و التزام بالعمل و احترام مبادئ قنوات الاتصال التنظيمي. مما رسّخ لدينا ثقافة الاتصال التنظيمي، حيث

جاء اقتناعنا بتبني ثقافة المنظمة والامتثال لقيمها. مما سهل علينا التواصل مع عدد كبير من الموظفين والعملاء خارج المؤسسة. فالاتصال الإقناعي في ميدان القيادة التنظيمية يكون بين القائد و الأتباع يقول في هذا الشأن "وايزمان Huisman" يتم في الحياة المهنية الحاجة الى التعبير التي تضمن استمرارية نشاط الأفراد... فالقائد الإداري يظهر كمحترف في الاتصال الإقناعي الذي يبحث عن إقناع أتباعه".⁴⁶ و لتحقيق الاتصال الإقناعي من طرف القائد بالتنظيمات قصد بناء ثقافة اتصال تنظيمية عند الموظفين نجد من بين التقنيات التي يجب أن يمارسها القائد "هي الإقناع عن طريق تقديم صورة حسنة عن ذات القائد وتدعى Ethos".⁴⁷ كما أن لامبالاة القائد في العمل تؤثر في عملية اقتناع المرؤوسين بمبادئ و احترام قنوات الاتصال التنظيمي و من تصنيفات الجمهور في الاتصال الإقناعي نجد أن المسئول اللامبالي "وهو المسئول الذي لا يقف موقفا رافضا و لا موافقا ولكنه يتعامل مع الرسائل بإهمال تام و لا مبالاة".⁴⁸

في حين صرح بعض المبحوثين بعدم الالتزام و الانضباط بالعمل و عدم احترام قنوات الاتصال التنظيمي بشكل كبير. و خلال مقابلتنا لبعض رؤساء الشعب و الأقسام من المبحوثين صرحوا باستياء لعدم تعاون بعض الموظفين بأداء مهامهم في حينها و عدم احترام مبادئ قنوات الاتصال التنظيمي المعمول به عن أداء المهام المنوطة بهم في المؤسسة و هذا لتقارب مستوياتهم الإدارية و بالمهام المخولين لها. رغم أن الاتصال الأفقي بالتنظيم هو ذلك الذي يتم بين موظفي المستوى الإداري الواحد بهدف التنسيق بين جهودهم⁴⁹ حيث يرجعون بإتباع الاتصال التنظيمي للمؤسسة إلا للحصول على أغراضهم شخصية لها علاقة بالوظيفة.

- **الفرض الثاني:** المتعلق بطبيعة أسلوب الإقناعي للقائد في التأثير على عواطف و أحاسيس العمال و استمالتهم للتقليل من حدة الصراع بالتنظيم.

- **جدول رقم 17:** رأي المبحوثين من اتصال إقناعي للقائد كمرؤوسين و أثره على عواطفهم و أحاسيسهم لحل النزاع بالعمل.

نسبة مئوية %	المجموع	استمالة عواطف الموظفين لحل النزاع بالتنظيم		عدم تقبل الحل الودّي		رأي المبحوثين من حل نزاع بين الموظفين - طبيعة اتصال إقناعي للقائد في استمالة عواطف العمال
		ت	%	ت	%	
100	26	76.92	20	23.07	06	مظهر القائد و حسن الاستماع
100	106	71.69	76	28.30	30	المعرفة و قدرة القائد على التحليل
100	132	72.72	96	27.27	36	المجموع.....

من خلال نتائج الجدول نلاحظ أن الاتجاه العام يتجه نحو أغلبية المبحوثين هم موظفون الذين صرحوا بتفهمهم للحلول المقترحة من طرف المسئول لحل نزاع بالمنظمة بتقبل الحل الودّي

بنسبة 72,72% ثم تليها فئة الذين صرحوا بعدم تفهمهم لموضوع الصراع و تقبل الحل الودّي بنسبة 27,27%. بإدخال المتغير المستقل نلاحظ بأن الاتجاه العام تدعمه فئة الذين صرحوا بأن مظهر القائد و حسن استماع لأطراف النزاع بنسبة 76,92% ثم تليها الذين صرحوا بالمعرفة و قدرة القائد على التحليل لموضوع النزاع بنسبة 71,69%. و التنسيب الأضعف يستمد قوته من فئة الذين صرحوا أن معرفة و قدرة القائد على التحليل بنسبة 28,30% تليها الفئة التي صرحوا بأن مظهر القائد و حسن الاستماع لأطراف النزاع بنسبة 23,07%. و معامل توافق يساوي 1+ علاقة ارتباط طردي قوي بين درجتي الانتماء و عدم الانتماء المتعاقدين في إطار جهاز الإدماج المهني بإدارات الإدارة المحلية (ر) = 1+.

نلاحظ من خلال المعطيات الإحصائية أن معظم الموظفين صرحوا بتفهمهم لموضوع النزاع و تقبل الحل الودّي الذي يحرص عليه القائد في حل النزاع بين أفراد التنظيم من خلال تفعيل اتصال الشفهي في حل النزاعات بين الموظفين. عند مقابلتنا طرحنا أسئلة حول الموضوع، فكانت أغلب إجابات المبحوثين هي حسن استماع القائد و قدرته على استمالة عواطف المتنازعين من أفراد المؤسسة جعلهم يعدلون سلوكهم و ذلك بإقناعهم بالحل الودّي في حل النزاع المقترح من المسئول. في حين صرح بقية المبحوثين بعدم اقتناع برأي المسئول حول موضوع النزاع. و ما لاحظناه هو عدم احترام مبادئ الاتصال التنظيمي بين أفراد التنظيم يقلل من العمل الجماعي، مما يوفر مناخ للصراع و النزاعات بين الأفراد و هذا الذي عرفناه كذاك من خلال مقابلتنا لبعض الموظفين الذين صرحوا بذلك.

- **الفرض الثالث: المتعلق بطبيعة إقناع القائد مرؤوسيه لتعديل سلوكهم اتجاه وأثره على إتباع أسلوبه في ترسيخ ثقافة اتصال تنظيمي لديهم.**

- **الجدول رقم 21: رأي المبحوثين من طبيعة أسلوب القائد في تعديل سلوك مرؤوسيه وأثرها على مدى اقتناعهم بإتباع أسلوبه في ترسيخ ثقافة اتصال تنظيمي.**

نسبة مئوية	مجموع	تجاهل أسلوب القائد في العمل		إتباع أسلوب القائد في العمل		رأي المبحوثين من إتباع القائد في تبني ثقافة اتصال التنظيمي - إقناع القائد مرؤوسيه بتعديل سلوكهم من خلال
		%	ت	%	ت	
100	47	29,78%	14	70,21%	33	تعديل القائد أفكار الأفراد بالتنظيم
100	45	66,66%	30	46,66%	21	تدريب الموظفين على ثقافة الاتصال التنظيمي
100	40	60%	24	25%	10	الولاء وحب الانتماء القائد للمؤسسة والعمل بها
100	132	51,51%	68	48,48%	64	المجموع.....

من خلال نتائج الجدول نلاحظ أن الاتجاه العام يتجه نحو تمثلة فئة الذين صرحوا أغلبهم بتجاهل أسلوب القائد في العمل بنسبة 51,55% ثم تليها فئة الذين صرحوا بإتباع أسلوب القائد في العمل بنسبة 48,48%. بإدخال المتغير المستقل نلاحظ بأن الاتجاه العام تدعمه فئة الذين صرحوا بدور القائد في تعديل أفكار الأفراد بالتنظيم بنسبة 70,21% ثم تليها فئة الذين صرحوا بإقناع القائد مرسوميه بتعديل سلوكهم من خلال تدريبهم على ثقافة الاتصال بالتنظيم بنسبة 66,66%. ثم تليها فئة الذين صرحوا بأن ولاء و حي انتماء القائد للمنظمة و تقبل ثقافتها التنظيمية من خلال العمل بها بنسبة 60%.

والتنسيب الأضعف يستمد قوته من فئة الذين صرحوا بتعديل القائد أفكار الأفراد بالتنظيم بنسبة 29,78%. يدعمها في ذلك فئة الذين صرحوا بولاء و حب الانتماء القائد للمؤسسة و العمل بها بنسبة 25% و معامل توافق يساوي 0.63 علاقة ارتباط طردي متوسط بين درجتي إتباع أسلوب القائد في العمل و تجاهل أسلوب القائد في العمل (ر)=1. نلاحظ من خلال المعطيات الإحصائية أن معظم العمال صرحوا أن أسلوب القائد في العمل جعلهم أكثر اقتناعا من خلال تعديل القائد أفكار الأفراد بالتنظيم و تدريبهم على ثقافة الاتصال التنظيمي، و خلال مقابلتنا مع بعض الباحثين صرحوا أن ولاء و حب انتماء القائد للمؤسسة و العمل بها، جعلهم أكثر اقتناعا في تقبل العمل بالمؤسسة و تقبل إتباع قنوات الاتصال التنظيمي بها. فقد وجد موضوع الولاء التنظيمي جنوره في كتابات "إميل دوركايم" وذلك في كتابه "تقسيم العمل الاجتماعي"، حيث درس المنظمات ركز في دراسته على معرفة مصادر التأثير المعنوي و السلطة و ذلك من خلال تحول المجتمعات من أشكال ميكانيكية الى أشكال حيوية متصفة بالتضامن و التماسك.⁵⁰ كما يعتبر المنظمة " أسرة و يفترض أن يعمّ الوئام و الولاء بين أفرادها."⁵¹ بالتالي على المرؤوسين حب الانتماء و الولاء الى ثقافتها التنظيمية من خلال اقتناع بإتباع مسيرة القائد التنظيمية و التأثير بها لبناء ثقافة اتصال تنظيمي ناجع بالمؤسسة تخلص من الصراعات و النزاعات التي قد تعود لأسباب علاقات اجتماعية قادمة من ثقافة و تنشئة اجتماعية لمجالات غير رسمية.

19- الاستنتاج العام ومناقشة الفرضيات:

جاءت نتائج (الفرض الأول) ايجابية حول طبيعة الاتصال الاقناعي للقائد و دوره في تفعيل ثقافة الاتصال التنظيمي عند المرؤوسين بالمنظمة، صرح أغلب الباحثين بإتباع القائد و احترام قنوات الاتصال التنظيمي المعمول به في المؤسسة لاقتناعهم من خلال صورة القائد و سمعته الحسنة في التنظيم.

كما أن نتائج (الفرض الثاني) ايجابية حول إقناع القائد لمروؤسيه و التأثير على عواطفهم و أحاسيسهم لحل النزاع بالعمل. كما صرحوا أن قدرة القائد على التحليل و المعرفة و حسن الاستماع لمشاكلهم و للنزاعات الإدارية، ساعدهم على تخفيف من حدة النزاعات و تقبل الحلول الودية المقترحة من طرفه لما لها من استمالة لعواطفهم و تعديل سلوكهم قصد بناء ثقافة اتصال تنظيمي ناجح.

بالأخير نتائج (الفرض الثالث) ايجابية حول طبيعة أسلوب القائد في تعديل سلوك مروؤسيه و أثرها على مدى اقتناعهم باتباع أسلوبه في ترسيخ ثقافة اتصال تنظيمي. حيث صرح أغلب الباحثين خاصة المرؤوسين من أساتذة و إداريين باقتناع بأسلوب القائد و إتباعه حيث عمل على تعديل أفكارهم من ثقافة مجتمعية الى ثقافة تنظيمية بالمؤسسة المتواجدين بها و تدريبهم على إتباع الصحيح لقنوات الاتصال لتفادي الصراعات بالإضافة ترسيخ مبادئ الولاء و حب الانتماء للمؤسسة.

بالتالي نستنتج أن الفروض التي قمنا بوضعها في بحثنا خدمت الدراسة، و كانت أغلب أجوبة الباحثين ايجابية.

20- الخاتمة:

بالأخير نستنتج أن الاتصال الاقناعي للقائد (المسئول بالتنظيم) له دور كبير و مهم في بناء و تشكيل الفعل الاجتماعي للأفراد و جعلهم أكثر قدرة على التدريب و تقبل ثقافة اتصال تنظيمي تجعلهم قادرين على التفاعل الاجتماعي وفق الدور و المركز الذي يشغلونه. و هذا باستفادة من سمعة القائد و التزامه بمبادئ التنظيم و احترام قنوات الاتصال التنظيمي من أجل التعاون و تحقيق انتماء و ولاء تنظيمي و العمل في جماعة قصد تحقيق أهداف المنظمة و العاملين بها و ضمان استمراريتهما و إحداث التوازن.

21- قائمة المراجع:

- ¹ جيهان أحمد شتى، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، ط2، دار الفكر العربي، مصر، 1975، ص141 (بالتصرف)
- ² إلياس سالم، تأثير الثقافة التنظيمية على أداء الموارد البشرية - دراسة حالة الشركة الجزائرية للألنيوم ALGA - وحدة EARA بالمسيلة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير تخصص علوم تجارية كلية العلوم الاقتصادية و علوم التسيير و العلوم التجارية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2006، ص12 pdf www.pdfactory.com (بالتصرف)

³ أحمد ماهر، السلوك التنظيمي، مدخل بناء المهارات الدار الجامعية، الإسكندرية 2003، ص351

- ⁴ طلعت إبراهيم لطفي، علم الاجتماع التنظيم، دار غريب لطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007، ص 23
- ⁵ المرجع نفسه، ص 42
- ⁶ المرجع نفسه، ص 43
- ⁷ محمد عبد المولى الدقس، علم الاجتماع الصناعي، ط 1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 2005، ص 136
- ⁸ طلعت إبراهيم لطفي، مرجع سبق ذكره، ص 79
- ⁹ محمد قاسم القريوتي، نظرية المنظمة والتنظيم، ط 3، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، 2008، ص 52
- ¹⁰ طلعت إبراهيم لطفي، مرجع سبق ذكره، ص 74
- ¹¹ عبد الله محمد عبد الرحمن، علم الاجتماع الصناعي، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2006، ص 93
- ¹² حسين عبد الحميد احمد رشوان، علم الاجتماع الصناعي، دار النشر والتوزيع المكتب الجامعي الحديث الاسكندرية، 2005، ص 96
- ¹³ طلعت إبراهيم لطفي، مرجع سابق، ص 75
- ¹⁴ المرجع نفسه.
- ¹⁵ المرجع نفسه.
- ¹⁶ المرجع نفسه، ص 76
- ¹⁷ علي عبد الرزاق الجبلي، علم اجتماع التنظيم - مدخلات للتراث والمشكلات والموضوع والمنهج -، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1999، ص 230.
- ¹⁸ طلعت إبراهيم لطفي، مرجع سبق ذكره، ص 77
- ¹⁹ علي عبد الرزاق الجبلي، مرجع سابق، ص 230
- ²⁰ هناء حافظ بدوي، الاتصال بين النظرية والتطبيق، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2003، ص 249
- ²¹ المرجع نفسه، ص ص 151 - 152
- ²² المرجع نفسه، ص 154
- ²³ المرجع نفسه، ص 111
- ²⁴ خليل محمد حسن الشماع، نظرية المنظمة، ط 1، دار ميسرة للنشر والتوزيع، الأردن، 2000، ص 47
- ²⁵ المرجع نفسه.
- ²⁶ سعيد يسن عامر، الاتصالات الإدارية، والمدخل السلوكي لها، دار المريخ الرياض، دت، ص، ص 261، 262
- ²⁷ المرجع نفسه، ص 262
- ²⁸ بن عيسى محمد المهدي، ثقافة المؤسسة كموجه للسلوكيات والأفعال في المنظمة الاقتصادية الحديثة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز الجامعي، ورقلة، العدد 1، 1998، ص ص 63، 64
- ²⁹ احمد ماهر، كيف ترفع مهاراتك الإدارية في الاتصال، دار الجامعة، الإسكندرية، 2000، ص 33
- ³⁰ Michel crozie., 1964. Le Phénomène bureaucratique. Chicago University Press. P :

عن بن عيسى محمد المهدي، مرجع سابق، ص، ص: 63 - 64

- ³¹ بن عيسى محمد المهدي، مرجع سابق، صص، 63- 64
- ³² محمد بركان، الاتصال الاتقناعي في فن الخطابة، ط1، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية، كتابات معاصرة، بيروت، لبنان، الناشر للتوزيع، العدد 58، 2005، ص24 عن بشير محمد، القيادة الإدارية و علاقتها بمشروع إستراتيجية الاتصال بالمؤسسة العمومية الاقتصادية الجزائرية -دراسة حالة مؤسسة نفضال الجزائر- نموذجاً، مذكرة لنيل متطلبات شهادة الماجستير في علوم الإعلام و الاتصال، كلية العلوم الاجتماعية تخصص علوم الإعلام والاتصال، جامعة السانايه وهران، الجزائر، 2010/2009، ص107.
- ³³ المرجع نفسه، ص107 (بالتصرف)
- ³⁴ أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، (بدون طبعة)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959، ص10 عن بشير محمد، مرجع سابق.
- ³⁵ ماجدة العطية، سلوك المنظمة سلوك الفرد و الجماعة، ط1، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2003، ص239
- ³⁶ سلاطينية (بلقاسم) و الجيلاني (حسان)، 2004. منهجية العلوم الاجتماعية، دار النشر و التوزيع عين مليلة الجزائر، ص31
- ³⁷ ريحي (مصطفى عليان)، 2000. عثمان محمد غنيم، مناهج وأساليب البحث العلمي، النظرية والتطبيق، ط1، دار الصفاء للنشر و التوزيع، عمان، ص102
- ³⁸ Boudon (R), 1970. Dictionnaire de Sociologie, Larousse, Paris, P 161.
- ³⁹ انجليز موريس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تدريبات عملية، دار القصة للنشر، 2004، ص98
- ⁴⁰ زرواتي (رشيد)، منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، (أسس علمية وتدريبية)، دار الكتاب الحديث لنشر و التوزيع، الجزائر، 2004، ص153
- ⁴¹ المرجع نفسه، ص154
- ⁴² المرجع نفسه، ص163
- ⁴³ المرجع نفسه، ص175
- ⁴⁵ المرجع نفسه، ص177
- ⁴⁶ بشير محمد، مرجع سبق ذكره، ص107 (بالتصرف)
- ⁴⁷ المرجع نفسه، ص107 (بالتصرف)
- ⁴⁸ أسامة بن مساعد المحيا. نظريات التأثير الإعلامية، جمع و تنسيق، إعادها سنة 1433هـ. www.osamh.meblogp=147 (بالتصرف)
- ⁴⁹ هناء حافظ بدوي، مرجع سبق ذكره، صص 151 - 152.
- ⁵⁰ عبد الرحمان أحمد محمود هيجان، الولاء التنظيمي للمدير السعودي، مطبوعات أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1998، ص30. عن بن قوامار كريمة مرجع سابق.
- ⁵¹ المرجع نفسه، صص 30 - 31.



أثر الثقافة التنظيمية للأستاذ الجامعي على فعالية الجامعة

بوخاري محمد¹، خوجة عبد العزيز²

1- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

2- قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية ص ب

455 جامعة غرداية

boukharimoh47@gmail.com

ملخص-

يعتبر الأستاذ الجامعي في مؤسسات التعليم العالي حجر الزاوية في العملية التعليمية، لكونه يمثل الأداة الفعالة التي تؤدي بالجامعة إلى الاضطلاع بمسؤوليتها، وحمل رسالتها الرامية إلى تطوير التعليم، وخدمة المجتمع والنهوض بالبحث العلمي نحو التقدم، ولا يمكن للجامعة الوصول إلى تحقيق أهدافها إلا من خلال تبني ثقافة تنظيمية تكون السند القوي للأستاذ الجامعي لفهم طريقة القيام بمهامه، وترشد وتوجه سلوكه داخل الجامعة، وتحدد السلوكات والأفعال المناسبة وغير المناسبة، التي تشكل في الأخير منظومة قيم يتصرف وفقها أعضاء هيئة التدريس. وتكمن الأهمية الحقيقية للثقافة التنظيمية في تحسين الأداء العلمي والإداري وتحقيق التنمية المطلوبة، وهو ما ينعكس بشكل مباشر على زيادة فعالية الجامعة من خلال تحقيق الأهداف المنتظرة منها.

الكلمات المفتاحية –

الثقافة التنظيمية ؛ الفعالية التنظيمية ؛ الأستاذ الجامعي؛ النسيج

الثقافي.

Abstract -

A University Teacher A Professor Is Considered The Main Corner Stone In Education ,Because He Represents An Important Tool That Makes The University Knows Its Responsibilities And Takes Its Message Which Aims To Developing Education ,Serving The Society And Improving Scientific Search .However, The University Can't Reach Its Aims Only If It Adopts An Organizational Culture Which Becomes A Strong Support For The Professor To Know How To Do His Tasks And Direct His Behaviour In The University ,And Identify Suitable And Unsuitable Behaviours .That Finally Form An Organization Of Values Which Are Followed By The Staff .The Real Importance Of The Organizational Culture Is In Improving The Scientific And Administrative Performance And Reaching The Needed Development Which Influences Directly On The Increase Of Effectiveness Of The University Reaching The Expected Objectives.

Key Words –

Organizational Culture - Organizational Effectiveness- University Professor- Cultural Paradigm.

تمهيد -

شهدت الفترة الراهنة وخصوصاً في السنوات الأخيرة من القرن العشرين، والعقد الأول من القرن الحادي والعشرين، اهتمام واضح للباحثين بقضايا الجامعة على مختلف المستويات المحلية والعالمية؛ باعتبارها نظام اجتماعي يُنظر بمقتضاه إلى العلم كمنهج للتفكير الصحيح وأسلوب يتزود فيه أفراد المجتمع بالمعرفة، التي أصبحت اليوم مطلباً ملحا لدى المجتمعات التي ترغب بالنهوض ببلدانها إلى مصاف الدول المتقدمة. وفي سياق هذا الاهتمام طرحت الدراسات المهمة بالتعليم العالي بشكل عام، والجامعي على وجه الخصوص، مفاهيم واتجاهات إدارية عصرية حديثة، منها إدارة الثقافة التنظيمية، التي تعد من أبرز المفاهيم الإدارية الحديثة التي راجت مؤخراً في تلك الكتابات والدراسات؛ وخصوصاً في التعليم الجامعي، باعتبارها فلسفة فكرية إدارية تعتمد على مفهوم النظم في نظرتها الشاملة إلى الجامعة كمؤسسة من مؤسسات التعليم العالي؛ تهدف إلى إحداث تغييرات إيجابية مرغوب فيها، وذلك بتناول

كل مكون من مكونات الجامعة، وتطويره بصورة مستمرة وفاعلة، تتحقق معها الجودة النوعية للجامعة¹.

وهذا يعني أن تأسيس ثقافة تنظيمية في الجامعات أصبح يمثل مدخلاً مهماً لتحقيق الجودة، وإحداث التطوير التنظيمي للجامعة ككل، فهي الوسيلة الفعالة لتحقيق المعايير المحددة وتدعيم وتعزيز مواصفات الجودة، كونه يعتمد على فكرة حتمية التغيير لصالح تحقيق الأهداف، ودعم الإيجابيات، وتجاوز السلبيات، وتشجيع التميز، ودعم عملية التحسين والتطوير المستمر، لمختلف الوظائف والبرامج الأكاديمية والإدارية في الجامعة.

وتلعب الثقافة دوراً حيوياً في التأثير على الأفراد العاملين في المنظمة، فهي تخلق ضغوطاً على الأفراد العاملين بالمنظمة للمضي قدماً في التفكير بطريقة تنسجم وتتناسب مع الثقافة السائدة. وتساهم في إيجاد الهوية المستقلة لأعضاء المنظمة، وفي خلق الالتزام بين العاملين وتعمل كمرشد للسلوك الملائم، وتعزز استقرار المنظمة كنظام اجتماعي، وأخيراً تعمل الثقافة التنظيمية كإطار مرجعي للحكم على السلوك التنظيمي، وتفسر الأنشطة الاجتماعية². وبحسب (القريوتي) فإن الكثير من المديرين يعطون الأولوية القصوى، والاهتمام الكافي للثقافة التنظيمية في منظماتهم، لأنهم يعتبرون الثقافة من أهم مكونات المنظمة، بحيث يجمع العديد من الكتاب، على أنها تولد ضغوطاً على العاملين، للمضي قدماً في التفكير والتصرف بطريقة تنسجم وتتناسب مع أهداف المنظمة³.

إن الاهتمام بالبعد الثقافي في الجامعة، يعد من الطرق العقلانية في التنسيق والسيطرة على أعضاء التنظيم ودراسة العوامل والخصائص المميزة للثقافة السائدة في هذه التنظيمات، كما تحولت اهتماماتها من التركيز على وسائل التحكم في السلوك التنظيمي، إلى كيفية التعامل مع تلك الخصائص ومحاولة التأثير فيها⁴.

1- مشكلة البحث :

إن دراسة مفهوم الثقافة التنظيمية للتنظيم، هي إحدى المجالات الحيوية في دراسة أنشطة التنظيمات، ويعتبر مفهومها أحد أبرز المناهج الحديثة في إدارة

التغيير والتطوير، وبصفة عامة فإن الثقافة التنظيمية توفر الإطار الذي يبين طريقة العمل في تنظيمات الجامعة وتميزها عن غيرها من التنظيمات الأخرى، فأداء أعضاء هيئة التدريس في الجامعة يتأثر بصورة أو بأخرى بعدة عوامل من داخل وخارج الجامعة، وبالتالي فإن للثقافة التنظيمية دوراً مهماً في التأثير على سلوك الأستاذ الجامعي وأفعاله ، وذلك وفقاً لطبيعة وقوة الثقافة التنظيمية التي تتمتع بها الجامعة. من هنا تأتي ضرورة الاهتمام بالتركيز على دراسة الثقافة التنظيمية بما يساعد على فهم ظاهرة الثقافة في الجامعة الجزائرية.

وتكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما المقصود بالثقافة التنظيمية للأستاذ الجامعي ؟
- ما المجالات الأكثر أهمية في الثقافة التنظيمية للجامعة الجزائرية ؟
- ما هي المداخل النظرية في دراسة الثقافة التنظيمية ؟
- تحديد ما دور الثقافة التنظيمية في الفعالية التنظيمية للجامعة ؟
- ماذا تعني الفعالية التنظيمية للجامعة ؟ وما مداخل قياسها ؟

2- أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

- التعرف على الثقافة التنظيمية السائدة ومستوياتها في الجامعة الجزائرية.

- محاولة التعرف على دور الثقافة التنظيمية في الفعالية التنظيمية للجامعة الجزائرية.

من هذا المنطلق يكتسب هذا الموضوع أهميته، كمحاولة لكشف اللبس عن حقيقته. وفي هذا الإطار حددنا المحاور التالية لمعالجته.

مصطلحات البحث

الثقافة التنظيمية :

عرف كيرت لوين (Quiret lowin) الثقافة التنظيمية : " بأنها مجموعة من الافتراضات و الاعتقادات و القيم و القواعد و المعايير التي يشترك بها أفراد المنظمة⁵ ".

الفعالية التنظيمية:

عرفها ايتزيوني (ETZIONI) : "على أنها النجاح في تحقيق الأهداف المسطرة من خلال الاستغلال الأمثل و المتوازن للموارد المتاحة في البيئة الخارجية"⁶.

الأستاذ الجامعي:

الشخص الذي يشترك مع طلابه في تحقيق النمو الذاتي، الذي يصل إلى أعماق الشخصية، ويمتد إلى أسلوب الحياة، ويشترط في هذا الشخص الذي يشغل هذا المنصب بالجامعة، وتكون له مؤهلات علمية وتربوية، تخول له ممارسة مهامه في التدريس والبحث العلمي⁷.

النسيج الثقافي:

يمثل الافتراضات الصحيحة (Paradigm) للمنظمة والسلوكيات التي تجسد ثقافة المنظمة بوضوح⁸.

مقدمة

1. إشكالية البحث.
 2. أهداف البحث
 3. مصطلحات البحث
 4. مفهوم الثقافة التنظيمية
 5. خصائص الثقافة التنظيمية ودورها في التنظيمات
 6. البعدان الأساسيان للثقافة التنظيمية
 7. مداخل دراسة الثقافة التنظيمية
 8. الثقافة التنظيمية للأستاذ الجامعي
 9. الفاعلية التنظيمية
 10. مداخل دراسة الفاعلية التنظيمية
 11. العوامل المؤثرة في الفعالية التنظيمية للجامعة
- الخاتمة.

4- مفهوم الثقافة التنظيمية

ظهر مصطلح الثقافة التنظيمية في الأدبيات النظرية على ثلاث تسميات على الأقل، فاستعملت تارة "الثقافة في المؤسسة"، وتعني ضمناً أن ليس هناك ما يمكن تسميته بثقافة تنظيمية محضة، فثقافة الفاعلين داخل التنظيم هي امتداد لعناصر ثقافية من المجتمع؛ وتارة أخرى "ثقافة المؤسسة" وتعني أنها مستوحاة ومبلورة من الداخل؛ وفي مقام ثالث سميت "ثقافات المؤسسة"، ويشير هذا المعنى إلى بوجود ثقافات متعددة لجماعات متعددة⁹؛ وهناك عدة تعاريف قد ذكرها الباحثون في نظرية التنظيم للثقافة التنظيمية ونستعرض هنا تلك التعاريف.

تعريف "روجر هاريسون" للثقافة التنظيمية بأنها: الأيدلوجيات والمعتقدات والقيم المغروسة في كل المنظمات وأيضاً العادات الراسخة للطرق التي يجب على الأفراد العمل بموجبها في تلك المنظمات¹⁰.

كما أشار بيترغرو (Pettigrew, 1979) للثقافة بأنها نظام عام وجمعي يقبل معاني أنشطة ومهام الجماعة التي تنجز في توقيت محدد يضم نظام مصطلحات وعبارات وصيغ، و تبويبات وتصورات، يستعين بها أعضاء المجموعة لتفسير تصرفات في مختلف المواقف التي يتعاملون معها فبولا وتجنباً¹¹. أما بيير موران (Pierre Morin) يرى أن ثقافة المؤسسة تكيف أو تشترط نسبة كبيرة من القرارات التي تتم بداخلها، من أدنى قرار إلى أعلى قرار استراتيجي¹². وهناك من نظر إلى الثقافة التنظيمية على أنها مجموعة القيم والمعايير والتوقعات المشتركة، والتي تعد كدليل للأفراد في المنظمة، وتؤثر بشكل كبير في سلوكيات الأفراد داخل المنظمة¹³. ومن التعاريف السابقة الذكر، يمكن القول بان الثقافة التنظيمية تشير إلى منظومة القيم والمعايير والمعتقدات والممارسات التي أنتجها الكيان الاجتماعي، وتطورت واستقرت بمرور الزمن لتصبح سمة تميز التنظيم عن غيره، وتنتج فهما بين أعضاء التنظيم حول السلوك المنتظر من الأعضاء فيه. يفهم مما سبق ذكره أنه توجد بكل منظمة ثقافة واحدة، أو ثقافة رسمية- بمعنى مجموعة من القيم المشتركة والعقائد والتوقعات التي تسود بين العاملين في التنظيم.

5- خصائص الثقافة التنظيمية ودورها في التنظيمات

تتفاوت السمات الثقافية للتنظيمات، ولكن يمكن القول بأن هناك مجموعة من الخصائص الثقافية التي تتفاوت درجة تواجدها والالتزام بها في التنظيم، وأهم هذه الخصائص هي¹⁴ :

- درجة المبادرة الفردية، وما يتمتع به الموظفون من حرية ومسؤولية.
- درجة قبول المخاطرة وتشجيع الموظفين على الإبداع وروح المبادرة.
- طبيعة نظام الحوافز والمكافآت، وفيما إذا كان يقوم على الأداء أو معايير الأقدمية والواسطة.

- درجة وضوح الأهداف والتوقعات لدى أعضاء التنظيم.
- مدى الرقابة المتمثلة في الإجراءات والتعليمات والإشراف على الموظفين.
- طبيعة نظام الاتصالات وفيما كان قاصرا على القنوات الرسمية، أو نمطا شبيكيا يسمح بتبادل المعلومات في كل الاتجاهات.

إن الثقافة قوة خفية ذات تأثير متعدد الجوانب، وبالتأكيد أنها تلعب أدوارا عديدة في التنظيمات، فوظيفتها الأولى تزود التنظيم وأعضاءه فيه بالإحساس بالهوية، حيث كلما كان من الممكن التعرف على الأفكار والقيم التي تسود التنظيم قوي ارتباط أعضائه برسالة وزاد شعورهم بأنهم جزء حيوي منه¹⁵.

أما الوظيفة الثانية، فتتمثل في تقوية الالتزام برسالة التنظيم، ذلك أن تفكير الناس عادة ينحصر حول ما يؤثر عليهم شخصا، إلا إذا شعروا بالانتماء القوي للمنظم بفعل الثقافة العامة المسيطرة، وعند ذلك يشعرون أن اهتمامات التنظيم الذي ينتمون إليه أكبر من اهتماماتهم الشخصية، ويعني ذلك أن الثقافة تذكرهم بأن منظماتهم هي أهم شيء بالنسبة لهم¹⁶. الوظيفة الثالثة للثقافة تقود أقوال أعضاء التنظيم وأفعالهم، مما يحدد بوضوح ما ينبغي قوله أو عمله في كل الحالات وبذلك يتحقق السلوك المتوقع من الفرد في الأوقات المختلفة¹⁷. إن مهمة النسق الثقافي في المؤسسة أو أية منظمة تكمن في تحقيق وظيفتين هما:

1- تحقيق الضبط الاجتماعي:

إن الضبط الاجتماعي الذي تقوم به المنظمة له ثلاث مظاهر هي:

- أ- أن تكون لسلوكات أعضاء المنظمة وأفعالهم إطار مرجعي واحد.
- ب- القيم السائدة بين أعضاء المنظمة واحدة.
- ت- تحقيق الشعور بالانتماء للمنظمة¹⁸.

2- تحقيق الاندماج الاجتماعي :

يرى الباحثون والمختصون في مجال دراسة التنظيمات أن تحقيق التنظيم للدمج الاجتماعي لأفراده يكون بالدمج الثقافي وذلك بجعلهم يشعرون بالانتماء له، ولا يمكن الوصول إلى هذه الأخيرة إلا بالاعتماد على المضامين الثقافية الآتية:

1- العمل: لا يمكن أن يتحقق الانتساب والاندماج إلا إذا شعر العامل أن العمل يشكل في حد ذاته قيمة أي أن العمل ذو قيمة عالية، لذا فإن جميع الأديان السماوية تحث على العمل وتمنحه مكانة هامة ،لما يحقق من أهداف للفرد والمجتمع على حد سواء.

2- المهنة: إن المهنة التي يمتثلها شخص بما تتضمنه من قيم ومعايير يمكن أن تشكل إطار مرجعي للعامل يحدد قناعاته ويوجه سلوكاته، فإذا كان العامل على قناعة تامة بجودة ما ينتجه من المهنة التي يزاولها فإنها تشكل له مصدر قناعة واندماج في العمل وانتساب للمؤسسة أو الجماعة التي تمكنه من مزاولته هذه المهنة.

3- البنية التنظيمية: وتتضمن ظروف العمل، وعلاقات العمل، وتشكل تنظيم للعمل يجعل العامل يشعر باندماج لهذا المحيط الاجتماعي وما يتولد عنه من معايير وقيم اندماجية يرتاح لها العامل.

4- قيم المؤسسة: إن توجه قيم المؤسسة لتصبح آلية من آليات الدمج، والضبط الاجتماعي، يكون من خلال إيجاد صيغة مناسبة تتمكن بواسطتها المؤسسة من الربط بين الأهداف والقيم الشخصية لأفرادها وأهداف وقيم التنظيم ككل¹⁹.

6- البعدان الأساسيان للثقافة التنظيمية:

يرى بعض الباحثين أن الثقافة التنظيمية تقوم على بعدين أساسيين هما درجة الصداقة الموجودة بين أعضاء التنظيم، ودرجة الفهم المشترك لرسالة التنظيم وأهدافه.

6- 1 البعد الخاص بدرجة الصداقة

يقيس درجة الصداقة بين أعضاء التنظيم، وهذا أول ما يلاحظه الموظف الجديد، ذلك أن بعض التنظيمات تضم أفراداً على درجة عالية من الصداقة، بينما نجد في تنظيمات أخرى أفراداً منطوين على أنفسهم، ولا يميلون إلى صداقة الآخرين، تصنف الأولى مع المجموعة العالية على هذا البعد، والثانية مع المجموعة المنخفضة على هذا البعد²⁰.

6- 2 البعد الخاص بدرجة فهم رسالة التنظيم وأهدافه:

من الواضح أنه لا صلة بين هذا البعد وبين علاقة أعضاء التنظيم بعضهم ببعض، فمن يتمتع بدرجة عالية من الفهم المشترك لرسالة التنظيم وأهدافه، يلتزم بأساليب محددة لتحقيق الأهداف المتفق عليها.

7- مداخل دراسة الثقافة التنظيمية:

يرى سميث (Smith) أن دراسة الثقافة التنظيمية يمكن أن يكون من خلال سبعة مداخل، هذه الأخيرة برزت من خلال تطور مفهوم الثقافة وهي²¹:

7- 1 المدخل التاريخي:

يتزعم هذا المدخل كل من (Yuchtman, Seshore, Georgopoulos, Tannenbaum) ويرى هؤلاء أن الثقافة التي تشمل المعايير والقيم والعادات... الخ، هي ميراث اجتماعي تناقل من جيل إلى آخر سواء عبر الهجرة أو الحروب التي كانت تقع على مر العصور والازمنة.

7- 2 المدخل السلوكي:

ناد بهذا المدخل كل من الباحثين (Perrow, Etzioni) والثقافة بنظرهما هي سلوكيات مشتركة ومتعلمة بين أفراد المجتمع أو أعضاء التنظيم.

7- 3 المدخل المثالي:

الثقافة حسب هذا المدخل تعبر عن المثاليات والقيم أو القوانين للعيش في استقرار وأمان وقد اهتم بهذا الاتجاه (Fille & House, Cyert, March).

7- 4 المدخل الوظيفي:

تبنى هذا المدخل كلا من (Macgregor ,Addison ,Likert) وينظر هؤلاء إلى أن الثقافة هي طريقة وأسلوب لحل المشاكل والصعوبات التي يواجهها الأفراد في التكيف مع البيئة المحطة بهم.

7- 5 المدخل الفكري:

يبين هذا المدخل أن الثقافة التنظيمية عبارة عن أفكار معقدة أو عادات متعلمة. وقد يساهم في بلورة هذا المدخل (Cross ,Selznick).

7- 6 المدخل الهيكلي:

الثقافة التنظيمية تتكون من أفكار ورموز أو سلوكيات مثالية مترابطة من أنصار هذا المدخل (Georgiou & Barnard , White ,Levin).

7- 7 المدخل الرمزي:

جسد أفكار هذا المدخل (Fremon , Parsons ,Merton) وتحدد الثقافة التنظيمية من خلال معايير تشترك بالتنظيم.

8- بعض القيم الثقافية لدى الأستاذ الجامعي

الأستاذ الجامعي فرد من المجتمع، يحمل قيم وعادات وتقاليد البيئة الاجتماعية التي نشأ فيها، كما أن التنظيم يغرس فيه بعضا من القيم والمعايير التي يسير وفقها طالما هو موجود بهذا التنظيم ومن القيم الثقافية ما يلي:

8- 1 ثقافة الأدوار التربوية:

يُعد الأستاذ الجامعي العنصر الأساسي والجوهري في العملية التعليمية لأنه يقود العمل التربوي والتعليمي، ويتعامل مع الطلبة مباشرة فيؤثر في تكوينهم العلمي والاجتماعي، ويعمل على نقد المؤسسات وتطوريتها وحمل أعباء رسالتها العلمية والعملية في خدمة المجتمع، وتحقيق أهدافه، في ضوء ذلك يجب على الأستاذ أن يحمل ثقافة هذه الأدوار التربوية ويؤمن بها، ويعمل بكل ما أتيح له من طاقات لتحقيق الهدف التربوي والتعليمي²². وفي هذا الإطار يجب الاهتمام بالأستاذ الجامعي من حيث التطوير والتقييم، ليواكب المستجدات العلمية في حقل تخصصه والجوانب التربوية والتكنولوجية للتعليم.

8- 2 ثقافة الأدوار البحثية:

إن ثقافة الأدوار البحثية تقع على عاتق الأستاذ الجامعي، لأنه منوط بهذه المهمة ومسؤول عن أدائها، كما أن مسؤولية الجامعات تزداد ويبرز دورها بشكل أكثر أهمية إذا أدركنا أن مؤسسات التعليم العالي تعد مركزا متقدما من مراكز الأبحاث العلمية، وأن البحث العلمي ليس جهدا فرديا، بل تضافر جهود مجموعة من الباحثين أو المختصين في حل مشكلة من المشاكل التي يعاني منها المجتمع والجامعات ربما هي المكان المناسب لوجود مثل هذه المجموعات المؤهلة والقادرة من العلماء والباحثين، فالجامعة الناجحة ومراكز البحوث المفيدة هي تلك المؤسسات التي تتفاعل مع المجتمع بتحديد قضاياها ومشاكله فتعمل على إيجاد الحلول المناسبة له، ويعد البحث العلمي أحد المعايير الأساسية للتقدم والارتقاء الأكاديمي، لذلك وضعت غالبية الدول السياسات التشجيعية للبحث وذلك لقناعتها بأن الجامعات هي المحرك الأساسي في عملية التنمية.²³

ونظرا لأهمية البحث العلمي فإن أغلب الجامعات ترى من الضروري تمتع الأستاذ الجامعي بخصائص متعددة مثل الذكاء العالي، وأن تكون لديه اتجاهات فكرية متعددة، فيتعامل مع الأمور من منطلقات فكرية، وأن يمتلك مهارة التواصل مع الآخرين.

8- 3 ثقافة أدوار خدمة المجتمع:

تعد الجامعة أهم المؤسسات الاجتماعية التي تؤثر وتتأثر بالمناخ الاجتماعي المحيط بها، فهي من صنع المجتمع من جهة، ومن جهة أخرى تعتبر أداة صنع قياداته السياسية والفكرية وإطارات المستقبل، ومن هنا كانت لكل جامعة رسالتها التي تتولى تحقيقها. إن اتصال الجامعات بمجتمعاتها من خلال الأدوار والأنشطة والخدمات التي تقدمها لهذا المجتمع أصبح أمرا ضروريا وتفرضه التغيرات المعاصرة، فلم يعد قيام الجامعة بخدمة مجتمعها أمرا اختياريا، كما أن الأستاذ الجامعي مطالب بالقيام بدور حيوي في هذا الإطار. ويرى المختصون أن للجامعة أهدافا مطالبة بتحقيقها لخدمة مجتمعها.

1- أهداف معرفية: تتناول كل ما يرتبط بالمعرفة والمعلومة تطوراً أو تطويراً.

2- أهداف اقتصادية: تتمثل في تطوير اقتصاد المجتمع، وتزويده بما يحتاجه من موارد بشرية، وتنمية ما يطلبه من مهارات وقيم اقتصادية.

3- أهداف اجتماعية: التي من شأنها أن تعمل على استقرار المجتمع، وتخطي ما يواجهه من مشكلات اجتماعية²⁴.

على العموم فإن مجالات خدمة الأستاذ الجامعي للمجتمع تظهر أولاً في البحوث التطبيقية التي تهدف إلى حل مشكلة أو سد حاجة المجتمع في خدمة أو سعة معينة. ثانياً تقديم الاستشارات لمؤسسات القطاع العام أو الخاص كل في مجال تخصصه، وكذلك الأفراد الذين يشعرون بالحاجة لمثل هذه الخدمات.

8- 4 ثقافة الالتزام

إن ثقافة الالتزام يجب أن تكون متجذرة عند كل فرد من أعضاء التنظيم، لاسيما الأستاذ الجامعي لكونه صانع إطارات وكوادر الأمة، فالالتزام أعضاء هيئة التدريس في عملهم يشير إلى تقبلهم لقيم وأهداف الجامعة التي ينتسبون إليها. ويظهر التزام أستاذ الجامعة في عدة مجالات منها الالتزام نحو العمل، والالتزام نحو الواجبات والمهام الداخلية للعمل، والالتزام نحو الجامعة، والالتزام نحو المهنة، والالتزام نحو جماعة العمل وغيرها.

ويعد بورتر وآخرون (Porter et al. 1974) من الباحثين الذين تناولت أعمالهم الالتزام من الناحية الإدارية، فقد عرفه بأنه "قوة تطابق الفرد مع منظمته وارتباطه بها"، وتوصل إلى أن هناك صفات لها تأثير كبير في تحديد الالتزام التنظيمي للأفراد وهي²⁵:

1. إيمان قوي بالمنظمة وقبول أهدافها وقيمها.
2. الاستعداد لبذل أقصى جهد ممكن في خدمة المنظمة.
3. الرغبة القوية في المحافظة على استمرار عضويته في المنظمة.

8- 5 ثقافة تخفيف وإزالة الصراع

تعتبر المنظمة نسق اجتماعي محدد يسعى إلى العمل لتحقيق أهداف مرسومة، ويوجد لهذا النسق الاجتماعي عناصر ومدخلات تعمل للمحافظة على توازنه واستقراره واستمراره ، ويوجد في المقابل عناصر تثير الصراع بين عناصر هذه النسق و مدخلاته، الأمر الذي يتطلب من الإدارة ضرورة العمل على استخدام استراتيجيات تساعد على التخفيف من حدة وآثار هذا الصراع. فمن المؤكد إن قيمة تخفيف الصراع التنظيمي من القيم الجوهرية التي يحرص الأستاذ الجامعي على التحلي بها خاصة وأن ظروف العمل تتخللها في كثير من الأوقات ضغوط العمل والروتين والتوتر لاسيما في مراكز اتخاذ القرار، لذا فالصراع في مكان العمل شيء طبيعي تفرضه ظروف العمل ، والصراع التنظيمي حسب (القيوتي) هو عمل مقصود من طرف ما، للتأثير سلبا على طرف آخر بشكل يؤثر سلبا على قدرة ذلك الطرف بشكل يعيق تحقيق أهدافه وخدمة مصالحه²⁶. أما سيكيو وآخرون (sekiou) فيعتبر الصراع نتيجة تعارض أو تباعد في الأفكار أو المصالح أو في الاحترام بين طرفين بينهما علاقة مباشرة في بيئة العمل²⁷. وتختلف وجهات النظر للصراع التنظيمي بين نظرة تقليدية ترى أن الصراع أمر سلبي وضار ويجب إيقافه، أما النظرة التفاعلية فتري في الصراع أمرا صحيحا وضروريا لأبد من وجوده، بل لأبد من استثارته وإيجاده إذا لم يكن موجودا. أما الطرق الممكن إتباعها للتعامل مع الصراعات داخل التنظيم وإدارتها بطريقة فعالة فتتمثل في²⁸:

- الاحتكام للأهداف العليا للتنظيم.
- زيادة الاتصالات واللقاءات بين أعضاء التنظيم.
- توحيد نظم المكافأة في الوحدات المتشابهة.
- اللجوء على استعمال السلطة الرسمية واتخاذ الإجراءات اللازمة بحق المعارضين من أجل المعارضة.

8- 6 ثقافة العمل الجماعي:

توجه سلوك أعضاء هيئة التدريس بحيث تخضع أهدافهم ومصلحتهم لأهداف الجماعة وأعمالها. وتنمي لدى الأستاذ الجامعي الشعور بأن جهوده التي

تفيد الجماعة مباشرة سوف تفيده بشكل غير مباشر، ويتطلب بناء المعرفة التنظيمية التآزر والعمل معاً والعمل بروح الفريق.

8- 7 ثقافة الرؤية المشتركة:

حينما يشترك أعضاء هيئة التدريس في أهداف وتطلعات ومصالح جماعية، فإن هذا يساعدهم على تصور الأهمية الممكنة لتبادل وضم مواردهم ويمكن اعتبار الرؤية المشتركة بمثابة آلية ربط تساعد الأجزاء المختلفة في الجامعة على تكامل وضم الموارد، كما أن وجود رؤية وتطلعات وأهداف مشتركة يساعد أعضاء الجامعة على تجنب سوء الفهم في الاتصالات وتصبح لديهم فرص أكبر لتبادل آرائهم وخبراتهم بحرية.

8- 8 ثقافة العدالة والمساواة:

إذا كانت ثقافة الجامعة مبنية على مفاهيم عدم العدالة والمساواة بين أعضاء التدريس والموظفين وغيرهم، فإن هذه الثقافة تكون مصدراً للاضطرابات و التذمرات داخل الجامعة، وتكثر الشكاوي والتصرفات السلبية، وتظهر التنظيمات غير الرسمية التي تقف ضد الإدارة وأهداف الجامعة، أما إذا كانت هذه الثقافة مبنية على مفاهيم العدالة والمساواة فإنها تكون مصدراً لاستقرار حيث يشعر كل شخص أنه يأخذ حقوقه دون مطالبة، ولن يقع في غبن ويتفرغ لعمله الأساسي.

9- 9 الفعالية التنظيمية

- مفهوم الفعالية التنظيمية :

يعتبر مفهوم الفعالية التنظيمية من المفاهيم التي يصعب تحديدها بدقة نظراً لعدم الاتفاق على ماهية الفعالية، وعدم الاتفاق على طبيعة مقاييسها²⁹. هذا ويمكن النظر إلى الفعالية التنظيمية على أساس أنها المحصلة النهائية لأداء المنظمة ومدى ارتباطها بالإدارة العليا وتعكس كذلك مستوى التفاعل بين أجزاء المنظمة ومدى قدرتها على التكيف مع البيئة الخارجية³⁰. فقد عرف برنارد (BARNARD) الفعالية التنظيمية على أنها تحقيق الهدف المحدد، ونظر إيتزيوني (ETZIONI) : للفعالية على أنها النجاح في تحقيق الأهداف المسطرة من خلال الاستغلال الأمثل والمتوازن للموارد المتاحة

في البيئة الخارجية³¹ وعبر Miles على أنها : القدرة على تحقيق الحد الأدنى من الإشباع لرغبات وتطلعات الأطراف ذات العلاقة الإستراتيجية بها، هذه الأطراف تضم : الأفراد وجماعات المصالح، الملاك، زبائن، موردون، منافسون ... الخ³². يمكن أن نستنتج من خلال هذه التعاريف أن الفعالية التنظيمية أصبحت ترتبط أكثر في إطار تحقيقها للأهداف المسطرة مع مكونات بيئية غير مستقرة، تجعل من المؤسسة في وضعية من خلالها تقوم بالبحث عن التوازن الديناميكي لتضمن نموها وبقاءها.

10- مداخل دراسة الفعالية التنظيمية

إن الاهتمام بموضوع الفعالية، ومحاولة تفسير هذه الظاهرة والتنبؤ بآثارها قاد إلى ظهور العديد من المداخل ومن أبرزها:

10- 1 مدخل تحقيق الأهداف:

ينظر هذا المدخل للفعالية التنظيمية من خلال قدرة التنظيم على تحقيق أهداف المنظمة والمقصود الأهداف التشغيلية، لأن الأهداف الرسمية نظرية وصعبة التحقيق، ومن رواد هذا المدخل (Hall , Daft , Robbins).

10- 2 مدخل الموارد:

يركز هذا المدخل على كفاءة التنظيم وقدرته على تأمين المدخلات للنظام وتحويلها إلى مخرجات يتم تسويقها وتحقيق ربحية تضمن الاستقرار والتوازن. ومن رواد هذا المدخل (Cameron Hom ,Hoy ,Moore&Duncan)³³. ويشتمل هذا المدخل على أبعاد لقياس فاعلية المنظمة منها قدرة المنظمة على الحصول من بيئتها على الموارد النادرة والقيمة، وقدرات متخذ القرارات في المنظمة على إدراك وتفسير الأسبقيات الواقعية في البيئة الخارجية وتغييراتها بهدف الاستمرار في الحصول على هذه الموارد التي منها الموارد البشرية والموارد المالية والمواد الأولية والخامات والتكنولوجيا³⁴.

10- 3 مدخل العمليات الإدارية:

اهتم بهذا المدخل (Webb ,Bennis ,Campbell) وأن تقييم الفعالية يتم من خلال قدرة المنظمة على الأداء الكفاء للوظائف الإدارية، مثل اتخاذ القرار، التخطيط، الرقابة³⁵.

10- 4 مدخل التطور التنظيمي:

ساهم في بلورة فكرة هذا المدخل (Caplaw , Zald , Mott) ونظروا إلى الفعالية عبر حل مشاكل التنظيم وتجديد القدرات³⁶.

11- نماذج الفاعلية التنظيمية

لا يوجد هناك نموذج واحد يلائم كل الظروف وكل أنواع التنظيمات، ولكن تختلف النماذج حسب وجهة نظر الدارسين لها وحسب تخصصاتهم. وبالرغم من تعدد نماذج قياس الفعالية التنظيمية إلا أننا نحصرها فيما يلي:

1- نموذج الأهداف:

يرتبط هذا النموذج باسم Etzioni فقياس فعالية المنظمة حسب هذا النموذج يجب أن يكون في ضوء مدى تحقيق هذه المنظمة للأهداف التي وجدت من أجلها، إلا أن التعرف على تلك الأهداف يعترضه العديد من المشكلات لعل من أهمها ما يلي³⁷:

هل نتعامل مع الأهداف الرسمية، أي المعلن عنها أم مع الأهداف العملية أي الواقعية ؟

هل يتم قياس فعالية المنظمة على أساس تحقيق أهم الأهداف (أي الهدف السائد) أم على أساس تحقيق أكثر من هدف (أي تعدد الأهداف) ؟

2- الأهداف الفردية والنموذج الوظيفي :

يقوم هذا النموذج على أساس ما تقدمه المنظمات للمجتمع والذي تعتبر جزء منه ، إضافة لما تحققه لنفسها وللأطراف المختلفة ذات العلاقة به، ويعتبر تحليل بارسونز من أشهر التحاليل لهذا المدخل والذي يطلق عليه التحليل الوظيفي، حيث يرى بارسونز أن كل منظمة يجب أن تحقق أربعة متطلبات

أساسية إذا ما أرادت لنفسها البقاء والاستمرار وأن تكون فعالة ، وهذه المتطلبات أو الوظائف هي ³⁸ :

أ - التكيف (المواءمة مع البيئة) .

ب - تحقيق الأهداف

ج - التكامل

د - المحافظة على النمط و احتواء التوترات

3- أنموذج العمليات الداخلية:

يعكس هذا الأنموذج قيم التركيز الداخلي ورقابة الهيكل ، والنتيجة هي المحافظة على ثبات الوضع التنظيمي ، وبطريقة منظمة . وأن المنظمات ذات العلاقة الجيدة مع البيئة والتي تريد ببساطة أن تحافظ على موقعها الحالي سوف تتلاءم مع هذا الأنموذج، وأما الأهداف الفرعية لهذا الأنموذج فتضمن آليات الاتصال الفعال ، وإدارة المعلومات بشكل كفاء، واتخاذ القرار بشكل مناسب ، وهذا الأنموذج مشابه لمدخل العملية الداخلية للفاعلية والذي تم عرضه في الصفحات السابقة كأحد المداخل التقليدية³⁹.

4- مدخل الأطراف ذات المصلحة :

ويطلق عليه أيضا مدخل جمهور المستفيدين، وتقاس فعالية المنظمة وفقا لهذا النموذج على أساس مدى قدرتها على إشباع رغبات وحاجات وتوقعات الأطراف ذات المصلحة أو الجمهور المتعاملين مع المنظمة مثل الموردين، أفراد المجتمع وغيرها. ويؤخذ على هذا المدخل ما يلي⁴⁰ :

-يصعب الوصول إلى تقييم معين لفعالية المنظمة نظرا لتعارض حاجات ورغبات كل طرف

من الأطراف ذات المصلحة.

-لا يأخذ في اعتباره الأهمية النسبية لكل طرف من الأطراف ذات المصلحة

ومدى تأثيره

على أداء المنظمة.

-يصعب تقييم فعالية المنظمة نظرا لتغير الأطراف ذات المصلحة من وقت

لآخر وكذا تغير

حاجاتهم ورغباتهم.

12- العوامل المؤثرة في الفعالية التنظيمية للجامعة

يمكن أن نقدم مجموعة العوامل التي لها تأثير في تحديد الفعالية التنظيمية ليس على سبيل الحصر فيما يلي⁴¹ :

- درجة التخصص وتقسيم العمل المعتمدة في المؤسسة بشكل عام والجامعة على وجه الخصوص.

- درجة الالتزام باللوائح والإجراءات التي تضبط السلوك التنظيمي.

- التنسيق على المستويين الرأسي والأفقي.

- وحدة السلطة الأمر و التي تؤدي إلى عدم وجود مراكز قرار متعددة.

- تفويض السلطة بشكل متوازن بين مختلف المستويات التنظيمية.

- اعتماد المركزية و اللامركزية حسب الحاجة التنظيمية دون إفراط أو

تفريط فالمركزية تفيد في كل ما هو استراتيجي و اللامركزية مفيدة في كل ما هو روتيني.

- فلسفة التعامل مع البنية الخارجية و طبيعة نظام الضبط الذاتي للمؤسسة في معالجة أخطائها أثناء التفاعل مع البنية الخارجية.

- القدرة على التكيف و الاستجابة للتغيرات التي تحدث على مستوى البيئة.

- تنظيم الرقابة والمتابعة المعتمد في شكل جزاء و عقاب.

- شبكات الاتصال المتكاملة كممر لتدفق المعلومات الضرورية لمختلف القرارات المتخذة.

كل هذه المتغيرات ليس على سبيل الحصر ترتبط بالفعالية التنظيمية بعلاقة سببية، وعدم تحديد درجة تأثيرها بدقة يصعب من عملية القياس.

خاتمة -

إن للثقافة بشكل عام، والثقافة التنظيمية على وجه الخصوص، دور كبير في التأثير على سلوك الأفراد والجماعات في المجتمع الذي يعيشون فيه ، كما تسهم في تزويدهم بالقدرة على تحقيق الاتصال بينهم وتعطي لهم الدور الذي يمكنهم القيام به داخل المنظمات، وبما أن المنظمات جزء من البيئة

والمجتمع الكبير، فإن ثقافة المنظمة ما هي إلا امتداد وانعكاس للثقافة السائدة في المجتمع والتي ينعكس تأثيرها على جميع أعضاء المنظمة وتؤثر في عملية اتخاذ القرارات وكذلك على الأنماط السلوكية والاتجاهات لدى العاملين فيها، كما تؤثر الثقافة التنظيمية بشكل مباشر في رفع فعالية التنظيمات إلى أعلى المستويات من خلال منظومة القيم والعادات والتقاليد التي يحملها أفراد التنظيم. لقد بات واضحاً، بأن مفهوم الفعالية؛ أصبح منذ بدايات السبعينيات لا يهتم بتحقيق أهداف التنظيم المتمثلة في الاستمرار والبقاء، وإنما يبحث على معايير أخرى كمستوى الروح المعنوية، ومعدل الحوادث أو إصابات العمل، بالإضافة إلى نسبة التغيب عن العمل، ومعدل الدوران الوظيفي إلى غير ذلك من المفاهيم التي اعتبرت مؤشرات هامة وأساسية في فعالية التنظيمات.

هوامش -

- ¹ - الشافعي، أحمد عبد الحميد و ناس، السيد محمد: ثقافة الجودة في الفكر التربوي الياباني وإمكانية الاستفادة منها في مصر، مجلة التربية ، المجلد الثاني ، العدد الأول، 2000، ص 80.
- ² - الرخيمي، ممدوح جلال : دور الثقافة التنظيمية في تطبيق إدارة الجودة الشاملة على قطاع الصناعات الكيماوية بمحافظة جدة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 2000، ص 37.
- ³ - القريوتي، محمد قاسم : نظرية المنظمة والتنظيم، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، الأردن، 2000، ص 298.
- ⁴ - علي السلمي : إدارة السلوك التنظيمي، دار غريب، القاهرة، مصر 2004، ص 153 .
- ⁵ - حريم حسين: إدارة المنظمات -منظور كلي - ، دار الحامد للنشر و التوزيع ، عمان الأردن، 2003، ص 262 .
- ⁶ - صلاح الدين عون الله: مداخل و مشكلات قياس الفعالية التنظيمية، مجلة الإدارة العامة، الرياض، السعودية، العدد 54 جويلية، 1987، ص 9.
- ⁷ - صباح غربي: دور التعليم العالي في تنمية المجتمع المحلي، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة بسكرة 2013 - 2014 ، الجزائر ، ص 59 .
- ⁸ - نعمة عباس الخفاجي : ثقافة المنظمة، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2009، ص 87 .

- 9 - بشير محمد : الثقافة والتسيير في الجزائر "بحث في تفاعل الثقافة التقليدية والثقافة الصناعية"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، صص 6-7.
- 10 - حريم حسين : السلوك التنظيمي "سلوك الأفراد في المنظمات" ، ط1، دار زهران، عمان، الأردن، 1999، ص 445.
- 11 - نعمة عباس الخفاجي : نفس المرجع، ص 21.
- 12 - Pierre Morin : Le manager à l'écoute du sociologue ,Paris ,éd ,organisation , 2000 , p41 .
- 13 - Michell Petit ,Aundrey Klesta : Management d'équipe concept et pratique, Lunod, Paris , 2000, P186.
- 14 - القريوتي، محمد قاسم: نفس المرجع، ص ص 286- 287 .
- 15 - جيرالد جرينبرج، روبرت بارون: إدارة السلوك في المنظمات، تعريب ومراجعة رفاعي محمد رفاعي، إسماعيل علي بسيوني، دار المريخ للنشر، الرياض، العربية السعودية، 2004، ص 630.
- 16 - جيرالد جرينبرج، روبرت بارون: نفس المرجع، ص 630.
- 17 - نفس المرجع، ص 630.
- 18 - بن عيسى محمد المهدي: ثقافة المؤسسة كموجه للسلوكات والأفعال في المنظمة الاقتصادية، مجلة الباحث الاجتماعي، جامعة ورقلة، 2008، ص 147 .
- 19 - نفس المرجع، ص ص 147- 148 .
- 20 - جيرالد جرينبرج، روبرت بارون: نفس المرجع، ص ص 631- 632.
- 21 - رضوي خوين، م سندس: الثقافة التنظيمية وفاعلية المنظمة، مجلة الإدارة والاقتصاد، 2009، 75، ص ص 7- 8 .
- 22 - لثب حمودي إبراهيم: مدى ممارسة الأستاذ الجامعي للأدوار التربوية والبحثية وخدمة المجتمع بصورة شاملة، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، العدد 30، ص 198.
- 23 - محفوظ أحمد فاروق: إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي، المؤتمر السنوي الحادي عشر، مركز تطوير التعليم الجامعي العربي، جامعة عين الشمس، القاهرة، مصر، 2004، ص 86.
- 24 - الأسد ناصر الدين: تصورات اسلامية في التعليم الجامعي والبحث العلمي، روائع مجد لروى، عمان، الأردن، 1996، ص 49 .
- 25 - الأحمدى، طلال بن عايد: الولاء التنظيمي وعلاقته بالخصائص الشخصية والرغبة في ترك المنظمة والمهنة: دراسة ميدانية للمرضين العاملين في مستشفيات وزارة الصحة بمدينة الرياض، المملكة العربية السعودية، المجلة العربية للإدارة، المجلد 14، العدد الأول، القاهرة، مصر العربية، 2004، ص ص 41- 44.
- 26 - محمد قاسم القريوتي: نفس المرجع، ص 270 .

- ²⁷ - Sekiou et autre : Gestion des ressources humaines, de doeck,ed2,Paris,2001,P796 .
- ²⁸ - محمد قاسم القريوتي: نفس المرجع، ص 283 .
- ²⁹ - أمين فؤاد الضرغامي: قياس فعالية المنظمات، مجلة الإدارة، اتحاد جمعيات التنمية الإدارية، المجلد 11، العدد الأول، 1987، ص 65 .
- ³⁰ - متولي السيد متولي: تقويم الفعالية التنظيمية للمستشفيات السعودية " دراسة ميدانية على مستشفيات المنطقة الغربية "، المجلة العلمية للبحوث والدراسات التجارية، كلية التجارة وإدارة الأعمال، جامعة حلوان، المجلد الثالث، العدد الثاني، 1989، ص 328 .
- ³¹ - صلاح الدين عون الله: مداخل ومشكلات قياس الفعالية التنظيمية، مجلة الإدارة العامة، الرياض، العدد 54 جويلية 1987، ص 9.
- ³² - Desreumaux.A : introduction à la gestion des entreprises, éd, Armand colin, Paris, 1992, p133.
- ³³ - محمد قاسم القريوتي: نفس المرجع، ص 104 .
- ³⁴ - الجعدي، فيصل صالح محمد: العلاقة بين استراتيجيات الأعمال واستراتيجيات إدارة الموارد البشرية وتأثيرها في الأداء المنظمي "دراسة ميدانية في المصارف اليمنية"، أطروحة دكتوراه فلسفة في إدارة الأعمال، غير منشورة، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد. 2002، ص 26 .
- ³⁵ - رضوي خوين، م سندس: نفس المرجع، ص 10 .
- ³⁶ - نفس المرجع، ص 11 .
- ³⁷ - متولي السيد متولي، مرجع سابق، ص 33
- ³⁸ - رفاعي محمد رفاعي: نظرية التنظيم، بدون دار النشر، 1992، ص ص 147 - 148 .
- ³⁹ - علي محمد حلوة: دراسات في السلوك الإنساني في التنظيم، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، القاهرة، مكتبة عين شمس، 1985، ص 11 .
- ⁴⁰ - أمين محمد الضرغامي: مرجع سابق، ص 66 .
- ⁴¹ - سعيد محمد المصري: التنظيم والإدارة، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2002، ص 236 .



السياسات السكنية في الجزائر وتحديات القضاء على أزمة السكن .

تمرسيت فتيحة^{1,2}

1- قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد

خيضر بسكرة.

2- عضو في مخبر التغير الاجتماعي والعلاقات العامة في الجزائر - جامعة بسكرة

temersit@yahoo.fr

ملخص -

تعد السياسة السكنية في الجزائر من القضايا الهامة التي تعنى بها سياسات التخطيط الحضري ، فالمدينة اليوم اصبحت غير قادرة على تلبية حاجات و خدمات و تجهيزات سكانها بسبب عدم توازن التنمية الاقتصادية و ضعف مستوى التوفير عند اغلبية المواطنين و تزايد الطلب على السكن و انهيار شبكة المرافق العامة و الاستخدام غير الواعي للمساحات الشاغرة، و استغلال الفراغات الحضرية بطريقة غير قانونية كل ذلك أدى الى تشويه الصورة الحضرية للمدينة الجزائرية.

و لتطبيق مختلف السياسات الحضرية لابد من الاعتماد على آليات و أدوات تحدد مختلف الاهتمامات و التصورات، و تسعى من خلال الديناميكية الاجتماعية الى ايجاد الحلول الملائمة للمشكلات الاجتماعية و الحضرية داخل المدن و التجمعات السكنية و ذلك عبر ترجمة فعلية لحاجات و متطلبات المجتمع حاضرا و مستقبلا.

الكلمات المفتاحية -

السياسات السكنية، السكن، المدينة الجزائرية، المجتمع الحضري، الاسكان الحضري، المشكلات الحضرية.

Housing Policies In Algeria And The Challenges Of Eliminating The Housing Crisis

Abstract-

The Housing Policy In Algeria Is One Of The Important Issues That Are Concerned With Urban Planning Policies. Today, The City Is Unable To Meet The Needs, Services And Facilities Of Its Population Because Of The Imbalance Of Economic Development, Poor Savings Among The Majority Of Citizens, Increasing Demand For Housing, The Unintentional Use Of Vacant Spaces, And The Illegal Exploitation Of Urban Spaces ... All Of Which Have Distorted The Urban Image Of The Algerian City.

In Order To Implement Various Urban Policies, It Is Necessary To Rely On Mechanisms And Tools That Identify Different Interests And Perceptions, And Seek Through Social Dynamism To Find Appropriate Solutions To Social And Urban Problems Within Cities And Communities Through Actual Translation Of The Needs And Requirements Of Present And Future Society .

Keywords-

Housing Policies, Housing, Algerian City, Urban Society, Urban Housing, Urban Problems.

مقدمة -

تعتبر المدينة الجزائرية نتاجا لتأثير الانسان الجزائري على بيئته الحضرية عبر مختلف مراحل التطور الاجتماعي و العمراني الذي مرت به، و لهذا فهي عبارة عن تجسيد مادي لثقافة المجتمع الجزائري، تعبر عنه و تتأثر به و كل هذا يعكس ثقافة تطبعها حياة المدينة و تتربط نظمها الاجتماعية و الثقافية و الفيزيائية بثقافة الأفراد، و لذلك فإن البنيات و المعايير الاجتماعية الحضرية تطبع على سلوكياتنا و حياتنا اليومية.

و نظرا لأهمية السكن في وقتنا الحالي، فقد ظهرت دراسات اجتماعية و حضرية و تنوعت البحوث التي تناولت ازمة السكن من جميع جوانبها باعتبار هاته الاخيرة تعتبر جزءا لا يتجزأ من كل مظهر من مظاهر الحياة العصرية.

و في هذا الاطار فقد انتهجت الجزائر منذ الاستقلال سياسات اسكانية كثيرة جسدت في برامج محددة قصد التغلب على ازمة الإسكان و امتصاص اثارها الاجتماعية المعقدة، و ذلك انطلاقا من مرحلة التخطيط الموجه ما بين سنتي 1962 - 1990، إلى مرحلة التحولات الكبرى و التوجه الليبرالي الحركي ابعاده الاقتصادية و الاجتماعية بعد 1990.

من هذا المنطلق سوف نحاول من خلال تحليلنا لمعطيات واقع هذه السياسة السكنية على أزمة الإسكان، و هل تتعلق هذه الأزمة بالندرة في برامج السكن، أو بعدم استجابة هذه البرامج لحاجات المجتمع و خصائصه الاجتماعية و الثقافية ؟ و هل استطاعت هذه السياسات الحضرية ان تستجيب لحاجيات المجتمع الجزائري في مجال الإسكان الحضري؟ و ذلك من خلال الوقوف على الوضعية الفعلية لبرامج الإسكان المنفذة في الجزائر، و مدى قدرتها على اشباع و سد الحاجيات المختلفة للشرائح المستفيدة منها.

1- السكن في الجزائر:

يعكس السكن صورة لعلاقة الانتماء بين الفرد و مسكنه بوصفه فضاء ماديا قائما على انتاج هيكل هندسي وظيفي يؤسس به حياته و ينشئ به علاقاته و وظائفه وفق نموذج ثقافي مستمد من صيرورة ماضيه و تفاصيل حياته اليومية. و الإسكان لا يعني المأوى أو المسكن فقط، بل هو مجموعة العناصر الأكثر تعقيدا و التي ترتبط بوجود المسكن بما فيها المحيط الخارجي و المرافق العمومية المتاحة ضمن ذلك المحيط.

و لما كان الإنسان في الماضي غير مستقر في مسكنه و حتى موطنه، فقد أدى ظهور المدينة إلى استقرار السكان و ظهور الكثير من الانتماءات و الولاءات، و التي كانت محطة انطلاق لمرحلة جديدة من الحياة الحضرية المليئة بالكثير من العلاقات الاجتماعية و الإنسانية المعقدة.

و بمرور الزمن صارت المدينة هي المحيط الذي يحقق فيه الإنسان ذاته كفرد اجتماعي و ثقافي، و الوعاء الذي يحوي نشاطه اليومي و علاقاته الاجتماعية و الاقتصادية، و فيها يحقق ذاته وطموحاته و تزداد خبرته في الحياة.

" و في كل مكان في العالم كانت المدينة في خدمة السكان و على مستواهم، و وجدت لتناسب أذواقهم و أعراقهم و مشاربهم، و لتساعدهم على التعاون و تحميهم من الأخطار المحتملة، و لهذا كانت كل مدينة تولد و تمارس ثقافة خاصة بها، و تضع و لو بشكل ضمني سلما للقيم و تكيف الأشياء من حولها " (1).

و لقد ظلت المدينة لفترة طويلة نموذجا للتطور الاقتصادي و الاجتماعي الذي توصلت إليه البشرية، لكن مع مرور الزمن اخذت التحولات تتسارع بشكل يستحيل التحكم فيه، حيث عرفت المدن توسعا كبيرا في مساحاتها لم تكن لتبلغه و ذلك بسبب بعض السلوكيات اللاحضرية، بالإضافة لمعوقات التخطيط الحضري خصوصا في هذا المجال.

و يعتبر الحصول على مسكن لائق في المدينة من أهم مؤشرات الحضرية، " حيث يتم تقدير المعيشة الجيدة في الجزائر من خلال الحصول على مسكن، و على الرغم من برامج الإسكان الكبيرة التي تحققت أو التي أنجزت في السنوات الأخيرة فإن الطلب على السكن سيظل كبيرا على المدى المتوسط، و ذلك نظرا لعدم التوافق بين النمو الديمغرافي و الارتفاع المتوقع في مستوى المعيشة، و بالتالي فإن التحدي يتمثل في خفض مساهمات الأفراد للسكن اللائق، و تحسين توزيع الأراضي و خفض التكاليف، و هي في عمومها إجراءات تقديرية يمكن أن تسهم في تحقيق هذا التحدي و الرفع من مستوى التماسك الاجتماعي " (2).

و رغم أن السكن الحالي، لم يرقى بعد إلى مستوى الطموح الإنساني و رغباته، إلا أن الجزائر تسعى جاهدة إلى فك الخناق على أزمة السكن بكل أشكال المساهمات المادية.

و لعل أهم ما تكشف عنه ظاهرة السكن أنها ذات أبعاد و جوانب عديدة منها ما هو اجتماعي، و منها ما هو اقتصادي، و قد تتطور الظاهرة لتتخذ ابعادا ثقافية و ايكولوجية، لذلك فقد اهتمت الجزائر بهذا القطاع من خلال توفير أكبر عدد من السكنات في مختلف الصيغ الاجتماعية بغية الوصول إلى تلبية الطلبات المتزايدة لمختلف فئات المجتمع التي تزايدت بفضل النمو الحضري و

السكاني، و تفكك العائلة الجزائرية مما أدى بالدولة الى تنويع البرامج و تكثيفها و استحداث اطار تنظيمي جديد ينظم عملية توزيع السكنات بمختلف صيغها الاجتماعية.

و يؤثر الاسكان الحضري و يتأثر بالعوامل البيئية و الايكولوجية كحجم المسكن و المساحة التي يشغلها كل فرد و هناك عوامل اخرى تؤثر في عملية الاسكان و تتأثر به، كالمستوى المهني و التعليمي و التقاليد الثقافية و المعتقدات السائدة و التي تحدد طبيعة المسكن الملائم للأسرة الجزائرية، كما تتأثر بالعامل الاقتصادي، و الذي يشمل تكاليف الدراسة و البناء و الصيانة و الخدمات المرفقة، فكلما كان نوع الاسكان و مستواه ملائما لقدرات الافراد و ملبيا لرغباتهم زاد ذلك من درجة توافقهم مع بيئتهم الاجتماعية، و ادى إلى التقليل من حدة المشاكل المتوقعة ظهورها في هذه البيئة الحضرية.

فبعد تضاعف عدد سكان الجزائر تم التركيز على سياسة تسعى لتلبية الطلب الاجتماعي المتزايد على السكنات و التي تندرج في اطار سياسة عقلانية للتهيئة العمرانية، و رغم البرامج الهامة للسكنات الاجتماعية و تقسيم أراضي البناء فقد استحال تلبية حاجات جميع السكان.

و في السنوات الاخيرة فقد ارتبط السكن الحضري من جهة اخرى بالعامل الاقتصادي، و الذي يشمل تكاليف الدراسة و البناء و الصيانة و الخدمات المرفقة، فكلما كان نوع الاسكان ملائما لمستويات الافراد و طموحاتهم زاد ذلك من درجة توافقهم مع البيئة الاجتماعية، و أدى ذلك إلى التقليل من حدة المشاكل المتوقعة ظهورها في هذه البيئات الحضرية.

و قد وجهت سياسة الدعم لقطاع السكن بالجزائر الى إعانة الأسر البسيطة الدخل لتمكينها من امتلاك مسكن عن طريق مختلف الصيغ التي طرحتها الدولة، كما اتجهت الدولة نحو سياسة تهدف الى تمكين الفئة المتوسطة من امتلاك المسكن، و ذلك اعتمادا على نظام تمويل مكون من إعانات و قروض عقارية، " حيث تتمحور السياسة السكانية في الجزائر في السنوات الاخيرة حول ثلاث برامج اسكانية تتمثل في المساكن الایجابية، و المساكن

الاجتماعية التساهمية، والإسكان الريفي، حيث تساهم الدولة من خلال تقديم الإعانات المادية لهذه الفئات السكنية بغية استكمال هذه البرامج و خاصة الموجهة للفئة الأكثر حرمانا " .⁽³⁾

و يكشف التحليل المتعمق لمشكلة الاسكان عن حقيقة كونها مشكلة حضرية أي متعلقة بحياة المدينة في المقام الأول كما يكشف أيضا عن أن حدة المشكلة تتفاوت بتفاوت ما بلغته كل مدينة من حجم معين أو كثافة سكانية محددة، كما يوضح التشخيص الواعي للمشكلة أن سببها الأساسي يكمن في ازدهار السكان الذي أصبح سمة بارزة لمدينة العصر الحديث.⁽⁴⁾

و انطلاقا من ذلك فإن المشكلة السكانية تتجسد في زيادة معدلات التزاحم على الأرض وارتفاع المباني و تضاعف المساكن و ارتفاع سعر الايجار و غير ذلك من المظاهر الحضرية المرتبطة بعاملين أساسيين هما ارتفاع قيمة الأرض الحضرية من ناحية و عدم كفاية تسهيلات النقل و إمكانياته من ناحية أخرى. و مع ازدياد هذا الوضع وضعت الجزائر مخططات تنموية عديدة شملت ميدان الاسكان خاصة فيما يتعلق بتوزيع النفقات لصالح الاستثمارات الاجتماعية، و بهذا فقد مرت سياسة التخطيط في الجزائر منذ الاستقلال بمراحل عديدة انشأت خلالها مخططات للتهيئة و التعمير.

2- واقع السياسات السكنية في الجزائر بعد مرحلة الاصلاحات:

إن الطلب المتزايد على السكن في الجزائر أدى إلى حدوث أزمة حادة في هذا القطاع، سببها الأول هو عدم التوازن بين وتيرة النمو السكاني و المشاريع السكنية التي تقدمها حظيرة السكن، و هذا ما جعلها تعرف تراكما و تأخرا هاما في هذا القطاع، و الذي تمتد أسبابه إلى السنوات الأولى بعد الاستقلال حيث اولت السلطة الجزائرية اهتمامها بالجانب السياسي و الصناعي فقط، مما جعل المدن الجزائرية تسقط في الفوضى و خلل الأداء رغم بعض المحاولات للإصلاح الاقتصادي و الاجتماعي، فالسياسة العمرانية في الجزائر لم تعرف أي تحركات في قطاع التنمية الحضرية خاصة في مجال السكن إلا في السنوات الأخيرة حيث عرفت معدلات وتيرة لم يسبق لها مثيل.

فقد خصصت الدولة لقطاع الاسكان و التخطيط العمراني تكلفة تزيد عن 13 مليار دينار، و هذا بموجب قانون المالية لسنة 2011، و أكثر من 18 مليار دينار بموجب قانون المالية لسنة 2012، و قد شهدت الحصص السكنية تغيرا ملحوظا في متوسط عدد الأفراد داخل الوحدة السكنية الواحدة، حيث قدر متوسط عدد الأفراد في سنة 2008 ب 5.10، لينخفض إلى 4.83 في 2011، و من المتوقع أن يصل إلى 4.59 في نهاية 2014 وفقا لتوقعات الوزارة المعنية⁽⁵⁾.

و قد دعى تقرير المجلس الاقتصادي و الاجتماعي الى ضرورة إنشاء صندوق وطني لضمان الائتمان المصرفي للمواطنين، و ذلك للحصول على السكن أو قطع ارضية من شأنها تحسين ظروف الشباب الاجتماعية و الاقتصادية، حيث سيتم حجز هذه العقارات للشباب عن طريق البيع بمختلف صيغه الاجتماعي أو الايجاري بغية التخفيف من الاجراءات اللازمة لعملية البيع و الشراء و هذا امثالا للأحكام التشريعية و التنظيمية في استخدام الاتفاقيات البسيطة للدخول في الدراسات و الإنجازات و الإسراع في عملية توزيع جميع الوحدات التي تم الانتهاء منها بالفعل قبل نهاية شهر جوان 2011. و قد تقرر من ناحية أخرى في مجلس الحكومة المنعقد في 10 جويلية 2011 بموجب برنامج مدته خمس سنوات 2010- 2014 كبرنامج إضافي لـ 550 ألف سكن عام مساحته تقدر بـ 9974 هكتار ينتشر عبر 22 ولاية بالتالي يصل إلى ما يقرب من مليوني و نصف من السكنات.

بالإضافة إلى ذلك فقد أطلقت الوزارة المعنية برنامجا إضافي أطلق عليه إسم " عدل " و ذلك في سنة 2012، و لتلبية الطلب تم إنشاء ملف تنفيذي لطالبي الإسكان العام في من الطابع الاجتماعي و السماح لفئة المواطنين ذوي الدخل المتوسط، حيث أطلقت 484061 وحدة منها 175044 وحدة من نوع (LPL) و 48464 وحدة من نوع (LSP).⁽⁶⁾

و للتوضيح أكثر لدينا جدول الذي يبين البرامج السكنية خلال الفترة 2008 - 2012 (مصدر وزارة السكن).

Année	LPL	LSP	Location Vente	promotionnel	Auto-construction	s/ total urbain	Rural	Total
2005	11 2053	41848	0	8373		200 074	132 765	839332
2006	68938	75385	6962	5585	16039	143 641	137 017	658280
2007	14535	22883	9418	5885	64728	110 609	85278	461189
2008	05367	37364	837	9567	63726	146 219	59579	814225
2009	130 240	36072	0	80810	73933	198 394	85370	247269
2010	89158	07371	0802	1598	26227	107 129	87852	007160
2011	155 639	49622	7492	04011	01032	226 400	130 012	356412
2012	175 044	84644	8951	12439	47912	270 321	213 740	484061

إن تطوير سياسة اسكانية ناجحة قد تتعقد أكثر بوجود شكل مزدوج لفعاليات الادارة و عمليات اتخاذ القرارات، فعلى الرغم من أن المحاولات العديدة السابقة لتحسين شروط الاسكان و إمكانية التملك التي بدأت بها الحكومة المركزية فإنه غالباً ما يقع أمر تنفيذها على السلطات المحلية، لذلك فإن استمرار مشكلة الاسكان تبقى دائماً على الصعيد الوطني في الواجهة، حيث لم تستطع هذه السياسات حل مشكلة الاسكان الحضري على الرغم من تعدد طرقها، فالصعوبة الأساسية تكمن في وضع سياسة سكانية متعددة البرامج و الصيغ، أين تتداخل الشروط و المعايير الخاصة بكل صيغة سكنية.⁽⁷⁾

إن السياسة السكانية هي سياسة الدولة بالنسبة لسلوك سكانها من الناحية الديموغرافية في الحاضر و المستقبل، أي انها تشمل مجموعة من الاجراءات و المخططات و البرامج الذي تستهدف التأثير كمأ و كيفاً، و

المتغيرات الديمغرافية فيما يتعلق بحجم السكان و نموهم و توزيعهم و خصائصهم.⁽⁸⁾

و للتذكير فقد عرفت الجزائر خلال الفترة التي أعقبت الاستقلال نمو ديموغرافيا لا مثيل له، أدى الى تضاعف عدد السكان ثلاث مرات في الفترة الممتدة ما بين 1962 و 2000، أي خلال 38 سنة، ففي الفترة ما بين 1962 و 1985 كانت النسبة السنوية للنمو الديموغرافي لا تتجاوز 03%.

و مع منتصف الثمانينات، حدثت تغيرات جذرية على المستوى الديموغرافي، فقد حدثت تغيرات جذرية على مستوى الديموغرافي، فقد تباطأت وتيرة عدد السكان، كما هو الشأن بالنسبة للسلوكات و التصرفات الخاصة بإنجاب التي عرفت هي الأخرى تغيرات هامة، غير أن الانخفاض السريع لنسبة الوفيات أدى الى استقرار نسبة التزايد السنوي، و قد شهدت سنة 1986 تراجعا ديموغرافيا بعد انخفاض نسبة التزايد الطبيعي تحت مستوى 30 في الألف، حيث ساهم البرنامج الوطني للتحكم في النمو الديموغرافي المصادق عليه سنة 1983 في الإسراع نحو الانتقال الديموغرافي الذي شهدته في التسعينات، و الذي يمكن إدراجه في سياق اقتصادي و اجتماعي و سياسي متميز بتغيرات عميقة.⁽⁹⁾

لذلك تبقى السياسة السكانية في الجزائر من أولويات السياسة الوطنية للدولة، حيث تهدف إلى تحقيق انسجام بين النمو الديموغرافي و النمو الاقتصادي و احتياجات السكان، مع الأخذ بعين الاعتبار التحولات الاقتصادية و الاجتماعية التي مرت بها الجزائر.

و قد سعت السياسة العامة للإسكان الاجتماعي في الجزائر في السنوات الأخيرة إلى المزيد من المساواة في توزيعها، حيث قامت الوزارة الوصية بوضع استمارة لمعرفة رغبات الأفراد لنوعية و مكان المسكن و خاصة فئة الشباب و من المتوقع زيادة العروض من المساكن المصحوبة بشبكة من المرافق و الخدمات التي تسمح بتوفير سكن لائق، كما أثيرت من جديد مسألة العدل و الإنصاف في سياسة توزيع المساكن على مستوى الشباب و المجتمع المدني على حد سواء، بالإضافة إلى ذلك وحسب التقرير فقد اصرت النساء على مشاركتهن

للحصول على السكن، و خاصة فئة المطلقات و الأرامل، و هنا تكمن اشكالية تحسين فرص الحصول على السكن لأشد الفئات حرمانا، و هو ما يتطلب بدوره تعزيز الإنصاف في سياسة توزيع الإسكان الاجتماعي.⁽¹⁰⁾

و على الرغم من تزايد عدد التجمعات السكنية في العقود الأخيرة تبقى البنية الحضرية تهيمن عليها المدن الجزائرية الكبرى، التي تضاعفت و شكلت المستوى الأقوى لهذه البنية الحضرية الحالية، غير أنها تنقصها القاعدة الاقتصادية الكافية لبث النمو، و يضاف إلى هذا عدم تكييفها الوظيفي بسبب النمو غير المراقب و الغير القانوني للضواحي المليئة بالمشاكل، و التي تزيد في عدم الاستقرار الاجتماعي الذي يقترن مع نقائص التسيير الحضري.⁽¹¹⁾

و بالرغم من هذه الجهود التي بذلت من طرف الدولة لتحقيق الاستراتيجية التنموية يمكن من خلالها الرقي بمجتمعاتنا، لا تزال البيئة العمرانية بالمدن الجزائرية تبدو متدنية و مفرغة من قيمها الانسانية المبرمجة لإشباع حاجات الافراد النفسية منها و الاجتماعية.

إن عدم التحكم في التعمير يزيد من حدة الاختلافات بين حاجات السكان و وفرة الخدمات و المرافق الجماعية و السكن، حيث ان التوسع الحضري يطرح مشاكل عديدة مرتبطة بالتضخم السكاني مما يسبب لأفراد مشكلات عديدة كال فقر و البطالة و الآفات الاجتماعية، حيث نلاحظ انخفاض في المداخل الفردية و تدهور ظروف المعيشة مما ساهم في زوال العديد من الوظائف التي كانت تؤديها المدن.

و ما نلاحظه في جزائر اليوم هو أن برنامج الإسكان انصرف إلى حل مشكلات أخرى أبرزها المشكلات الكمية للتجاوب مع الطلب المتزايد مما أفرز ضرورة اللجوء إلى تحديد المعايير أو المقاييس التي تتلاءم و طبيعة المجتمع الجزائري، و الذي جرد مجاله الحضري من كل بعد اجتماعي أو ثقافي، لذلك لابد من تصحيح و تغيير التوجهات الكبرى لتوتيرة التعمير، و ذلك من خلال اعادة النظر في النصوص التشريعية و القانونية، و القيام بتدابير جديدة

لتحسين نوعية المساكن و تطبيق واسع و شامل لبرامج الاصلاحات الخاصة بهذا القطاع.

خاتمة-

من خلال دراستنا هذه نخلص إلى أن مشكلة الاسكان في الجزائر لا ترتبط بندرة البرامج السكنية بل على العكس من ذلك فقد وفرت الجهة الوصية جميع الصيغ الممكنة والمتاحة غير أن هذه الصيغ والبرامج تحتاج إلى دراسات و تحليل لطبيعة و خصائص المجتمع الجزائري في جوانبه الاجتماعية و الثقافية، كما ان نقص الامكانيات المادية لدى المصالح المعنية ببرامج الاسكان ادى الى بطء وتيرة الانجاز من جهة و عدم مطابقة المشاريع المنجزة لما هو مخطط لها من جهة اخرى.

إن عدم وجود خطة شاملة على مستوى المدن يمكن من خلالها دراسة و برمجة مشاريع الاسكان الحضري بما يتناسب و حاجات المجتمع، حيث ان نوعية السكنات المبرمجة لم تستجب لحد الان لمتطلبات الشرائح المستخدمة لها، فالبرامج المتوفرة لا تستجيب في معظمها لحاجات الأفراد في ظل غياب ثقافة تخطيطية لدى المشرعين و القائمين على عملية الاسكان.

لذا يجب على الهيئات المعنية بالسكن و التعمير ان تراعي خصوصية المجتمع الجزائري سواء من حيث الحجم أو الاستعمال و ذلك من خلال توفير التصاميم التي تتلاءم مع استعمالات المسكن في المجتمع الجزائري، و ضرورة اشراك جميع الفاعلين التقنيين و الخبراء الاجتماعيين في مكاتب الدراسات للمساهمة في تصميم و انجاز مشاريع الاسكان الحضري، و توجيه مسارها وفقا للأولويات الاجتماعية و الظروف الحضرية لرسم رؤى مستقبلية للتغيرات الاجتماعية للمدينة الجزائرية.

المراجع -

- 1- خلف الله بوجمعة: العمران و المدينة، دار الهدى للطباعة و النشر، عين مليلة، الجزائر، 2005، ص 9.
- 2- Rapport des consultations nationales, En Algérie, post- 2015, p 28.
- 3 – Algérie, objectifs du millénaire pour le développement, Rapport national 2000-2015, p 25.
- 4 – السيد عبد العاطي السيد: علم الاجتماع الحضري، ، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، عمان الأردن 2011، الجزء الثاني، ص 198.
- 5- Conseil national économique et social, rapport sur l'état économique et social de la nation 2011-2012, mai 2013, p 66.
- 6 – Conseil national économique et social, rapport sur l'état économique et social de la nation 2011-2012, mai 2013, p 67.
- 7 – عادل عبد الغاني محبوب، سهام صديق خروفة: الاقتصاد الحضري، نظرية و سياسة، ، دار الصفاء للنشر و التوزيع، عمان، 2008، الطبعة الأولى، ص 234.
- 8- عبد الرحيم عمران: سكان العالم العربي حاضرا و مستقبلا، صندوق الأمم المتحدة للأنشطة السكانية، نيويورك، 1988، ص 342 .
- 9- المجلس الوطني الاقتصادي و الاجتماعي، مشروع التقرير الوطني حول التنمية البشرية لسنة 2000، الدورة العامة التاسعة عشر، نوفمبر 2001، ص 65.
- 10- Rapport des consultations nationales, En Algérie, post- 2015, op.cit, p28.
- 11 – سيدي دريس عمار: الانثروبولوجيا و جغرافية السكان، ، دار الحامد للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2015، الطبعة الأولى، ص 173.



التنشئة الاجتماعية ودور وسائل الإعلام في ترسيخ قيم الثقافة البيئية لدى المرأة دراسة تحليلية من منظور التنمية المستدامة

حفيظة بوهالي¹، بلقاسم بن روان²

1- كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر - 3

2- كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر - 3

bouhali.hafida@yahoo.fr

benraouane@hotmail.com

ملخص -

باعتبار أن المرأة تشكل نصف المجتمع من خلال دورها التاريخي في تنشئة وتربية وتعليم وتوعية أجيال المستقبل ضمن دورها الريادي في رعاية الأسرة و استخدامها للموارد الطبيعية و تعرضها للملوثات البيئية داخل المنزل و خارجه . و انطلاقا من أبعاد و أهداف التنمية المستدامة التي تلح على ضرورة إدخال منظور المرأة في السياسات البيئية العامة و تمكينها ضمن استراتيجيات التنمية و صنع القرار البيئي .

نحاول من خلال هذه الدراسة التطرق بالتحليل و التفسير لتأثير المحددات الاجتماعية التي تمثلها عملية التنشئة الاجتماعية و وسائل الإعلام في إطار النسق الثقافي و الاجتماعي ، حيث تتحكم هذه الأطر في تغييب أو تأكيد مشاركة المرأة في قضايا البيئة والتنمية المستدامة.

الكلمات المفتاحية -

التنشئة الاجتماعية، التطبيع الاجتماعي، التربية البيئية، وسائل الإعلام، الإعلام البيئي، الوعي البيئي، الثقافة البيئية، المرأة، النوع الاجتماعي، التنمية المستدامة.

Socialization And The Role Of The Media In Establishing The Values Of Women's Environmental Culture Analytical Study From A Sustainable Development Perspective

Abstract -

Considering That Women Make Up Half The Society Through Its Historical Role In Information, Education, Learning And Awareness Of Future Generations Within Its Leadership Role In Family Care And Use Of Natural Resources And Exposure To Environmental Pollutants Inside And Outside The Home And Based On The Dimensions And Objectives Of Sustainable Development That Stresses That Need To Introduce Women's Perspective In General Environmental Policies And Enable Them Within The Strategies Of Development And Environmental Decision Making.

In This Study We Attempt To Address The Analysis And Interpretation Of The Social Determinants Of Socialization And Media, This Framework Is Based On The Cultural And Social Context, These Frameworks Control The Absence Or Affirmation Of Women's Participation In Environmental Issues And Sustainable Development.

Key Words -

Socialization , Social Normalization , Environmental , Education , The Media , Environmental Awareness , Environmental Culture, Women , Gender , Sustainable Development.

مقدمة -

خلال سنة 1970 كانت بداية الاهتمام بالنساء و علاقتهم بالبيئة و قد كتب الباحث الأمريكي أستر بوسوروب كتاب بعنوان " دور المرأة في التنمية الاقتصادية " و ابتداء من سنة 1980 أصبح لواقعي السياسات و الحكومات أكثر إدراكا لأهمية قضايا البيئة و المساواة بين الجنسين في مجال البيئة. ووفقا للبنك الدولي لسنة 1991 " تلعب المرأة دورا أساسيا في إدارة الموارد الطبيعية بما فيها التربة و المياه و الغابات و الطاقة و التحكم في السلوك الاستهلاكي و غيرها من الأدوار المهمة التي يمكن للمرأة أن تقوم بها في مجال الحد من التلوث لما يسببه هذا الأخير من آثاره على الصحة و رفاه النساء، وقد أكدت قمة ريو حول البيئة و التنمية 1992 على الدور الريادي للمرأة في التنمية المستدامة و في الحفاظ على البيئة لأنهن يشكلن في عدة بلدان المسئولات

الرئيسيات لتوفير و ضمان احتياجات الماء و الوقود لعائلتهن فإنهن بالتالي عنصر حيوي في كل الجهودات لحماية و الحفاظ على البيئة و ذلك تأكيداً على أجندة 21 التي تلح على إدماج المرأة في تدابير و تسيير حماية الموارد الطبيعية خاصة في المناطق الريفية . كما أكدت قمة بيكين سنة 1995 حول المرأة و علاقتها بالبيئة على أن تؤخذ المعرفة و المعطيات البيئية وإشراك المرأة في جميع مستويات صنع القرار في المجال البيئي و دمج المنظور الجنساني في جميع استراتيجيات التنمية المستدامة . وأكدت لجنة وضع المرأة التابعة للأمم المتحدة في مسألة المرأة والبيئة في دورتها الحادية والأربعين التي انعقدت في عام 1997 على المشاركة النشطة للمرأة على جميع مستويات الإدارة البيئية، بما في ذلك إدماج البرامج والسياسات البيئية من منظور جنساني. وتأكيداً للدور الكبير الذي تلعبه المرأة باعتبارها نصف المجتمع، وبما لها من دور هام في المحافظة على الموارد الطبيعية المتجددة وغير المتجددة، من خلال دورها التاريخي في تنشئة وتربية وتعليم وتوعية أجيال المستقبل ضمن دورها الريادي في رعاية الأسرة وتحديد أنماط السلوك وترشيد الاستهلاك، ففي الدول المتقدمة وكذا النامية تلعب المرأة أدواراً محورية في تحديد اتجاهات العائلة في مسائل، مثل: استهلاك الماء والطاقة والمواد الاستهلاكية الحديثة التي قد تؤثر في البيئة. ففي وسعها الإسهام بقوة في حماية بيئتها من التلوث، لأنها معنية بالمحافظة على صحة أسرته وسلامتها، ويعني هذا في المحصلة، أنها تؤدي دوراً ذا وجهين، أولهما، زرع القيم البيئية لدى الأطفال وتوعيدهم على الممارسات والسلوكيات التي من شأنها المحافظة على البيئة، والثاني، إيجاد قوة ضغط على المجتمع والمؤسسات التي تعنى بشؤون البيئة، لرسم سياسات واضحة للبيئة وللقوانين المعززة لذلك، والالتزام بتطبيقها بدقة و المشاركة في صنع القرار البيئي المستديم¹. وبما أن المرأة لها علاقة مباشرة بالبيئة و مادام تقع عليها مسؤولية تربية النشء و إعداده على القيم البيئية فإنه يقع على عاتقها أن يكون لها يكون لديها وعي و ثقافة بيئية متكاملة حتى تقوم بدورها الفعال سواء داخل البيت و خارجه في مجال الإدارة البيئية التي يدخل في شأنها التخلص من النفايات و ترشيد الموارد الطبيعية كالماء و الكهرباء بالإضافة إلى حماية صحتها و صحة أفراد أسرتها² و

حتى تقوم المرأة بدورها الفعال في مجال حماية البيئة تدخل هنا عدة أطر و محددات تلعب دورا كبيرا في تكريس و النهوض بمبادرة المرأة و ذلك من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية ، فالمرأة طيلة دورة حياتها تخضع إلى عمليات التنشئة الاجتماعية التي تتبلور في النسق الثقافي و الاجتماعي و الذي يحدد طبيعة القيم الاجتماعية التي تؤكد لها كمبركزات في عملية التنشئة الاجتماعية³ فالثقافة البيئية للفرد تمثل أحد وسائل تخفيف حماية البيئة و أهدافها لأنه يعمل على غرس السلوك الإيجابي و تنميته و تطويره، بحيث يؤدي إلى إشراك السكان طوعا لا إكراها و بطريقة مسئولة و فعالة في صياغة القرارات التي تحسن نوعية البيئة بجميع مكوناتها⁴. فقد بدأ الوعي و الثقافة بقضايا البيئة على النطاق الدولي يتزايد بعد عقد مؤتمر استوكهولم تحت اسم بيئة الإنسان 1972 و مؤتمر تبليسي 1977 لمناقشة التربية البيئية ثم مؤتمر قمة الأرض في ريودي جانيرو عام 1992 حيث أكدت هذه المؤتمرات على أهمية الوعي و الثقافة البيئية كعنصر من العناصر الفعالة في التعامل مع المشكلات البيئية المختلفة⁵ فمواجهة المشكلات البيئية ينبغي أن تبدأ بالإنسان نفسه فهو العنصر الرئيسي في البيئة و المستفيد منها و السبب المباشر في مشاكلها⁶. كما تلعب وسائل الإعلام دورا كبيرا في نشر التوعية البيئية بين المواطنين من أجل توسيع دائرة الثقافة و الوعي بالمضامين البيئية و الوسائل الكفيلة بتشكيل قيم و اتجاهات نحو قضايا البيئة و مشكلاتها⁷، فالإعلام بوسائله المتعددة يمارس دورا حاسما في إيصال المعلومة و تثقيف الناس و توسيع دائرة المعرفة و الاهتمام خصوصا مع تطور وسائل الاتصال و سرعة نقل المعلومة،⁸ فالتوعية البيئية للمرأة هي أولى خطوات وقف التعدي على البيئة من خلال تفعيل الدور الذي يمكن أن تقوم به في تحقيق التنمية المستدامة والحفاظ على البيئة من التلوث.

أولا- التنشئة الاجتماعية دلالة في المفهوم والأهمية :

تمثل عملية التنشئة الاجتماعية أهم العمليات الاجتماعية على الإطلاق لما لها من تأثير و تأثير بكثر من المؤسسات و النظم و الأنساق الاجتماعية حيث تعتبر من أولى العمليات الاجتماعية «Social Processes» و من أخطرهما شأننا في حياة الفرد لأنها الدعامة الأولى التي تركز عليها مقومات الشخصية⁹.

فالتنشئة الاجتماعية عملية ضرورية لاستمرار المجتمع من خلال نقل الثقافة من جيل إلى جيل و ترسيخ القيم و المعايير و الضوابط لتعامل الأفراد فيما بينهم، فعملية التنشئة هي في الواقع عملية تعلم أي أنها عملية مستمرة مدى الحياة، يصبح الفرد عن طريقها مندمجا في جماعية اجتماعية من خلال التعلم.¹⁰

1- مفهوم التنشئة الاجتماعية :

يستخدم مفهوم التنشئة الاجتماعية (socialization) في العلوم الإنسانية للدلالة على العمليات التي يكتسب بواسطتها الفرد المعرفة و المهارات و الإمكانيات التي تجعله بصورة عامة عضوا قادرا على ممارسة دور مناسب في مجتمعه.¹¹ و قد عرفت التنشئة الاجتماعية عدة تعاريف تقترب في دلالتها من حيث أنها عملية تعلم و تعليم و تربية و تثقيف و تطبيع و اندماج اجتماعي تقوم على التفاعل الاجتماعي و تهدف إلى إكساب الكائن سلوكا و معايير و اتجاهات مجتمعة خلال مراحل نموه المتعاقبة.¹² كما تدل التنشئة الاجتماعية في معناها العام على العمليات التي يصبح بها الفرد واعيا و مستجيبا للمؤثرات الاجتماعية و ما تعمل عليه هذه المؤثرات من ضغوط و ما تفرضه من واجبات على الفرد حتى يتعلم كيف يعيش مع الآخرين و يسلك معهم مسلك الحياة.¹³ ويعرف العالم قي روشي (G.Rocher) التنشئة الاجتماعية أنها الصيرورة التي يكتسب الشخص عن طريقها و يبطن طوال حياته العناصر الاجتماعية الثقافية (Socioculturel) السائدة في محيطه و يدخلها في بناء شخصيته و ذلك من التجارب و العوامل الاجتماعية ذات الدلالة.¹⁴ وتعني التنشئة الاجتماعية عند موري (Murray) أنها العملية التي يتم من خلالها التوفيق بين دوافع و رغبات الفرد الخاصة و بين مطالب و اهتمامات الآخرين و التي تكون متمثلة في البناء الثقافي الذي يعيش فيه الفرد.¹⁵ فالتنشئة الاجتماعية هي العملية الشاملة التي تقوم بها مؤسسات المجتمع ككل و تهدف هذه العملية إلى تحويل الكائن البيولوجي إلى كائن اجتماعي عن طريق إكسابه المهارات و الخبرات و الاتجاهات و القيم و العادات و التقاليد و الأعراف التي يقرها المجتمع للحفاظ عليها¹⁶ و من أهم المؤسسات التي تقوم بدور التنشئة

الاجتماعية نجد الأسرة و المدرسة ووسائل الإعلام و الرفاق و المؤسسات الدينية و الثقافية ، و لم تقتصر التنشئة الاجتماعية على إكساب الفرد عن طريقها المعايير و القيم الثقافية فحسب بل هي عملية يدخل الفرد عن طريقها تدريجيا في شبكات العلاقات الاجتماعية و الأدوار المجتمعية فضلا على أنها تمكن الفرد من أن يكتسب ثقافة المجتمع ، و هي العملية التي يتكسب بها الأفراد المعرفة و المهارات و الطباع التي تساعدهم على المشاركة بشكل أفضل داخل الجماعات ¹⁷

2- أهمية التنشئة الاجتماعية :

تلعب عملية التنشئة الاجتماعية دورا هاما في حياة الفرد و المجتمع إذ عن طريقها يتم تلقين الفرد قيم و معايير و ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه مما يؤهله لأن يؤدي أدواره بكفاءة و نجاح و من هنا تبرز مدى الأهمية التي تحتلها عملية التنشئة الاجتماعية. و يمكن القول أن عملية التنشئة الاجتماعية (socialisation) تكتسب أهميتها من خلال مجموعة من النقاط نوجزها فيما يلي:

- أن التنشئة الاجتماعية وسيلة لبقاء المجتمع و المحافظة على ثوابته الحضارية و تحقيق التواصل بين الأجيال، إنها عملية مهمة لأنها تؤدي إلى بناء الاتجاهات السلوكية السليمة في الأفراد و تحقق النمو الشامل و تكسب الخبرات و المهارات الاجتماعية التي هي أداة اتصال بين أفراد المجتمع. ¹⁸
- أن عملية التنشئة الاجتماعية تعد أهم و أخطر العمليات الاجتماعية من حيث تأثيرها و تأثرها بأنساق المجتمع و مكوناته المختلفة.
- تكتسب عملية التنشئة الاجتماعية أهميتها من استمراريتها إذ أنها تبدأ منذ ميلاد الإنسان حتى نهاية عمره.
- تمثل عملية التنشئة الاجتماعية حلقة وصل بين الفرد بما يحصله من اهتمامات فردية و مصالح شخصية- و من المجتمع باهتماماته العامة و مصالحه المشتركة من خلال ما تقوم به عن طريق المؤسسات الاجتماعية من تعليم الأفراد لما يجب أن يكون عليهم سلوكهم.

- مهمة في تغيير اتجاهات و سلوك المجتمع نحو المرأة باعتبارها نصف المجتمع و أهم عنصر من عناصر التنشئة و هي قادرة على أن تساهم مساهمة فعالة في بناء المجتمع .¹⁹

ثانيا - الأسرة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية:

تعتبر الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى المسؤولة عن التنشئة الاجتماعية، وهي تمارس دورا أساسيا في سلوك الأفراد بطريقة سوية و غير سوية ، من خلال النماذج السلوكية التي تقدمها لصغارها ، فأنماط السلوك و التفاعلات التي تدور داخل الأسرة هي النماذج التي تؤثر سلبا أو إيجابا في تربية الناشئين.²⁰ و مع تعدد مؤسسات التنشئة الاجتماعية و توسع وظائفها ، إلا أن الأسرة كانت و لا زالت أقوى مؤسسة اجتماعية تؤثر في مكتسبات الإنسان المادية و المعنوية²¹ كما تعتبر الأسرة من أهم عناصر التنشئة الاجتماعية بصفة عامة ، وتلعب الأسرة دورا بارزا من أجل نقل الثقافة و الإبقاء عليها عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية و الثقافية ، و لاشك أن الوظيفية الحقيقة للأسرة ذات طابع تربوي في المقام الأول بما تتضمنه من عمليات الترويض و التنشئة و الصقل الاجتماعي لأفرادها، و تتمثل هذه الوظيفة في بناء و تكوين الشخصية الثقافية الاجتماعية للإنسان في إطار جماعة صغيرة و يخضع البناء البيولوجي للإنسان للظروف و الاعتبار الاجتماعية التي تصيغه و تكيفه. و في هذا الصدد ينتهي عالم الاجتماع الألماني الشهير رينيكونينج (Rene Koning) إلى القول بأن الميلاد البيولوجي للفرد ليس هو الأمر الحاسم في وجوده و استمراره ، و إنما العامل الحاسم هو " الميلاد الثاني " أي تكونه كشخصية اجتماعية ثقافية ينتمي إلى مجتمع بعينه و تدين بثقافة بعينها و الأسرة بطبيعة الحال هي صاحبة الفضل في تحقيق هذا " الميلاد الثاني ". The Second berthe.²² و تتم عملية تكوين و إعداد الشخصية الإنسانية للحياة في المجتمع. حيث يكتسب الإنسان خلال معيشته في بيئته الاجتماعية و الأسرية كثيرا من التصورات و الأفكار التي تزوده بها ثقافة المجتمع و تعمل هذه المعايير الاجتماعية التي تتمثل في العادات و العرف و القيم و التقاليد.

ثالثا - مساهمة الأسرة في التربية البيئية للأفراد:

يمكن القول أن مسألة تنمية بيئة الإنسان هي مسألة تنشئة في المقام الأول ، و هذه التنشئة يجب أن تعد الإنسان صيانة البيئة و المحافظة عليها و قد أشارت دراسات عديدة إلى أهمية العنصر البشري في هذا الموضوع و أهمية تنشئة الإنسان ترجع إلى أن التشريعات و القوانين ليست كافية وحدها بل يجب أن يشعر الفرد من داخله بأهمية المحافظة على البيئة و هذا لن يحدث إلا إذا أعدنا هذا الإنسان إعدادا جيدا في مجال التعامل مع عناصر البيئة المختلفة و قد أشار بعض الباحثين إلى تغيير اتجاهات الإنسان نحو الطبيعة هي الأساس في التقليل من حجم المشكلة و قد وصل الأمر بأحد الباحثين إلى أن القول أن الموضوع يستحق ثروة من الاتجاهات و هكذا يتبين لنا أهمية التربية البيئية و يمكن القول بأن الأضرار التي يلحقها الإنسان بالبيئة إنما تنجم عن افتقاره إلى وجود نسق متماسك من القيم فيما يتعلق بتعامله مع عناصر البيئة و قد أدى ذلك إلى مناداة كثير من المفكرين بضرورة الوصول إلى ما يسمونه (أخلاقيات الأرض) و يتضمن هذا المصطلح اتجاهات و ميول جديدة نحو الطبيعية و يقول ليتسر براون (Lister Brown) إن المطلوب خلال السنوات العشر القادمة الارتقاء بالوعي البيئي العالمي و المحلي إلى مستويات جديدة بما في ذلك الانتقال إلى مرحلة " ثورة بيئية عالمية تفرز تحولات و تغيرات حياتية ومعيشية و حضارية شمولية في نمط الإنتاج و الاستهلاك و توجهات و سلوكيات الأفراد و في الثقافات و العادة السائدة التي تحدد علاقة الإنسان بالبيئة . أي أنه بدون الثورة البيئية التي تتطلب أساسا العيش وفق الشروط البيئية و ليس وفق شروط الإنسان وحده فإنه يستحيل أن تستمر الحياة الإنسانية الراهنة طويلا على الأرض.²³ فالمعايير الاجتماعية و ما تشمل من عادات و تقاليد و قيم داخل الأسرة تشكل تفضيلات الأفراد نحو السلوكات البيئية مظاهر نشاطاته المختلفة و مدى محافظته على نظافة البيئة التي يعيش فيها و نظافة الموارد المائية التي يشرب منها و الغذاء الذي يتناوله²⁴ فالتنشئة الاجتماعية هي وحدها القادرة على إشاعة تربية بيئية ملائمة وسط الجمهور بدءا من الطفل و انتهاء بالراشد و صانعي القرار و ذلك من خلال توعية و تربية تساهم فيها الأسرة و المدرسة و الإعلام ، و لكن مجتمع من المجتمعات مؤسساته الخاصة به

لتحقيق الوعي و الضبط الاجتماعي ، فمؤسسات التنشئة الاجتماعية لها تأثير كبير و حاسم في حماية البيئة من خلال تنشئة الأطفال و الأفراد على قيم و اتجاهات بيئية ²⁵ فالتنشئة الاجتماعية داخل الأسرة تحمل في مضمونها التربية البيئية و هي عملية إعداد الفرد للتفاعل الناجح مع البيئة لحسن الانتفاع بها و المحافظة عليها و تطويرها ، فالعلاقة بين البيئة و التربية علاقة قديمة مرت بمراحل متميزة حيث كانت البيئة هي المصدر الأساسي للتربية يكتسب منها الإنسان خبرات تفاعله مع مكوناتها المختلفة و من هنا اعتبرت البيئة وسيلة للتربية من خلالها يتعلم الأفراد الخبرات و القيم التي تساعده على التعامل السليم مع البيئة و مشكلاتها. ²⁶ كما تهدف التربية البيئية كمفهوم إلى بناء المواطن الإيجابي الواعي بمشكلات البيئة.. وإلى تنمية الوعي بأهمية البيئة وتنمية القيم الاجتماعية للمحافظة على بيئة نظيفة خالية من التلوث.. إلى جانب تنمية المهارات اللازمة لفهم وتقدير العلاقات التي تربط بين الإنسان وبيئته.

رابعاً- دور وسائل الإعلام في التوعية البيئية :

1- مفهوم الإعلام البيئي :

ظهر مفهوم الإعلام البيئي و أخذ هذا المصطلح في التطور المتواتر في التعريف و المفهوم و الاستخدام منذ سبعينات القرن الماضي فبعدما كان نقلاً للخبر البيئي و الإثارة الصحفية لمزيد من المبيعات ، أصبح له سياسات و خطط ووظف لتحقيق أهداف مختلفة لها علاقة بالقضايا البيئية و التنمية المستدامة فالإعلام البيئي جزء من سياسة بيئية عامة و ليس مجرد أداة لإعلان عن سياسة بيئية جاهزة إنه يهدف إلى تنمية الوعي البيئي لدى قطاعات المجتمع المختلفة حتى تشارك بفعالية في تطوير السياسات البيئية و مراقبتها و مراجعتها كما يهيئ للجمهور و المسؤولين دعم و تنفيذ السياسات و التدابير البيئية و من ضمن الاهتمامات الرئيسية للإعلام البيئي إحداث تغيير في مواقف الناس مع البيئة و كيفية التعامل معها. ²⁷ و الإعلام البيئي " هو أداة تعمل على توضيح المفاهيم البيئية من خلال إحاطة الجمهور المتلقي و المستهدف بالرسالة الإعلامية البيئية بكافة الحقائق و المعلومات بما يساهم في تأصيل مفاهيم عن البيئة و التنمية

المستدامة وتنوير المستهدفين برأي سديد في الموضوعات و المشكلات البيئية المثارة و المطروحة.²⁸ و هو أيضا إعلام يسلط الضوء على كل المشاكل البيئية من بدايتها و ليس قبل وقوعها وينقل للجمهور المعرفة و الاهتمام و القلق على بيئته.²⁹ فالإعلام البيئي من أدوات التغيير الواعي الموجه نحو بلوغ مجتمع متوازن قادر على التفاعل مع بيئته بشكل إيجابي من خلال تنمية مهارات عامة الناس و تنمية شعورهم بالمسؤولية حيال بيئتهم مما يكون سببا في تغيير حقيقي في سلوكياتهم تجاه البيئة.³⁰

2- أهمية الإعلام البيئي :

لا تأتي أهمية الإعلام البيئي في كونه عنصرا أساسيا في بناء الوعي البيئي و نشر مفهوم التنمية المستدامة فحسب ، بل إن أهميته تكمن حاليا في نشر ثقافة الكوارث و الوعي بها و بناء قدرات التكيف لدى الإنسان لمواجهة عقلائية ، لذلك تزداد حاجة المجتمعات إلى الإعلام البيئي يوما بعد يوم و هذه الحاجة ملحة و مستمرة و متجددة و تزداد إلحاحا عند ظهور مشكلة بيئية مثل التلوث و انتشار الأوبئة و الآفات الزراعية، و المخاطر الصحية ، فحضور الإعلام البيئي ، خلافا لما يعتقد الناس يتجاوز إثارة الموضوعات المتعلقة بأكوام النفايات و مجاري الصرف الصحي، ... إلى مجالات الحياة كلها فهو معنى بكل الأحداث المعاصرة التي تتمثل في التلوث بجميع أشكاله في البراري و البحار و الأنهار و الغابات و المحيطات ، و في المصانع و المزارع و في المدارس و الجامعات و كذلك المستشفيات (التي تنتج نفايات طبية) كما أن له دور بارز في تنشيط السياحة البيئية و الترويج لها محليا و عالميا³¹ و قد تطور الإعلام كثيرا فأصبح الآن يعتمد على الإنترنت و الإذاعة و التلفزيون و أهم أهداف الإعلام البيئي هو تحقيق الوعي و تنمية الحس بالبيئة و تتمثل مهمة الإعلام البيئي في استخدام وسائل الإعلام جميعها لتوعية الإنسان و مده بمختلف المعلومات التي ترشد سلوكه و ترقّي به إلى مسؤولية المحافظة على البيئة و تعتبر وسائل الإعلام بكافة أشكالها المصدر الرئيسي للمعلومات حول البيئة فمنذ مؤتمر تبليسي سنة 1977 الدولي الحكومي للتربية البيئية أكد على إيلاء أهمية خاصة لبرامج و استراتيجيات الإعلام البيئي موصيا دول الأعضاء بأن تنظم حملات إعلامية

بشأن المشكلات البيئية التي لها أهمية على الصعيدين الوطني والإقليمي لتعزيز التوعية العامة للجمهور³² ومن المهام التي يضطلع لتحقيقها هي تنمية الوعي البيئي من خلال تنمية الوعي العام تجاه القضايا البيئية ، مما يساعد على خلق تيار شعبي ضاغط على إيقاظ الهمم و شحذ الأفراد لتحريك الجمود في الساحة البيئية و تحفيز أصحاب القرار من خلال المعلومات البيئية الصحيحة بغية التصرف بمسؤولية تجاه البيئة، و تحسين نوعية الحياة دون الإضرار بالموارد ودون تعريض حياة الأجيال القادمة للخطر.³³

3- وسائل الإعلام وتحفيز اهتمامات الرأي العام بقضايا البيئة:

إن الإعلام البيئي يهتم بكل فئات المجتمع و التأثيرات و الأضرار الناتجة عن الكوارث أو التلوث لا تميز بين فئة أو أخرى ، لذلك فإن على الإعلام أن يتوجه إلى الجماهير من أجل انتهاز سياسية إنمائية متوازنة تحترم البيئة و تحافظ على مواردها الطبيعية ، كما عليه أن يتوجه إلى العلماء و المفكرين و السياسيين و أصحاب القرار وحتى المثقفين لحثهم على وضع قدراتهم وقراراتهم الإبداعية للحفاظ على الطبيعة و الحد من تلوث البيئة³⁴ هذا و تقوم وسائل الإعلام بعملية التوعية الجماهيرية من خلال مراحل متدرجة وهي :

أ- مرحلة ما قبل اكتشاف المشكلة البيئية: تتواجد حينما تضطر مشكلة بيئية تشغل الجماهير و لكن لا تستحوذ على الاهتمام المطلوب هنا ينحصر دور وسائل الإعلام في توجيه نظر الجماهير إلى مثل هذه الأحداث .

ب - مرحلة اكتشاف المشكلة و ظهور التحمس: نتيجة تكرار الحوادث تصبح الجماهير على علم بخطورتها و يصاحب هذه المعرفة إدراك لخطورة المشكلة و تحمس كبير للمواجهة و تساهم وسائل الإعلام في هذه المرحلة بدور كبير .

ج- إدراك تكلفة حل المشكلة: و هنا يكون نوعان من الإدراك لأبعاد المشكلة ، إدراك المتخصصين ، الإدراك الجماهيري ، و تتلخص في أن حل المشكلة لن يتكلف فقط أموالا كثيرة و لكن تضحيات اجتماعية و مهمة و وسائل الاتصال الترويج لضرورة الحل بصرف النظر عن التكاليف .

د- **التناقص التدريجي لدرجة الاهتمام العام:** مرحلة التناقص التدريجي في درجة الاهتمام العام بالمشكلة بينما يدرك الكثير صعوبة و تكلفة إيجاد حل للمشكلة ففي نفس الوقت يكون هناك واحد من ثلاثة ردود أفعال :

✓ أن يشعر بعض الأفراد بالإحباط و عدم الرغبة في الاهتمام بالمشكلة .

✓ يشعر الآخرون بأنهم مهددون بمجرد التفكير في المشكلة و بالتالي فإنهم يجتنبون هذه الأفكار.

✓ يمل البعض الآخر من المشكلة و من التفكير فيها .

هـ- **مرحلة ما بعد المشكلة :** هنا المشكلة تتحول إلى دائرة الاهتمام الأقل ، و لكن في هذه المرحلة فإن الاهتمام يختلف إذا نظرت إلى درجة اهتمام وسائل الاتصال بقضايا البيئة أصبحت في منتصف حلقة الاهتمام زاد مؤشر الوعي الجماهيري ، و ينتظر خطوة الإجراءات العملية لاختيار بدائل حل المشكلة .³⁵

4- **وسائل الإعلام و التوعية البيئية :**

تعتبر أهمية الإعلام البيئي إحدى العناصر الأساسية في إيجاد الوعي البيئي و نشر مفهوم التنمية المستدامة حيث كان الباحثون في مجال الإعلام البيئي يركزون في أبحاثهم على قضية الوعي البيئي و يقصد بهذا المصطلح إدراك الفرد بدوره في مساعدة الفئات الاجتماعية و الأفراد على اكتساب وعي بالبيئة و مشكلاتها لأن للإعلام البيئي دورا أساسيا في التنشئة و التربية السلوكية للأفراد تجاه المحيط البيئي و الإمداد بالمعلومات حول المفاهيم البيئية لتكوين الرأي العام و تزويده بثقافة بيئية و كيفية التعامل مع المحيط البيئي وفق هذه التغيرات . و يقع على عاتق وسائل الإعلام دورا هاما في حماية البيئة و المحافظة عليها و دورها هذا يتميز على سائر الوسائل الأخرى كالعلوم و القانون و الأسرة و المدرسة و الجامعة و ذلك في ميزتين رئيسيتين هما :

1- أن وسائل الإعلام تشترك مع كافة وسائل حماية البيئة الأخرى و لا بد منها لإنجاح أدوارها ، فعلى صعيد التعليم نجد وسائل الإعلام تؤدي دورا هاما في إنجاح برامجها من خلال الإذاعة المدرسية و التلفزيون المدرسي وصحيفة الحائط .

2- إن وسائل الإعلام شأنها شأن بعض أنواع التربية غير الرسمية كدور العبادة مثلا لأنهم قطاعا معينان من الناس إنما تستهدف قطاعات المجتمع كافة و بناء عليه كل شرائح المجتمع يمثلون المستهدف لوسائل الإعلام في مجال التوعية البيئية.³⁶

فوسائل الإعلام المختلفة لها دور رئيسي و فعال في التوعية و التثقيف خاصة فيما يتعلق بالقضايا الكبرى للمشكلات البيئية و الحد من آثارها. و الواقع العربي يقول أن التوعية البيئية و المحافظة على البيئة من التلوث لا تلقي الاهتمام المطلوب من وسائل الإعلام لأنها تتجه لتحقيق الإثارة من أجل الانتشار و تحقيق المزيد من الأرباح و الاهتمام الأكبر لوسائل الإعلام العربية منصب على الترفيه و التسلية و على الأخبار السياسية التي تحتل مرتبة مقدمة في وسائل الإعلام و في المقابل هناك إهمال للتوعية البيئية ، كما أن اهتمام وسائل الإعلام العالم العربي منصب على فئات محددة لم تبدل أي جهد في مجال المحافظة على البيئة و أخبار تلك الفئات تحظى بتغطية إعلامية واسعة لا تتوفر للكثير من العلماء و الخبراء و الناشطين في مجال حماية البيئة و قد أجرت عدى دراسات و بحوث عن دور الإعلام في نشر الوعي البيئي و أظهرت النتائج التالية :

- العلاقة بين الإعلام و التربية و البيئة علاقة ذات طابع خاص ، إذ أنه لا يمكن تحقيق المحافظة على البيئة و لا ترشيد استهلاك مواردها و المساهمة الفعالة في حل مشكلاتها إلا عن طريق تربية سليمة و تشكيل هذا الوعي البيئي من قبل وسائل الإعلام.

- ما تمتلكه وسائل الإعلام من تقنيات و قدرة على الانتشار بين فئات المجتمع يجعله المؤسسة التربوية التي يمكن أن تسهم بقدر أكبر في تنمية الوعي البيئي لأفراد المجتمع.³⁷

أ- دور الصحافة في التوعية البيئية :

تأتي الصحافة على رأس وسائل الإعلام التي اعتنت منذ فترة مبكرة بمشكلات و قضايا البيئة ، إذ بدأت الصحافة منذ الخمسينيات من القرن العشرين في تغطية أخبار الكوارث البيئية التي أصابت مناطق عديدة من العالم

كما قدمت المتابعات الخبرية و التفسيرية للعديد من هذه الحوادث و الكوارث ، ثم زاد هذا الاهتمام ليبلغ ذروته بتخصيص صفحات و أبواب متخصصة في شؤون البيئة و معالجة قضاياها بأشكال و مستويات مختلفة و من ثم بدأ ينظر إلى الصحافة البيئية المساندة لقضايا البيئة كأحد أشكال الصحافة المتخصصة. كما أثبتت الدراسات أن الصحافة المحلية يمكن أن تؤدي دورا أكبر في مجال التوعية البيئية من خلال الربط بين قضايا البيئة وواقع الفرد المحلي كما أنها أكثر قدرة على إقناع الفرد بتغيير اتجاهاته و سلوكه نحو البيئة لأنها أكثر تعبيرا عن الإطار العام الذي يحيا فيه الفرد و ما يواجهه من مشكلات يومية في علاقته بالبيئة المحلية التي ينتمي إليها.³⁸

ب- دور التلفزيون و الإذاعة في التوعية البيئية :

احتل التلفزيون المركز الأول في استطلاعات الرأي التي أجريت على المواد البيئية بالتلفزيون باعتباره المصدر الرئيسي الذي يستقي منه الجمهور العام المعلومات البيئية بينما احتلت الصحافة المركز الأول في الحصول على المعلومات البيئية من جانب النخبة المثقفة و القيادات و الخبراء. إن أهمية دور التلفزيون في مجال التوعية البيئية تستند إلى خصائصه كوسيلة مرئية يمكن من خلالها توظيف إمكانيات الصورة لتحقيق مزيد من وضوح المعلومات البيئية و مزيدا من الإقناع و التأثير و قد بدأ التلفزيون يهتم بقضايا البيئة من 1960 و لكن كان اهتمامه محدودا يغلب عليه الطابع الإخباري أكثر من الأسلوب التحليلي ، و مع حدوث كوارث طبيعة خلال سنوات الثمانيات و التسعينات بدأ التلفزيون يقدم برامج متخصصة في البيئة و قد نجح خلال تلك الفترة بإمداد المتلقي بالمعلومات المختلفة في مجال التوعية البيئية و لكنه لم يحقق مستوى تغيير الاتجاهات و سلوك الجمهور نحو المشاركة في حماية البيئة و تحسينها و هو الهدف الأساسي للإعلام البيئي . أما بالنسبة للإذاعة فتعتبر من الوسائل الملائمة لمخاطبة الجمهور الأقل ثقافة و تعليما و يمكنها أن تؤدي دورا مهما في التوعية البيئية إذا استطاعت ربط الجمهور بمشكلات البيئة المحلية و نشر الوعي البيئي و توعية المواطن المحلي بكيفية مشاركته في حل مشكلات بيئته بطوعية. فإن وسائل الإعلام تساهم بشكل كبير في تثقيف و توعية الجماهير و الارتقاء

بمستوى الفكري لديهم و يرى المفكرون إلى وسائل الإعلام أنها تسهم في نمو المجتمع و تطويره ،و تهدف طرق الاتصال و الإعلام جميعها إلى تحقيق التوافق في العلاقات العامة لصالح المجتمع و ذلك من خلال فهم احتياجات الناس و التعرف على القوى المؤثرة (محددات السلوك ، و الاتجاه ، و المواقف) .⁴⁰

خامسا - الثقافة البيئية مقارنة فلسفية :

1- مفهوم القيم البيئية :

بالرغم من أهمية القيم البيئية في توجيه سلوك الفرد نحو حماية البيئة و صيانتها إلا أنها لم تكن من الدراسات التي اهتمت بها كثيرا من البحوث الاجتماعية و هذا راجع إلى نقص اهتمام هذه العلوم بالبيئة و مشكلاتها ، وبقدر اختلاف العلماء حول مفهوم القيم فهم يختلفون في تعريفهم للقيم البيئية، فمنهم من ينظر إليها على أنها : " الأحكام المعيارية والمبادئ والمثل العليا، التي يتشربها الفرد من خلال انفعاله وتفاعله مع الخبرات المختلفة، ويسعى إلى تحقيقها حتى تكون بمثابة موجّهات لسلوكياته تجاه البيئة، للمحافظة عليها، والعمل على معالجة مشكلاتها، وبذلك تصبح محكا لاختيار أهدافه وطريقته في معالجة مواقف الحياة المرتبطة بالبيئة. وهناك من ينظر للقيم البيئية على أنها: الأحكام العقلية الانفعالية المتعلقة بمكونات البيئة الطبيعية والإنسانية ذات الصلة المباشرة بعناصر البيئة الطبيعية، الموجهة لسلوك الفرد، وهي معايير للسلوك الفردي والاجتماعي. و هي مجموعة من أشكال والمعارف و المعتقدات التي يمتلكها الفرد و تؤدي إلى المحافظة على البيئة و ممارسة السلوك البيئي الصحيح. ⁴¹ و القيم البيئية هي معتقدات الأفراد فهي في المحصلة مجموعة من الاتجاهات البيئية التي تجتمع في إطار نسقي معين يكتسبها الفرد خلال تفاعله الاجتماعي مع الآخرين و تعمل كموجهة لسلوكه و تحدد استجابته إزاء البيئة و مكوناتها و مشكلاتها. ⁴² وهناك من يعرف القيم البيئية بأنها محصلة مجموع الاتجاهات التي تتكون في الفرد إزاء فكرة أو موضوع يتصل بالبيئة سواء بالقبول أو الرفض مثل الاتجاه نحو مدى حرصه أو عدم حرصه على حماية البيئة و الحفاظ عليها من التلوث. ⁴³ و لا تخرج القيم البيئية عن هذا الإطار ، لأنها سلوك إنساني مكتسب يتجلى في تصرفات الفرد إزاء بيئته و محيطه، و لذلك تعرف

القيم البيئية بأنها: "الموقف الذي يتخذه الفرد تجاه بيئته من حيث استشعاره مشكلاتها أو عدم استشعاره، و من ثمة استعداده للمساهمة في حل هذه المشكلات و تطوير الظروف البيئية نحو الأفضل، أو عدم استعداده، وكذلك موقفه من استغلال الموارد الطبيعية في هذه البيئة استغلالا راشدا أو جائرا وفق المعتقدات السائدة رفضا أو قبولا، إيجابا أو سلبا.⁴⁴

2- تصنيف القيم البيئية:

تصنف القيم البيئية حسب رأي مجموعة من الباحثين إلى عدة عناصر تبعا لنوعية الدراسة وهدفها والفتة المستهدفة، نورد منها ما يلي:

- صنف البعض القيم البيئية إلى : قيم المحافظة على البيئة وقيم الاستغلال الرشيد للموارد، وقيم الإيمان والاعتقاد بأهمية البيئة.
 - وتصنف إلى : قيم حماية البيئة من التلوث، وقيم المحافظة على الموارد من الاستنزاف، وقيم المحافظة على جمال الطبيعة، وقيم المسؤولية الاجتماعية نحو البيئة، والقيم العلمية، وقيم المشاركة الايجابية في البيئة، وقيم الانتماء للبيئة.
 - وتصنف أيضا إلى : قيمة تذوق جمال البيئة، وقيمة المحافظة على الموارد البيئية، وقيمة تقدير القيمة الاقتصادية للآثار التاريخية، وقيمة الاستغلال الأمثل لموارد البيئة، وقيمة المشاركة الايجابية في تحسين البيئة.⁴⁵
- كما تصنف إلى سبعة أقسام رئيسة هي:

- ✓ **قيم المحافظة على الموارد الطبيعية الدائمة:** مثل المحافظة على الموارد المائية وتنميتها، والمحافظة على الهواء، والمحافظة على الشواطئ والبحار من التلوث.
- ✓ **قيم المحافظة على الموارد الطبيعية المتجددة:** مثل المحافظة على الثروة النباتية، والمحافظة على الثروة الحيوانية، والمحافظة على التربة والمساحات الخضراء.
- ✓ **قيم المحافظة على الموارد الطبيعية غير المتجددة:** مثل المحافظة على الثروة المعدنية، والمحافظة على المحميات الطبيعية.

✓ **قيم المحافظة على صحة البيئة:** مثل النظافة والرعاية الصحية، والمحافظة على الغذاء من التلوث، والمحافظة على البيئة من التلوث الضوضائي، والتوافق البيئي .

✓ **قيم بيئية تخطيطية و تشريعية:** مثل التخطيط، واحترام القوانين، والإدارة البيئية.

✓ **قيم بيئية حضارية:** مثل نبذ المعتقدات الخرافية، والتوازن الخدمي بين الريف والحضر، وحماية التراث الحضري، والمشاركة في تحسين البيئة.

✓ **قيم بيئية سياسية و اقتصادية:** مثل ترشيد استخدام الموارد، والسلام، وقيمة الأمن.

✓ **قيم بيئية تعليمية:** مثل التثقيف البيئي، و إدراك بعد الزمن، والمحافظة على البيئة من التلوث الثقائي، القيم الجمالية.⁴⁶

3- مفهوم الثقافة البيئية:

الثقافة البيئية هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعارف و القيم و الاتجاهات البيئية ، أي كل يتعلق بالبيئة غير أن الثقافة البيئية ترتبط بعنصرين هما السلوك البيئي و الوعي البيئي .⁴⁷ و هو مفهوم يعبر عن مجموعة من القيم و السلوكيات التي تتميز بها أمة من الأمم عن غيرها من أجل المحافظة على البيئة و مواردها و نظمها و عناصرها.⁴⁸ هو مفهوم يعبر عن اكتساب للفرد للمكونات المعرفية و الانفعالية و السلوكية من خلال تفاعله المستمر مع بيئته و التي تسهم في تشكيل سلوك جيد يجعل الفرد قادرا على التفاعل بصورة سليمة مع بيئته و يكون قادرا على نقل هذا السلوك للآخرين من حوله .⁴⁹ ويعرفها مارتا (Martin) 2008 بأنها القدرة على استخدام الفرد للفهم البيئي من خلال تفكيره و ممارسته أو عاداته للعيش في البيئة و الاستمتاع بها .⁵⁰ كما تعد الثقافة البيئية مفهوم يعبر عن اكتساب الفرد للمكونات المعرفية و الانفعالية و السلوكية من خلال تفاعله المستمر مع بيئته و التي تسهم في تشكيل سلوك جيد يجعل الفرد قادرا على التفاعل بصورة سليمة مع بيئته و يكون قادرا على نقل هذا السلوك للآخرين من حوله.⁵¹

4- فلسفة الثقافة البيئية :

إن الثقافة البيئية تشكل أحد أهم الروافد التي أصبح الإنسان المعاصر ينادي بها، وهذا نظرا للأهمية الكبيرة التي تحتلها في حياة البشرية، وبات من الملح إيلاء الأهمية القصوى لهذا الجانب و لتجنب المزيد من التدهور في بيئتنا، من خلال مجموعة من التدابير لأن التربية البيئية مستمرة طوال عمر المواطن، وتتحمل مسؤوليتها كل الجهات الرسمية وغير الرسمية وكل المؤسسات في المجتمع، و في مقدمتها الأسرة ووسائل الإعلام و المجتمع المدني. و تقوم فلسفة الثقافة البيئية و المتمثلة في تنشئة مواطن يتمتع بصفة الالتزام البيئي دون وجود رقابة خارجية على سلوكه و عادة ما تفرض الثقافة البيئية توجهها جديدا ليربط علاقة الإنسان ببيئته من خلال طرح تصور أخلاقي رشيد يعمل على تطوير المجتمع و تغيير النموذج الحضاري القائم على الاستغلال و علاقات السيطرة الذي يعتمد على مبدأ حق البشر في استغلال الموارد البيئية بدون حدود ، و من جهة أخرى قد تفرض الثقافة البيئية توجهها ثان قائم على ترشيد استعمال الموارد الطبيعية بحيث يستفيد الإنسان من موارد البيئية بشكل أخلاقي يحفظ حق الأجيال القادمة في هذه الموارد و بذلك تنطلق الثقافة البيئية من مبدأ الحقوق البيئية للإنسان باعتبار أن المحافظة على الأنظمة البيئية و على الأنواع البيئية هي المحافظة على القيم و الأخلاق البيئية التي يجب أن يتحلى بها الإنسان أثناء تعامله مع البيئية و مكوناتها و هو الأساس للمسؤولية النابعة من هذه الثقافة المتميزة هتم الثقافة البيئية بنشر الوعي البيئي في المجتمع و ذلك بنشر المفاهيم و المعلومات و القضايا البيئية ، و توضيح العلاقات البيئية القائمة في الكون من حيث تحديد موقع الإنسان و دوره في هذه العلاقات و من خلال تقديم نماذج إيجابية للسلوكات البيئية التي تكون معيارا أخلاقيا يحدد علاقة الإنسان بالطبيعة و مكوناتها و هو الأساس للمسؤولية البيئية النابعة من الثقافة المتميزة و بذلك تعيد الثقافة البيئية النظر في مفاهيم حقوق الإنسان و العدالة و التعاقد الاجتماعي و تأخذ في اعتبارها حياة الكائنات الأخرى و حقوق البيئة و حقوق الأجيال القادمة ⁵².

سادسا - علاقة المرأة بالبيئة من منظور التنمية المستدامة :

انطلق الاهتمام العالمي لتفسير علاقة المرأة بالبيئة من واقع أن المرأة هي المتعامل الأول والمباشر مع موارد المياه والطاقة وأساليب الصرف الصحي، وهي الموجه الأساسي للنشء وهي التي تمارس العادات البيئية السليمة منها وغير سليمة،⁵³ وأثير الجدل حول علاقة المرأة بالبيئة في البلدان النامية لكون المرأة أداة حماية وتحسين البيئة من جهة ومسببة لتدهور البيئة من جهة أخرى، و انطلاقا من موقع المرأة كأم ومربية ومستهلكة وأحيانا منتجة ومع تزايد فرص مشاركتها في الأعمال من الناحية التجارية والإنتاجية والسياسية أصبح ينظر إليها باعتبارها تقوم بدور حاسم في المساعي المبذولة على المستويات المحلية والوطنية والإقليمية والدولية لترشيد استخدام مواد المياه والطاقة المختلفة والحد من التدهور البيئي وخفض انتشار الأمراض وبات مؤكدا أن للمرأة دورا حاسما في وضع وتنفيذ حلول شاملة ومتكاملة لحماية البيئة وأنه من دون مشاركة المرأة المتساوية مع الرجل تبقى حماية البيئة من المهمات الصعبة.⁵⁴ ففي دراسة أجراها الباحث محمد فتحي سيد بالتعاون مع الجمعية المصرية للتنمية البشرية والبيئية لمركز ومدينة القناطر الخيرية بعنوان "من أجل بيئة نظيفة والمحافظة عليها"، أكد أن كثيرا من السياسات التي تتخذ في الدول ثبت أن لها تأثيرا مميذا على المرأة أكثر من الرجل، فهي صاحب العلاقة الأقوى مع البيئة ومواردها وهي التي تربي الأجيال وبالتالي هي التي تنمي فيهم الإحساس بالمسؤولية تجاه البيئة. وتأتي هذه الأهمية أيضا، من التصاق المرأة الوثيق بتوعية الأجيال وتربيتها، ودورها في غرس المفاهيم البيئية الصحيحة في أبنائها منذ نعومة أظفارهم،⁵⁵ فأشراك المرأة في أنشطة حماية البيئة يسهم في حل العديد من المشاكل البيئية فهي قادرة على تقبل الوعي البيئي وتنميته، وعندما نقوم بتوعية المرأة بيئيا ودعوتها للمساهمة في حماية البيئة فإننا في الوقت ذاته نكون قد قمنا بنشر هذا الوعي لدى كافة أفراد الأسرة وذلك لارتباطها القوي بأسرتها.⁵⁶

1 - المرأة ضحية البيئة :

كانت أول العلاقة بين المرأة والبيئة في منتصف القرن الماضي قد أظهرتها كضحية للتنمية والتدهور البيئي من جراء تعرضها للمخاطر البيئية أثناء

القيام بمهامها داخل المنزل و في عملها المهني خارجه نتيجة تعرضها للملوثات الصناعية و المبيدات المنزلية المختلفة أثناء عملها إلى جانب الرجل في الحقل و في صناعات عديدة و لذلك بذلت جهود كثيرة لتحديد آثار التدهور البيئي على المرأة خصوصا ما يتعلق بندرة المياه و غياب خدمات الطاقة و تثبت أن التأثيرات الصحية للملوثات البيئية أشد قسوة على المرأة بسبب تعرضها المباشر للملوثات المياه و الغذاء و الهواء الداخلي ، فالتفاعلات الصحية الناتجة عن ذلك تكون أشد تأثيرا على المرأة من الرجل لأن آثار تعرض المرأة تمتد إلى الجنين أثناء الحمل و إلى المولود أثناء الرضاعة الطبيعية ، و لذلك تعاملت التقارير و الدراسات البيئية مع المرأة من منظور وضعها و تأثير البيئة عليها و ليس لكونها شريكا في التعامل المباشر مع البيئة من خلال أدوارها كإدارية أو مدبرة أو كممطرة للحلول.

2- المرأة مسببة للتدهور البيئي :

لقد أظهرت الدراسات التي أجريت على البيئة خلال السبعينات و الثمانيات من القرن الماضي أن المرأة أحد المسؤولين الأساسيين عن التدهور البيئي خاصة في المناطق الريفية لأنها تعرض البيئة لانتهاكات خلال ممارستها المعيشية اليومية ، بسبب ما تقوم به من استخراج للموارد الطبيعية اللازمة لاحتياجات الأسرة و استخدام هذه الموارد بطرق بدائية لا تراعي مقتضيات استدامتها و حماية البيئة ، فحملت المرأة مسؤولية تدهور الغابات و انجراف التربة و تلوث المياه و الهواء و انخفاض المحاصيل الزراعية ، و حتى مسؤولية كثرة الإنجاب و بالموازاة ذلك كشفت الدراسات أن السياسات الاجتماعية و الاقتصادية المتبعة في البلدان النامية ساهمت في تعميق التفاوت بين الرجل و المرأة و تأخير التنمية الاقتصادية المرجوة في المناطق الريفية مما زاد من أعباء المرأة التي ألفت بأوزار الفقر على موارد بيئتها .

3- المرأة محافظة على البيئة :

لقد اهتم هذا المنظور بالأدوار الفعالة و المهمة التي تضطلع بها المرأة تجاه حماية البيئة ، فقد أدرك المجتمع الدولي أن تعامل المرأة و خصوصا الريفية مع الموارد الطبيعية على نحو يلحق الضرر بتوازن البيئة و نظامها و إنما هو نتيجة

طبيعية لجملة من الأسباب والعوامل التي تمس المرأة نتيجة افتقارها إلى المعرفة والتعليم والثقافة بسبب وضعها الاجتماعي والاقتصادي المتردي. ونتيجة لذلك أدرك المجتمع الدولي أن الاهتمام بالمرأة وتمكينها يعتبر من الركائز الأساسية والمهمة لأي تنمية يسعى المجتمع لتحقيقها، فلقد ارتبط مفهوم تمكين المرأة ارتباطاً وثيقاً بالتنمية المستدامة، على اعتبار أن التنمية المستدامة لا بد أن تكون من صنع البشر لا من أجلهم مما يحتم مشاركتهم مشاركة فعالة وتامة للرجال والنساء في صنع القرار ورسم السياسات التنموية. لقد أدرك المجتمع الدولي أنه يمكن الحفاظ على البيئة وترشيد استهلاك مواردها من خلال التوعية بالنظم والأساليب السليمة لاستخدام الموارد الطبيعية وحماية البيئة، وحصل تبعاً لذلك انقلاب في المفهوم الدولي لعلاقة المرأة بالبيئة وأعيد تقسيم دورها في حماية البيئة فتلاشت الصورة السابقة التي تظهر فيها المرأة كمشوهة لبيئة، لتعطي مكانها الصورة الحقيقية للمرأة اعتبارها كأداة أساسية في الدفاع عن البيئة وحمايتها.⁵⁷

سابعاً - أبعاد مشاركة المرأة في حماية البيئة :

تلعب المرأة دوراً لا يستهان به في تحسين البيئة التي يعيش فيها جنباً إلى جنب الرجل، وإن كان الاهتمام بدور المرأة أكثر فهي المسؤولة عن تربية النشء ولذلك بات من الضروري إشراك المرأة باعتبارها أنها نصف المجتمع في المشروعات والقرارات ذات العلاقة بالبيئة، ومن ثم فالمرأة تلعب دور كبيراً في تربية النشء وتنشئة أجيال على اتجاهات وقيم وسلوكيات إيجابية تجاه البيئة على غرار مساهمتها في برامج ومشروعات التنمية البيئية لمجتمعها.⁵⁸ لقد أيقنت الكثير من الدول والحكومات ضرورة إشراك الطاقة البشرية والمتمثلة في النساء في صنع القرارات البيئية وتنفيذها وزيادة مشاركتها الشعبية في عمليات التنمية البيئية إذا ما توفرت لها الظروف لتحمل مسؤوليتها في إطار القيم الدينية والعادات والتقاليد وعموماً تبرز أهمية المرأة في حماية البيئة، بحيث تشكل النساء نصف سكان العالم تقريباً، ومن ثم فإنه يمكن الاستفادة الكاملة من جهود المرأة إذا ما استخدمت واستغلت قدراتها على نحو أفضل من أجل حماية البيئة وصيانة مواردها.⁶⁰ وقد صرح الأمين العام للأمم المتحدة بأن

كي كون أمام المشاركون في اجتماع قمة الأرض تحت عنوان " حالة كوكبنا " الذي انعقد في مارس 2010 في جامعة كولومبيا بمدينة نيويورك أن نساء العالم يشكلن مفتاح التنمية المستدامة و السلام و الأمن باعتبار أن النساء هن المديريات الرئيسيات لموارد عائلتهن في أجزاء عديدة من العالم فإن إشراكهن في علاج التغيرات المناخية و في التكيف معها بات ضرورة حتمية ، حيث تلعب النساء عبر مختلف مناطق العالم دورا حاسما فيما يتعلق ببيئتهن الطبيعية و في أحيان كثيرة تعتمد بشدة على الموارد الطبيعية المتاحة للغذاء و الوقود و المأوى و لذلك يمكن أن تكون المرأة معرضة بدرجة خاصة للتغيرات و التهديدات البيئية و لأنه غالبا ما يركز عمل النساء على إدارة الموارد الطبيعية و التنوع البيولوجي و الأنظمة البيئية . و يتجلى دور المرأة في حماية البيئة و المحافظة عليها من خلال الأبعاد التالية:

✓ تستخدم المرأة مصادر الطاقة أثناء قيامها بالنشاطات اليومية و يعتبر توجيهها للأطفال للحد من استهلاك الطاقة دورا أساسيا في تنشئة أجيال جديدة على دراية بأبعاد و مشاكل الطاقة .

✓ المرأة مسئولة عن ترشيد استهلاك المياه في المنزل ، ووعيا بأهمية هذا العنصر يجعلها تشارك في توجيه الأطفال إلى الطرق السليمة للاستفادة من هذه الثروة و عدم هدرها .

✓ المرأة مسئولة عن توعية الأطفال بأهمية المساحات الخضراء و عدم قطع الأشجار.

✓ المرأة مسئولة عن تدبير النفقات المنزلية ووعيا بخطورة هذا الأمر يدفعها إلى تربية الأطفال على تجنب التصرفات غير المسؤولة كتلويث المياه و الغابات و رمي القمامة في الأماكن العامة.

✓ المرأة في الريف مسئولة عن تدبير موارد الطاقة الطبيعية و إشراكها في التربية البيئية يجعلها أكثر حرصا على المحافظة على الثروة الغابية.⁶¹

ثامنا - المرأة و حماية البيئة في ضوء المؤتمرات و الاتفاقيات الدولية للتنمية المستدامة:

ربطت المؤتمرات الدولية بين المرأة و البيئة ، مركزة بذلك على دور المرأة المهم في مجابهة المخاطر التي تهدد البيئة ، وخاصة من ناحية البيئة البيولوجية ، والتقليل من الإنجاب وتحييد مخاطر الاكتظاظ المفرط وغيره من السلبيات المرتبطة بالضغط السكاني حيث أكدت هذه المؤتمرات أنه مشاركة المرأة في صياغة و تنفيذ السياسة البيئية تكاد تكون منخفضة في مختلف بلدان العالم لاسيما في الدول النامية ، على الرغم أن المجتمع الدولي قد اعترف بشكل رسمي أن لا تكون هناك تنمية دون المشاركة الكاملة للمرأة، كما عقدت الأمم المتحدة في سنة 1975 في مدينة مكسيكو أول مؤتمر لها بشأن المرأة والذي صدر عنه خلال الفترة (1976 - 1985) إعلان تمحور حول المساواة والتنمية والسلام وأكد على الدور الفاعل الذي تضطلع به المرأة في سبيل تنمية أسرتها و بيتها من جهة و تنمية مجتمعها من جهة أخرى.⁶²

و المحطات التالية توضح مدى الاهتمام الدولي التي يقر بأهمية المرأة في حماية البيئة:

1- مؤتمر البيئة والتنمية بريوديجانيرو 1992:

صدر عن مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة و التنمية الذي يعرف بقمة الأرض و الذي انعقد في ريوديجانيرو في عام 1992 جدول أعمال القرن 21 الذي خصص الفصل 24 للدور العالمي للمرأة في تحقيق تنمية مستدامة و منصفة و العلاقة الوثيقة للمرأة و التنمية و البيئة و ضرورة إشراكها الكامل في تحقيق التنمية المستدامة. و قد اعتمد مؤتمر قمة الأرض أيضا إلى جانب جدول أعمال القرن 21 اتفاقية التنوع البيولوجي الذي أكدت على دور المرأة الحيوي في الحفاظ على التنوع البيولوجي و استخدامه على نحو قابل للاستمرار و الحاجة إلى مشاركة المرأة على الوجه الأكمل في تقرير سياسات التنوع البيولوجي و تنفيذها على كافة المستويات مما يكفل تحقيق التنمية المستدامة. هكذا دعا كل من البرنامج من أجل التنمية المستدامة و الأجندة 21 المنبثقان عن هذه القمة إلى إدماج المرأة في تدابير و تسيير حماية الموارد الطبيعية خاصة في المناطق القروية .

2- المرأة و البيئة في إطار مبادئ دبلن 1992:

في مجال إدارة الموارد المائية و ترشيد استهلاكها أكد كل من العقد الدولي لتوفير مياه الشرب و الصرف الصحي 1981 - 1990 و المؤتمر الدولي المعني بالمياه و البيئة الذي عقد في دبلن عام 1992 ، على أن المرأة دورا رئيسا في توفير المياه و إدارتها و حمايتها و أن قبول هذا المبدأ و تنفيذه يتطلب وضع سياسات و برامج إيجابية لمواجهة الاحتياجات الخاصة بالمرأة و تمكينها من المشاركة على جميع المستويات في برامج الموارد المائية بما في ذلك اتخاذ القرارات و تنفيذها بالطرق التي تشارك في تحديدها. حيث تعهدت حكومات الدول من خلال كل المحطات الدبلوماسية التي عنت بالمرأة و خاصة في قيمة نيروبي سنة 1985 بالارتقاء بمساهمة المرأة خاصة الاقتصادية فهذا لا يستثني مشاركتها الفعلية و الفعالة في بناء التنمية المستدامة التي هي في صالح الفرد كان امرأة أو رجل.⁶³

3- المؤتمر الدولي حول السكان والتنمية بالقاهرة 1994 :

حدد البرنامج المنبثق عنه أهدافا للحصول عليها في عشرون سنة من خلال ثلاثة ميادين متداخلة منها إسهام النساء و الفتيات في التنمية و ذلك بإعطائهن خيارات و فرص أوسع نطاقا و نوعا .

4- مؤتمر بيكين سنة 1995 :

حسب مؤتمر بيجين 1995 البشر هم محور اهتمام التنمية المستدامة، ولهم الحق في حياة صحية ومنتجة في وئام مع الطبيعة . وللمرأة دور أساسي تضطلع به في إيجاد أنماط للاستهلاك والإنتاج ونهج مستدامة وسليمة بيئيا لإدارة الموارد الطبيعية، على نحو ما أقر به مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة والتنمية والمؤتمر الدولي للسكان والتنمية وما ورد في جدول أعمال القرن 21و لقد تطرقت هذه القمة لمجالات اهتمام التنمية و علاقاتها بالمرأة ،و جاءت قضية البيئة في المرتبة 11 حين أشارت هذه القمة في هذه القضية إلى عدم الاعتراف اللائق و غياب الدعم لمساهمة المرأة في تدبير الموارد الطبيعية و الحفاظ على البيئة .⁶⁴ كما أكد منهاج بيجين على ضرورة إشراك المرأة في جميع مستويات صنع القرار البيئية و إدماج المنظور الجنساني في جميع مستويات التنمية المستدامة ، كما أكد المبدأ الحادي عشر من وثيقة بيجين سنة 2008 " المرأة و البيئة" على تعزيز الوصول إلى إدارة الموارد الطبيعية و الحفاظ عليها ، باعتبار

أن البشر هم مركز الاهتمامات المتعلقة بالتنمية المستدامة و لهم الحق أن يعيشوا حياة صحية و بيئة نظيفة و المرأة في هذا الشأن لها دور أساسي في اعتماد طرق الاستهلاك و الإنتاج و إدارة الموارد الطبيعية المستدامة و السليمة بيئيا . كما شدد مناهج عمل بيجين على ضرورة إيجاد فرص لزيادة مشاركة المرأة في عملية التنمية المستدامة و تطوير إمكانياتها ، و لما كان عدم توفر موارد الطاقة و المياه يسبب أعباء إضافية للمرأة تدفعها إلى ترك الأنشطة المدرة للدخل بينما يزداد عملها غير مدفوع الأجر ، مما يحد من فرص تحسين أوضاعها فقد أكد منهاج عمل بيجين على أهمية ما يلي :

✓ تحقيق المساواة بين الرجل و المرأة من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية و الاجتماعية المستدامة و توفير فرص متساوية للمرأة في الحصول على تقنيات الطاقة و بكلفة مناسبة؛

✓ تعزيز الدور الذي يمكن أن تضطلع به المرأة في تطوير أساليب إنتاج الطاقة و استهلاكها خاصة في القطاع المنزلي و ضرورة إيجاد برامج التدريب اللازمة لرفع قدرتها في هذا المجال؛

✓ تحسين معارف المرأة لاسيما المرأة الريفية و تكييف الأبحاث حول دورها و ثقافتها و خبراتها في مجالات الري و إدارة المياه المستعملة و الصحة؛

✓ دعم مشاركة المرأة على جميع المستويات في وضع السياسات و صنع القرار بشأن إدارة الموارد الطبيعية خاصة الموارد المائية.

✓ اتخاذ التدابير المناسبة لتقليل المخاطر التي تتعرض لها المرأة من جراء ما تم تحديده من أخطار بيئية موجودة في البيت والعمل وفي البيئات الأخرى، بما في ذلك التطبيق الملائم للتكنولوجيات النظيفة، مع مراعاة النهج الاحترازي المتفق عليه في إعلان ريو بشأن البيئة والتنمية؛

✓ اتخاذ تدابير لتمكين المرأة بصفقتها منتجة و مستهلكة من اتخاذ إجراءات بيئية فعالة، إلى جانب الرجل، في بيتها و مجتمعها المحلي و مكان عملها؛

✓ تسهيل فرص حصول المرأة المزارعة و العاملة في مجال صيد الأسماك و الرعي على المعارف و المهارات و خدمات التسويق و التكنولوجيات السليمة بيئياً

من أجل دعم وتعزيز دورها وخبرتها الفنية الحاسمين في إدارة الموارد وحفظ التنوع البيولوجي.⁶⁵

5- مؤتمر ريو+20 سنة 2012 :

أكد بيان الختامي سنة 1992 لمؤتمر ريو بعنوان "المستقبل التي نريده" بشأن الاقتصاد الأخضر في سياق التنمية المستدامة والقضاء على الفقر خلال سنة 2012 حيث أكد في المادة الثالثة والرابعة من الفقرة الأولى من الإعلان على أهمية و دور المرأة في مجال الحفاظ على البيئة و استخدام الموارد الطبيعية و إدارتها على نحو سليم فضلا أن تأثر المرأة تأثرا سلبيا غير متناسب عندما تستنفذ الموارد الطبيعية و بالتالي تؤثر على البيئة. كما تلتزم الأطراف بتفادي الأضرار البيئية على السكان خاصة فيما يتعلق بالغذاء و الماء.⁶⁶ و بالموازاة مع هذه القمم ، ساعدت عدة منظمات غير حكومية منظمة الأمم المتحدة على إعادة صياغة بعض محاور برنامج العمل خاصة فيما يتعلق بالمرأة في علاقتها بالبيئة و التنمية ، إذ أن المرأة تلعب دورا مهما في بلورة كفاءات الاستهلاك و الإنتاج البيئي و الإيكولوجي و كذلك تدبير الموارد الطبيعية ، من جهة أخرى ، ينتج عن العلاقة بين الفقر و تدهور و تدمير البيئة آثار سلبية على صحة و نوعية الحياة و الرفاه البشري خاصة لدى الفتيات و النساء و هنا لازالت المرأة مقصية في كل عملية أو مخطط لبلورة و اتخاذ القرارات في الميدان.

كما أقر مؤتمر ريو +20 المنعقد ببرازيل 2012 على مواصلة تعميم التنمية المستدامة في المستويات كافة من خلال تحقيق التكامل بين الجوانب الاقتصادية و الاجتماعية و البيئة و التأكيد على أهمية الحرية و السلام و الأمن و احترام حقوق الإنسان و من ضمنها الحق في التنمية و الحق في مستوى معيشة لائق بما يشمل الحق في الغذاء و سيادة القانون و العمل على تعزيز المساواة بين الجنسين و تمكين المرأة في مجال الحفاظ على الموارد الطبيعية و توطين العدل الاجتماعي.⁶⁷

6- المرأة و البيئة في إطار مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة و التنمية :

ركزت وثيقة الأمم المتحدة المعني بالبيئة و التنمية بشأن جدول أعمال القرن 21 على دور المرأة في الإدارة البيئية و أكدت على أن تحسين مركزها يعد شرطا مسبقا للتنمية المستدامة و قد دعي المؤتمر إلى اتخاذ الإجراءات الكفيلة

بتحسين محو أمية المرأة و تثقيفها و تدريبها و تغذيتها و حماية صحتها، و العمل على تعيين النساء في مواقع صنع القرار الرئيسية فيما يتعلق بتحقيق الإدارة البيئية و على الرغم أن جدول أعمال القرن 21 يركز على أهمية مشاركة المرأة على نحو فعال في صنع القرار الاقتصادي و السياسي إلا أنه لم يقطع الشوط المطلوب من حيث النظر في مسألة تقسيم العمل الحالي بين الجنسين و في أدوار المرأة التقليدية في الإدارة البيئية .⁶⁸

7- المرأة والبيئة في إطار الأهداف الإنمائية للألفية:

تضمنت الأهداف الإنمائية للألفية هدفين يتعلقان على نحو مباشر بالمرأة و منها ، تحقيق المساواة بين الجنسين و تمكين المرأة ، تحسين الصحة النفسية للمرأة ، و أهدافا أخرى عامة و لكنها تشمل المرأة على نحو غير مباشر و منها هدف القضاء على الفقر المدقع و الجوع و تحقيق التعليم الابتدائي و مكافحة الإيدز و الملاريا و غيرها من الأمراض و كفالة الاستدامة البيئية.

8- المرأة والبيئة في إطار الأهداف الإنمائية إلى ما بعد سنة 2030 :

إن الأهداف الإنمائية للألفية لم تجبر الدول أن تضع اعتبارا لحقوق الإنسان بطريقة متوافقة أو شاملة ، إلا أن برنامج 2030 يعتبر نقلة نوعية مهمة نحو عالم عادل و مستدام قائم على حقوق الإنسان و هو يركز بشكل صريح على ميثاق الأمم المتحدة و الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بما في إعلان الحق في التنمية ، و يمكن الإشارة إلى أهم النقاط التي تلخص الفرص المتاحة للمرأة و المرأة العربية بشكل خاص⁶⁹. فالهدف السادس من برنامج 2030 يؤكد على محور " توفير مياه الصرف الصحي من منظور النوع الاجتماعي ، بحيث يتيح فرصة توزيع فوائد استخدام المياه و تكاليفه بشكل متكافئ مع كل الفئات و يمكن أن يساهم كل من الرجل و المرأة بإبداعاته وطاقته المعرفية في جعل مشاريع المياه تعمل بشكل أفضل مع تحسين إمكانية الاستفادة من مياه الشرب النظيفة و مرافق الصرف الصحي الجيدة لكل من النساء و الرجال يؤدي إلى الحد من الفقر و تعليم الفتيات و تقليل من نسبة الوفيات بين الأطفال و الأمهات.

إن إشراك المرأة إشراكا كاملا في تخطيط مرافق المياه والصرف الصحي و خصوصا في التخطيط لمواجهة الكوارث يعتبر من أهم الفرص المتاحة في إطار الهدف السادس ، حيث أنها النموذج الذي يحتذى به في المنزل وقد أصبح متطلبا أساسيا للدول كونا موقعة على اتفاقية سيداو و حقوق الإنسان قد عقدت منظمة المرأة العربية بالتعاون مع جامعة الدول العربية والمكتب الإقليمي للبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة وهيئة الأمم المتحدة للمرأة مؤتمرا حول "المرأة العربية في الأجندة التنموية 2015- 2030" بجمهورية مصر العربية في الفترة من 29 نوفمبر إلى 01 من ديسمبر 2015 ، و يأتي هذا المؤتمر من أجل بلورة رؤية عربية موحدة تهتم بتحليل الأهداف التنموية في إطار عدد من الدراسات التي أعدتها خصيصا للمؤتمر. وقد اهتم المؤتمر بإنتاج مؤشرات من منظور النوع الاجتماعي لقياس التقدم المحرز نحو تنفيذ الأهداف الواردة في أجندة الأمم المتحدة أو التحديات التي مازالت تعوق المسيرة، وذلك بهدف مساعدة الدول العربية على إدماج قضايا المرأة في الـ 17 هدف لدى قيامهم بإعداد التقارير الوطنية على مدى السنوات الـ 15 القادمة.⁷⁰

تاسعا- الثقافة البيئية للمرأة وفق الأبعاد الإستراتيجية للتنمية المستدامة :

لأن الثقافة البيئية تتوجه إلى شرائح متباينة من المجتمع فإنه يلزم لها أن تتوجه لكل شريحة منها وفقا لخصائصها ومستوياتها ونقاط اهتمامها و من أكثر الشرائح المتأثرة بوسائل الإعلام هم جمهور المرأة بمستوياتهم المتباينة و يمكن من خلال الإعداد و التنشئة البيئية للمرأة منذ طفولتها تحقيق تنمية مستدامة تطول جوانب البيئة و المجتمع كما أن تثقف المرأة بيئيا يسهل لنا بشكل كبير تهيئتها و تدريبها للتعامل مع القضايا البيئية و مشكلاتها ، خاصة إذا ما تم إعدادها و تربيتها و تنشئتها ثقافيا و حضاريا و أخلاقيا للتعامل الرشيد معها و مساعدتها على إدراك العلاقات الشمولية و النظرة المتكاملة و الروابط المتداخلة بين عناصر السلوك العام تجاهها ، بالإضافة إلى تزويدها بالمعلومات البيئية المناسبة التي تجعلها تسلك سلوكا بيئيا إيجابيا و مسؤولا و هذا ما تعتمد عليه مختلف السياسات البيئية الدولية و الوطنية لتحقيق أهداف و أبعاد التنمية المستدامة . فمنذ إعلان الأمم المتحدة السنة الدولية

للمرأة عام 1975 ، و ما تلاه من إعلان خلال الفترة 1976 - 1985 من مؤتمرات تتعلق بقضايا المرأة ، أولى المجتمع الدولي اهتماما كبيرا لتوضيح العلاقة بين المرأة والتنمية و المرأة و البيئة و اتخاذ التدابير اللازمة لدعم و تفعيل دور المرأة في عملية التنمية ، و قد ترجم ذلك في تشجيع مشاركة المرأة بشكل تدريجي في التنمية الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية، بدءا بالنطاق المحلي مرورا بالمستوى الوطني وصولا إلى المشاركة في صنع القرار العالمي ، فبروز دور المرأة في العالم عنصر أساسي في حركة التنمية و قوة ضاغطة يمكن أن تصنع التغير في مسيرة هذه الحركة و توجهاتها ، و أنشئت منظمات كرست جهودها لتعزيز دور المرأة في كل ما يتعلق بالبيئة و التنمية و منها المنظمات النسائية للبيئة و التنمية ⁷¹ ، و باعتماد الدول لأهداف التنمية المستدامة الجديدة لعام 2030، يقر العالم مرة أخرى بأهمية دور المرأة في تحقيق الاستدامة، فالمرأة هي نواة المجتمع وإذا استطعنا أن نطور أو نغير من سلوكيات المرأة يمكن تغيير سلوكيات الأسرة ومنها المجتمع. المرأة لها تأثير كبير على الأطفال والرجال ويمكن أن تعمل على تغيير الثقافة الاستهلاكية لدى كل أفراد الأسرة . و لتحقيق هذه الأهداف اعتمدت المخططات و برنامج التنمية المستدامة للتنمية و ترقية بعد الثقافة البيئية لجميع الأفراد بما في ذلك النساء لأنهن يلعبن دورا هاما في التنمية و الحفاظ على البيئة و تبرز الإستراتيجية من خلال استغلال وسائل الإعلام و مختلف الأنشطة الاتصالية التي تتعرض لها المرأة و من هذا المنطلق برزت الحاجة إلى ربط المخططات الاتصالية و الإعلامية بالأنشطة البيئية ذات البعد الثقافي البيئي و التعامل مع هذا المجال كإطار عام لأي برنامج يهدف إلى تنمية المعرفة و السلوك و الاتجاهات و القيم لدى المرأة ، إذ أن هذا الربط يتيح لمنفذي السياسات و البرامج البيئية الموجهة للمرأة إمكانية ترجمة المبادئ و الأسس الخاصة بالثقافة البيئية إلى غايات وأهداف تلامس الواقع . فتسهم بذلك في تكوين و تشكيل المدركات و الاتجاهات و القيم و فهم العلاقة المعقدة بين الإنسان و بيئته الحضرية بينه و بين بيئته الطبيعية بأبعادها المختلفة و بذلك تكون المرأة قادرة بنفسها على المشاركة و المساهمة في الحفاظ على البيئة و قادرة أيضا إلى اتخاذ القرارات البيئية الصائبة نحو تحقيق التنمية المستدامة .

خاتمة -

يمكن القول أن تمكين المرأة في مجال حماية البيئة و تحقيق التنمية المستدامة يتطلب الكثير من الجهود والعديد من التدابير والسياسات تعني بالمرأة وحقوقها البيئية كحق من الحقوق الإنسانية ، باعتبار أن المرأة أكثر تعاملًا من الموارد الطبيعية المتجددة وغير المتجددة وأكثر الشرائح الاجتماعية المعرضة للتهديدات البيئية سواء داخل المنزل أو خارجه ناهيك عن مسؤولية التربية والتنشئة التي تقع على عاتقها، وحسب المواثيق والمؤتمرات الدولية والعربية التي عنت بالمرأة أدرجت علاقة المرأة والبيئة ضمن أولوياتها من خلال إعطاء فرصة أكثر لتفعيل مشاركة المرأة في حماية البيئة و دمجها في السياسات البيئية المحلية بهدف تحسين أوضاعها و حمايتها من الأخطار الصحية والبيئية التي تؤثر عليها .

إن مسألة مساهمة المرأة في حماية البيئة و تحقيق التنمية المستدامة تتطلب العناية بالمرأة في محيطها الاجتماعي أولاً أين تتحكم فيه المنظومة القيمية للمجتمع ، فوضع المرأة على محك المحافظة على البيئة ينطلق من البعد التربوي الأول داخل الأسرة أين تتم عملية اكتساب القيم والاتجاهات والعادات التي تتبلور في السلوك والممارسات التي تقوم بها المرأة نتيجة عوامل ثقافية واجتماعية متداخلة وعميقة تخضع في بعدها إلى التحولات والتغيرات التي تشهدها الأسرة داخل المجتمع .

فاكتساب المرأة لقيم الثقافة البيئية التي تشمل السلوك والقيم والاتجاهات البيئية يبدأ من الأسرة من خلال عملية التنشئة لتنقله هي الأخرى للأجيال المستقبلية ، وتساهم وسائل الإعلام المختلفة المرئية والمسموعة والمقروءة دورا مكتملا ومؤثرا في ترسيخ و تنمية القيم البيئية من خلال مضامينها الإعلامية البيئية.

الهوامش -

- 1- عيسى محمد الغزالي ، تمكين المرأة ، المؤشرات و الأبعاد التربوية ، سلسلة دورية تعني بالتنمية في الدول العربية ، العدد 72 ، السنة الرابعة ، المعهد العربي للتخطيط بالكويت ، 2008.ص.2
- 2- أيمن سليمان مزاهرة ، عمر تركي ارشيدات ، دور المرأة الأردنية في المحافظة على الغذاء من التلوث و الحد من الفاقد منه ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الزراعية ، المجلد 12 ، العدد 2 ، 2012 ، ص ص 377 - 378.
- 3- سامي عبد الحميد حماد ، أيمن محمد القمري ، البيئة و التلوث ، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع ، مصر ، 2004 ، ص 147.
- 4- منى قاسم ، التلوث البيئي و التنمية الاقتصادية، الطبعة 2 ، الدار المصرية اللبنانية، مصر ، 1994، ص 101.
- 5- جمال الدين السيد علي صالح ، الإعلام البيئي " بين النظرية و التطبيق"، مركز الإسكندرية للكتاب ، مصر ، 2003، ص 13.
- 6- جمال الدين السيد علي صالح ، الإعلام البيئي " بين النظرية و التطبيق"، مركز الإسكندرية للكتاب ، مصر ، 2003، ص 13.
- 7- جمال الدين السيد علي صالح ، الإعلام البيئي " بين النظرية و التطبيق"، مركز الإسكندرية للكتاب ، مصر ، 2003، ص 13.
- 8- رحاب طاهر أحمد العزاوي ، دور المرأة العراقية في الحفاظ على الموارد البيئية و ترشيد استهلاك الطاقة و الحد من التلوث، وزارة البيئة ، دائرة حماية و تحسين البيئة في المنطقة الشمالية ، العراق ، 2007.
- 9- علي أسعد وطفه ، واقع التنشئة الاجتماعية و اتجاهاتها ، دراسة ميدانية عن محافظة القنيطرة السورية ، مركز الإمارات للدراسات و البحوث الإستراتيجية ، الإمارات العربية المتحدة ، أبو ظبي ، 2001 ، ص 12.
- 10- الطاهر علي موهوب، التنشئة الاجتماعية و علاقتها بالمشاركة السياسية ، العلم و الإيمان للنشر و التوزيع ، مصر ، 2010، ص 19.
- 11- الطاهر علي موهوب ، التنشئة الاجتماعية و علاقتها بالمشاركة السياسية ، مرجع سبق ذكره ، ص 20.
- 12- خليل محمد الخالدي ، القيم المركزية في تنشئة المرأة الموصلية ، دراسة سوسيوانثروبولوجية ، مقال منشور في مجلة دراسات موصلية ، مركز دراسات الموصل ، جامعة الموصل ، العدد 30 ، 2013، ص 150.
- 13- فؤاد البهي السيد ، سعد عبد الرحمان ، علم النفس الاجتماعي رؤية معاصرة ، الطبعة الخامسة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1999 ، ص 102.

- 14- عبد الفتاح تركي موسى، **التنشئة الاجتماعية (منظور إسلامي)**، المكتب العلمي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص36.
- 15- محمود أبو النيل ، **علم النفس الاجتماعي، عربيًا و عالميًا** ، جامعة عين الشمس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، جمهورية مصر العربية ، 2009، ص. 416.
- 16- علي أسعد وطفة ، علي جاسم الشهاب ، **التنشئة الاجتماعية في المجتمع الكويتي** ، دراسة في انطباعات طلاب المرحلة المتوسطة ، كلية التربية ، جامعة الكويت ، 2004، ص9
- 17- محمد عبده محجوب ، محمد عباس إبراهيم وآخرون ، **التنشئة الاجتماعية دراسة أنثروبولوجية في الثقافة و الشخصية** ، دار المعرفة الجامعية ، الأزاريطة ، مصر 2005، ص31.
- 18- عامر مصباح ، **التنشئة الاجتماعية و الانحراف الاجتماعي**، مرجع سبق ذكره، ص 44.
- 19- صالح خليل الصقور ، **الإعلام و التنشئة الاجتماعية** ، دار أسامة للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2012، ص99.
- 20- صالح محمد أبو جادو ، **سيكولوجية التنشئة الاجتماعية** ، دار الميسرة للنشر و التوزيع و الطباعة، الطبعة السابعة ، عمان ، الأردن ، 2010 ،، ص. 246.
- 21- سمير خطاب ، **التنشئة السياسية** ، إيتراك للنشر و التوزيع ، مصر ، 2004، ص. 38.
- 22- مصطفى السخاوي ، **الإيكولوجيا الثقافية** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1996، ص32
- 23- طارق محمد ، **مشاكل بيئية وأسرية** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2008، ص 113
- 24- حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، **البيئة و المجتمع**، مرجع سبق ذكره ، ص 121
- 25- محمد عبده محجوب ، محمد عباس إبراهيم وآخرون ، نفس المرجع السابق ، ص32
- 26- نفس المرجع السابق ، ص161.
- 27- كرم علي حافظ ، **الإعلام و قضايا البيئة** ، الجنادرية للنشر و التوزيع، عمان ، الأردن، 2017، ص. 04.
- 28- حمدي صالح نادية " **الإدارة البيئية ، المبادئ و الممارسات** " المنظمة العربية للتنمية الإدارية "، مصر، 2003، ص122
- 29- علي صالح جمال الدين السيد ، " **الإعلام البيئي بين النظرية و التطبيق** " ، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر 2003، ص. 89.
- 30- سناء محمد الجبور " **الإعلام البيئي** " دار أسامة للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2010، ص 11.

- 31- عبد الفتاح كنعان ، الإعلام البيئي ، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، 2014 ، ص 158.
- 32- عبد الفتاح كنعان ، الإعلام البيئي مرجع سبق ذكره ، ص 161.
- 33- القليني سوزان ، مذكور صلاح ، الإعلام و البيئة بين النظرية و التطبيق ، دار النهضة ، القاهرة ، 2000 ، ص 34 - علاء الدين عفيف ، عيسى موسى أبوشيخة ، الإعلام و البيئة ، دار المعتز ، عمان ، 2014 ، ص 316
- 35- جمال الدين السيد علي صالح ، مرجع سبق ذكره ، ص 96
- 36- محمد عبد أبو سمرة ، الإعلام الزراعي و البيئي ، مكتبة الفلاح ، القاهرة ، 2010 ، ص 41.
- 37- محمد عبد أبو سمرة ، الإعلام الزراعي و البيئي ، مكتبة الفلاح ، القاهرة ، 2010 ، ص 41.
- 38- مهيناز محسن ، الإعلام و البيئة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، دون دار النشر ، 2008 ، ص ص 53 - 56
- 39- مهيناز محسن ، الإعلام و البيئة ، مرجع سبق ذكره ، ص 67.
- 40- بلقسام بن روان ، وسائل الإعلام و المجتمع ، دراسة في الأبعاد الاجتماعية و المؤسساتية ، دار الخلدونية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2007 ، ص 7
- 41- باسمة خليل حلاوة ، القيم البيئية في كتب الجغرافية للصفين الخامس و السادس من مرحلة التعليم الأساسي في سورية ، "دراسة تحليلية تقويمية للقيم البيئية المتضمنة في الكتب" ، كلية التربية ، جامعة دمشق ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 22 ، العدد الثاني ، 2006 ، ص 477.
- 42- سعد الله سمح العبد أوعصيرة ، دور وحدة الإرشاد البيئي في الهيئات المحلية في تنمية القيم البيئة بمحافظات غزة ، مذكرة ماجستير في أصول التربية ، قسم أصول التربية ، كلية التربية ، جامعة الأزهر ، غزة ، 2014 ، ص 08
- 43- بن يحي سهام ، وسائل الإعلام و تنمية القيم البيئية ، مقال منشور في مجلة الباحث ، العدد 11 مارس 2015 ، قسم علم الاجتماع ، جامعة جيجل ، 2015 ، ص 144.
- 44- باسمة خليل حلاوة ، القيم البيئية في كتب الجغرافية للصفين الخامس و السادس من مرحلة التعليم الأساسي في سورية ، مرجع سبق ذكره ، ص 481.
- 45- عبد المنعم محمد درويش المرزوقي ، فاعلية برنامج أنشطة بيئية صيفية و لا صيفية على تنمية مهارات و القيم البيئة لدى تلاميذ الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بدولة الإمارات العربية المتحدة ، مرجع سابق ، ص 104.
- 46- صلاح عبد المحسن عجاج ، تنمية القيم و مناهج العلوم ، مدونة إلكترونية مدونة تربوية تهتم بتطوير المناهج التربوية و المواد التعليمية و تدريب المعلمين ، 17 نوفمبر 2014

- ، <http://dr-salahagag.blogspot.com/2014/11/35.html> ، تاريخ التصفح : 2016/06/02، الساعة : 16.43.
- 47- حسن محمد محي الدين السعدي ، دراسات في العلوم الإنسانية وقضايا البيئية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2008، ص 240.
- 48- محمد إبراهيم خاطر ، الإعلام والتوعية البيئية ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2013، ص 56.
- 49- عزايي أعمر ، لعمى أحمد ، الثقافة البيئية بعد استراتيجي لحماية البيئة ، بحث علمي ، جامعة ورقلة ، 2013 ، ص 42.
- 50- علي رحيم محمد ، هشام هنداي ، واقع الثقافة البيئية لطلبة القادسية ، دراسة مسحية ، كلية التربية ، جامعة القادسية ، العراق ، ب س ن ، ص 5.
- 51- فكيري أمال ، الثقافة البيئية وانعكاسها على التنمية المستدامة في المجتمع المعاصر ، كلية الحقوق و العلوم السياسية ، جامعة لونيبي علي ، البلدية 2، مقال منشور في مجلة حوليات جامعة الجزائر 1، العدد 30 ، الجزء الأول ، 2017، ص 162
- 52- سناء محمد جبور ، الإعلام البيئي ، مرجع سبق ذكره ، 2011 ، .
- 53- بوترة بلال ، دور المرأة في حماية البيئة ، مطبعة سكري ، الوادي ، الجزائر ، 2012 ، ص 117.
- 54- الأمم المتحدة ، دور المرأة الريفية في إدارة الموارد المائية و ترشيد استهلاك الطاقة و حماية البيئة في منطقة (الإسكوا) ، اللجنة الاقتصادية و الاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا) ، 2007 ، ص 33
- 55- منى قاسم ، التلوث البيئي و التنمية الاقتصادية ، الطبعة 2 ، الدار المصرية اللبنانية ، مصر ، 1994، ص 96
- 56- ماجد راغب الحلو ، قانون حماية البيئة ، الطبعة 1، جامعة الإمارات العربية المتحدة ، رياض ، 1993، ص 103
- 57- الأمم المتحدة ، دور المرأة الريفية في إدارة الموارد المائية و ترشيد استهلاك الطاقة و حماية البيئة في منطقة (الإسكوا) ، مرجع سبق ذكره، ص 34.
- 58- بوترة بلال ، مرجع سبق ذكره، ص 121.
- 59- أسماء الشداوي ، المرأة العربية بين التنمية و اكراهات العولمة - المرأة الشغيلة بمدينة طنجة (المغرب نموذجاً) ، مرجع سبق ذكره ، ص 4.
- 60- ليا تيرهون ، قضايا المرأة في العالم اليوم ، <http://iipdigital.usembassy.gov/st/arabic/publication/2013/06/20130613276142.html#ixzz4TrBCbehY> ، ص 632.

- 61 l'ONU , **Les femmes et l'environnement** , fiche descriptive se fonde sur l'«Examen et l'évaluation du Programme d'action de Beijing : Rapport du Secrétaire général» (E/CN.6/2000/PC/2), Publié par le Département de l'information de l'ONU DPI/2035/K - 00-39721- avril 2000 , sur site internet, <http://www.un.org/french/womenwatch/followup/beijing5/session/fiche11.html>, consulté le 04/03/2017 , 22 : 15.
- 62 أنيسة أكحل العيون ، **ما موقع المرأة من الاهتمام بالبيئة** ، مؤتمر دور المرأة العربية في التنمية المستدامة ، المنظمة العربية للتنمية الإدارية ، أعمال المؤتمرات ، 2007 ، المغرب ، ص 14.
- 63 الأمم المتحدة، **مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية المستدامة، ريو +20** ، ريو ديجانيرو ، البرازيل ، 20- 22 حزيران، 2012، ص 3.
- 64 إعلان منهاج بيجين ، القرار 1 للمؤتمر العالمي المعني بالمرأة المنعقد في بيجين خلال الفترة 15-4 أيلول/سبتمبر 1995 ، كاف ، **المرأة و البيئة** ، ص 13 ، منشور على صفحة الأنترنت : <http://www1.umn.edu/humanrts/arabic/BeijingDeclPI.htm> تاريخ الولوج ، 2017/02/05 ، الساعة : 20.51
- 65 إعلان منهاج بيجين ، القرار 1 للمؤتمر العالمي المعني بالمرأة المنعقد في بيجين خلال الفترة 15-4 أيلول/سبتمبر 1995 ، مرجع سبق ذكره، ص 16
- 66 بلال بوترة ، مرجع سبق ذكره، ص 132 - 133
- 67 الأمم المتحدة ، المجلس الاقتصادي و الاجتماعي ، **مؤتمر ريو +20 بشأن الاقتصاد الأخضر في سياق التنمية المستدامة و القضاء على الفقر** ، دورة 48 ، 30 أفريل إلى غاية 18 ماي 2012 ، ص 2
- 68 حنان مسيح ، **إستراتيجية النوع الاجتماعي في قطاع البيئة بالتركيز على المياه وإدارة النفايات الصلبة 13 - 20 - 2017** ، وزارة الحكم المحلي ، فلسطين ، 2012 ، ص 18.
- 69 مصطفى منير محمد ، طارق محمود يسري ، **سياسات التنمية المستدامة للمجتمعات الريفية الفقيرة ، مشروع مبادرة التوعية بالأهداف الإنمائية** ، قطاع خدمة المجتمع و تنمية البيئة ، كلية التخطيط العمراني و الإقليمي ، الأمم المتحدة ، 2012 ، ص 11
- 70 منظمة المرأة العربية ، **المرأة العربية و التنمية المستدامة 2030** ، مقال منشور على موقع المنظمة ، <http://www.arabwomenorg.org/Pageswithsub.aspx?id=142> ، تاريخ الولوج : 2016/12/12 الساعة : 10.55
- 71 الأمم المتحدة، **دور المرأة الريفية في إدارة الموارد المائية و ترشيد استهلاك الطاقة و حماية البيئة في منطقة الإسكوا** ، نيويورك، 2007، ص 8.



الواقع الافتراضي في علم النفس العصبي

جماد نسيبة¹، تريباش ربيعة²

1- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة غرداية.

2- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2

nassiba.djemmad@yahoo.fr

rabiatribeche@yahoo.com

الملخص-

الواقع الافتراضي هو تقنية معلوماتية تستنسخ بيئة حقيقية أو خيالية، تحاكي الحضور و البيئة المادية للمستخدم لتتيح تفاعل المستخدم. الواقع الافتراضي يخلق اصطناعيا تجربة حسية، والتي قد تشمل الرؤية، اللمس، السمع و الشم. هذه التقنية أدخلت في علم النفس العصبي في السنوات الأخيرة، للتقييم وإعادة التأهيل كأداة واعدة. التجارب التي أجريت باستخدام الواقع الافتراضي تبين أن هذه الأداة أكثر دقة من اختبارات الورقة و القلم ، لأن هذه الأداة تسمح بتقييم الوظائف المعرفية او السلوكيات لذوي التلف الدماغي في بيئات مماثلة للبيئات التي يواجهونها في الحياة اليومية.

الكلمات المفتاحية-

الواقع الافتراضي، علم النفس العصبي، الوظائف المعرفية، الاختبارات النفسية العصبية،

السلوكيات

Virtual reality in neuropsychology

Summary

Virtual reality is a computer technology that reproduces an environment, real or imaginary, and simulates the presence and physical environment of a user to enable user interaction. Virtual reality artificially creates a sensory experience, which can include vision, touch, hearing and odora. This technology has been introduced in neuropsychology in recent years, for evaluation and rehabilitation as a promising tool. Experiments were conducted using virtual reality

show that this tool is much more reliable than paper-and-pencil tests, because this tool can allow the evaluation of cognitive functions and behaviors of brain injured in environments similar to the environments faced in daily life.

Key words-

Virtual reality, Neuropsychology, Cognitive functions, Neuropsychological tests, behaviors

Résumé

La réalité virtuelle est une technologie informatique qui reproduit un

environnement, réel ou imaginaire, et simule la présence et l'environnement physique d'un utilisateur pour permettre une interaction de l'utilisateur. La réalité virtuelle crée artificiellement une expérience sensorielle, qui peut inclure la vue, le toucher, l'ouïe et l'odora. Cette technologie est introduite en neuropsychologie ces dernières années, pour l'évaluation et la réhabilitation comme un outil prometteur. Des expériences ont été réalisées en utilisant la réalité virtuelle montrent que cet outil est beaucoup plus fiable que les tests papiers-crayons, car cette outil permet d'évaluer les fonctions cognitives et les comportements des cérébrolésés dans des environnements similaires aux environnements affrontés dans la vie quotidienne.

Mots clés : Réalité virtuelle, Neuropsychologie, Fonctions cognitives, Tests neuropsychologiques, comportements

Introduction :

La neuropsychologie étudie les liens entre le fonctionnement du cerveau et le comportement. Cette discipline, à la frontière de la psychologie et de la neurologie, a pris un essor important ces dernières années.

Au cours des vingt dernières années, la neuropsychologie s'est dotée de nouveaux outils susceptibles de faire évoluer la discipline. La réalité virtuelle, qui est un procédé informatique permettant de placer les individus dans un environnement virtuel afin d'y agir en temps réel, a contribué au développement de nouvelles épreuves plus

complexes, grâce auxquelles il est possible d'envisager des évaluations plus exhaustives de la cognition et plus proches des situations de la vie courante.

Les principales applications des techniques de réalité virtuelle en clinique neuropsychologique sont examinées. Il s'agit, d'une part, de l'aide à l'évaluation des troubles cognitifs secondaires aux lésions du système nerveux central et, d'autre part, des perspectives ouvertes dans le champ de la prise en charge rééducative de ces déficits.

1-Historique et définition de la réalité virtuelle :

En 1986, l'Américain Jaron Lanier, spécialiste de l'élaboration de périphériques d'immersion, propose pour la première fois l'expression « *virtual reality* ». Cette expression, traduite en français par l'oxymore « réalité virtuelle », signifie littéralement « quasi-réel » (Fuchs, Coquillart, Burkhardt , 2006).

Elle désigne un procédé informatique qui permet la simulation d'un environnement, réel ou imaginaire, au sein duquel un individu peut recevoir des stimulations multimodales (visuelles, auditives, tactiles, olfactives et/ou kinesthésiques) et produire des actions en temps réel. Cette interaction entre l'utilisateur et l'environnement virtuel a pour but de placer le sujet en immersion, c'est-à-dire dans une situation où au moins l'un de ses sens est isolé du monde réel et focalisé sur le monde virtuel. Cette immersion sensorimotrice est enrichie d'une immersion cognitive pour laquelle des changements mentaux se traduisent par l'apparition d'une conscience virtuelle, ce qui tend à montrer que l'appropriation du dispositif est active. L'individu se sent alors psychologiquement intégré à l'environnement virtuel et l'on note l'apparition d'un sentiment de présence (Plancher, Nicolas, Piolino, 2008). Ce sentiment de présence est quantifié grâce à des mesures objectives (rythme cardiaque, conductance de la peau, posture du corps) et subjectives (questionnaires) qui peuvent s'avérer utiles au moment de l'analyse des données recueillies en RV (Lecouvey, Gonneaud, Eustache, et al., 2012).

2-La neuropsychologie et la réalité virtuelle :

La neuropsychologie est une des disciplines qui peut tirer clairement bénéfice de l'application des techniques de réalité virtuelle. Dans son sens large, la neuropsychologie peut être définie comme une science appliquée qui étudie comment les activités spécifiques du cerveau s'expriment dans des comportements observables

(Lezak,2004). Elle cherche à comprendre les processus cognitifs, comme l'attention, les fonctions exécutives, la mémoire, le langage ou les habiletés spatiales, notamment dans un but de rééducation. Plus récemment, la nécessité de comprendre les fonctions cognitives dans des tâches plus proches de la réalité quotidienne est devenue un enjeu important en neuropsychologie. (Plancher, Nicolas, Piolino,2008)

Les dispositifs de réalité virtuelle ont permis la mise en place de nombreux paradigmes de recherche en neurosciences comportementales ces dernières années. La facilité avec laquelle il est possible de manipuler expérimentalement les différentes informations sensorielles fournies au sujet fait de la réalité virtuelle un outil de choix pour l'étude chez l'homme de l'intégration multisensorielle et de ses troubles. Par ailleurs, dans le domaine de la psychopathologie clinique, l'exposition de patients à des environnements virtuels permet de mettre en œuvre de nouvelles formes de thérapie présentant de nombreux intérêts. En neuropsychologie, les technologies de la réalité virtuelle fournissent une nouvelle manière d'aborder l'étude des déficiences des fonctions cognitives et motrices ainsi que les mécanismes de compensation ou de suppléance, et par conséquent l'approche de la réhabilitation des fonctions cognitives et motrices (Klinger, Marié, Viaud-Delmon,2006).

2-1-Atouts de la réalité virtuelle en neuropsychologie :

Un des atouts essentiels de la réalité virtuelle en neuropsychologie concerne, le caractère écologique (Degré de pertinence qu'un système d'entraînement présente par rapport au monde réel) des environnements d'évaluation ainsi que l'apport de cette technique dans le domaine de la réhabilitation. La réalité virtuelle présente une nouvelle perspective de prise en charge de ce problème majeur de santé publique que constituent les déficits cognitif et moteur. Ceux-ci accompagnent de nombreuses maladies neurologiques (Accidents Vasculaires Cérébraux, Parkinson, Alzheimer, etc..) et les patients concernés par certaines pathologies sont de plus en plus nombreux.

La réalité virtuelle permet de simuler des environnements naturels, dans lesquels il est possible de présenter de manière plus écologique des stimuli adaptés, insérés dans un contexte significatif et familier (salle de classe, bureau, magasin). La réalité virtuelle permet aussi de gérer le chronométrage et le contrôle des éléments distracteurs, le chargement et la complexité des stimuli, l'altération de ces variables

de façon dynamique, en réponse aux actions du participant. Différentes caractéristiques des réponses (précision, rythme, cohérence) peuvent être collectées pour permettre leur analyse plus fine et plus détaillée. La réalité virtuelle permet, par ailleurs, d'explorer la plupart des domaines cognitifs (attention, mémoire, planification). Cette méthodologie peut améliorer la fiabilité des évaluations classiques en minimisant la variabilité due aux différences entre les examinateurs, l'environnement de test et la qualité des stimuli. Enfin, elle peut en améliorer la validité en permettant des mesures plus précises et plus spécifiques des comportements, en améliorant la validité écologique de ce qui est mesuré [Pugnetti e.al., 1995]. Les résultats obtenus ont plus de pertinence clinique et ont des conséquences directes sur le développement de systèmes de réhabilitation cognitive.

2-2-Critiques des tests standards de neuropsychologie :

De manière générale, les résultats obtenus lors des évaluations neuropsychologiques usuelles sont utilisés par les cliniciens dans un but diagnostique ou pour une prise en charge, en tenant compte des déficits et des fonctions préservées. Cette prise en charge doit être ajustée à la vie de tous les jours. Par ailleurs, la validité écologique d'un test, c'est-à-dire la généralisation de ses résultats à la vie réelle dépend de l'environnement clinique dans lequel il est effectué. Plusieurs études ont critiqué la faible validité écologique des tests neuropsychologiques habituels (Schultheis, Himmelstein, Rizzo, 2002). Plusieurs raisons expliquent cette faiblesse. Premièrement, l'éloignement de ces tests par rapport à ce que nous expérimentons dans la vie de tous les jours et leur pauvreté par rapport à la richesse du monde réel constituent un désavantage majeur. Lors d'un programme de rééducation, le patient va percevoir la différence existant entre les tests et l'environnement habituel, ce qui peut être source de démotivation ou de stress. La faible validité écologique peut aussi être expliquée par le fait que les mesures standards testent des composantes isolées des fonctions neuropsychologiques et non plusieurs composantes simultanément comme c'est le cas dans le monde réel. Ainsi les performances aux tests d'évaluation usuels permettent difficilement d'anticiper le comportement du patient dans le monde réel. (Plancher, Nicolas, Piolino, 2008)

2-3-Réalité virtuelle et évaluation :

Actuellement, l'évaluation neuropsychologique s'organise selon deux modalités complémentaires. D'une part, elle cherche à spécifier les composantes, ou sous-composantes, cognitives altérées (ou épargnées) par la maladie (raisonnement abstrait, résolution de problème, activités langagières ou spatiales, mémoire, fonctions exécutives, capacités gestuelles ou encore attention). D'autre part, l'évaluation neuropsychologique cherche à définir et à mesurer des capacités fonctionnelles, révélatrices du processus d'intégration de différents composantes cognitives, telles qu'elles se manifestent dans les activités quotidiennes. Cette évaluation porte la plupart du temps sur les capacités de travail, la préparation des repas, l'utilisation des moyens de transport, la gestion des finances personnelles, la capacité à faire des tâches domestiques (Le Gall , Allain, 2001).

Les scénarios créés par la technologie d'images virtuelles permettent de s'approcher des situations de la vie quotidienne et donc d'améliorer la validité écologique de l'évaluation. Dans cette perspective, la complexité des stimuli rencontrés dans les contextes naturels peut être recrée tout en maintenant un contrôle expérimental rigoureux. Par exemple, on peut fort bien simuler un apprentissage dans un environnement réel, par exemple déambuler dans une maison pour faire un apprentissage d'objets ou de trajet. Une telle démarche pourrait avoir une meilleure pertinence clinique mais aussi des implications directes dans la mise au point de stratégies fonctionnelles dans la réhabilitation cognitive (Gourlay, Lun, Lee, et al.,2000).

*****Exemples :**

A-Mémoire spatiale et réalité virtuelle :

Jusqu'à présent, les études sur la mémoire en environnement virtuel ont été essentiellement centrées sur la mémoire spatiale. La composante spatiale de la mémoire épisodique est, en fait, une des composantes les moins bien évaluée par les tests neuropsychologiques classiques (exemple : figure de Rey). Des troubles spatiaux sont pourtant fréquents dans de nombreuses pathologies comme la maladie d'Alzheimer ou chez les patients présentant un MCI (mild cognitive impairment). Il est donc important de trouver des évaluations plus adaptées. (Bertella et al.2001) ont évalué et réhabilité dans un environnement virtuel des personnes présentant des troubles d'orientation topographique. L'environnement virtuel représentait un quartier typique d'une ville de taille moyenne avec des rues de

différents types et des points de référence comme des immeubles et des boutiques. L'évaluation était réalisée en plusieurs étapes. Lors de la première étape, le sujet était guidé dans l'environnement virtuel pendant quelques minutes pour qu'il le découvre. La seconde étape consistait à tester l'agnosie topographique, c'est-à-dire la capacité du sujet à reconnaître des objets fonctionnant comme des points de référence dans l'environnement virtuel. Au cours de la troisième étape, l'expérimentateur testait l'amnésie topographique, c'est-à-dire la capacité du sujet à définir les relations topographiques qu'il a expérimenté dans l'environnement virtuel. Enfin, lors de la dernière étape, l'expérimentateur testait l'orientation spatiale et la capacité à rejoindre une cible dans l'environnement virtuel. Ce type d'étude illustre parfaitement comment un environnement virtuel permet de tester facilement les habiletés spatiales. (Plancher, Nicolas, Piolino, 2008)

B-Mémoire épisodique et réalité virtuelle :

Selon Tulving, la mémoire épisodique permet le rappel conscient des événements personnels ainsi que la phénoménologie et le contexte spatio-temporel associés. En mémoire épisodique, les éléments d'un événement sont reliés ensemble lors de l'encodage pour former une représentation cohérente. Le rappel d'un des éléments de l'épisode permet alors le rappel des autres éléments (Tulving, 2002) .

Le groupe de l'Institute of cognitive neuroscience de l'University College London (UCL) a utilisé un environnement virtuel pour étudier la mémoire du contexte spatial d'événements parfaitement contrôlés mais proches de la vie quotidienne. Par exemple, dans une étude (Burgess, Maguire, Spiers, et al., 2001) , les sujets ont été immergés dans une ville virtuelle composée de plusieurs immeubles. Les sujets se déplaçaient sur des routes avec quatre boutons (devant, derrière, gauche et droite). Pendant leur progression dans la ville virtuelle, les participants étaient confrontés à différents événements. Un événement était construit sur le principe suivant : le sujet rencontrait une personne virtuelle à un endroit précis et cette personne lui donnait un objet. Les sujets rencontraient deux personnes en deux endroits différents mais chaque personne et chaque endroit étaient rencontrés plusieurs fois. La personne et l'endroit constituaient le contexte de présentation de l'objet. Les sujets recevaient seize objets entout, à

chaque fois dans un contexte donné. Après l'immersion dans la ville virtuelle, les sujets étaient introduits dans l'imagerie par résonance magnétique fonctionnelle (IRMf). Ils devaient répondre à 64 questions de mémoire épisodique. Pour chaque question, les sujets étaient immergés dans un des contextes de la ville virtuelle, deux objets leur étaient présentés. Pour chaque immersion ils devaient répondre aux questions suivantes : quel objet était présenté à cet endroit ? Quel objet a été donné par cette personne ? Quel objet était le plus grand ? La même équipe a réalisé plus tard la même étude en diversifiant les contextes. Pour chaque question test, le sujet était immergé dans un des 20 lieux différents et avec une des 20 personnes différentes (Plancher, Nicolas, Piolino, 2008).

C-Les processus attentionnels :

Les déficits d'attention chez les enfants hyperactifs (ADHD) ont ainsi pu être évalués dans une classe virtuelle [Rizzo e.a., 2002, Rizzo e.a., 2004]. Le scénario consiste en une salle de classe rectangulaire avec des rangées de bureaux, des bancs, le bureau de l'enseignant avec un grand tableau mural, des élèves, un instituteur ou une institutrice, une grande fenêtre donnant sur l'extérieur avec la rue et des immeubles, deux portes dans la classe par lesquelles des personnes vont aller et venir. Alors qu'il est demandé à l'élève de se concentrer sur une tâche adaptée à son âge, des éléments perturbateurs, dans la classe ou à l'extérieur, vont venir le distraire : bruit ambiant de salle de classe, mouvements des élèves, activités se produisant à l'extérieur, etc. L'enfant, porteur d'un visiocasque, est assis à un bureau virtuel au sein de la classe, et l'environnement peut varier en fonction de certains facteurs tels que la position de l'enfant, le nombre d'élèves, le sexe de l'enseignant. L'attention à la tâche peut être mesurée en termes de performance (temps de réaction) par rapport à une variété de défis attentionnels qui sont ajustés selon l'âge de l'enfant, ou le niveau escompté de performance. Les diverses composantes de l'attention peuvent être ainsi abordées :

- Attention sélective : il est par exemple demandé à l'enfant de presser une section colorée du bureau virtuel à la demande directe de l'enseignant ou chaque fois que l'enfant entend le nom de la couleur mentionnée par l'enseignant ;
- Attention soutenue : manipulation des exigences temporelles du test ;

- Attention divisée : l'enfant doit par exemple presser la section colorée seulement si l'enseignant évoque la couleur en fonction d'un animal (i.e., «le chien marron» et non pas «j'aime la couleur marron») et si seulement le mot «chien» est écrit sur le tableau. Des mesures comportementales peuvent être envisagées, mesures qui sont corrélées avec des composantes comme la distractibilité et/ou l'hyperactivité (i.e., mouvements de la tête, mouvements moteurs inhabituels) et les comportements impulsifs non liés à la tâche (i.e., le temps passé à jouer avec les items distracteurs du bureau). Ce système permet de diagnostiquer chez les enfants les symptômes de ADHD. (Klinger, Marié, Viaud-Delmon, 2006).

D-Les fonctions exécutives :

Les fonctions exécutives peuvent être définies comme des fonctions de direction qui permettent à un sujet d'appréhender la nature du problème posé, d'envisager les stratégies de résolution, de contrôler la réalisation et la pertinence du résultat obtenu. En clinique neuropsychologique, ces fonctions sont souvent déficitaires (en fait, chez tous les patients présentant une souffrance des lobes frontaux) (Le Gall, Allain, 2001).

La réalité virtuelle permet de proposer des tâches complexes proches de celles de la vie de tous les jours, en prenant en considération le temps, la difficulté, l'intérêt et l'engagement émotionnel des sujets [Zhang e.a., 2001]. Les premiers EVs développés ont repris la problématique du Wisconsin Card Sorting Test (WCST), test destiné à évaluer le fonctionnement des lobes frontaux pendant lequel le sujet doit classer de longues séries de cartes en fonction de catégories (forme, couleur, nombre) gérées par l'examineur [Elkind e.a., 2001, Mendozzi e.a., 1998, Pugnetti e.a., 1998a].

Puis dans un souci de validité écologique, des EVs représentant des situations de la vie quotidienne ont été créés : un magasin de fruits virtuel [Priore e.a., 2003], un appartement [Zalla e.a., 2001], des supermarchés [Klinger e.a., 2004a, Lee e.a., 2003a, Marié e.a., 2003], une cuisine [Zhang e.a., 2001]. L'objectif de ces applications est de définir un outil d'évaluation des fonctions exécutives, ainsi le montre l'exemple décrit ci-après concernant l'évaluation de la planification des tâches chez des patients atteints de la maladie de Parkinson

comparés à des sujets sains du même âge [Klinger e.a., 2004a, Marié e.a., 2003].

La planification est la capacité à organiser un comportement cognitif dans le temps et l'espace ; elle est nécessaire chaque fois qu'un but ne peut être atteint qu'au terme d'une succession d'étapes intermédiaires [Owen, 1997]. La planification apparaît dès les niveaux les plus précoces de traitement de l'information et reste activée jusqu'à l'achèvement complet de l'action. Elle intervient pour toutes les actions quotidiennes, qu'elles soient nouvelles ou routinières. Son évaluation et sa réhabilitation au moyen des méthodes psychométriques traditionnelles sont contestables [Marié, 2005], [Pugnetti e.a., 1995]. Les auteurs ont développé un paradigme similaire au «Test des commissions» [Martin, 1972] dans un supermarché virtuel [Klinger e.a., 2004a], [Marié e.a., 2003] : les patients remplissent une tâche (faire des courses suivant une liste imposée, payer et sortir) dans un supermarché virtuel de taille moyenne. Pendant leurs achats, effectués en cliquant avec la souris sur les objets recherchés, diverses variables sont enregistrées, comme les positions et les actions du patient, le temps écoulé. Ces variables sont reprises lors de l'analyse ultérieure afin de visualiser la trajectoire du patient et d'examiner divers paramètres comme la distance parcourue, le temps de la séance, les arrêts, etc. Une première étude a permis de comparer les performances de 13 malades parkinsoniens et de 11 sujets contrôle du même âge. Les premiers résultats montrent des différences significatives entre ces sujets notamment au niveau de la distance parcourue, du temps de la séance, du nombre d'arrêts. (Klinger, Marié, Viaud-Delmon, 2006).

2-4-Réalité virtuelle et réhabilitation :

Actuellement, il existe différentes manières d'appréhender la prise en charge rééducative des cérébro-lésés en neuropsychologie (de Partz, 1994), mais deux grands courants semblent dominer les pratiques. D'un côté, l'approche fonctionnelle ou globale met l'accent sur un entraînement progressif des comportements observables, des habiletés et des activités de vie quotidienne. Le but poursuivi est d'apprendre au patient, par la pratique effective de routines quotidiennes, comment faire pour surmonter la difficulté en situation. D'un autre côté, la stratégie analytique de restauration des

fonctions cognitives se centre sur le réentraînement (ou le contournement) systématique et stratégique d'un processus cognitif déficitaire (par exemple, la mémoire) et cherche à aider le patient à comprendre progressivement, par essais et erreurs, ce qui est à faire pour compenser le ou les troubles. Dans cette démarche, les stimuli sont facilement contrôlables, quantifiables et peuvent être utilisés de façon graduelle. (Johnson, Rushton, Shaw, 1996)

Cependant les différentes méthodes ont été critiquées : manque de généralisation et déficit du transfert des acquisitions dans le monde réel, absence de compréhension des mécanismes cognitifs impliqués dans les stratégies mises en jeu dans les situations de vie quotidienne.

En réalité virtuelle, il est possible de générer des applications qui intègrent simultanément un entraînement de type restauration dans un contexte de réadaptation fonctionnelle écologiquement plus adapté. Un tel environnement permet d'optimiser l'entraînement, la généralisation et le transfert des acquisitions vers le monde réel. La réalité virtuelle permet donc de faire un travail plus spécifique sur l'une ou l'autre des approches rééducatives (Rose et al., 1996; Rizzo et al., 1997; Johnson et al., 1996).

*****Exemple :**

A-L'amnésie :

Dans un travail récent, Brooks et al. (1999) rapportent une étude de cas démontrant, chez une malade amnésique, une amélioration significative des capacités à retrouver son chemin après avoir bénéficié d'un entraînement en réalité virtuelle. L'étude concerne une malade, victime d'un accident vasculaire cérébral responsable d'un syndrome amnésique, qui présente toujours après deux mois d'hospitalisation de sévères difficultés de mémorisation des trajets à l'intérieur de l'unité de soins dans laquelle elle est prise en charge, y compris pour des trajets très fréquemment empruntés. Préalablement à l'expérience en réalité virtuelle, les observateurs ont essayé de faire réaliser à la malade dix trajets simples qui mettaient tous en jeu des lieux où elle se rendait régulièrement. La première partie de l'entraînement en réalité virtuelle consistait à apprendre deux de ces dix trajets, transposés dans une représentation en trois dimensions de l'unité de soins, par le biais d'un exercice quotidien de 15 minutes. Après trois semaines, la patiente était capable de réaliser ces deux

trajets dans le monde réel, ce qu'elle ne pouvait pas faire pour les trajets non entraînés. Afin de vérifier la spécificité de l'entraînement virtuel, dans une seconde partie de l'étude, deux nouveaux trajets ont été entraînés, un utilisant la réalité virtuelle, l'autre la pratique dans le monde réel. Après deux semaines de thérapie, la malade connaissait le trajet entraîné en réalité virtuelle mais elle ne maîtrisait pas le trajet réalisé dans l'environnement réel. Cette acquisition s'est maintenue malgré l'absence d'entraînement complémentaire. Les auteurs attribuent ce succès au fait que la déambulation, et finalement la possibilité de couvrir le trajet, est plus rapide en situation virtuelle que dans l'environnement réel. D'autre part, l'entraînement sous virtuel ne met pas en jeu les distracteurs qui sont habituellement présents dans le réel et susceptibles d'appauvrir l'apprentissage du trajet. (Le Gall, Allain, 2001)

B-L'autisme :

Un système basé sur la réalité virtuelle a été développé pour l'éducation des enfants autistes [Strickland, 1997, Strickland e.a., 1996]. Son objectif est de pallier cette incapacité de généralisation à partir de différentes expériences, qui est une des caractéristiques des enfants autistes. Un environnement virtuel simple, constitué d'une rue, d'une auto, de quelques bâtiments, est soumis à des changements mineurs, tels que la couleur de l'auto ou la forme d'un bâtiment. L'enfant doit reconnaître un objet malgré ses transformations, puis se diriger vers lui et s'arrêter. Un des objectifs est de donner à l'enfant des comportements de base pour traverser une rue. Un autre environnement représente une cuisine virtuelle dans laquelle les enfants apprennent à reconnaître et utiliser divers objets, tels que fourchette, tasse, etc. Après entraînement les enfants furent capables d'utiliser les objets dans le monde réel, parfois pour la première fois. Les avantages de la réalité virtuelle chez les enfants autistes sont nombreux : sécurité des expériences, contrôle fin de l'environnement, recours aux sens dominants des enfants autistes (vision, audition) et surtout non nécessité d'engagement relationnel de l'enfant avec un tiers pendant l'expérience (Klinger, Marié, Viaud-Delmon, 2006).

2-5-Limites de la réalité virtuelle :

Les applications des techniques de réalité virtuelle à la neuropsychologie restent limitées pour plusieurs raisons. La première est sans doute liée aux coûts d'équipement et de développement. L a

seconde réside dans le fait que cette technique n'a pas vocation à permettre d'informatiser des tests psychométriques mais bien de créer de nouvelles situations (test et réentraînement). La troisième raison est que pour en dériver des connaissances sur l'organisation des systèmes cognitifs et leurs interactions, il nous faut aussi comprendre les médiations cognitives introduites par l'environnement virtuel. L'expérience en environnement virtuel ne correspond pas à l'expérience que notre organisme connaît en environnement réel, même s'il s'agit d'une action identique. Cette modification de l'expérience physiologique, qui repose essentiellement sur les conflits entre les modalités sensorielles (visuelle, auditive, proprioceptive, vestibulaire), est susceptible de générer un état de malaise dont les symptômes les plus fréquemment rapportés sont : nausées, vomissements, douleurs oculaires, désorientation, ataxie, vertiges. Ceci étant, les données sur la fréquence de ces symptômes sont contradictoires (de 5% à 95% des sujets) et dépendent de facteurs multiples (technologie utilisée, temps d'exposition, expérience antérieure, mouvements actifs ou passifs, etc.). Dans le travail de Pugnetti et al. (1996), une sensation de malaise est rapportée par 14% des sujets immergés et il n'y a pas de différence entre les sujets sains et les malades. Pour les auteurs, seule une immersion progressive en durée et en qualité peut réduire ces effets secondaires. (Le Gall, Allain, 2001)

Conclusion :

Les applications en neuropsychologie de ces technologies nouvelles ne doivent pas masquer l'objectif central de toute démarche clinique qui vise à aider, soulager, soigner et parfois guérir une personne en état de souffrance. La technologie peut être avantageusement mise au service de cet objectif même si le soin est de nature psychologique. Certes la démarche est ici essentiellement objectivante, mais le recours à une technique aussi sophistiquée soit elle ne conduit pas pour autant les neuropsychologues à ignorer la question de l'intersubjectivité qui lie le malade et le thérapeute dès les premières rencontres.

Références :

1. Bertella L, Marchi S, Riva G. Virtual environment for topographical orientation (VETO) : clinical rationale and technical characteristics presence. *Teleoperators and Virtual Environments* 2001 ; 10 : 440-9.
2. Burgess N, Maguire EA, Spiers HJ, O'Keefe JA. Temporoparietal and prefrontal network for retrieving the spatial context of lifelike events. *Neuroimage* 2001 ; 14 : 39-453.
3. Evelyne Klinger, Rose-Marie Marié et Isabelle Viaud-Delmon, Applications de la réalité virtuelle aux troubles cognitifs et comportementaux, 2006
4. Fuchs P, Coquillart S, Burkhardt JM. Le traité de la réalité virtuelle
5. Gaën Plancher Serge Nicolas Pascale Piolino, Apport de la réalité virtuelle en neuropsychologie de la mémoire : étude dans le vieillissement, *Psychol neuropsychiatr Vieil* 2008 ; 6 (1) : 7-22
6. Gourlay D., Lun K.C., Lee Y.N., Tay J. (2000). Virtual reality for relearning daily living skills. *International Journal of Medical Informatics*, 60, 255-261.
7. Grégory Lecouvey, Julie Gonneaud, Francis Eustache, Béatrice Desgranges' Les apports de la réalité virtuelle en neuropsychologie : l'exemple de la mémoire prospective, *Revue de Neuropsychologie*, Volume 4, Numéro 4, 2012
8. Grégory Lecouvey, Julie Gonneaud, Francis Eustache, Béatrice Desgranges, Les apports de la réalité virtuelle en neuropsychologie : l'exemple de la mémoire prospective, 2012
9. Johnson D.A., Rushton S., Shaw J. (1996). Virtual reality enriched environments, physical exercise and neuropsychological rehabilitation. In P.M. Sharkey (Ed.), *Proceedings of the 1st European Conference on Disability, Virtual Reality and Associated Technology*, (pp 247-251). Maidenhead, U.K., University of Reading.
10. L. Pugnetti, L. Mendozzi, A. Motta, A. Cattaneo, E. Barbieri, and A. Brancotti. Evaluation and retraining of adults' cognitive impairment :

which role for virtual reality technology ? *Comput Biol Med*, 25(2) :213–27 (1995).

11. Le Gall Didier, Allain Philippe, « Applications des techniques de réalité virtuelle à la neuropsychologie clinique », *Champ psychosomatique* 2/2001 (n° 22) , p. 25-38
URL : www.cairn.info/revue-champ-psychosomatique-2001-2-page-25.htm.
DOI : [10.3917/cpsy.022.0025](https://doi.org/10.3917/cpsy.022.0025)
12. Lezak MD. Neuropsychological assessment. 4th edition. New York : Oxford University Press, 2004.
13. Liu L., Miyazaki M., Watson B. (1999). Norms and validity of the drive : a virtual reality driving assessment for persons with head injury. *Cyberpsychology and Behavior*, 2,53-68.
14. Meyerbröcker K, Emmelkamp PMG. Virtual reality exposure therapy
15. Plancher G, Nicolas S, Piolino P. Apport de la réalité virtuelle en Schultheis MT, Himmelstein J, Rizzo AR. Virtual reality and neuropsychology : Upgrading the current tools. *J Head Trauma Rehabil* 2002 ; 17 : 379-94
16. Tulving E. Episodic memory : from mind to brain. *Ann Rev Psychol* 2002 ; 53 : 1-25.



**Attitudes of primary school teachers towards teaching
colloquialism**

(An exploratory study in the city of Ghardaia)

Hadjadj Omar

**Department of Social Sciences - University of Ghardaia-
Algeria**

omarhadjadj77@gmail.com

Summary –

This study aimed to identify the primary school teachers' attitudes towards demotic Arabic teaching as well as to identify the differences according to sex and number of years of work and qualification . To achieve the objective of the study ,we applied primary teachers' questionnaire about demotic Arabic teaching and make sure its psychometric properties (honesty and fortitude) on a sample of 140 primary school teachers of Ghardaia and using the descriptive exploratory and appropriate statistical methods and using statistical package for social sciences SPSS.19.0.

It has come up with the following results:

-There are negative trends among primary school teachers about teaching demotic Arabic.

-There is no difference between the primary school teachers' attitudes towards teaching colloquially by sex.

-There is a difference between the primary school teachers' attitudes towards teaching colloquially by the number of years of work.

And because the topic is a virgin area and void from previous or preceding studies, we decided to deal with the topic with the analysis of these results with the theoretical side all in illustrating the information we come up with in the field.

Keywords –

Orientation, - Teachers, - Demotic Arabic language.

اتجاهات أساتذة المرحلة الابتدائية نحو التدريس بالعامية

ملخص -

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على اتجاهات أساتذة المرحلة الابتدائية نحو التدريس بالعامية، وكذا التعرف على الفروق باختلاف الجنس، وعدد سنوات العمل، والمؤهل العلمي ولتحقيق هدف من الدراسة تم تطبيق استبيان اتجاهات أساتذة المرحلة الابتدائية نحو التدريس بالعامية ، والتأكد من خصائصه السيكمترية (الصدق والثبات) على عينة مكونة من 140 أستاذ إبتدائيات ولاية غرداية، باستخدام المنهج الوصفي الاستكشافي، والوسائل الإحصائية الملائمة، وباستعانة بالحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية spss 19.0 .

وقد تم التوصل إلى النتائج التالية:

- توجد اتجاهات سلبية لدى أساتذة المرحلة الابتدائية نحو التدريس بالعامية.
- لا يوجد اختلاف بين اتجاهات أساتذة المرحلة الابتدائية نحو التدريس بالعامية حسب متغير الجنس.
- لا يوجد اختلاف بين اتجاهات أساتذة المرحلة الابتدائية نحو التدريس بالعامية حسب متغير المؤهل العلمي، وسنوات العمل.
- ولأن الموضوع جديد الطرح ويفتقر على دراسات سابقة تمت مناقشة، وتحليل النتائج بواسطة الأدب النظري بالإضافة ما تم استطلاعه من معلومات في الميدان.

الكلمات المفتاحية-

- الاتجاه - أساتذة المرحلة الابتدائية- اللغة العامية

Attitudes of primary school teachers towards teaching colloquialism (An exploratory study in the city of Ghardaia)

1- Study problem:

The language is one of the characteristics God has set aside for man unlike other creatures. He says in his Holy Book: (1) The science of the Quran (2) The creation of man (3) His knowledge of the statement (4) ((Surat Rahman verse 1-4))

In a language, people communicate among themselves to express their feelings, ideas, opinions, and meanings, either in speech or in writing. The language varies according to human societies.

Known as the "human faculty, manifested in those innate capacities possessed by man and no other living beings which allow him to actualize the speech by a pattern of signs." (Www.majma.org.jo)

Therefore, language is a means of expression and a tool for communication, which are the most important social ties, and that the educational process is learning and it relies on it to acquire skills and experiences in reading and writing through which that faculty grows the search for sources of knowledge and artistic taste and interaction with others. (Bkadir Abdelkader, 2014 p. 59)

Language is the title of the person and the translation of his thoughts and ideas and means of understanding and development and the fusion of cultures and civilizations.

(Randa Shehadeh, 2009, 13)

If this is of importance to languages in general, the Arabic language is particularly unique. It is the only language that God has honored. It has attained the height of glory and perfection, as it has acquired a great status that no language in the world has attained in its past or in its present and its future. The Holy Quran, in which the faithful spirit descended upon the Master of Creation, the Seal of the Prophets and Messengers, may Allah bless him and grant him peace.

(Al-Salwadi Hassan, 1987 p. 236)

Arabic is one of the most distinguished languages in the four international languages (English, Chinese, Spanish and Arabic).

Since Arabic is the most important component of national character, Algerian society has maintained its Arabism and language and set it as an official language in schools and administration.

(Nasira Amouri, 2013, p. 7)

Thanks to the confréries and mosques that played a distinct role in empowering the emerging from their language, where it remained scattered in many areas and formed educational centers and semi-schools. Although France applied its specific language policy to the goal of eradicating the Arabic tongue from Algeria.

(Aged, 2011, p. 252).

Thus, the Algerian school, from the independence period, became the Arabization of education between 1964 and 1965. The first year of primary education was Arabized and the second year of primary education came to an end. In 1976, 1968, the Ministry of National Education managed to initialize the primary school The full Arabization of this institution was achieved in 1981. Arabic became the dominant language of the primary school.

(Kaysa Alyak, 2014, p. 34)

Classical Arabic is the official language of Algeria, a pillar of national character, like Amazigh.

(Ezzeddin Sahrawi, 2009, p. 10)

Because primary education is the basis of learning and education and a bridge that guarantees the child to move from home to school, and ensures the best preparation and preparation and linguistic and cognitive training.

The Arabic language is distinguished and its distinguishment in that it is considered the basis for building the student intellectually, psychologically and socially. It is also considered the basis for the collection of other subjects. It has taken a great deal of the study plan to suit its objectives. If the primary school fails to teach the child Arabic, it has failed to achieve the most important goals, and highlights the importance of language in the role played by both the individual and the community. It cares to provide the human with sufficient knowledge to achieve communication between him and the community in which he lives. Moreover, it has a significant impact on intellectual and social formation and help express their needs, attitudes and opinions. ([Http://vb.arabsgate.com](http://vb.arabsgate.com))

The school has a role in the acquisition of the child language, but this is suspended on two things, one of the formal school curricula and the other of the teacher, who is the pole of the educational process in the first stages of education at school as provided by the old curricula at least.

(Rahmoun Hakim, 2011, p. 50)

It is known that any language of which dialects or what some call colloquial or demotic Arabic language and one of them, and evidence of that God's words in his holy book:) and the dream of his creation of the heavens and the earth and the difference of your tongues and colors,

((Surat Al-Rum verse 22))

The language of spoken linguistics has been established in close proximity to spoken and written language. The spoken language is closely related to colloquialism and the written language is associated with the phonetic language. The linguistic reality has imposed different areas of use for both levels, which are barely spoken by spoken languages. .

The written tradition has occupied areas that are characterized by their official dimension in the media and education.

(Walid Al-Anati, 2013, p. 18).

This is what linguists call linguistic duplication, which is one of the most important difficulties faced by the teacher in the primary stage in providing the child with the classical Arabic language, especially in a country such as Algeria, whose dialects vary from one region to another. The child in the family learns its language, whether colloquial or Amazigh, found in the community Gredawi).

And when the child goes to school inevitably will find a language may differ from the language of the family, which was dealing with and practice it, which makes him feel alienated within. And evades them especially if they are not supported and assisted by parents and teachers

The teacher is the main and important element in the educational learning process. He

is the leader in the classroom and the model used by the students especially at this stage. He spends time with them, teaches them skills and strengthens values. And provides them with most information and imitate the students in his movements and words and behavior.

(Khaled Mustafa Sheikh, 2010, p. 873)

As his directions towards teaching colloquialism (negatively or responsibly) are among the most important views that we consider to be of interest to the student himself and his linguistic future. The subject of trends is one of the important topics in psychology.

It is defined as a self-readiness that responds positively or negatively to people, subjects, attitudes or symbols in the environment that provokes the response.

(Samara Nawaf Mohammed, 2008, p. 23).

The topic of teaching colloquialism is one of the topics in which we try to reveal the trends of the teachers of the primary stage.

The idea of this subject came against the backdrop of the recent announcement by the Ministry of National Education of a series of measures of interest to the Algerian school. The most prominent of these was the adoption of the colloquial language of teaching starting in 2015/2016, which brought about a political and educational event. This is in addition to the statements of the General Inspector of the Ministry, who stressed that reliance on the dialects will be in favor of pupils, especially those who do not master their native language, arguing that the decision will enable the Algerian student to gradually learn the standard Arabic language that may shock him.

In the same context, the Minister of National Education, the current sector, stressed its full support for the adoption of colloquial language in teaching for the first years starting from the primary stage, stressing that this bold action will be enough to push the Algerian education forward. "If there is a large failure rate in the first phase of the study is because of the problem of transferring knowledge. "The statements of officials of the Ministry of Education created a wave of anger among many political and educational parties ... which opposed the statement. (Www.khabarpress.com)

The Algerian Ministry of Education was not the first to introduce this issue (teaching colloquialism). Four years ago, this issue was raised by the Moroccan neighbor, following the recommendations of a seminar held in Morocco for four years.

However, this issue was not raised as a subject of field research, and this led us to raise this problem through the teachers' point of view.

From this we ask the following question: What is the nature of the attitudes of the teachers of the primary stage towards teaching colloquialism?

2. Sub-questions:

- Are the attitudes of primary school teachers different towards teaching in colloquialism according to the sex variable?
- Are the trends of the teachers in the primary stage different from teaching in colloquial according to the variable of experience?
- Do the trends of the teachers of the primary stage differ towards teaching in colloquialism according to the variable of the scientific qualification?

3 - Objectives of the study:

This study aims to:

- To identify the nature of the attitudes of the teachers of the primary stage towards teaching colloquially.
- Answer the research questions.
- To know the extent to which professional experience affects the attitudes of primary school teachers toward teaching colloquialism.
- Opinion of the teachers of the primary stage on the proposal of the Ministry of Education on teaching colloquialism.

4 - The importance of the study:

The importance of the study is shown in the following points:

- This study may be the first - within the limits of my knowledge - which aims to determine the attitudes of the teachers of the stage towards teaching colloquially.
- The development of a trend scale towards teaching colloquialism can be used to conduct similar research in other stages of education.
- Giving a look at the language that the teacher sees as suitable for teaching primary school students.
- Provide a view to the public and workers in the education sector about the opinion of the primary school teacher towards teaching colloquialism.
- The research combines the two disciplines of psychological education and literature.

5- Study limits:

5.1. Time Limits: The field study was conducted during the 2015-2016 school year, from mid-February until March 2016.

5.2. Spatial boundaries: The study was conducted in Ghardaïa town halls distributed in three districts: 1st, 3rd and 8th districts.

5-3 - Human Boundaries: The study was applied to a sample of the teachers of the primary stage in the city of Ghardaia. The sample size was 184 professors and professors.

6 - Procedural definition of the variables of the study:

6-1 - Trends of teachers of primary education: is the positive or negative attitude of the teacher of the primary stage towards teaching colloquialism, which is expressed in the grades obtained by the teacher in this measure. Trends have three main dimensions: the cognitive dimension, the performance dimension, the emotional dimension.

6-2 - Teaching colloquially: is the use of the language of daily transactions or colloquial language by the professor of primary stage in the transfer of information to the student.

Study Procedures:

1- Study Methodology:

It is natural that the choice of the curriculum followed in any scientific research is at the expense of the nature of the subject or the problem of the study presented, according to the objectives that seek to achieve in this study. In this regard, "Ammar Bouhouche" and "Each curriculum has its own function, and its characteristics are used by every researcher in the field of specialization.

(Ammar Bouhouche and Mohamed El-Thunibat, 2001, p. 102)

Because our current study aims to know the nature of the attitudes of primary school teachers towards teaching colloquialism, we have relied on descriptive descriptive method: a method to describe the subject to be studied through a valid scientific methodology, and to portray the results obtained on expressive digital forms that can be explained. Others, 1999, p. 46)

2- Study Sample:

In the sample selection, we relied on the random stratification method of primary school teachers within the primary schools of the following districts: 1-3-8 in State of Ghardaia.

The number of primary sample members was 187 after the exception of the 69 sample survey sample.

Thus, 187 forms were distributed, after sorting, 8 of which were not completed for non-completion of personal information, 39 were not retrieved, and the number of basic sample was 140 professors and professors

3 - Survey study:

"The exploratory study brings the researcher closer to the field of his research and provides him with preliminary information on the phenomenon under study, and thus it is considered a fundamental basis for the construction of research."

(Mohieddin Mokhtar, 2000, p. 47)

3-1 - Sample Survey Study: Ahmed Sayed Gharib says: After the researcher has finished selecting the research problem, defining its dimensions and methodology, and formulating the data collection tools guided by the specific research method that follows it, he tries to collect as much data as possible and if he can not Collecting data on all members of the original community is forced to choose a sample.

(Ahmed Sayed Ghareeb, 1995 p. 223)

The survey was conducted after a sample of 69 individuals from the original community was taken. Have been applied in each of the following primary schools:

- Primary Bilharish Taleb Lahcen - Haj Massoud - which includes: 10 professors of the Arabic language nominated.

- Aisha, the mother of the believers - Tania - which includes: 23 professor of Arabic language Installed.

- Elementary Kabbani, which includes: 12 Professor of Arabic language Installed.

- Elementary Hamo Belkacem Nafusi - Haj Massoud - 12 professor of Arabic language Installed.

- Bouhmeida - Tania - which includes 12 professors of Arabic language Installed.

After retrieving the forms and sorting them, 6 forms were deleted because the personal information was not recorded and the answer to all the items was not completed. 19 forms were not retrieved. Accordingly, the sample of the survey study reached 44 different professors in gender,

4. Study tool:

This questionnaire is used to measure the attitudes of primary school teachers toward colloquial teaching. The questionnaire is defined as: a means of gathering information about the subject by preparing a form to be filled out by a representative sample of individuals and called the person who dictates Application form.

Description of study tool:

In order to design a measure of direction towards colloquial teaching, we have gone through two basic phases:

The first stage: Due to the novelty of the subject and lack of previous studies we have seen the reactions that came against the background of the proposal of the Ministry of National Education on the inclusion of colloquial

The second stage: After the formulation of the items we presented to a group of arbitrators of the scale of the attitudes of primary teachers towards teaching colloquialism.

After the questionnaire was presented to the experts , they presented their observations, suggestions and corrections to the items. The sincerity of the arbitrators was calculated by dividing the number of experts - arbitrators, and multiplying the output by 100.

And then select the items that have received a percentage of estimates of 80% or more, because taking this high percentage makes him feel comfortable and confident in terms of content honesty.

(Bashir Muamriya, 2007, p. 135).

After taking the views of the professors, the number of items has become 30. See

Appendix (Arbitration Form). Items to be amended and deleted must be amended.

Table (01): Indicates the belonging of items to dimensions

Dimensions	Number of items
Knowledge	1.29 28_26_24_22_21_19_13_12_11_9_7_6_5_4_2_
Performance	8.30_27_25_23_20_15_14_
Emotional	3.18 17 16 10_

Method of Answer: The questionnaire items are answered by marking (x) for the appropriate field of the individual according to the alternatives (strongly agree, agree, neutral, disagree, strongly disagree).

Correction method: We relied on the patch key for the LICT which contains 5 alternatives (strongly agree, agree, neutral, disagree, strongly disagree) shown in the following table:

Table (02): The key to correcting the questionnaire of the trend of the teachers of the primary stage towards teaching in colloquial according to the Likert scale.

Alternatives of Nature of items	Strongly Agree	Agree	Neutral	Not agree	Strongly Disagree
Positive items	5	4	3	2	1
Negative items	1	2	3	4	5

In Table (02), the values of correcting the responses of the teachers of the primary stage according to the positive items which take 5, 4, 3, 2 and 1 are negative values which take 1,2,3,4,5. Teaching colloquially distributed in the following table:

Table (03): Positive and negative items of the scale of the attitudes of the teachers of the primary stage towards teaching in colloquialism

Item Type	Items Numbers
Positive items	1.28, 26, 25, 23, 22, 21, 19, 18, 17, 16, 15, 14, 12, 10, 8,
Negative items	2.30, 29, 27, 24, 20, 13, 11, 9, 7, 6, 5, 4, 3,

Table (03) shows that the number of positive items is 16 items while the number of negative items is 14, thus the total number of items is 30 items.

4.2. Statistical characteristics of the study instrument:

4-2-1 - Honesty:

The validity of the test means that the test measures what is set for it, that is, the validity of the test to measure a specific goal or aspect (Saleh Muhammad Ali Abu Jado, 2005, p. 399)

We have been able to measure honesty in two ways:

4.2.2. The arbitrators' conviction:

"Includes the general appearance of the test or external image in terms of the type of vocabulary and how to formulate and clarity of these words, and also examines the instructions and the accuracy and objectivity, as well as the extent of matching the name of the test on the subject that measures.

(Muqaddam Abdul Hafeez, 2003 p.150)

After the questionnaire was built and presented to a group of professors. The items were modified according to the notes that appeared to us, so that the scale was ready for implementation.

4.2.3 - Validation of peripheral comparison:

In essence, they compare the average of the strong in the balance to the distribution of test scores. This is called the peripheral comparison by relying on the excellent side and the weak side in the balance. (Fouad al-Baha al-Sayyid, 1978, p. 404)

We have calculated the discriminating accuracy of the instrument in a terminal comparison method using test (T). As shown in the following table:

Table (04): represents the discriminatory truth of the scale of the attitudes of primary teachers towards teaching colloquialism

Statistical technique Scale	The mean	standard deviation	N	Tcalculated	TableT	degree of freedom	Level of significance
High grades	87,000	2,174	12	8,69	3819.	22	001.
Lower grades	101,75 0	5,462	12				

The table shows that the calculated value of T. is equal to (8.69) greater than the value of the calculated "t" equal to (3.819)

corresponding to the degree of freedom 22 at the level of significance (0.01). Since "T" is a significant difference, the test.

Stability: It is intended to give the test approximately the same results if applied to the same group of individuals.

(Bashir Muamriya, 2007 p. 167)

To ensure the stability of the scale, we used the following:

The method of re-application of the test provides an estimate of the stability of the performance over a period of time and its effects. The two-image method provides an estimate of the consistency of the test material And consistency in performance over a given time period, fragmentation or classification methods provide an estimate of the consistency of performance on the whole test, or any consistency assessment among its items.

(Bashir Mamreia, 2007 p. 175)

4.2.6- Stability calculation in the mid-split method:

Table (05) shows the stability of the measure of direction towards teaching in colloquial language

Statistical Variables / Techniques	N	R	the degree of freedom	the significance level at 0.01
Individual questions	4	060,	42	001.
Marital Questions				

The correlation between 0.60 and 0.96 is constant if the scale of the study is constant.

4.2.7- Alpha-Cronbach's stability calculation:

Table (06) shows the stability results of the Alpha Kronbach equation

Number of Phrases	Alpha-Cronbach's
30	047.

From the table we note that the coefficient of test stability is estimated at 0.47 at the level of significance of 0.01, and through these results we conclude that the scale is constant and can be relied upon in measuring the phenomenon under study.

5. Statistical methods used:

The results are based on the SPSS 19.0 statistical program

6 - Presentation and interpretation of the results according to the questions of the study:

6-1 Presentation and interpretation of the results of the general question:

The general question is: What is the nature of the attitudes of primary school teachers toward teaching colloquialism?

Table (07): shows the results of the attitudes of the teachers of the primary stage towards teaching colloquially.

The sample	the nature of the trend towards teaching				technical statistical		
	Positive direction		Negative direction		Ka 2 Calculated	Ka 2 Scheduled	Level of significance
	N	%	N	%			
Primary School Teachers	30	21.42.	110	78.58.	70.43.	6.64.	0.01,

The above table shows that the calculated value of Ka2 equals 70.43, which is greater than the value of Ka2, which is equal to (6.64), and thus can be said to be a function at the level of significance (0.01). Means that 21.42% have a positive attitude toward teaching colloquially. In contrast, 78.58% have a negative attitude towards teaching in colloquialism at the primary level which is high. This shows the teacher's awareness of the importance of Arabic language and its place in teaching.

Moroccan intellectual and historian Abdoulaye Arroui says: "I am satisfied with a simple but simple example of those who are calling for the prospect of what is expected of this adventure (teaching colloquial) problems on the ground, imagine my primary school teacher coming from Casablanca and I was proficient in speaking oval dialect and I was not able to speak to anyone else. I was appointed by the ministry at a primary school in Chefchaouen. I joined the appointment site and I was surprised since my arrival that the people of this city speak with a dialect. They will not understand me, so I have to learn to speak in their dialect to ensure the success of communication, the role will be reversed and I will have to learn the language of Chefchaouen from my students! The student will become a schizophrenic The teacher will turn the oval to a learner! If this situation is what the claimants seek to adopt Darga in Moroccan school.

(Abdullah Al-Arawi, 2013 p. 2).

(In the beginning of my teaching Arabic, I was appointed as a teacher in the city of Ismailia, one of the cities of the Egyptian channel. Because I was from Upper Egypt and studied my university in Cairo, the language of Darajjah was a mixture between the Upper vernacular and the kaherian colloquial. I feared that my words would be unfamiliar to my Ismaili students. Teaching in the classical language is a problem that has been found in the language of the Holy Quran. (Ali Ahmed Request 1995, p. 304)

In the same context and against the background of the proposal of the Ministry of Education on teaching colloquial for the first stages of primary education, some pages on the Internet referenda on the subject was as follows:

The referendum, organized by the site "Sunrise Online", and the participation of about four thousand readers, supported 994 people only by (20.7%) teaching colloquial, while opposed to 3807 people and 79.03%.) [Http://www.echoroukonline.com](http://www.echoroukonline.com)

This is consistent with the results of our study of the convergence of ratios on the trends towards teaching colloquium. Because the percentage of participation in this referendum, mostly from the educated class, including teachers of primary school.

This is evidence that the educated percentage among them professors refuse to teach colloquially in the primary. The importance of teaching in Arabic for the primary school student is as follows:

- To acquire the ability to use the Arabic language successfully to communicate with others through listening, speaking, reading and writing.

- Have a good listening skill, to be able to focus attention in the listener. And understand them appropriately.

- Have the ethics of speaking in different life situations.

- To have a linguistic dictionary through which to express various issues.

- Have the ability to speak in a healthy language, and be bold and fluent in talking.

- To understand the audio and distinguish its linguistic style.

- That his linguistic wealth increase an appropriate level of growth.

(Ahmed Ibrahim Souman, 2014, pp. 64-65)

In order to promote the standard Arabic language, His Highness Sheikh Mohammed bin Rashid Al Maktoum, Vice President of the United Arab Emirates, launched the largest Arab project, the Reading

Challenge, to encourage reading among students in the Arab world. The challenge takes the form of a competition for reading in Arabic in which students from the first grade of primary school to the twelfth grade of participating schools across the Arab world participate. The goal of this challenge is:

- Developing the love of reading among the children and youth generation in the Arab world.
- Improve the Arabic language skills of students to increase their ability to express fluently and fluently.
- Strengthening national sense, Arabism and a sense of belonging to one nation.

([Http://www.arabreadingchallenge.com](http://www.arabreadingchallenge.com))

There is a proportion of professors who use some colloquial terms to approximate the meaning of the student only. This is what we observed through our contact with the sample of the study

6.2 Presentation and interpretation of the first sub-question:

Which states: Are the attitudes of primary school teachers toward teaching in colloquialism different from the sex variable?

**Table (08): shows the trends of primary school teachers
Towards teaching colloquially by sex variable**

Statistical Technology Variables	T _{he mean}	standard deviation		T _{Cal} culated	T _{Sc} heduled	degree of freedom	Level of significance
Females	95.030	7.915	40	1.278	196.	138	Not functional
Male	93.048	9.321					

Table (08) shows that the planned "t" is estimated at (1,960) greater than the calculated "T" (1,278) at the degree of freedom. 138 Therefore, there are no differences between males and females in their attitudes toward teaching in colloquialism.

Teachers (male and female) refuse to teach colloquially because they believe that the child acquires them from the family center. What is the role of the teacher in adding the new to the student language as long as he acquires the colloquial language of the family and society

Due to the importance of the teacher of Arabic language especially in the primary stage, it is among the members of the teaching staff that constitute the educational staff of the institution and his role is more reflected in the transfer of the most important cultural and civilizational elements on which to instill values of all kinds, and the transfer and preservation of heritage on the one hand and promote and promote it on the other hand, Its role is becoming more dangerous day after day, especially after the acceleration of events and developments at all levels.

(Abdullah Labouz, 2011, p. 118)

And I attended classes of teaching at the primary level for the second and fourth year and the fifth in one of the primary schools and through what I noticed through the keenness of teachers to give the child the Arabic language.

and that is through:

- Encourage students to communicate in the classical Arabic language among themselves and between their families.

- Punishing the student who pronounces the sentences of the syllabus (moral punishment such as not being assigned to scan the blackboard or distribute the cards to his colleagues ...) for the fourth and fifth years primary.

- Correcting the language of the student when he uttered phrases or colloquial terms. Example of the second year primary.

- Proficiency of the teachers to pronounce the word correctly.

Through interviews with some teachers (male and female) in some elementary schools, some professors said that the Arabic language should be considered at this stage as the cornerstone of acquisition and language proficiency for other educational stages.

It also helps to modify their linguistic behavior through their interaction with the language experiences and activities contained in the curriculum.

Increasing the students' progress in the Arabic language helps them to progress in many other subjects that depend on reading, writing, understanding and more. The student was able to read the Holy Quran.

6.3 Presentation and interpretation of the second sub-question:

Which states:

Are the attitudes of primary school teachers towards teaching in colloquialism different depending on the number of years of work?

Table (09): shows the trends of teachers in the primary stage according to the variable number of years of work

Statistic al Technol ogy Variabl es	The mea n	standa rd deviati on	N	T Calc ulated	T Schedu led	degre e of freed om	Level of significa nce
More than 10 years	94.1 77	8.305	140	515.	1960.	138	Functio n to 0.01
Less than 10 years	9 4.94 0	8.539					

Table (09) shows that the calculated "C" (5,15) is greater than the "T" which is set at (1.96) at the degree of freedom 138, there are differences in the attitudes of teachers towards teaching in colloquialism according to the number of years of work. Less than 10 years.

This explains the role played by the primary school and the formation of that generation in the interest of Arabic. Since Arabic is one of the foundations on which the national character is based, and one of the components of individual and social identity, and as a national and official language, it is the language of teaching all subjects at all levels, both in public schools and in private schools. By continuing to recruit and develop all means to promote them. This has been demonstrated by several measures within the new reforms, including:

- Preparation of new programs and textbooks for all school years.
- Launching a large-scale multi-year program to train teachers in service to improve their levels of primary and intermediate education and to strengthen their academic and vocational qualifications.
- To increase the number of seminars and training processes in subjects related to teaching materials.
- Improvements in the organization and functioning of the General Inspectorate to give qualitative impetus to the supervision.
- Coordination, follow-up, monitoring and evaluation related to pedagogic activities in Arabic.

Qualification	SN	Source of Contrast	Total squares	Degree of freedom	Average squares	P calculated	P scheduled	Level of significance
University	881	Between groups	1107.17	2	553.588	8.795	327.	001.
Technological Institute	557	Within groups	8623.47	137	62.945			
High school	002	Total	9730.65	139				

- Increase the coefficient of Arabic in the Continuing Education Certificate exam from four to five transactions.

- Increasing the volume of teaching Arabic language, which is the largest volume of all materials between 14 hours per week in the first year primary, and 12 hours in the third year to become 9 hours in the fourth year and the fifth primary.

(Kairiyya, Harqas and Waleed, 2010, p. 67)

6.4 Presentation and interpretation of the third sub-question:

Which states: Are the attitudes of the teachers of the primary stage towards teaching in colloquialism different according to the scientific qualification?

Table (10): shows the trends of teachers in the primary stage towards teaching colloquially by the variable of scientific qualification

Note through the table that the value of the "P" calculated and equal greater 8.79 than the value of "P", "scheduled and equal to 3.27 for the degree of freedom 2 between groups and 137 within the groups, this indicates that there are statistically significant differences between the professors primary trends differences towards teaching colloquially Of the three academic qualifications.

It can be explained by the result obtained that the scientific qualification variable effect on the attitudes of professors of primary school towards teaching colloquial negative trends that characterize the study sample, and certainly for us that these negative trends, which is estimated to be worth 78.58% rose as a result of the prevailing awareness in the center of education, and

the lack of training in both institutes, schools and universities with regard to national education and local cultural testator both on programs and curricula and courses at the level of the level of training and rehabilitation institutions previously mentioned, as well as the weakness of training with regard to educational and psychological information T that the development of positive trends for teaching colloquial Arabic when teachers, and we can not know the extent of the impact of the amount of educational and psychological information received by teachers in the change direction only when we measured their attitudes.

These differences are due to the benefit of university graduates, which shows the zeal of the students on the language of the Koran, for fear disappear, especially if grown on other emerging, such as slang or other foreign languages.

- Access to modern curricula such as curricula of psychology and education sciences, educational methods ...

- Access to educational methods Kaltdras competencies Mthela.vi in return we find that the Technological Institute graduates are unaware of these Trq.oaldlal formations on that carried out by the ministry.

- Students aspire to keep the Arabic language competitive with other international languages.

- The tendency of university students for literary majors. This may be due to the fact that priority in primary employment is due to the benefit of holders of literary degrees.

General Conclusion:

To conclude what has been written above, the current study aimed to detect trends towards primary school teachers teaching in colloquial speech, so as to the importance of teachers teaching trends in the field and the importance of the language that communicate with students.

In order to achieve the objectives of the study, we used the literature of research and friction in the field. We also used the measure of teachers' attitudes towards teaching in colloquial. The results of the study were as follows:

- There are negative attitudes of primary school teachers towards teaching colloquially.

- There is no difference between the attitudes of teachers in the primary stage towards teaching colloquially by sex variable.

- There is a difference between the attitudes of the teachers of the primary stage towards teaching colloquial by the variable number of years of work.

- There is a difference between the attitudes of the teachers of the primary stage towards teaching colloquially according to the variable of scientific qualification,

The results of the present study were interpreted and analyzed in the light of research literature and what we have derived from the field.

List of references:

- 1 - Ahmed Ibrahim Suman, Arabic Language and Methods of Teaching for the students of the first basic stage, 1, Dar Knouz Knowledge for Publishing and Distribution, Amman, 2014.
- 2 - Ahmed Sayed Gharib, classification and implementation of social research, B, University Knowledge House 1995.
- 3 - Bashir Muammara, Psychometric Measurement and Design of Tools, I 2, Al-Ink Publishers, Algeria, 2007.
- 4- Rabhi Mustafa Alian, Othman Mohamed Ghneim, Methods of Scientific Research, 4, Dar Safa Publishing and Distribution, Amman, 2010.
- 5- Samara Nawaf, Mohamed Abdulsalam Mousa Al-Adaily, BA, Concepts and Terminology in Educational Sciences, Dar Al-Massira for Publishing, Distribution and Printing, Amman, Jordan 2008.
6. Ammar Bouhoush and Mohamed Al-Thunibat, Methods of Scientific Research and Methods of Research Preparation, Third Edition, Journal of the Algerian Press, Algiers 2000.
- 7 - Fuad Bahi Al - Sayed, Saad Abdel - Rahman, Social Psychology (contemporary vision), Arab Thought House, Cairo, 2006.
- 8- Mohamed El Sayed Abou El Nil, Psychological and Social Statistics and Personality Predictive Personality Tests, Arab Renaissance House, Cairo, 1987.
- 9- Muqaddam Abdel-Hafeez, Educational Psychometric Statistics and Statistics, 2 nd, University Publications, 2 nd, Algeria, 2003
- 10- Al-Salwadi Hassan, lecturer in Arabic language and methods of teaching in Palestinian universities, Higher Education Council, Research and discussions of the first symposium of the Islamic Research Center, Faculty of Arts, Al-Quds University, 1987.
- 11- Abdelkader Bqader, The Reality of the Arabic Language in Educational Schools in the Wilayat of Adrar, Journal of Linguistic Practices, Mouloud Mameri University Tizi Ouzou, No. 14, Algeria 2014.
- 12- Ali Ahmed Taleb, The Use of Slang in Teaching, Imam Muhammad Bin Saud Islamic University, Research on the Phenomenon of Language Impairment at the University Level, Volume 1, Riyadh, 1995
13. Kaïa Aleik, Standard Arabic in Primary School, Journal of the Linguistic Practice Laboratory in Algeria, 2014.
- 14- Mohieddin Mokhtar, Some Research Techniques and Report Writing, B, Journal of Studies in Methodology, Algeria, 2000.
- 15- Nasireh Amouri, The Problem of Language in the Algerian Child, Maaref Magazine, University of Akli Muhand or Haj, Bouira, 2013, Issue 14
- 16 - J MILTON COWAN, ADICTIONAIRY OF MODERN WRITTEN ARABIC, 3E, SPOKEN LANGUAG SERVICES, 1976, NEW YORK §. J MILTON COWAN, 1976, P641

Instructions aux auteurs

Soumission d'un article

Soumission recommandée (électronique) via le courrier électronique de la section de domaine relatif au sujet de manuscrit. Lors de la soumission, il est demandé aux auteurs de proposer une liste d'au moins deux spécialistes susceptibles d'expertiser le travail et d'y joindre leurs adresses électroniques et leurs affiliations.

Il est recommandé ainsi de faire joindre à l'article soumis, une lettre d'accompagnement, où il est mentionné que le travail soumis a été approuvé par tous les auteurs et qu'il n'a pas été soumis à une autre revue.

Préparation de manuscrit

Les articles soumis à la revue « ELWAHAT » pour les Recherches et les Etudes, peuvent être rédigés en anglais, en français ou en arabe et doivent comporter obligatoirement un résumé en français ou en arabe et un autre résumé en anglais. Le résumé doit être suffisamment clair et informatif pour permettre la compréhension du sujet sans lire l'article entier. Le résumé comporte au maximum 200 mots. Cinq à sept mots-clés bien adaptés pour indexer le manuscrit.

- Les manuscrits doivent contenir quatre parties: Introduction, Matériel et méthodes, Résultats et Discussion, et Conclusion (facultatif) (police 12 gras). Les manuscrites ne doivent pas dépasser 15 pages ou 3000 mots (excluant les références, les tableaux et les légendes des figures).

La longueur des textes comportant de nombreuses références ne devrait pas dépasser 40000 signes (espaces compris). Les manuscrits soumis en ligne à la revue, passent par plusieurs étapes successives:

- Vérification de la conformité du manuscrit (lettre d'accompagnement, «anonymisation» du texte, résumés bilingues, etc.);
- Vérification de conformité à la ligne éditoriale de la revue et d'originalité des résultats;
- Evaluation anonyme par au moins deux experts choisis parmi ceux qui sont proposés par les auteurs et par les membres du comité de rédaction.

Le manuscrit doit être écrit en police : New Time Roman et comporte les éléments sous cités qui vont être regroupés dans un seul fichier rendu anonyme et qui se présentent comme suit:

Sur la première page :

- Le titre de manuscrit en français ou en arabe et en anglais (20 mots au maximum ; police 14 gras);
- Les noms, les affiliations, et les références des auteurs ainsi que l'adresse postale et l'adresse électronique du premier auteur et/ou de l'auteur correspondant (police 11 gras) ;

- Un résumé en français ou en arabe et un abstract en anglais de 300 mots maximum chacun (police 12);
- Cinq à sept mots clés, en français ou en arabe et en anglais, extraits du thésaurus (police 12);
- Puis le texte intégral au format MS. Word (fichier .doc(x) ou rtf) avec illustrations. Les tableaux, les photos et les figures (illustrations) seront appelés dans le corps du texte (police 12);
- Une liste de références bibliographiques soigneusement choisies, récentes et accessibles aux lecteurs, selon les normes suivantes:

Références bibliographiques

Les références bibliographiques sont présentées par le nom de l'auteur ou des auteurs (sans prénom (s)) suivi d'une virgule, puis de l'année de publication. Selon leur position dans le texte sont à présenter comme suivant:

- Un seul auteur : texte (auteur, année de publication) texte...
- deux auteurs : texte (auteur1 et auteur2, année de publication) texte...
- plus de deux auteurs : texte (auteur1 *et al.*, année de publication) texte...

ou: Selon auteur (année de publication) texte... ; selon auteur1 et auteur2 (année de publication) texte... ; selon auteur1 *et al.* (année de publication) texte...

Dans le cas de plusieurs citations d'auteurs- année de publication, il est recommandé des séparations par un point-virgule.

(auteur, année de publication ; auteur et auteur, année de publication ; auteur *et al.*, année de publication).

Si un auteur donné ou plusieurs mêmes auteurs ont publié la même année, ajouter les lettres a, b, c, etc. après l'année de publication. Auteur (s), année de publication a, b, c, etc.

Dans la liste bibliographique, les références seront classées dans l'ordre alphabétique des noms des premiers auteurs. Tous les auteurs doivent être mentionnés.

Exemples de structuration

Livre : Bruneton J., 1996.- *Plantes toxiques: Végétaux dangereux pour l'homme et les animaux*. Ed. Lavoisier, Paris, 687 p.

Thèse : Pibiri M. C., 2005.- *Assainissement microbiologique de l'air et des systèmes de ventilation au moyen d'huiles essentielles*. Thèse de doctorat, Ecole Polytechnique Fédérale de Lausanne, 160 p.

Article : Schoonhoven L. M. et Derksen-Koppers I., 1976.- Effects of some allelochemicals on food uptake and survival of a polyphagous aphid, *Myzus persicae*. *Entomologia Experimentalis et Applicata*, vol. 19 (1): 52-56.